



مجلة العلوم الإنسانية

علمية محكمة - نصف سنوية

تصدرها كلية الآداب / الخمس

جامعة المرقب . ليبيا

14

العدد

الرابع عشر

مارس 2017م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

صدق الله العظيم

(سورة البقرة - آية 32)

هيئة التحرير

- د. علي سالم جمعة رئيساً
 - د. أنور عمر أبوشينة عضواً
 - د. أحمد مريحييل حرييش عضواً

المجلة علمية ثقافية محكمة نصف سنوية تصدر عن جامعة المرقب /كلية الآداب الخمس، وتنتشر بها البحوث والدراسات الأكاديمية المعنية بالمشكلات والقضايا المجتمعية المعاصرة في مختلف تخصصات العلوم الانسانية.

- كافة الآراء والأفكار والكتابات التي وردت في هذا العدد تعبر عن آراء أصحابها فقط، ولا تعكس بالضرورة رأي هيئة تحرير المجلة ولا تتحمل المجلة أية مسؤولية اتجاهها.

تُوجّه جميع المراسلات إلى العنوان الآتي:

هيئة تحرير مجلة العلوم الإنسانية

مكتب المجلة بكلية الآداب الخمس جامعة المرقب

الخمس /ليبيا ص.ب (40770)

هاتف (00218924120663 د. على)

(00218926724967 د. احمد) - أو (00218926308360 د. انور)

journal.alkhomes@gmail.com

البريد الإلكتروني:

journal.alkhomes@gmail.com

صفحة المجلة على الفيس بوك:

قواعد ومعايير النشر

-تهتم المجلة بنشر الدراسات والبحوث الأصيلة التي تتسم بوضوح المنهجية ودقة التوثيق في حقول الدراسات المتخصصة في اللغة العربية والانجليزية والدراسات الاسلامية والشعر والأدب والتاريخ والجغرافيا والفلسفة وعلم الاجتماع والتربية وعلم النفس وما يتصل بها من حقول المعرفة.

-ترحب المجلة بنشر التقارير عن المؤتمرات والندوات العلمية المقامة داخل الجامعة على أن لا يزيد عدد الصفحات عن خمس صفحات مطبوعة.

-نشر البحوث والنصوص المحققة والمترجمة ومراجعات الكتب المتعلقة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية ونشر البحوث والدراسات العلمية النقدية الهادفة إلى تقدم المعرفة العلمية والإنسانية.

-ترحب المجلة بعروض الكتب على ألا يتجاوز تاريخ إصدارها ثلاثة أعوام ولا يزيد حجم العرض عن صفحتين مطبوعتين وأن يذكر الباحث في عرضه المعلومات التالية (اسم المؤلف كاملاً- عنوان الكتاب- مكان وتاريخ النشر- عدد صفحات الكتاب- اسم الناشر- نبذة مختصرة عن مضمونه- تكتب البيانات السالفة الذكر بلغة الكتاب).

ضوابط عامة للمجلة

- يجب أن يتسم البحث بالأسلوب العلمي النزيه الهادف ويحتوى على مقومات ومعايير المنهجية العلمية في اعداد البحوث.

- يُشترط في البحوث المقدمة للمجلة أن تكون أصيلة ولم يسبق أن نشرت أو قدمت للنشر في مجلة أخرى أو أية جهة ناشرة اخرة. وأن يتعهد الباحث بذلك خطيا عند تقديم البحث، وتقديم إقراراً بأنه سيلتزم بكافة الشروط والضوابط المقررة

في المجلة، كما أنه لا يجوز يكون البحث فصلاً أو جزءاً من رسالة (ماجستير - دكتوراه) منشورة، أو كتاب منشور.

- لغة المجلة هي العربية ويمكن أن تقبل بحوثاً بالإنجليزية أو بأية لغة أخرى، بعد موافقة هيئة التحرير..

- تحتفظ هيئة التحرير بحقها في عدم نشر أي بحث وتُعدُّ قراراتها نهائية، وتبلغ الباحث باعتذارها فقط إذا لم يتقرر نشر البحث، ويصبح البحث بعد قبوله حقاً محفوظاً للمجلة ولا يجوز النقل منه إلا بإشارة إلى المجلة.

- لا يحق للباحث إعادة نشر بحثه في أية مجلة علمية أخرى بعد نشره في مجلة الكلية، كما لا يحق له طلب استرجاعه سواء قُبِلَ للنشر أم لم يقبل.

- تخضع جميع الدراسات والبحوث والمقالات الواردة إلى المجلة للفحص العلمي، بعرضها على مُحكِّمين مختصين (محكم واحد لكل بحث) تختارهم هيئة التحرير على نحو سري لتقدير مدى صلاحية البحث للنشر، ويمكن ان يرسل الى محكم اخر وذلك حسب تقدير هيئة التحرير.

- يبدي المقيم رأيه في مدى صلاحية البحث للنشر في تقرير مستقل مدعماً بالمبررات على أن لا تتأخر نتائج التقييم عن شهر من تاريخ إرسال البحث إليه، ويرسل قرار المحكمين النهائي للباحث ويكون القرار إما:

* قبول البحث دون تعديلات.

* قبول البحث بعد تعديلات وإعادة عرضه على المحكم.

* رفض البحث.

-تقوم هيئة تحرير المجلة بإخطار الباحثين بآراء المحكمين ومقترحاتهم إذ كان

المقال أو البحث في حال يسمح بالتعديل والتصحيح، وفي حالة وجود تعديلات طلبها المقيم وبعد موافقة الهيئة على قبول البحث للنشر قبولاً مشروطاً بإجراء التعديلات يطلب من الباحث الأخذ بالتعديلات في فترة لا تتجاوز أسبوعين من تاريخ استلامه للبحث، ويقدم تقريراً يبين فيه رده على المحكم، وكيفية الأخذ بالملاحظات والتعديلات المطلوبة.

- ترسل البحوث المقبولة للنشر إلى المدقق اللغوي ومن حق المدقق اللغوي أن يرفض البحث الذي تتجاوز أخطاؤه اللغوية الحد المقبول.

- تنشر البحوث وفق أسبقية وصولها إلى المجلة من المحكم، على أن تكون مستوفية الشروط السالفة الذكر.

- الباحث مسئول بالكامل عن صحة النقل من المراجع المستخدمة كما أن هيئة تحرير المجلة غير مسئولة عن أية سرقة علمية تتم في هذه البحوث.

- ترفق مع البحث السيرة العلمية (CV) مختصرة قدر الإمكان تتضمن الاسم الثلاثي للباحث ودرجته العلمية ونخصه الدقيق، وجامعته وكليته وقسمه، وأهم مؤلفاته، والبريد الإلكتروني والهاتف ليسهل الاتصال به.

- يخضع ترتيب البحوث في المجلة لمعايير فنية تراها هيئة التحرير.

- تقدم البحوث الى مكتب المجلة الكائن بمقر الكلية، او ترسل إلى بريد المجلة الإلكتروني.

- اذا تم ارسال البحث عن طريق البريد الإلكتروني او صندوق البريد يتم ابلاغ الباحث بوصول بحثه واستلامه.

- يترتب على الباحث، في حالة سحبه لبحثه او إبداء رغبته في عدم متابعة

إجراءات التحكيم والنشر، دفع الرسوم التي خصصت للمقيمين.

شروط تفصيلية للنشر في المجلة

-عنوان البحث: يكتب العنوان باللغتين العربية والإنجليزية. ويجب أن يكون العنوان مختصراً قدر الإمكان ويعبر عن هدف البحث بوضوح ويتبع المنهجية العلمية من حيث الإحاطة والاستقصاء وأسلوب البحث العلمي.

- يذكر الباحث على الصفحة الأولى من البحث اسمه ودرجته العلمية والجامعة او المؤسسة الأكاديمية التي يعمل بها.

-أن يكون البحث مصوغاً بإحدى الطريقتين الآتيتين: _

1:البحوث الميدانية: يورد الباحث مقدمة يبين فيها طبيعة البحث ومبرراته ومدى الحاجة إليه، ثم يحدد مشكلة البحث، ويجب أن يتضمن البحث الكلمات المفتاحية (مصطلحات البحث)، ثم يعرض طريقة البحث وأدواته، وكيفية تحليل بياناته، ثم يعرض نتائج البحث ومناقشتها والتوصيات المنبثقة عنها، وأخيراً قائمة المراجع.

2:البحوث النظرية التحليلية: يورد الباحث مقدمة يمهد فيها لمشكلة البحث مبيناً فيها أهميته وقيمه في الإضافة إلى العلوم والمعارف وإغنائها بالجديد، ثم يقسم العرض بعد ذلك إلى أقسام على درجة من الاستقلال فيما بينها، بحيث يعرض في كل منها فكرة مستقلة ضمن إطار الموضوع الكلي ترتبط بما سبقها وتمهد لما يليها، ثم يختم الموضوع بملخص شامل له، وأخيراً يثبت قائمة المراجع.

-يقدم الباحث ثلاث نسخ ورقية من البحث، وعلى وجه واحد من الورقة (A4) واحدة منها يكتب عليها اسم الباحث ودرجته العلمية، والنسخ الأخرى تقدم ويكتب عليها عنوان البحث فقط، ونسخة الكترونية على (Cd) باستخدام البرنامج الحاسوبي (MS Word).

- يجب ألا تقل صفحات البحث عن 20 صفحة ولا تزيد عن 30 صفحة بما في ذلك صفحات الرسوم والأشكال والجداول وقائمة المراجع .
-يرفق مع البحث ملخصان (باللغة العربية والانجليزية) في حدود (150) كلمة لكل منهما، وعلى ورقتين منفصلتين بحيث يكتب في أعلى الصفحة عنوان البحث ولا يتجاوز الصفحة الواحدة لكل ملخص.

-يُترك هامش مقداره 3 سم من جهة التجليد بينما تكون الهوامش الأخرى 2.5 سم، المسافة بين الأسطر مسافة ونصف، يكون نوع الخط المستخدم في المتن Times New Roman 12 للغة الانجليزية و مسافة و نصف بخط Simplified Arabic 14 للأبحاث باللغة العربية.

-في حالة وجود جداول وأشكال وصور في البحث يكتب رقم وعنوان الجدول أو الشكل والصورة في الأعلى بحيث يكون موجزاً للمحتوى وتكتب الحواشي في الأسفل بشكل مختصر كما يشترط لتنظيم الجداول اتباع نظام الجداول المعترف به في جهاز الحاسوب ويكون الخط بحجم 12.

-يجب أن ترقم الصفحات ترقيماً متسلسلاً بما في ذلك الجداول والأشكال والصور واللوحات وقائمة المراجع .

طريقة التوثيق:

-يُشار إلى المصادر والمراجع في متن البحث بأرقام متسلسلة توضع بين قوسين إلى الأعلى هكذا: (1)، (2)، (3)، ويكون ثبوتها في أسفل صفحات البحث، وتكون أرقام التوثيق متسلسلة موضوعة بين قوسين في أسفل كل صفحة، فإذا كانت أرقام التوثيق في الصفحة الأولى مثلاً قد انتهت عند الرقم (6) فإن الصفحة التالية ستبدأ بالرقم (1).

-ويكون توثيق المصادر والمراجع على النحو الآتي:

أولاً: الكتب المطبوعة: اسم المؤلف ثم لقبه، واسم الكتاب مكتوباً بالبنط الغامق، واسم المحقق أو المترجم، والطبعة، والناشر، ومكان النشر، وسنته، ورقم المجلد - إن تعددت المجلدات- والصفحة. مثال: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط2، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1965م، ج3، ص40. ويشار إلى المصدر عند وروده مرة ثانية على النحو الآتي: الجاحظ، الحيوان، ج، ص.

ثانياً: الكتب المخطوطة: اسم المؤلف ولقبه، واسم الكتاب مكتوباً بالبنط الغامق، واسم المخطوط مكتوباً بالبنط الغامق، ومكان المخطوط، ورقمه، ورقم اللوحة أو الصفحة. مثال: شافع بن علي الكناني، الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور. مخطوط مكتبة البودليان باكسفورد، مجموعة مارش رقم (424)، ورقة 50.

ثالثاً: الدوريات: اسم كاتب المقالة، عنوان المقالة موضوعاً بين علامتي تنصيص " "، واسم الدورية مكتوباً بالبنط الغامق، رقم المجلد والعدد والسنة، ورقم الصفحة، مثال: جرار، صلاح: "عناية السيوطي بالتراث الأندلسي- مدخل"، مجلة جامعة القاهرة للبحوث والدراسات، المجلد العاشر، العدد الثاني، سنة 1415هـ/ 1995م، ص179.

رابعاً: الآيات القرآنية والاحاديث النبوية:- تكتب الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين بالخط العثماني ﴿﴾ مع الإشارة إلى السورة ورقم الآية. وتثبت الأحاديث النبوية بين قوسين مزدوجين « » بعد تخريجها من مطانها.

ملاحظة: لا توافق هيئة التحرير على تكرار نفس الاسم (اسم الباحث) في عديدين متتاليين وذلك لفتح المجال امام جميع اعضاء هيئة التدريس للنشر.

فهرس المحتويات

عنوان البحث

الصفحة

- 1- تحديد مدلول لفظ إفريقية (المغرب الأدنى) جغرافياً وتاريخياً وأحوالها السياسية في القرن 13/هـم.
- 11..... د. محمود عمار المعلول
- 2- التحليل المكاني للصيديات في مدينة الخمس باستخدام نظم المعلومات الجغرافية(GIS).
- 35..... د. بلقاسم علي سنان
- 3-التشبيه في الشعر الليبي (ديوان راشد الزبير السنوسي الخروج من ثقب الإبرة . أنموذجاً).
- 62..... د. سالم فرح زويك
- 4-التفكير الإيجابي وعلاقته بالتوافق النفسي.
- 87..... د. أحمد علي الحويج
- 5-العامل في المستثنى بـ"الإ".
- 119..... د. صالح الأخضر
- 6- دور وسائل النقل المتطورة في تنمية السياحة.
- 141..... د. عياد ميلاد المجرش و الصادق محمود حامد
- 7- أثر النص النبوي في تأصيل القواعد النحوية دراسة تحليلية لبعض الأحاديث النبوية الواردة في أمالي السهيلي.
- 155..... د. فاطمة محمد الأزهري
- 8- التوفيق بين الفلسفة والدين في الفكر الإسلامي ابن رشد أنموذجاً.
- 173..... د. سدينة على صالح إكريبات
- 9- أثر وسائل النقل وتلوث المياه على البيئة ببلدية المرقب بشمال غرب ليبيا (دراسة جغرافية).

- 202..... د. نجوى عمر الجنين.
- 10- التوجيه الإعرابي لقوله تعالى ذلك ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ (دراسة تحليلية).
- 230..... د. علي سالم جمعة شخطور.
- 11- الدور العربي تجاه القضية الليبية 1945-1952م "دراسة في دور مصر والعراق وجامعة الدول العربية".
- 265..... د. مفتاح بلعيد غويطة.
- 12- منهج ابن الملا واختياراته النحوية في كتابه منتهى أمل الأريب من حل شواهد مغني اللبيب.
- 300..... د.إمحمد علي سليمان أبوسطاش.
- 13- نقد المتن عند السيدة عائشة رضي الله عنهامرويات أبي هريرة أنموذجاً دراسة نظرية تطبيقية.
- 326..... أ. وفاء محمد العاتي.
- 14- صناعة الحديد والصلب في مصراته.
- 354..... د.إبتسام عبدالسلام كشيبي.
- 15- العلاقات الإسرائيلية الأفريقية من عام 1955 م-1984م.
- 368..... د.عبد السلام عمر عرقوب.
- 16- مظاهر البعد الحضاري في مرويات كتاب تيجان في ملوك حمير.
- 392..... د.إمحمد انويجي غميص و شعبان علي أبوراس.
- 17 - Libyan EFL Learners' Use of English Lexical Collocations.
- Dr. Dr. Zainab Ahmed426

تحديد مدلول لفظ إفريقية (المغرب الأدنى) جغرافياً وتاريخياً

وأحوالها السياسية في القرن 7 هـ / 13 م

إعداد: د. محمود عمار المغول

مقدمة :

تلقى هذه الورقة الضوء على تحديد مدلول اسم إفريقية وكيفية كتابتها وضبطها ، وحدودها الجغرافية ، وقد قسمت الورقة إلى مقدمة ومطلبين تتناول المقدمة الهدف من الورقة ، ويتناول المطلب الأول : مدلول اسم إفريقية . إفريقيا وإطارها الجغرافي ، ويتناول المطلب الثاني : أحوال إفريقية في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، وتختتم الورقة بخلاصة ، وقائمة بالمصادر والمراجع .

المطلب الأول : مدلول اسم إفريقية . إفريقيا وإطارها الجغرافي .

اعتاد الكتاب والباحثون على كتابة اسم إفريقيا كقارة أحياناً أفريقيا بالهمزة على الألف وأحياناً إفريقيا بالهمزة تحت الألف ، وأحياناً أخرى بالتاء المربوطة بدل الألف الممدودة في نهاية الكلمة (إفريقية) وكما ستبين هذه الورقة فإن إفريقية وردت عند المؤرخين المسلمين على أنها جزء من أجزاء المغرب الإسلامي عرف بالمغرب الأدنى، لدنوه وقربه من المشرق الإسلامي ومركز الخلافة ، أما اسم القارة إفريقيا فيبدو أنه اشتق من اسم إفريقية الذي هو المغرب الأدنى ، بمعنى أن هذه البقعة سميت أولاً باسم إفريقية ثم انتقل الاسم إلى القارة بأكملها (1) ..

اختلف المؤرخون والجغرافيون المسلمون حول تحديد معنى إفريقية ، كما اختلفوا أيضاً في نطقها هل هو بكسر الهمزة أو بفتحها ، والأشهر والشائع عند أكثر المؤرخين بكسر الهمزة فقد ضبطها ابن خلكان (608 . 681 هـ / 1211 . 1282 م) بالكسر حيث يقول : " إفريقية بكسر الهمزة وسكون الفاء وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها

(1) أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، ج1 ، 1963 م ، القاهرة ، ص 140 .

وكسر القاف وبعدها ياء معجمة باثنتين من تحتها ، وهي مفتوحة وبعدها هاء ، إقليم عظيم من بلاد المغرب فتح في عهد خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكرسي مملكته القيروان ، واليوم كرسيتها تونس" (1) .

قبل الحديث عن حدود إفريقية تجدر الإشارة إلى أن هذا اللفظ عرف منذ القدم في عهد الرومان ، كما أطلق هذا الاسم على المغرب كله ، ويذكر المؤرخ البكري (ت 487 هـ / 1094 م) ذلك فيقول : " حد إفريقية طولها من برقة شرقاً إلى طنجة الخضراء غرباً " (2) ، ولم يلبث أن أصبح مفهوم إفريقية يضيق شيئاً فشيئاً حتى أصبح يدل على قسم من أقسام المغرب الثلاثة ، بينما بقي لفظ المغرب ليدل على الإقليم الممتد من برقة شرقاً إلى طنجة غرباً

جرى التعارف بين المؤرخين المسلمين على أن إفريقية هي المغرب الأدنى إلا أنهم اختلفوا في تعيين حدودها ، وبذلك أصبح لإفريقية مفهومان مفهوم عام ، وهو أن إفريقية بمعنى المغرب الإسلامي كله بالإضافة إلى كتابة اسم إفريقية بزيادة ألف مكان الهاء ليصبح معنى هذا المدلول يدل على القارة كلها ، من قبيل إطلاق اسم الجزء على الكل ، ومفهوم خاص وهو ما يهنا في هذه الدراسة ، وهو إفريقية بمعنى المغرب الأدنى .

ومن أهم الآراء التي أوردها المؤرخون المسلمون حول حدود إفريقية ما يلي :

[1] . إفريقية هي الأرض الواقعة بين مدينة طرابلس شرقاً حتى مدينة بجاية غرباً ، وعاصمة هذا القسم أو الإقليم هي مدينة القيروان (3) ، وقد تغيرت هذه العاصمة بتغيير الدول التي حكمتها فكانت القيروان أيام الأغالبة (184 . 296 هـ / 800 . 909 م) ،

(1) ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1978م ، ج1 ، ص 236 .

(2) البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، تونس ، 1992 م ، ص 28 .

(3) السيد عبد العزيز سالم ، المغرب العربي الكبير ، العصر الإسلامي ، الدار القومية للطباعة ، الإسكندرية 1966 م ، ص 41 .

وكانت المهدية أيام الفاطميين بشمال أفريقيا (205 . 362 هـ / 820 . 973 م) ، ثم تونس أيام حكم الحفصيين (627 . 982 هـ / 1228 . 1573 م) (4) .

وحتى في عهد الرومان كانت إفريقية تعرف بإفريقية القنصلية تشمل كل البلاد التونسية اليوم مع بعض الأجزاء الغربية من ولاية طرابلس بما في ذلك المدينة نفسها ، وأجزاء من بلاد الجزائر الحالية أي التخوم الشرقية للجزائر حتى مدينة بجاية⁽¹⁾ ، ومن المؤرخين الذين يرون هذا الرأي ياقوت الحموي (574 . 626 هـ / 1178 . 1229 م) الذي يقول: "وحد إفريقية من طرابلس الغرب ... إلى بجاية وقيل إلى مليانة"⁽²⁾ .

[2] . هي البلاد الممتدة من (جبال نفوسة إلى جبال الونشريس) (3) .

[3] . هي الأرض الواقعة بين مدينة برقة ومدينة تاهرت (4) .

[4] . هي الأرض الواقعة بين مدينة طرابلس ومدينة قسنطينة⁽⁵⁾ .

[5] . قيل هي مدينة القيروان⁽⁶⁾ .

[6] . هي البلاد الواقعة من برقة (أنطابلس) شرقاً إلى قسنطينة غرباً بما في ذلك طرابلس⁽⁷⁾

(4) عصام الدين الفقي ، تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، 1984 م ، ص 12 .

(1) سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، منشورات منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ص 79 .

(2) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت . لبنان ، (د . ت) ، ج1 ، ص 228 .

(3) ممدوح حسين ، الحروب الصليبية في شمال إفريقية وأثرها الحضاري ، دار عمار ، الأردن ، 1998 م ، ص 51 .

(4) علي محمد الصلابي ، صفحات من تاريخ ليبيا الإسلامي والشمال الإفريقي ، دار البيارق ، الأردن ، 1998 م ، ص 132 .

(5) المرجع نفسه ، ص 132 .

(6) المرجع نفسه ، ص 132 .

[7] . هي البلاد الواقعة من غرب الإسكندرية شرقاً إلى مدينة بجاية غرباً⁽⁸⁾ .

وعلى أية حال فإن المؤرخين اختلفوا حول تحديد حدود إفريقية إلا أنهم أجمعوا على أنها تمثل المغرب الأدنى سواء بدأت من إقليم برقة أو طرابلس حيث يقول المؤرخ الناصري (1250 . 1315 هـ / 1835 . 1897 م) عن ذلك "المغرب يشتمل على ثلاث ممالك إفريقية وهي المغرب الأدنى وقاعدتها في صدر الإسلام مدينة القيروان ، وفي هذا العصر مدينة تونس وسمى أدنى لأنه أقرب إلى بلاد العرب ودار الخلافة في الحجاز"⁽¹⁾

أما المؤرخ ابن فضل الله العمري(ت 749 هـ / 1349 م) فيذكر أن "إفريقية اسم الإقليم وقاعدة الملك بها مدينة تونس، وأضيف إليها مملكة بجاية ومملكة تدلس وطرابلس أول مدنها مما يلي برقة، وتدلس آخر مدنها مما يلي المغرب الأوسط ، وحدها من الجنوب الصحراء الفاصلة بينها وبين بلاد خباوة المسكونة بأمم من السودان ، ومن الشرق آخر حدود طرابلس ... ومن الشمال البحر الشمالي، ومن الغرب آخر حدود تدلس جزائر بني مزغنة"⁽²⁾، وقد قسم المؤرخون المسلمون بلاد المغرب الإسلامي إلى ثلاثة أقسام: وهي القسم الأول إفريقية واسمها بـ (المغرب الأدنى) لقربه من المشرق أو دار الخلافة.

(7) المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تصحيح محمد سعيد العريان ، 1949 م ، ص 357

(8) محمد علي دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ، مؤسسة تاولت الثقافية ، 2010 م ، ص 12 .

(1) الناصري ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق ولدي المؤلف جعفر ومحمد ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1997 م ، ج 1 ، ص 127 .

(2) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، السفر الرابع ، ممالك اليمن والمغرب الإسلامي وقبائل العرب ، تحقيق حمزة أحمد عباس ، المجمع الثقافي ، الإمارات العربية المتحدة ، 2003 م ، ص 138 . 139 .

ويرى ابن عبد الحكم (ت 257 هـ / 870 م) وهو من المؤرخين القدامى أن إفريقية تعد أول أقاليم المغرب⁽³⁾، يأتي بعده المغرب الأوسط ويمتد من مدينة بجاية أو تاهرت شرقاً إلى وادي ملوية وجبال تازا غرباً، وتعددت عاصمته بتعدد الدول التي حكمتها، يأتي بعده المغرب الأقصى، ويمتد من وادي ملوية وجبال تازا شرقاً حتى الساحل المغربي على المحيط الأطلسي غرباً⁽⁴⁾، وتعددت عاصمته أيضاً بتعدد الدول التي حكمتها.

فبلاد المغرب في العصر الوسيط كانت تنقسم إلى ثلاثة أقاليم وهي:

- المغرب الأدنى . إفريقية.
- المغرب الأوسط.
- المغرب الأقصى.

تجدر الإشارة إلى أن لفظ إفريقية كان معروفاً عند المسلمين الأوائل فقد عرف هذا اللفظ في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (13 . 23 هـ / 634 . 644 م) عندما طلب منه عمرو بن العاص (592 . 664 م) السماح بفتح إفريقية فأجابته بالرفض⁽¹⁾، كما عرف عند الخلفاء الذين جاءوا من بعده ففي عهد معاوية بن أبي سفيان (41 . 60 هـ / 661 . 680 م) أورد ابن عذارى المراكشي (ت بعد 712 هـ / 1312 م) نصاً على لسان عقبة بن نافع (622 . 683 م) فاتح إفريقية وهو قوله: "إن إفريقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى

(3) سعد زغول عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص 69 .

(4) محمد علي دبور ، مرجع سابق ، ص 4 .

(1) أبو بكر المالكي ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم وعبادهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، تحقيق حسين مؤنس ، ج 1 ، ص 5 ، وكذلك أبو عبد الله القاضي ، الحلة السيرة ، تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف ، القاهرة ، 1985 م ، ج 1 ، ص 14 .

الإسلام، فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر، فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزاً للإسلام إلى آخر الدهر⁽²⁾.

وفي النص السابق دليل وإشارة واضحة على أن إفريقية هي البلاد الواقعة حول مدينة القيروان، وهناك من يرى من المؤرخين أن تقسيم العالم الإسلامي إلى مغرب ومشرق ظهر في عهد الدولة العباسية في عهد الخليفة المهدي (158 . 169هـ/775 . 786م) الذي قسم دولته بين ولديه الهادي (169.170هـ/786.787م) والرشيد (170.193هـ/787.810م) فعهد بالمشرق إلى الهادي والمغرب إلى الرشيد⁽³⁾.

ويرى آخرون أن هذا التقسيم الإداري يرجع إلى الرشيد نفسه، وليس لأبيه المهدي فالرشيد قد قسم دولته بين ولديه الأمين والمأمون على نفس النسق السابق، أما المدلول الجغرافي للمغرب عند المؤرخين المسلمين فهو كل ما يلي مصر غرباً حتى المحيط الأطلسي⁽⁴⁾.

أما بشأن تسمية إفريقية بهذا الاسم فقد سميت بذلك على عدة أقوال أشهرها نسبة إلى إفريقيش بن قيس بن صيفي⁽¹⁾، ويؤكد هذا الرأي المؤرخ ابن خلدون (732 . 808 هـ/ 1332 . 1406م) حيث يقول: "وهو الذي افتتح إفريقية، وبه سميت"⁽²⁾، وقيل سميت إفريقية لأن قوماً من الأفارقة سكنوها⁽³⁾...

(2) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الأول تحقيق ومراجعة ج. س. كولان وليفى بروفنسال، ص 19.

(3) سعد زغول عبد الحميد، مرجع سابق، ص 61.

(4) المرجع نفسه، ص 61 . 63.

(1) الناصري، مصدر سابق، ج 1، ص 117.

(2) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 6، دار القلم، بيروت . لبنان، 1984 م، ص 195.

(3) مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغول عبد الحميد، دار

النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، (د.ت.)، ص 112 . 113.

أما الوزير السراج (ت1149هـ/1737م) فقال: "إن اسم إفريقية أمر اختلف فيه، فقبل إفريش غزا نحو المغرب حتى وصل طنجة وبنائها فسميت إفريقية باسمه، وسموا الأفارقة وبلدهم إفريقية لأنهم من ولد فارق بن مصر، ويجوز فتح الراء وكسرها لأن الوزنين موجودان في أسماء العرب، إلا أن الكسر أرجح وأشهر لأنه الأكثر، وكذلك سميت إفريقية من البريق لأن سماءها صافية" (4).

ويذكر البكري سبب تسمية إفريقية فيقول: "قال قوم إنها إفريقية أي صاحبة السماء وقال آخرون سميت إفريقية لأن إفريش بن أبرهة بن الرئاش غزا نحو المغرب ... وباسمه سميت ... وقيل سميت بأفريق بن إبراهيم ... وقال قوم إنما سمو الأفارقة وبلدهم إفريقية لأنهم من ولد فارق بن مصريم وقد زعموا أن اسم إفريقية ليبيبة سميت ببنت يافوه بن يونس الذي بني مدينة منفيش بمصر، وهي التي ملكت إفريقية" (5).

وقال ابن عبد الحكم: "إنما سمو الأفارقة... لأنهم من ولد فارق بن بيسر وكان فارق بن بيسر قد حاز لنفسه من الأرض ما بين برقة إلى إفريقية فبالأفارقة سميت إفريقية" (6)، ويوافقه ياقوت الحموي فيذكر: "إن إفريقية سميت بفارق ابن بيسر بن حام بن نوح، وأن أخاه مصر لما حاز لنفسه مصر حاز فارق إفريقية" (1).

أما ابن أبي دينار (ت1110هـ/1698م) فقال إنها سميت إفريقية لأنها فرقت بين المشرق والمغرب، والذي يفرق بين الاثنين هو الأحسن، وهذا يدل على أن إفريقية من

(4) الوزير السراج، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت. لبنان، 1985، م، ج1، ص 508. 509.

(5) أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت. لبنان، 1992، م، ص 188.

(6) ابن أعين القرشي، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق محمد الحجيري، دار الفكر، بيروت، 1996، م، ج1، ص 314.

(1) ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص 228.

أحسن بلاد المغرب لأنها أوسطه وخير الأمور أوسطها، وهي بلد عظيم جمع جميع المحاسن⁽²⁾، وكذلك قيل إنها سميت بذلك لأنها فرقت بين مصر والمغرب⁽³⁾.

نتيجة لما سبق ذكره وحيال هذا الخلاف بين المؤرخين فإنه يصعب على الباحث الوصول إلى نتيجة محددة بشأن حدود إفريقية، وأصل تسميتها إلا أنه يبدو للباحث أن لفظ إفريقية بالكسر هو الأرجح لوروده عند أكثر المؤرخين، وأنها هي المغرب الأدنى الرقعة الجغرافية الواقعة بين مدينة طرابلس شرقاً حتى مدينة بجاية غرباً ، أما لفظ أفريقيا بالألف الممدودة فهو اسم يدل على القارة بأكملها.

المطلب الثاني: أحوال إفريقية(المغرب الأدنى) في القرن السابع الهجري

قامت الدولة الحفصية بإفريقية سنة 626 هـ / 1229م من طرابلس شرقاً حتى مدينة بجاية غرباً وتنسب إلى عمر بن أبي حفص⁽⁴⁾ (569 . 626 هـ / 1174 . 1195م)، وتعتبر فرعاً من الدولة الموحدية في حين اعتبرها البعض امتداداً لها⁽⁵⁾ ، ويعتبر محمد الملقب بالمستنصر (647 . 675 هـ / 1249 . 1277 م) أقوى خلفاء الدولة الحفصية يقول عنه المؤرخ صلاح الدين الصفدي (696 . 764 هـ / 1296 . 1363م) "كان محمد ملكاً عظيماً شجاعاً سؤوساً، متحليلاً على بلوغ قصده ... وهو ذو غرام بالعمارات والملاذات، تزف إليه كل ليلة جارية"⁽¹⁾.

(2) ابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، تحقيق وتعليق محمد شمام ، المكتبة العتيقة ، نهج جامع الزيتونة ، تونس 1387 هـ ، ص 19 . 20 .

(3) ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص 228 ، ومحمد علي دبوز ، مرجع سابق ، ص 12 .

(4) ابن الشماخ ، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ، تحقيق الطاهر محمد المعموري ، دار العربية للكتاب ، ليبيا . تونس ، 1984 م ، ص 48 . 49 .

(5) حسن حسني عبد الوهاب ، خلاصة تاريخ تونس ، تقديم وتحقيق حمادي الساطي ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، 2001 م ، ص 90 .

(1) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، اعتناء س . ديد رينغ ، دار فرانز بفسبادن ، 1974 م ، ج 5 ، ص 203 .

شهدت الدولة الحفصية أزهى عصورها من الازدهار الاقتصادي والسياسي والاستقرار في عهد الخليفة المستنصر الحفصي، بالإضافة إلى تمكنها من القضاء على حملة لويس التاسع الصليبية، وأنته بيعة الدول المجاورة مثل بني زيان في المغرب الأوسط وبني مرين في المغرب الأقصى وبني الأحمر في غرناطة، وبيعة شريف مكة ابن نمي(611. 701هـ/1214 . 1301 م)⁽²⁾ الذي ولي إمارة مكة المكرمة لأكثر من(50) سنة بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد⁽³⁾، كما جاءت سفارات من السودان وأوروبا، واستطاع أن يحقق مكانة كبيرة بين حكام عصره بحيث وصف المؤرخ ابن خلدون فترة حكمه بأنها(أعز أيام الدولة الحفصية)⁽⁴⁾ وقد طالبت فترة حكمه إلى (28) سنة وخمسة أشهر واثني عشر يوماً⁽⁵⁾.

أصبحت الدولة الحفصية بعد موت الخليفة المستنصر 12هـ/ الحجة 675هـ/ 5.16. 1277م⁽⁶⁾ بفوضى واضطراب سياسي كبي، عرف بعهد الاضمحلال الأول ، فقد تولى الخلافة من بعده ولده يحيي(675. 679 هـ/1277. 1280م) الذي لقب بالوائق، ولم يستطع الحفاظ على وحدة الدولة فأصابها الوهن، وتراجع أمرها إلى آخر عهدها⁽⁷⁾، كما كثرت في عهده الفتن والاضطرابات، وازدادت الصراعات بين كبار رجال الدولة

(2) جميلة مبطي المسعودي ، المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها سنة 621هـ. وحتى سنة 893هـ رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، جامعة أم القرى ، السعودية ، 2000 ، ص 4 . 5 .

(3) عبادة كحيلة ، المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب ، المطبعة الإسلامية ، القاهرة ، 1997 م ص 128

(4) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج6 ، ص 676 .

(5) الزركشي ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق محمد ماضور ، تونس ، 1966 م ، ص 40 .

(6) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج6 ، ص 380 . 381 .

(7) أحمد الطويلي ، في الحضارة العربية التونسية ، منشورات دار المعارف ، سوسة ، 1988 م ، ص 28 .

فأقلت زمام الأمور من يده⁽¹⁾ ، وفي ذلك يقول المؤرخ ابن أبي الضياف (1291.1217هـ/1874.1803م) في كتابه إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان: " وساعت سيرة الواثق وفسدت بطانته من استبداد وزيره الغافقي"⁽²⁾، الأمر الذي حدا بابن خلدون إلى القول عن الدولة الحفصية (ثم رجعت من بعده أدرابها)⁽³⁾ بمعنى بدأت في الضعف التدريجي.

ولم يدم حكم الواثق الحفصي طويلاً بسبب ثورة عمه أبي إسحاق إبراهيم (682.631هـ/1283.1234م) الذي كان لاجئاً سياسياً في بلاط بني الأحمر في كنف ملك غرناطة محمد الثاني (701.671هـ/1302.1272م) منذ فشل ثورته على أخيه المستنصر⁽⁴⁾.

وقد غادر مدينة غرناطة إلى تلمسان عاصمة الدولة الزيانية يتحين الفرصة لتحقيق أهدافه⁽⁵⁾ بالوصول إلى كرسي حكم السلطنة الحفصية، ولم تكد تمضي فترة حتى اتصل به والي بجاية محمد بن أبي هلال يبايعه سلطاناً للدولة الحفصية، وتمكن من دخول تونس في أواخر ذي الحجة 678هـ/أبريل 1280م بدعم من ملك أراغون بيدرو الثالث (1285.1276م) وكان ملك أراغون يهدف من مساعدته لأبي إسحاق ليجعله ألعوبة في يده، ولتحقيق مشاريعه في إفريقية، ومن بينها بطبيعة الحال مشاريع التنصير،

(1) ابن القفطز ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تونس ، 1968 م ، ص 118 .

(2) ابن أبي ضياف ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، تحقيق محمد شمام ، الدار التونسية للنشر ، 1990 م ، 1990 م ، ج 1 ، ص 208 .

(3) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج 6 ، ص 433 .

(4) روبرار برنشفيك ، تاريخ إفريقية في العصر الحفصي من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر نقله إلى العربية حمادي الساطي دار الغرب الإسلامي ، بيروت . لبنان ، 1988 م ، ج 1 ، ص 71 .

(5) المرجع نفسه، نفس الجزء، ص 106 .

وهكذا نجح أبو إسحاق إبراهيم في القيام بأول ثورة عرفتها الدولة الحفصية، وذلك بفضل مساندة الكفار حسب تعبير المستشرق الفرنسي روبر بارنشفيك⁽⁶⁾.

وبعد دخوله تونس أعدم يحيى الواصل في صفر 679هـ/يونيو 1280م وأولاده الثلاثة وقد دام حكم الواصل سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوماً⁽¹⁾ إلا أن أبا إسحاق هو الآخر لم يدم حكمه طويلاً إذ كان ضعيف الشخصية سيئ التدبير، ويصفه أحد المؤرخين بأنه كان منغمساً في الشهوات، ومتخلياً عن أمور الدولة⁽²⁾، ويقول عنه المؤرخ ابن القنفذ (740. 810هـ/1340. 1407م): "كان لا ينظر في عواقب الأمور... واستولت العرب في أيامه بتونس على القرى والمنازل ونهبوا الأموال والحريم"⁽³⁾، الأمر الذي أدى إلى تردي الأوضاع في الدولة، إن لم نقل زاد في تفاقمها.

ونشبت ضده ثورتان هما ثورة أحمد بن مرزوق بن ابن أبي عمارة الملقب بالدّعي، وثورة ابن الوزير بمدينة قسنطينة، كانت أخطرهما ثورة ابن أبي عمارة الذي تحالف مع الأمير مرغم بن صابر بنواحي طرابلس، ويذكر المؤرخ ابن عبد الظاهر (620. 692هـ/1223. 1292م) أن مرغم بن صابر أرسل سفارة إلى سلطان مصر المنصور سيف الدين بن قلاون المملوكي (678. 689هـ/1279. 1290م) سابع

(6) المرجع نفسه، نفس الجزء، ص 110.

(1) موسوعة تاريخ المغرب العربي، بني حفص . بني زيان . بني مرين . بني وطاس . السعديين . ظهور الأشراف العلويين . دراسة في التاريخ الإسلامي، ج5، 6، الناشر مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1994م، ص 51، أما المطوي فيذكر أن حكم الواصل دام ثلاث سنوات وثلاثة أشهر وعشرين يوماً، انظر المطوي، مرجع سابق، ص 250.

(2) روبر بارنشفيك، مرجع سابق، ج1، ص 110.

(3) ابن القنفذ القسنطيني، مصدر سابق، ص 139.

سلاطين المماليك من أجل مساندته في الثورة على الحفصيين، فأجابه بأنه مشغول بالجهاد، وأيده في ثورته على الدولة الحفصية⁽⁴⁾.

تمكن الدّعي بمساندة الأمير مرغم بن صابر من القضاء على السلطان أبي إسحاق، ودخول تونس يوم الخميس 27 شوال 681هـ/ 28 يناير 1283م⁽⁵⁾، وتولى الحكم مكانه، أما السلطان أبي إسحاق إبراهيم فقد قتل بعد هروبه إلى مدينة بجاية في ربيع الأول 682هـ/يونيو 1283م⁽¹⁾، بعد أن حكم ثلاث سنوات ونصف⁽²⁾، ولم تطل مدة الدعي ابن أبي عمارة هو الآخر إذ بقي في الحكم كما يقول المؤرخ الزركشي سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرين يوماً⁽³⁾.

وتمكن أبو حفص عمر بن أبي زكريا (694.642هـ/1295.1245م) الملقب بالمستنصر الثاني، من القضاء على الّدعي، بمساندة قبائل الأعراب بزعامة شيخ قبيلة الكعوب أبي الليل بن أحمد، وتولى الحكم يوم 25 ربيع الثاني 683هـ/ 12. 1284.7م^{(4)*}، وفي عهده بدأت مرحلة جديدة من العلاقات بين الدولة الحفصية ومملكة أراغون اتسمت بالصدام العسكري، فقد كانت مملكة أراغون تشن الغارات والاعتداءات على إفريقية من

(4) ابن عبد الظاهر ، تشریف الأيام والعصور لسيرة السلطان الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، 1961 م ، ص 44 . 45 .

(5) محمد العروسي المطوي ، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي بيروت . لبنان ، 1986 م ، ص 260 .

(1) روبرار برنشفيك ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 118 .

(2) محمد العروسي المطوي ، مرجع سابق ، ص 250 .

(3) الزركشي ، مصدر سابق ، ص 50 .

(4) روبرار برنشفيك ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 120 .

* كانت سن السلطان أبي حفص عمر عند توليه الخلافة (39) عاماً ، وأمه أم ولد اسمها ظبية ، انظر روبرار برنشفيك ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 120 .

أجل السيطرة عليها، ونشر النصرانية هناك، ففي سنة 683هـ/1284م احتل البحار روجير دي لوريا (1245:1305م) جزيرة جربة والجزر المجاورة لها في سواحل إفريقية⁽⁵⁾.

منح السلطان أبو حفص عمر الأعراب حق دخول المدن بعد أن كانت محرمة عليهم ومنحهم امتيازات مكافأة لهم على مساندتهم له كحق استخلاص الضرائب وجباية محصول الأراضي⁽⁶⁾ فأدى ذلك إلى ضعف الدولة، وعدم تمكن سلاطينها من فرض سيطرتهم عليها بسبب ثورات أولئك الأعراب، وتمردهم باستمرار على الدولة، وقد لاحظ العبدري (643:700هـ/1245:1301م) الذي مرَّ بالمنطقة سنة 689هـ/1290م حالة الفوضى والخراب وانعدام الأمن في تلك الفترة فكان النصارى يشنون الهجمات على المدن الساحلية، بينما الأعراب يعيشون فساداً في الدواخل⁽¹⁾، وبذلك لم يتمكن أبو حفص من السيطرة على الدولة الحفصية التي كانت تتفكك وتعصف بها ثورات الأعراب والطامحين إلى العرش، والمؤامرات الخارجية من قبل مملكة أراغون.

انقسام الدولة الحفصية :

بلغت الدولة الحفصية حالة متردية من الضعف والانقسام في عهد السلطان أبي حفص عمر فقد أعلن عبد الملك بن مكي صاحب مدينة قابس تأييده لأبي زكريا بن أبي إسحاق إبراهيم صاحب بجاية منذ سنة 639هـ/1294م، كما انفصلت منطقة الزاب شرقي الجزائر عن سلطة أبي حفص عمر⁽²⁾، وكذلك قام الكعوب بثورة ضد الدولة سنة 705هـ/1306م هاجموا خلالها المدن والمزارع والحقول⁽³⁾، وأخذت سلطة أبي حفص عمر تضعف شيئاً فشيئاً بسبب ثورات الأعراب، وتمردهم عليه عدة مرات حيث لم يستطع

(5) محمد أحمد أبو الفضل ، شرق الأندلس في العصر الإسلامي (515 . 686 هـ / 1121 . 1287

م) دراسة في التاريخ السياسي والحضاري ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1996 م ، ص 180 .

(6) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج 6 ، ص 392 ، وكذلك الزركشي ، مصدر سابق ، ص 43 .

(1) العبدري ، رحلة العبدري ، تحقيق محمد الفاسي ، الرباط ، 1968 م ، ص 41 .

(2) محمد العروسي المطوي ، مرجع سابق ، ص 239 .

(3) المرجع نفسه ، 288 . 289 .

ضبط أمور البلاد فحاول بعض الولاة الاستقلال والانفصال مثل ابن مكي في مدينة قابس.

وتوفى السلطان أبو حفص عمر بعد عودته من حملة عسكرية لتأديب أولئك الأعراب يوم الجمعة 25 ذي الحجة 694هـ/ 11. 4. 1295م بعد أن دامت فترة حكمه أحد عشر عاماً وثمانية أشهر إلا يومين⁽⁴⁾، وهي مدة طويلة إذا قورنت بالسنوات السبع التي سبقته، وتبدل فيها ثلاثة حكام انتهت حياتهم على أشبع الصور (القتل)⁽⁵⁾، وتولى حكم الدولة من بعده السلطان أبو عبيدة محمد بن الواثق بن المستنصر (679. 709هـ/ 1280. 1309م)، وعمره لم يتجاوز (15) عاماً⁽⁶⁾، وكانت أمور الدولة في عهده لأبي زكريا ابن اللحياني الذي استبد برئاسة الموحدين ، وتدير شؤون الدولة، ويبدو أنه حاول استرجاع بجاية سنة 695هـ/ 1296م إلا أنه لم يتمكن من ذلك.

انقسمت الدولة الحفصية في عهد أبي حفص عمر إلى قسمين أحدهما مركزه تونس، والآخر مركزه مدينة بجاية، حيث تمكن أبو زكريا بن أبي إسحاق إبراهيم من بسط نفوذه على القسم الغربي من السلطنة الحفصية ، وجعل من مدينة بجاية عاصمة له⁽¹⁾، منذ سنة 684هـ/ 1285م وظل هذا القسم من الدولة منفصلاً حتى سنة 709هـ/ 1309م، فبعد أن تغلب أبو حفص عمر على الدّعي ظهر له ابن أخيه أبو زكريا يحيى بن أبي إسحاق إبراهيم الموجود بتلمسان الذي أخذ يطالب بحقه في الحكم ، ويجمع الأنصار والرجال لمناهضة عمه ومحاربهه والتوجه إلى إفريقية، وبايعته بعض القبائل، واستطاع السيطرة على مدينة بجاية وقسنطينة وتلقب بالمنتخب لإحياء دين الله⁽²⁾.

(4) رويار برنشفيك ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 141 .

(5) عبد العزيز الدولاتي ، مدينة تونس في العهد الحفصي ، تعريب محمد الشابي وعبد العزيز

الدولاتي دار سراس للنشر ، تونس ، 1981 م ، ص 62 .

(6) محمد العروسي المطوي ، مرجع سابق ، ص 281 . 282 .

(1) رويار برنشفيك ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 134 .

(2) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج 6 ، ص 700 .

ظل السلطان أبو زكريا يحكم بجاية حتى وفاته سنة 700هـ/1301م فخلفه ولده أبو البقاء خالد الذي مال إلى التهدة، وتفاوض مع السلطان محمد بن أبي عصيدة حاكم تونس لإقرار السلم والوحدة بين الشطرين الشرقي والغربي، وفي سنة 708هـ/1308م⁽³⁾ اتفق السلطانان على أن يتولى الباقي على قيد الحياة منهما بعد وفاة الآخر حكم سلطنته، وبذلك تتوحد السلطنتان⁽⁴⁾ تونس وجاية .

بعد وفاة السلطان أبي عصيدة يوم 10 ربيع الثاني 709هـ/1309/9/15م⁽⁵⁾ لم تلتزم الحاشية في تونس بالاتفاق المشار إليه، وبدل أن يبادر الموحدون في تونس بمبايعة صاحب بجاية حسب مقتضى شروط الصلح الموقعة بين الطرفين بادروا بمبايعة أحد الأمراء الحفصيين وهو أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي بكر الملقب بالشهيد، ولما علم أبو البقاء بذلك بادر بالتوجه إلى تونس بعد أن وقف معه عرب الكعوب، واستطاع دخولها وقتل أبا بكر يوم الجمعة 27 ربيع الآخر 709هـ/ 2 أكتوبر 1309م بعد أن دامت ولايته (17) يوماً⁽¹⁾.

ويعتقد الأمير الحفصي (الشهيد) أعاد أبو البقاء الوحدة الحفصية من جديد إلا أن هذه الوحدة لم تعد الاستقرار لإفريقية، كما أنها لم تدم طويلاً، ولم يستتب الأمر في تونس لأبي البقاء إذ لم تلبث أن نشبت ضده عدة ثورات، بالإضافة إلى انشغاله بلذاته ولهوه عن أمور الدولة كما يقول ابن الشماخ (ت 869هـ/1464م) "لما ملك السلطان أبو

(3) روبر بارنشفيك ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 145 .

(4) ممدوح حسين ، مرجع سابق ، ص 458 .

(5) ابن أبي دينار ، مصدر سابق ، ص 141 ، وبارنشفيك ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 156 .

(1) محمد العروسي المطوي ، مرجع سابق ، ص 310 ، وبارنشفيك ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 157 .

البقاء خالد تونس عكف على لهوه ولذته، وترك الجند وسياسة الملك⁽²⁾، وبذلك أصبح هناك ثلاثة أشخاص يطالبون بملك الدولة وهم:

[1] . أبو البقاء خالد في تونس.

[2] . أبو بكر أخوه والي مدينة قسنطينة.

[3] . أبو يحيى زكريا أحمد ابن اللحياني شيخ الموحدين.

فلقد كان ابن اللحياني من رجالات الدولة في عهد أبي عصيدة، ويظهر أنه لم يكن راضياً عن الاتفاق القاضي بتوحيد بجاية وتونس فعزم على الانسحاب من الحياة السياسية، والتخلي عن أمور الدولة، والسفر إلى الحج⁽³⁾، ولما قدم من الشرق ورأى اضطراب الدولة على أبي البقاء دعا لنفسه ، وساندته في ذلك أعراب الكعوب وملكا أراغون وصقلية⁽⁴⁾، واستطاع دخول تونس، وقتل أبا البقاء وتولي الحكم يوم 02 جمادى الأولى سنة 711هـ/1311م⁽⁵⁾، إلا أنه لم يتمكن من ضبط الأمور وعاد الانقسام إلى الدولة الحفصية من جديد، وانفصلت عن سلطته كل من بجاية وقسنطينة⁽¹⁾.

بالإضافة إلى محاولته كسب مساندة ملكي أراغون وصقلية، وذلك بإيهامهما برغبته في التنصر، وفي النهاية آل به الأمر إلى مغادرة تونس في أوائل سنة 717هـ/1317م بعد أن جمع قدراً كبيراً من الأموال متجهاً إلى مدينة طرابلس⁽²⁾.

(2) ابن الشماح ، الأدلة البيئية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ، تحقيق وتقديم الطاهر محمد

المعموري ، الدار العربية للكتاب ليبيا . تونس ، 1936 م ، ص 85 .

(3) التجاني ، رحلة التجاني ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا . تونس

، 1981 م ، ص 128 .

(4) ممدوح حسين ، مرجع سابق ، ص 459 .

(5) المرجع نفسه ، نفس الصفحة .

(1) محمد العروسي المطوي ، مرجع سابق ، ص 316 . 317 .

(2) ممدوح حسين ، مرجع سابق ، ص 459 .

وكانت مدة حكم ابن اللحياني ست سنوات وثلاثة أشهر ونصف⁽³⁾، وفوض الأمر إلى شيخ الأعراب حمزة بن عمر بن أبي الليل، عساه ينجح في القضاء على تمرد أبناء قبيلة الكعوب وتولى الحكم من بعده في تونس ابنه محمد أبو ضربة سلطاناً على إفريقية، ولم تستقم له الأمور هو الآخر بسبب كثرة الخارجين عليه⁽⁴⁾، من قبائل الأعراب بإفريقية، والمتنازعين على العرش من أفراد الأسرة الحفصية، وبفرار ابن اللحياني ازدادت مأساة البلاد، واضطربت أحوالها الداخلية وكان هناك ثلاثة مطالبين بالعرش الحفصي وهم:

- [1] . أبو ضربة الذي استولى على غرب البلاد.
- [2] . أبو بكر الحفصي الذي حكم بجاية ثم استولى على تونس.
- [3] . ابن اللحياني الذي فر إلى قابس ثم إلى طرابلس⁽⁵⁾.

كان القسم الغربي من الدولة الحفصية وعاصمته مدينة بجاية تحت حكم أبي بكر ابن أبي زكريا بن أبي إسحاق إبراهيم(692. 747هـ/1293. 1346م) الذي استطاع أن ينهي هذا الصراع ويستولي على تونس في 7 ربيع الثاني 718هـ/ 8 يونيو 1318م بعد أن حكمها أبو ضربة مدة تسعة أشهر⁽¹⁾ خلفاً لوالده الفار ابن اللحياني، وبذلك استطاع السلطان أبو بكر أن يعيد الوحدة الحفصية من جديد بعد أن فر أبو ضربة إلى مدينة المهديّة واستمرت فترة حكمه مدة (28) سنة⁽²⁾.

تجدد الإشارة إلى أن مملكة أراغون كانت لها علاقات مع كل من بجاية وتونس، وذلك لتحقيق أهداف الحركة الصليبية في إفريقية، بينما كانت الدولة الحفصية تتفتت

(3) ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص 143 .

(4) روبرت برنشفيك، مرجع سابق، ج2، ص 163 .

(5) محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص 328 .

(1) روبرت بيرنشفيك، مرجع سابق، ج1، ص 163 .

(2) المرجع نفسه، نفس الصفحة، ص 174 .

وتتقسم وبالتالي تضعف مما أدى بالسلطين الحفصيين إلى اتباع سياسة السلم والاسترضاء للدول المجاورة لهم ، ومن بينها مملكة أراغون وغيرها من الممالك المسيحية.

ومن الناحية الاقتصادية يصف أحد المؤرخين حالة تونس عاصمة الدولة الحفصية فيقول كانت تونس سوقاً رائجة بالتجارة، ومركزاً للعلم إلا أن غيرها من المدن بإفريقية كانت تحت سيطرة المسيحيين أو البدو⁽³⁾ ، وهكذا فإن ظروف الدولة الحفصية كانت سيئة جداً تعمها الفوضى والاضطرابات السياسية والنزاعات الداخلية بين أبناء البيت الحفصي، بالإضافة إلى ثورات الأعراب المستمرة ودخولهم إلى المدن وكثرة الطامعين في الوصول إلى الحكم، ويصف المؤرخ ابن أبي زرع (ت 741هـ/1340م) حالة إفريقية في تلك الفترة فيقول: "إن البلاد تضطرم ناراً قد توالى عليها الخراب والفتن والقحط والغلاء الشديد والخوف بالطرقات، وقد تكالب العدو على أكثر بلاد المسلمين بالأندلس"⁽⁴⁾.

أما الرحالة العبدري الذي مر بالمنطقة في طريقه إلى الحج سنة 689هـ/1290م فيصف أحوال مدينة باجة بإفريقية بقوله: "إن أهلها لا يفارقون السور خوفاً من العريان، وأنهم يستعدون لدفن الجنائز كما يستعدون ليوم الضراب والطعان"⁽⁵⁾، ويحمل وصف إفريقية في موضع آخر بقوله: "هي... الآن شديدة الإهمال غير سديدة الأحوال، طامسة المسالك، دامسة كالليل الحالك، عمرانها خراب، وغدرانها سراب، وعنوانها يباب، يكل عن وصف فنائها لسان النطق، ويضيق في تبيان خلائها عنان التافيق، حلت بها

(3) زاهر رياض ، شمال أفريقيا في العصور الوسطى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1981 م ، ص

153

(4) ابن أبي زرع ، الأنييس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور ، الرباط ، المغرب ، 1972 م ، ص 250 . 251 .

(5) العبدري ، مصدر سابق ، ص 37 . 38 .

الآفات والمحن، وشفي منها الدهر على عقد لها من حقوق وإحن لا يسلكها إلا مخاطر، ولا يعدم من عربانها إيلام خاطر قد استوى لديهم الصالح والطالح⁽¹⁾.

ويصف كذلك غابة الزيتون بإفريقية بأنها "معطلة لفساد البلاد واستيلاء العريان عليها فانقطعت منفعتها رأساً حتى صار الزيت بإفريقية مجلوباً من جزيرة جربة"⁽²⁾ الأمر الذي يقدم صورة واضحة للأوضاع في إفريقية.

وقد شهدت إفريقية خلال تلك الفترة هجمات صليبية متكررة خاصة على المدن الساحلية بالإضافة إلى نشاط حركة التنصير التي تزعمها المنصر ريموند لول بدعم وتشجيع من مملكة أراغون والبابوية.

الخاتمة :

نستخلص مما سبق أن المؤرخين قد اختلفوا حول إفريقية إلا أن الرأي الراجح أنها الرقعة الجغرافية الممتدة بين مدينة طرابلس شرقاً إلى مدينة بجاية غرباً، كما اختلفوا حول سبب تسميتها بهذا الاسم إلا أن الرأي الراجح هو أنها سميت نسبة إلى إفريقيش الذي غزاها، وأما بشأن أحوالها السياسية فقد شهدت أزهى عصورها أيام حكم المستنصر الحفصي الذي استطاع هزيمة حملة لويس التاسع ملك فرنسا الصليبية على تونس، وكان السلاطين الحفصيون لا يسيطرون على البلاد بسبب ثورات الأعراب الذين لم يخضعوا للحكومة المركزية، وساندوا الطامعين والثائرين، فكان السلاطين الحفصيون يتغيرون ويتبدلون بسبب ثورات أولئك الأعراب، وفي كثير من الأحيان يتم قتلهم، وكانت الممالك النصرانية تحيك المؤامرات والدسائس والفتن، وتساند الموالين لها من أجل وصولهم إلى العرش الحفصي.

في وقت كانت فيه الثقافة الإسلامية تدخل إلى أوروبا عن طريق الأندلس وصقلية مما أدى إلى خوف رجال الكنيسة من هذه الثقافة التي جاءت بعلم عقلياً رأوا

(1) العبدري ، المصدر السابق ، ص 82 . 83 .

(2) المصدر نفسه ، ص 237 .

فيها خطراً على الديانة المسيحية، وقد كانت أحد الأسباب لنشأة حركة التنصير في أوروبا هو خوف رجال الكنيسة من بابوات وقساوسة من الدين الإسلامي ودخوله إلى أوروبا.

بالإضافة إلى نشاط حركة التنصير في تلك الفترة، ومن أشهر المنصرين الذين عملوا بإفريقية ريموند لول، ورموند مارتي الذي اقنع الملك لويس بتوجيه الحملة الصليبية الثامنة إلى إفريقية لغرض تنصير سلطانها المستنصر الحفصي.

قائمة المصادر والمراجع

- [1] . ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد (ت 681 هـ / 1282 م) .
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج 1 ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت . لبنان
1978 م .
- [2] . البكري ، أبو عبيد الأندلسي (ت 487 هـ / 1094 م) .
المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، تونس ، 1992 م .
- [3] . السيد عبد العزيز سالم .
المغرب العربي الكبير ، العصر الإسلامي ، الدار القومية للطباعة ، الإسكندرية 1966 م .
- [4] . عصام الدين الفقي .
تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ، 1984 م .
- [5] . سعد زغلول عبد الحميد .
تاريخ المغرب العربي ، منشورات منشأة المعارف ، الإسكندرية .
- [6] . الحموي ، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت (ت 626 هـ / 1229 م) .
معجم البلدان ، ج 1 ، دار الفكر ، بيروت . لبنان ، (د . ت) .
- [7] . ممدوح حسين .
الحروب الصليبية في شمال إفريقية وأثرها الحضاري ، دار عمار ، الأردن ، ط 1 ، 1998 م
- [8] . علي محمد الصلابي .
صفحات من تاريخ ليبيا الإسلامي والشمال الإفريقي ، دار البيارق ، الأردن ، 1998 م .
- [9] . المراكشي ، عبد الواحد محي الدين (ت 647 هـ / 1250 م) .
المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تصحيح محمد سعيد العريان ، القاهرة ، 1949 م .
- [10] . محمد علي ديبوز (ت 1402 هـ / 1981 م) .
تاريخ المغرب الكبير ، مؤسسة تاوالت الثقافية ، 2010 م .
- [11] . الناصري ، شهاب الدين أبو العباس (ت 1315 هـ / 1879 م) .
الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج 1 ، تحقيق ولدي المؤلف جعفر ومحمد ، دار
الكتاب ، الدار البيضاء ، 1997 م
- [12] . العمري ، أحمد بن يحيى (ت 749 هـ / 1349 م) .

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، السفر الرابع ، ممالك اليمن والغرب الإسلامي وقبائل العرب ، تحقيق د . حمزة أحمد عباس ، المجمع الثقافي ، الإمارات العربية المتحدة ، 2003 م [13] . المالكي ، أبو بكر عبد الله (ت 460 هـ / 1067 م) .
- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم وعبادهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ج 1 ، تحقيق حسين مؤنس .
- [14] . أبو عبد الله القضاعي . ابن الآبار ، محمد بن عبد الله (ت 658 هـ / 1260 م) .
- الحلة السيرة ، ج 1 ، تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف ، القاهرة ، 1985 م .
- [15] . ابن عذارى ، أبو عبد الله محمد المراكشي (ت 695 هـ / 1295 م) .
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، الجزء الأول تحقيق ومراجعة ج . س كولان وليفي بروفنسال .
- [16] . ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ / 1406 م) .
- تاريخ ابن خلدون ، ج 6 ، دار القلم ، بيروت . لبنان ، 1984 م .
- [17] . مؤلف مجهول .
- الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، (د . ت) .
- [18] . الوزير السراج ، محمد الأندلسي (ت 1149 هـ / 1736 م) .
- الحل السندسية في الأخبار التونسية ، ج 1 ، تقديم وتحقيق ، محمد الحبيب الهيلة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت . لبنان 1985 م .
- [19] . البكري ، أبو عبيد الأندلسي (ت 487 هـ / 1094 م)
- المسالك والممالك ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت . لبنان ، 1992 م .
- [20] . ابن أعين القرشي (ت 257 هـ / 871 م) .
- فتوح مصر وأخبارها ، ج 1 ، تحقيق محمد الحجيري ، دار الفكر ، بيروت . لبنان ، 1996 م .
- [21] . ابن أبي دینار ، أبو عبد الله محمد (ت 1110 هـ / 1698 م) .
- المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، تحقيق وتعليق محمد شمام ، المكتبة العتيقة ، نهج جامع الزيتونة ، 1387 هـ
- [22] . ابن الشماخ ، أبو العباس أحمد (ت 869 هـ / 1464 م) .

الأدلة البيئية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ، تحقيق الطاهر محمد المعموري ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا . تونس ، 1984 م .

[23] . حسن حسني عبد الوهاب (ت 1968 م) .

خلاصة تاريخ تونس ، تقديم وتحقيق حمادي الساحلي ، دار الجنوب للنشر تونس ، 2001 م

[24] . الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت 764 هـ / 1363 م)

الوافي بالوفيات ، ج5 ، اعتناء س . ديد رينغ ، دار فرانز بيسباند ، 1974 م .

[25] . جميلة مبطي المسعودي .

المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها سنة 621 هـ وحتى سنة 893 هـ ،

رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، جامعة أم القى ، السعودية ، 2000 م .

[26] . عبادة كحيلة .

المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب ، المطبعة الإسلامية الحديثة ، القاهرة ، 1997 م

[27] . الزركشي ، محمد بن إبراهيم اللؤلؤي (ت بعد 894 هـ / 1488 م) .

تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق محمد ماضور ، تونس ، 1966 م .

[28] . أحمد الطويلي .

في الحضارة العربية التونسية ، منشورات دار المعارف ، سوسة ، 1988 م .

[29] . ابن القنفذ القسنطيني ، أبو العباس أحمد (ت 810 هـ / 1407 م) .

الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تونس ، 1968 م .

[30] . ابن أبي الضياف ، أبو العباس أحمد (ت 1291 هـ / 1874 م) .

إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، ج1 ، تحقيق محمد شمام ، الدار التونسية

للنشر ، 1990 م ، 1990 م .

[31] . رويار برنشفيك .

تاريخ إفريقية في العصر الحفصي من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر نقله إلى

العربية حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت . لبنان ، 1988 م .

[32] . موسوعة تاريخ المغرب العربي .

بني حفص . بني زيان . بني مرين . بني وطاس . السعديين . ظهور الأشراف العلويين .

- دراسة في التاريخ الإسلامي ، ج 5 ، 6 ، الناشر مكتبة مدبولي ، القاهرة ، مصر ، 1994 م .
- [33] . ابن عبد الظاهر ، محي الدين أبو الفضل (ت 692 هـ / 1292 م) .
- تشريف الأيام والعصور لسيرة السلطان الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل ، الشركة العربية للطباعة والنشر 1961 م .
- [34] . محمد العروسي المطوي (ت 2005 م) .
- السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي بيروت . لبنان ، 1986 م .
- [35] . محمد أحمد أبو الفضل .
- شرق الأندلس في العصر الإسلامي (515 . 686 هـ / 1121 . 1287 م) دراسة في التاريخ السياسي والحضاري ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1996 م .
- [36] . العبدري ، محمد الحاحي (ت 700 هـ / 1300 م) .
- رحلة العبدري ، تحقيق محمد الفاسي ، الرباط ، 1968 م ، ص 41 .
- [37] . عبد العزيز الدولاتلي .
- مدينة تونس في العهد الحفصي ، تعريب محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتلي دار سراس للنشر ، 1981 م .
- [38] . ابن الشماخ ، أبو العباس أحمد (ت 869 هـ / 1464 م) .
- الأدلة البيئية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ، تحقيق وتقديم الطاهر محمد المعموري الدار العربية للكتاب ليبيا . تونس ، 1936 م .
- [39] . التجاني ، أبو عبد الله محمد (ت 717 هـ / 1317 م) .
- رحلة التجاني ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا . تونس ، 1981 م .
- [40] . زاهر رياض .
- شمال أفريقيا في العصور الوسطى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1981 م .
- [41] . ابن أبي زرع ، أبو الحسن الفاسي (ت 741 هـ / 1340 م) .
- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور ، الرباط ، المغرب ، 1972 م .

التحليل المكاني للصيدليات في مدينة الخمس باستخدام نظم المعلومات الجغرافية (GIS)

إعداد: د. أبوالقاسم علي محمد سنان^(*)

المقدمة:

تعتبر الخدمات الصيدلانية من الخدمات الضرورية التي لا بد من توفرها للمجتمع سواء منفردة أو ملحقة بالمراكز والعيادات الصحية والمستشفيات، لذلك يمكن اعتبار دراستها من الموضوعات المهمة التي تهتم بها الدراسات الجغرافية في الحيز المكاني، سواء كان على مستوى المدينة أو ضمن أحيائها السكنية، ولم تعد الجغرافية علماً وصفيّاً تقيفياً يُعدّ مدرسين لتدريسها في الفصول الدراسية، بل تطورت بعد تقدم علم تخطيط المدن، وكانت الجغرافية أهم دعائمه، لاسيما بعد التطورات التي شهدتها الجغرافية في العقود الأخيرة، بدءاً بالثورة الكمية وانتهاءً بثورة المعلومات التي أدت إلى ظهور مناهج ووسائل متعددة وحديثة للبحث الجغرافي، منها تقنية نظم المعلومات الجغرافية (GIS) التي ساعدت الباحثين في محاولاتهم لمعالجة المشكلات المعاصرة التي تواجه المجتمعات.

تضم تقنية نظم المعلومات الجغرافية مجموعة من الأساليب الإحصائية المكانية التي يستعين بها الباحثون في الكشف عن نمط توزيع الظواهر الجغرافية المختلفة البشرية منها والطبيعية، لتوصل إلى نتائج بطريقة آلية دون اللجوء إلى إجراء قياسات أو تطبيق معادلات إحصائية بطريقة يدوية، توفيراً للوقت والجهد المبذول.

هنا تكمن أهمية التخطيط المكاني لاستعمالات الأراضي داخل المدن وخارجها وكيفية توزيع وانتشار الخدمات المجتمعية بشكل علمي ومدروس ومنظم وخاصة الخدمات

^(*) أستاذ مشارك بقسم الجغرافيا - كلية الآداب الخمس، جامعة المرقب.

الصحية والتعليمية وغيرها، التي تعتبر من الأولويات التي يجب أخذها بعين الاعتبار في تحقيقها للمجتمعات.

اقتصرت البحث على دراسة الخدمات الصيدلانية في مدينة الخمس، محاولة من الباحث للتوصل إلى نتائج علمية متنوعة بعددٍ من التوصيات يمكن الاستفادة منها والاستعانة بها في دراسات مستقبلية بذات الموضوع.

وقد تم اختيار مدينة الخمس كحيز مكاني لإجراء هذا البحث لمكانتها الإدارية المهمة لكونها المركز الإداري لبلدية الخمس.

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في التساؤلات الآتية:

1- هل يوجد نوع من التوازن المكاني بين عدد الصيدليات وحجم السكان على مستوى محلات المدينة بالشكل الذي يحقق الفائدة المرجوة من خدمة الصيدليات؟

2- ما هو نمط التوزيع المكاني للصيدليات على مستوى المدينة؟

الفرضيات:

تتمثل فرضيات البحث في الآتي:

1- الصيدليات تتوزع في المدينة على مستوى محلاتها بشكل غير متوازن مع الحجم السكاني.

2- إن نمط التوزيع المكاني للصيدليات في مدينة الخمس هو نمط عشوائي.

أهدافه:

تتمثل أهداف البحث في تحقيق الآتي:

1- التعرف على التوزيع الجغرافي لمواقع الصيدليات داخل نطاق مخطط المدينة.

2- الاستفادة من استخدام تقنية نظم المعلومات الجغرافية في دراسة وتحليل نمط

التوزيع المكاني للصيدليات بالمدينة.

3- العمل على إنشاء قاعدة بيانات جغرافية متعلقة بالتوزيع المكاني للصيديات بالمدينة يمكن الاستفادة منها في دراسات مشابهة في المستقبل.

أهميته:

تتمحور أهمية البحث في الآتي:

1- استخدام تقنية نظم المعلومات الجغرافية في معرفة نمط التوزيع المكاني للصيديات بمدينة الخمس.

2- توضيح التوزيع الجغرافي للصيديات بمنطقة البحث وتمثيلها بالخرائط.

3- إبراز دور الجغرافي في توظيف التقنيات الحديثة مثل: تقنية نظم المعلومات الجغرافية (GIS) في معرفة نمط التوزيع المكاني للظواهر الجغرافية المختلفة.

مجالاته:

أولاً - المجال المكاني:

المجال المكاني هو ذلك الحيز المكاني الذي يضم الصيديات المستهدفة بالدراسة والتحليل، وهذا الحيز المكاني يتمثل في مدينة الخمس الواقعة في شمال غرب ليبيا بين دائرتي عرض (36° 32′) و(40° 32′) شمالاً، وبين خطي طول (16° 14′) و(18° 14′) شرقاً⁽¹⁾. وجغرافياً تقع منطقة الدراسة بين وادي لبدة شرقاً ووادي تلة - سيدي عبدالله - غرباً، وبين البحر المتوسط شمالاً وخط سكة الحديد الجاري تنفيذه جنوباً، الخريطة (1).

ثانياً - المجال الزمني:

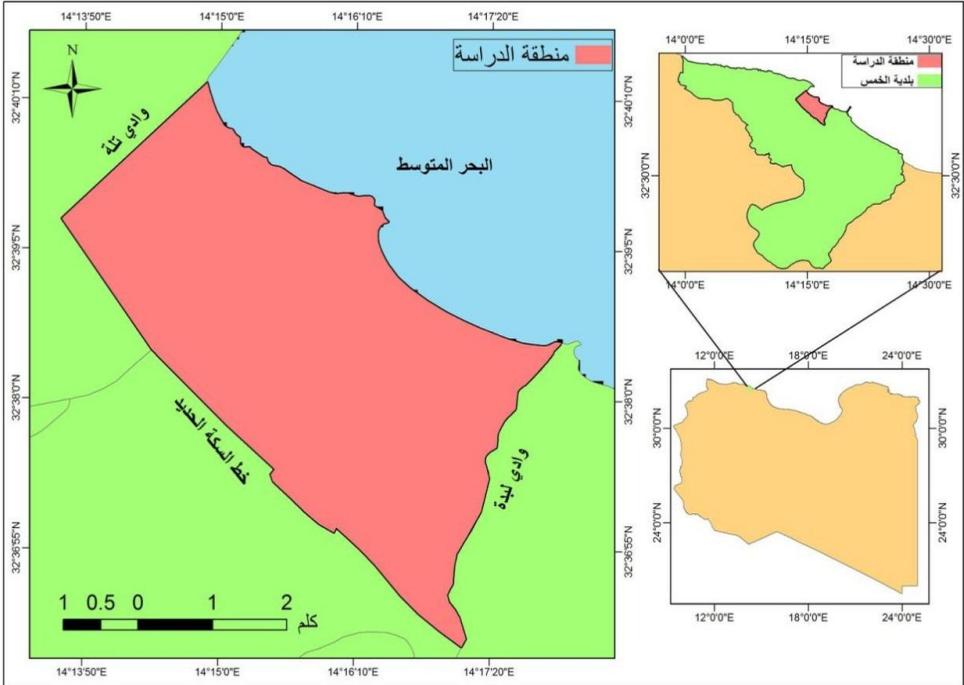
يتمثل هذا المجال في الفترة الزمنية التي جرى فيها البحث حول نمط التوزيع المكاني للصيديات داخل نطاق مخطط مدينة الخمس، عام 2016 م.

¹- Polservice – Consulting Office, Al Khums Master Plan – 2000, Final Report No. TF-33 ,Warsaw – Poland, P. 6.

ثالثاً - المجال البشري:

ويشمل هذا المجال المالكين والعاملين في الصيدليات، حيث تم من خلالهم جمع البيانات والمعلومات التي لها علاقة بموضوع البحث.

خريطة (1) الموقع الجغرافي لمدينة الخمس



المصدر: استناداً إلى الخريطة الفضائية لمنطقة الدراسة، 2015م باستخدام برنامج Arcgis 10.2.2.

المنهجية المتبعة في البحث:

اعتمد الباحث في بحثه هذا على المنهج الوصفي، والآخر الكمي المتمثل في التحليل الكمي المكاني في الجغرافية، في عمليات تحليل ومعالجة البيانات الخاصة بالصيدليات، وذلك باستخدام بعض الاختبارات الإحصائية البينانية المكانية لتحليل نمط توزيع الصيدليات. وهي أدوات التحليل الإحصائي المكاني (Spatial Statistics Analysis) وعلى وجه التحديد تقنية تحليل صلة الجوار (Nearest Neighbour Analysis)، ومركز المتوسط ونطاق التأثير والمسافة المعيارية واتجاه التوزيع.

وهذان المنهجان - الوصفي والكمي - مهمان في الدراسات الجغرافية، وهذا ما أكده (الفرا) عندما وضّح أن كلا من المنهج الوصفي والكمي لا غنى عنهما لأي باحث في مجال الجغرافيا، مبيناً أن جميع الأبحاث والدراسات الجغرافية خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين لا تخلو من ذلك⁽¹⁾.

مصادر البحث:

اعتمد الباحث في جمع البيانات والمعلومات المتعلقة بموضوع بحثه على المصادر الآتية:

1- المصادر المكتبية: وتتمثل في الكتب والمراجع والرسائل والأبحاث العلمية والدوريات التي تناولت الموضوع، إضافة إلى البحوث والدراسات المنشورة في شبكة المعلومات الدولية.

2- المصادر الرسمية: وتتمثل في البيانات والمعلومات والخرائط والمخططات التي تم الحصول عليها من الدوائر والمؤسسات الحكومية.

3- المسح الميداني: ويتمثل في البيانات والمعلومات التي تحصل عليها الباحث من المقابلات مع العاملين بصيدليات منطقة الدراسة، إضافة إلى أخذ إحداثيات الصيدليات باستخدام جهاز GPS، وجرت الدراسة الميدانية خلال شهر ديسمبر عام 2016 م.

4- تقنيات الحاسوب: الاستعانة ببرنامج ArcGIS في رسم الخرائط والتحليلات المكانية المتعلقة بالبحث، وبرنامج Spss في تحليل البيانات، وبرنامج Excel في إعداد الرسومات البيانية.

¹ - محمد علي الفرا، مناهج البحث في الجغرافيا بالوسائل الكمية، وكالة المطبوعات، الكويت، 1983، ص20.

المحور الأول: تطور عدد الصيدليات خلال الفترة (1964 – 2016):

الخدمات الصيدلانية كغيرها من الخدمات المجتمعية الضرورية التي يحتاجها السكان في المكان والزمان، لذا لا تخلو أي مدينة من وجود هذه الخدمة، ولهذا بدأ المتخصصون في مجال تخطيط المدن وتخطيط الخدمات بالاهتمام بها ووضع لها المعايير والضوابط التخطيطية التي تؤخذ بعين الاعتبار عند إنشائها، ومدينة الخمس كغيرها من المدن، نشأت بها الصيدليات ونمت وتطورت مع نموها السكاني وتوسعها العمراني، خلال مراحلها التخطيطية المختلفة حتى عام 2016 م، الجدول والشكل الآتيان يوضحان ذلك.

جدول (1) تطور عدد الصيدليات خلال الفترة (1964 – 2016)

السنة	عدد الصيدليات	مقدار الزيادة	نسبة الزيادة (%)	معدل النمو السنوي (%) *
1964	2	-	-	-
1973	3	1	50	8
1984	4	1	33.33	2.6
1995	5	1	25	2
2006	14	9	180	9.8
2016	39	25	178.6	10.8

المصدر: من عمل الباحث استناداً إلى نتائج الدراسة الميدانية خلال شهري سبتمبر وأكتوبر 2016 م.

(*) تم استخراج معدل النمو باستخدام المعادلة الآتية⁽¹⁾:

$$R = \left[\text{antilog} \frac{\log \frac{P2}{P1}}{n} - 1 \right] \times 100$$

حيث إن: R = معدل النمو، P1 = عدد الصيدليات السابق، P2 = عدد الصيدليات اللاحق، n = الفترة الزمنية الفاصلة بين القراءتين.

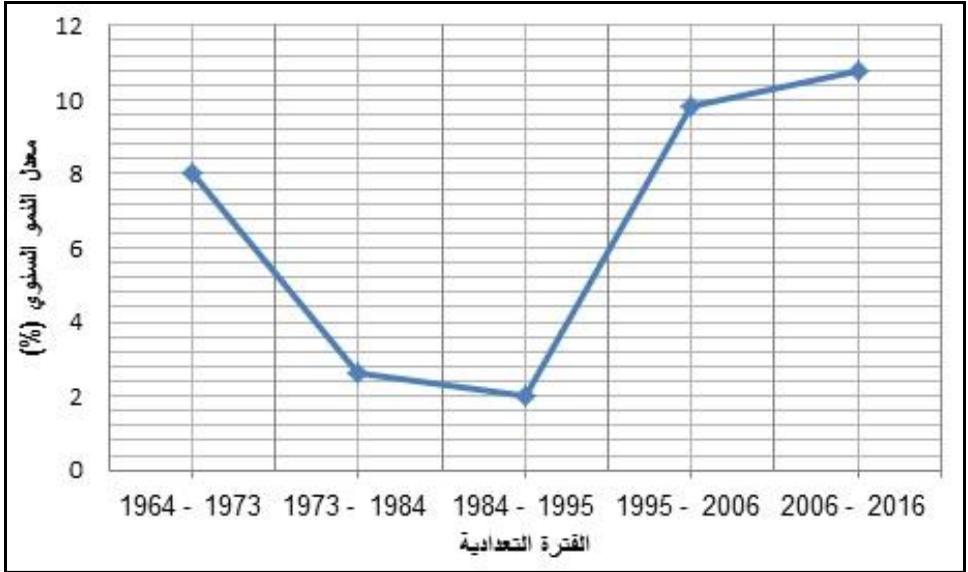
¹- G. W. Barclay, and W. George, Techniques of Population Analysis, John Wiley and Sons, Inc, 1970, PP. 28 – 33.

من بيانات الجدول (1) والشكل (1) يتضح أن هناك تغيراً واضحاً على أعداد الصيدليات في المدينة خلال الفترة (1964 - 2016) حيث كان عددها في عام 1964م صيدليتين وصل عددها في عام 1973م ثلاث صيدليات، بنسبة زيادة قدرها 50% ومعدل نمو سنوي 8%، في حين ارتفع عددها عام 1984م إلى أربع صيدليات، بنسبة زيادة 33.33% ومعدل نمو سنوي بلغ 2.6%، وفي عام 1995م بلغ عدد الصيدليات بالمدينة خمس صيدليات، بزيادة قدرها 25% ومعدل نمو سنوي 2%، وفي عام 2006م زاد عدد الصيدليات بالمدينة، حيث وصل إلى أربع عشرة صيدلية، بنسبة زيادة قدرها 180% ومعدل نمو سنوي قدره 9.8%، وفي عام 2016م ارتفع عدد الصيدليات إلى 39 صيدلية، بزيادة سنوية بلغت 178.6% ومعدل نمو سنوي قدره 10.8%.

ومن خلال السرد السابق لتطور أعداد الصيدليات بالمدينة خلال الفترة (1964 - 2016) يتبين أن هناك فترات ينخفض فيها معدل النمو السنوي للصيدليات، وفترات أخرى يرتفع فيها معدل النمو السنوي؛ وسبب انخفاض نسبة الزيادة ومعدل النمو السنوي للصيدليات بالمدينة خلال الفترتين (1973 - 1984) و(1984 - 1995) القوانين الاشتراكية الصادرة في تلك الفترة بعدم منح تراخيص للقطاع الخاص بمزاولة التجارة بكافة أنواعها، ومن ضمنها تجارة الأدوية من خلال الصيدليات الخاصة، واقتصر توزيع الأدوية من خلال صيدليات القطاع العام التابعة للمرافق الصحية، مثل: العيادات والمستشفيات العامة فقط.

أما مرد ارتفاع نسبة الزيادة ومعدل النمو السنوي للصيدليات خلال الفترتين (1995 - 2006) و(2006 و2016) مقارنة بالفترتين السابقتين (1973 - 1984) و(1984 - 1995) فيرجع إلى إلغاء القوانين السابقة والسماح للقطاع الخاص بمزاولة تجارة بيع الأدوية من خلال الصيدليات الخاصة.

شكل (1) معدلات النمو السنوي للصيديات في مدينة الخمس خلال الفترة (1964 - 2016)



المصدر: من عمل الباحث استناداً إلى بيانات الجدول (1).

وبالتمعن في محتويات الجدول (2) والخريطة (2) اللذين يشيران إلى التوزيع الجغرافي للصيديات على مستوى المحلات عام 2016 م، يتضح أن محلة بن جحا تستحوذ على أكبر نسبة، أي نحو 46.2% من جملة صيديات المدينة، وهذا الارتفاع في النسبة مرده إلى أن المحلة هي أولى المحلات التي امتد إليها النمو العمراني، إضافة إلى ارتفاع عدد سكانها وكثافتها مقارنة بالمحلات الأخرى، فضلاً عن احتوائها على 48.2% من جملة المصحات والعيادات الصحية الموجودة في كافة المدينة، والمتمثلة في مستشفى المتوكل التخصصي، ومستشفى الهلال الأحمر الإيوائي، ومركز الفتح الطبي، ومصحة سارة للأطفال، ومصحة العالية الطبية، وثمانية عيادات ومراكز لعلاج وتركيب الأسنان.

وتأتي محلة لبدّة في المرتبة الثانية من حيث نسبة الصيديات الموجودة بها على مستوى محلات المدينة، حيث تُسهم بـ 28.2% من إجمالي عدد صيديات المدينة،

بسبب ارتفاع عدد سكانها من جهة، واحتوائها على أراضٍ فضاء شاسعة يمكن استخدامها في بناء صيدليات جديدة مقارنة بالمحلات الأخرى، وكذلك تضم 22.2% من جملة المصحات والعيادات الصحية في المدينة، والمتمثلة في مستشفى الخمس التعليمي، ومركز الدرن، ومصحة الرازي الإيوائية، ومصحة سيفيروس الإيوائية، ومصحة زهرة الخمس، ومصحة الخمس.

أما بالنسبة لمحطة البلدية فتأتي في المرتبة الثالثة من حيث عدد الصيدليات، أي نحو 20.5%، ويعود هذا إلى احتوائها على 30.8% من العيادات والمصحات الصحية، والمتمثلة في العيادة المجمع، والمركز الصحي، ومصحة الكون الإيوائية، ومصحة البلسم، ومصحة الواثقون، وعيادة أبوقراط للأمراض النساء، بالإضافة إلى مركزي الأمل والفيصل لعلاج وتركيب الأسنان.

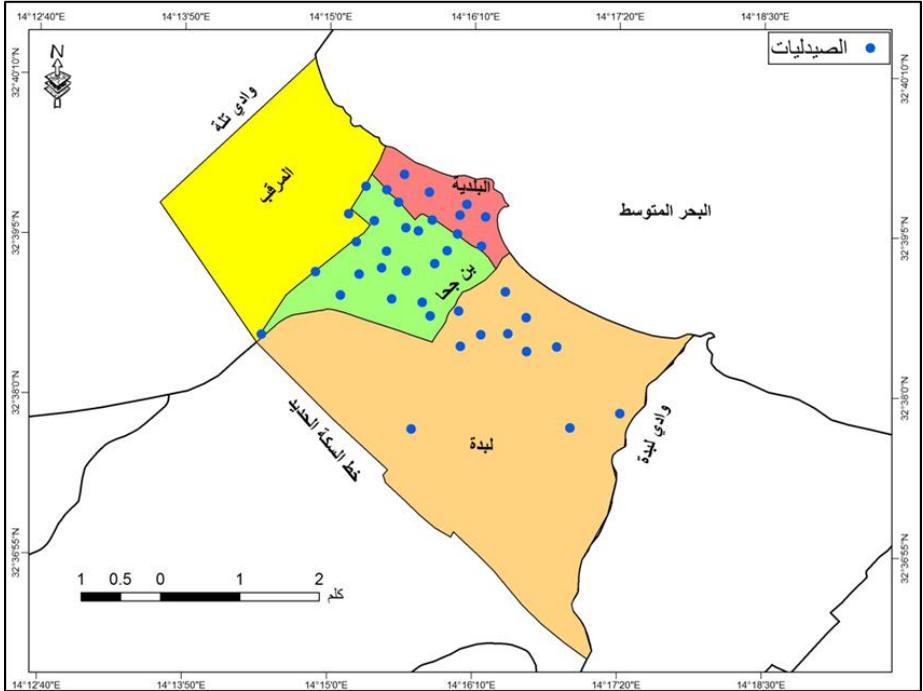
أما بالنسبة لمحطة المرقب فهي تضم أقل عدد من الصيدليات، إذ تتراوح نسبتها 5.1% من جملة صيدليات المدينة، ويرجع هذا الانخفاض لكونها آخر المحلات التي امتد إليها التوسع العمراني لمدينة الخمس، وكان ذلك في العقد الأخير من القرن العشرين، إضافة لعدم احتوائها على أي مرافق صحية، سواء كانت مستشفيات، أو عيادات ومصحات، أو مراكز صحية تابعة للقطاعين العام أو الخاص.

جدول (2) التوزيع الجغرافي للصيدليات على مستوى المحلات عام 2016 م

المحطة	عدد الصيدليات	%	عدد المستشفيات والعيادات والمصحات	%
البلدية	8	20.5	8	29.6
بن جحا	18	46.2	13	48.2
لبدة	11	28.2	6	22.2
المرقب	2	5.1	0	0
إجمالي المدينة	39	100	27	100

المصدر: من عمل الباحث استناداً إلى نتائج الدراسة الميدانية خلال شهري سبتمبر وأكتوبر 2016م.

خريطة (2) التوزيع الجغرافي للصيديات في مدينة الخمس عام 2016 م



المصدر: من عمل الباحث باستخدام برنامج Arc GIS 10.2.2، والملحق الإحصائي Spatial Statistics

.Tools

المحور الثاني: توزيع الصيديات وعلاقته بتوزيع السكان والمساحة على مستوى المحلات:

لمعرفة مستوى العلاقة المكانية بين عدد الصيديات ومساحة المحلات من جهة وعدد الصيديات وعدد سكان المحلات في مدينة الخمس من جهة أخرى، فقد تم استخدام منحنى لورنز للتوصل لمعرفة مستوى هذه العلاقة المكانية، وكذلك لقياس درجة تركيز أو تبعثر الصيديات في المدينة، وهذا يختلف عن تحليل صلة الجوار في أنه يقارن بين التوزيع الفعلي للصيديات وتوزيعها المثالي، في حين تحليل صلة الجوار يقيس درجة الاختلاف بين التوزيع الواقعي للصيديات والتوزيع المركز أو المتجمع، وتستخدم التوزيعات المتجمعة الصاعدة في رسم المنحنى الذي يدل على مدى العدالة في

توزيع الصيدليات على المحلات حسب مساحتها وعدد سكانها، ويفترض التوزيع المثالي لمنحنى لورنز أن هناك توزيعاً عادلاً للظواهر يتناسب مع مساحات الحيز المكاني التي تتوزع عليها، واقترب التوزيع الواقعي أو ابتعاده عن التوزيع المثالي يدل على مدى التركيز أو التشتت في توزيع الصيدليات، وعلى ذلك فإن المساحة المحصورة بين المنحنى وخط التوزيع المثالي تبين مساحة التركيز، حيث يدل كبرها على تركيز الصيدليات في مساحات صغيرة من الحيز المكاني، وهذا بعيد عن التوزيع المثالي، وكلما صغرت هذه المساحة اقترب توزيع الصيدليات من التوزيع المثالي.

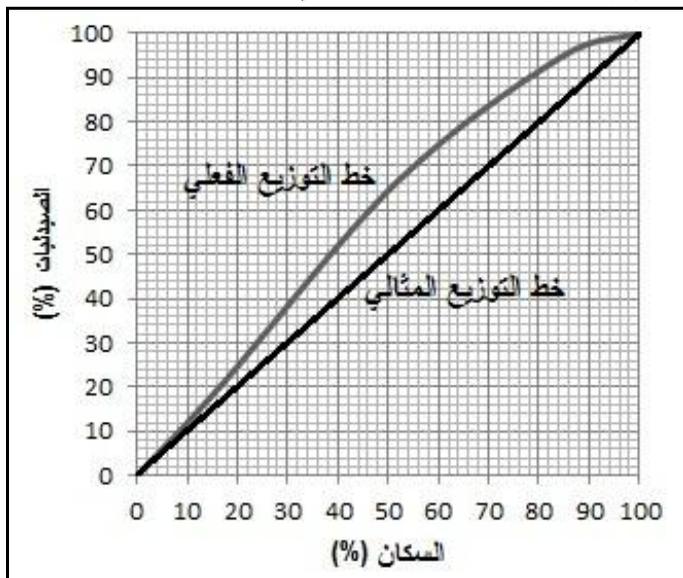
فيما يتعلق بدراسة العلاقة بين توزيع الصيدليات وتوزيع السكان على مستوى المحلات عام 2016 م على اعتبار أن الصيدليات من المرافق الخدمية المهمة التي يجب أن تتوفر في كل الأحياء السكنية ولا تتركز في منطقة محددة دون أخرى، بل يكون توزيعها متوازياً ومتعادلاً مع أعداد السكان، حتى يتمكن السكان كافة من الاستفادة من هذه الخدمة، فتم دراسة هذه العلاقة باستخدام منحنى لورنز للتوصل لمعرفة شكل التوزيع وعلاقته بكل منهما. والجدول (3) والشكل (2) يوضحان نسبة الصيدليات للسكان على مستوى محلات المدينة عام 2016 م.

جدول (3) نسبة الصيدليات للسكان في مدينة الخمس عام 2016 م

السكان		الصيدليات		المحلة
المتجمع الصاعد	%	المتجمع الصاعد	%	
16.8	16.8	20.5	20.5	البلدية
52	35.2	66.7	46.2	بن جحا
84.8	32.8	94.9	28.2	لبدة
100	15.2	100	5.1	المرقب
-	100	-	100	جملة المدينة

المصدر: من عمل الباحث استناداً إلى نتائج الدراسة الميدانية خلال شهري سبتمبر وأكتوبر 2016 م.

شكل (2) توزيع الصيدليات والسكان في مدينة الخمس عام 2016 م



المصدر: من عمل الباحث استناداً إلى بيانات الجدول (3).

ويتبين من محتويات الجدول (3) والشكل (2) أن العلاقة بين التوزيع الجغرافي للصيدليات والسكان على مستوى محلات المدينة هي علاقة قريبة من المثالية حيث يقترب منحنى التوزيع الفعلي من خط التوزيع المثالي إذ تقل مساحة عدم التماثل ما يدل على تقارب نسب السكان والصيدليات بمحلات المدينة، فيلاحظ أن 16.8% من السكان تخدمهم 20.5% من الصيدليات، وأن 52% من السكان تخدمهم 66.7% من الصيدليات، و84.8% من السكان تخدمهم 94.9% من الصيدليات، وهذا يدل على أن توزيع الصيدليات بالنسبة لشكل توزيع السكان يعتبر قريباً من التوزيع المثالي.

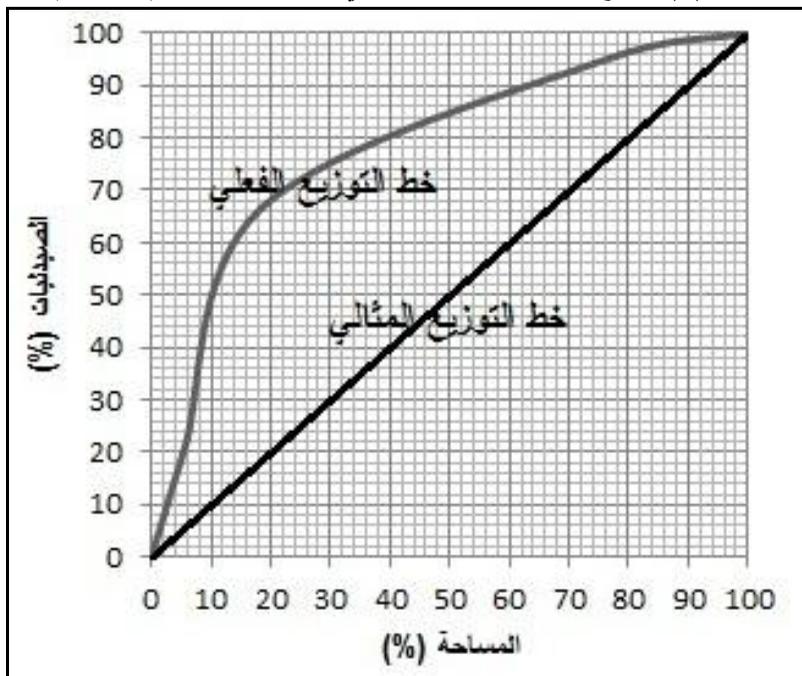
أما بخصوص معرفة العلاقة بين توزيع الصيدليات وتوزيع المساحة على مستوى محلات المدينة عام 2016م فقد استخدم منحنى لورنز أيضاً لمعرفة تلك العلاقة كما هو موضح في الجدول (4) والشكل (3).

جدول (4) نسبة الصيدليات لمساحة مدينة الخمس عام 2016 م

المساحة		الصيدليات		المحلة
المتجمع الصاعد	%	المتجمع الصاعد	%	
5.5	5.5	20.5	20.5	البلدية
18.5	13	66.7	46.2	بن جحا
76	57.5	94.9	28.2	لبدة
100	24	100	5.1	المرقب
-	100	-	100	المدينة

المصدر: من عمل الباحث استناداً إلى نتائج الدراسة الميدانية خلال شهري سبتمبر وأكتوبر 2016 م.

شكل (3) توزيع الصيدليات والمساحة في مدينة الخمس عام 2016م



المصدر: من عمل الباحث استناداً إلى بيانات الجدول (4).

يتضح من بيانات الجدول (4) والشكل (3) أن 5.7% من مساحة المدينة تتوزع عليها 20.5% من إجمالي الصيدليات بها، وأن أكثر من نصف الصيدليات أي نحو 66.7% تنتشر على مساحة نسبتها 18.9%، وأن 94.9% من الصيدليات الموجودة في المدينة تتركز في مساحة نسبتها 76% من إجمالي مساحة المدينة، ويستنتج من هذا أن نسبة توزيع الصيدليات بالنسبة للمساحة غير متعادلة، وتبتعد كثيراً عن المثالية كما هو موضحاً في الشكل (4).

المحور الثالث: تحليل الخصائص المكانية للصيدليات في مدينة الخمس:

أولاً - اتجاهات التوزيع المكاني للصيدليات:

التوزيع المكاني للظواهر هي المحصلة النهائية لعدد من العلاقات القائمة بين الظواهر المختلفة، يسعى الجغرافي إلى فهم العلاقات بين أوجه استخدام المكان⁽¹⁾، والتوزيع كما يفهمه الجغرافي، هو التكرار الذي نواجه به بعض الظواهر في الحيز المكاني، أو إنه التنظيم أو الترتيب الناتج عن توزيع الظواهر وفق نمط معين⁽²⁾.

تعد عملية البحث عن خصائص التنظيم المكاني للظواهر من صميم عمل الجغرافي ولكن ليست بصورتها الوصفية فقط، بل لا بد من تحليل وتفسير مركب هذه الخصائص من حيث طبيعة التوزيع نحو التجمع أو التشتت⁽³⁾، من خلال دراسة طبيعة التوزيع المكاني للصيدليات وفق معايير معينة لإظهار خصائص

¹ - صفوح خير، الجغرافية موضوعها ومناهجها وأهدافها، دار الفكر، دمشق، 2000، ص 343.

² - نفس المرجع، ص ص 264 - 265.

³ - عمر حسن حسين رواندي، التحليل المكاني والوظيفي للخدمات التعليمية في مدينة سوزان باستخدام المعلومات الجغرافية (GIS)، رسالة ماجستير "غير منشورة"، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، أربيل، 2006، ص 72.

التنظيم المكاني لها في مدينة الخمس، من حيث مدى تجمعها أو تمركزها حول نقطة معينة وطبيعة تشتتها من هذا المركز واتجاه تشتتها وفق مقاييس المتوسط المكاني، وتحليل نطاق التأثير (Buffer)، والبعد المعياري، واتجاه التوزيع.

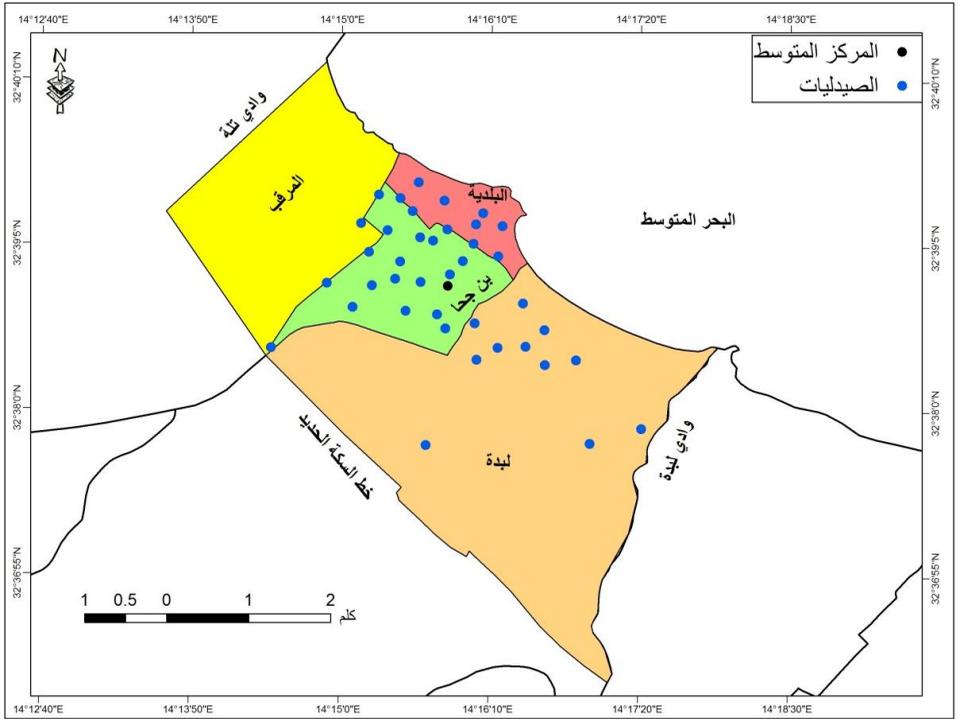
1- مركز المتوسط (Mean centre):

يهتم الجغرافيون عند دراستهم للتوزيعات المكانية للظواهر الجغرافية، بتحديد المواقع المتوسطة التي تمثل مراكز الثقل أو نقاط الجذب الرئيسة للتوزيعات أو المركز الجغرافي للتركز⁽¹⁾. بالرجوع إلى الخريطة (1) يتضح الآتي:

- يتركز مركز المتوسط للصيديات في موقع متوسط من المدينة، وعلى وجه التحديد في محلة بن جحا والمتمثل في صيدلية الحكمة الواقعة بالقرب من مستشفى الهلال الأحمر الإيوائي ومركز المرور.
- موقع مركز المتوسط للصيديات يقترن كثيراً بموقع مركز الثقل السكاني في المدينة، حيث تتركز الكثافة السكانية المرتفعة في محلات المدينة المحيطة بموقع المتوسط المكاني للصيديات.

¹ - نعمان شحادة، الأساليب الكمية في الجغرافيا باستخدام الحاسوب، ط2، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2002، ص191.

خريطة (3) المركز المتوسط للصيديات في مدينة الخمس عام 2016م



المصدر: من عمل الباحث باستخدام برنامج Arc GIS 10.2.2، والملحق الإحصائي Spatial Statistics Tools.

2- تحليل نطاق التأثير (Influence Analysis):

يعتمد هذا الأسلوب في التحليل المكاني على دراسة توزيع الصيديات وتأثير كل خدمة صيدلية على المساكن المجاورة لها، ولتحديد مدى فعالية هذه الخدمة ونطاق تأثيرها، تم الاعتماد على عنصر المسافة التي يقطعها المواطن سيراً على الأقدام من مسكنه إلى الصيدلية. في هذا البحث اعتمد على التحليل المكاني للوصول إلى نطاق تأثير الخدمة لكل موقع صيدلية على افتراض مدى فعالية تقديم الخدمة لكل صيدلية هو مسافة 300 متر، الجدول (5) والخريطة (4) يوضحان نطاق تأثير الصيديات في مدينة الخمس عام 2016 م.

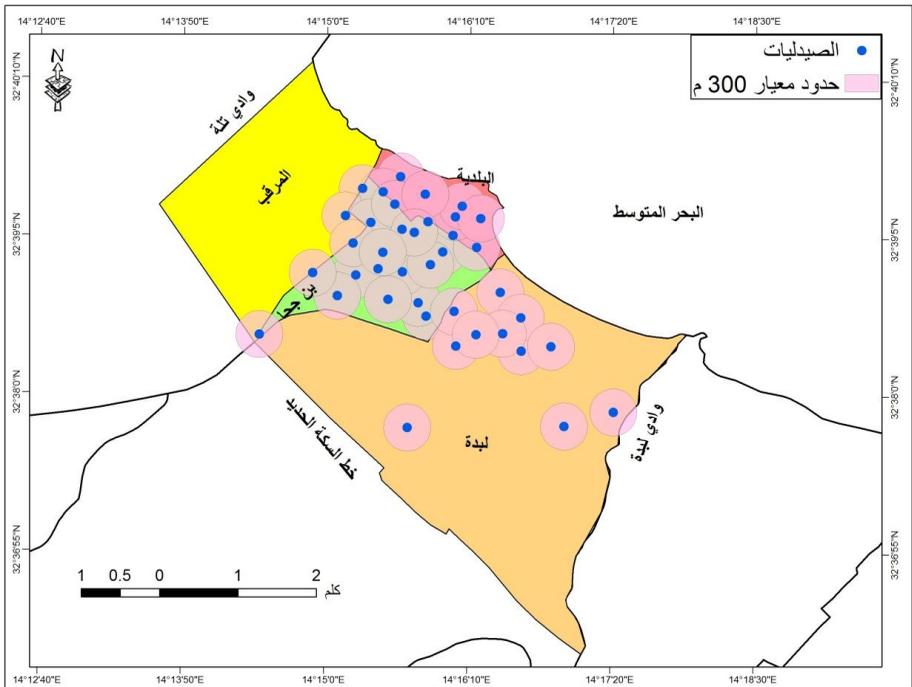
جدول (5) قيم مؤشر تحليل نطاق التأثير للصيديات في مدينة الخمس عام 2016 م

الخدمة	مساحة نطاقات التأثير بالهكتار	% من مساحة المدينة	% العجز في المدينة
الصيديات	1101.5	53.4	46.6

المصدر: من عمل الباحث باستخدام برنامج Arc GIS 10.2.2، والملحق الإحصائي Spatial Statistics

.Tools

خريطة (4) نطاق تأثير الصيديات في مدينة الخمس عام 2016 م



المصدر: من عمل الباحث باستخدام برنامج Arc GIS 10.2.2، والملحق الإحصائي Spatial Statistics

.Tools

يتضح من بيانات الجدول (5) والخريطة (4) نطاق تأثير الصيدليات في مدينة الخمس عام 2016م، ويكون على النحو الآتي:

- إن مساحة نطاقات التأثير للصيدليات هي (1101.5) هكتار بنسبة 53.4% من مساحة المدينة الإجمالية والبالغة (2062.16) هكتاراً، وتتثل هذه النسبة في كل أحياء محليتي البلدية وبن جانا نظراً لوقوعها داخل نطاق منطقة مركز المدينة التجاري، وبعض أحياء محليتي لبددة والمرقب الملاصقة لهذا المركز التجاري، أما المساحة المتبقية من مساحة المدينة والبالغة 46.6% فلا تصلها خدمة الصيدليات، ويعاني سكانها من صعوبة الحصول على هذه الخدمة الضرورية، وتتركز هذه المساحة في أغلب أحياء محليتي لبددة والمرقب الواقعة في وسطها وأطرافها والبعيدة عن منطقة مركز المدينة التجاري؛ ومرد ذلك لعدم تنفيذ البنية التحتية في هذه الأحياء، مثل: رصف الشوارع وإنارتها، ومد شبكات مياه الشرب والصرف الصحي.

- هناك تداخل بين نطاقات التأثير لبعض الصيدليات في وسط المدينة، مما يدل على نمط التوزيع المتجمع لهذه الصيدليات وتقاربها من بعضها، ووقوع بعض الأحياء ضمن نطاق تأثير أكثر من صيدلية، في حين أن الأحياء البعيدة عن مركز المدينة تعاني نقصاً من هذه الخدمة، ويُعزى هذا إلى عدم مقدرة الخدمات الصيدلانية من مواكبة التوسع العمراني والنمو السكاني اللذين تشهدهما المدينة، ولاسيما في الآونة الأخيرة، وذلك ببناء صيدليات في الأحياء الجديدة.

3- المسافة المعيارية (Standard Distance):

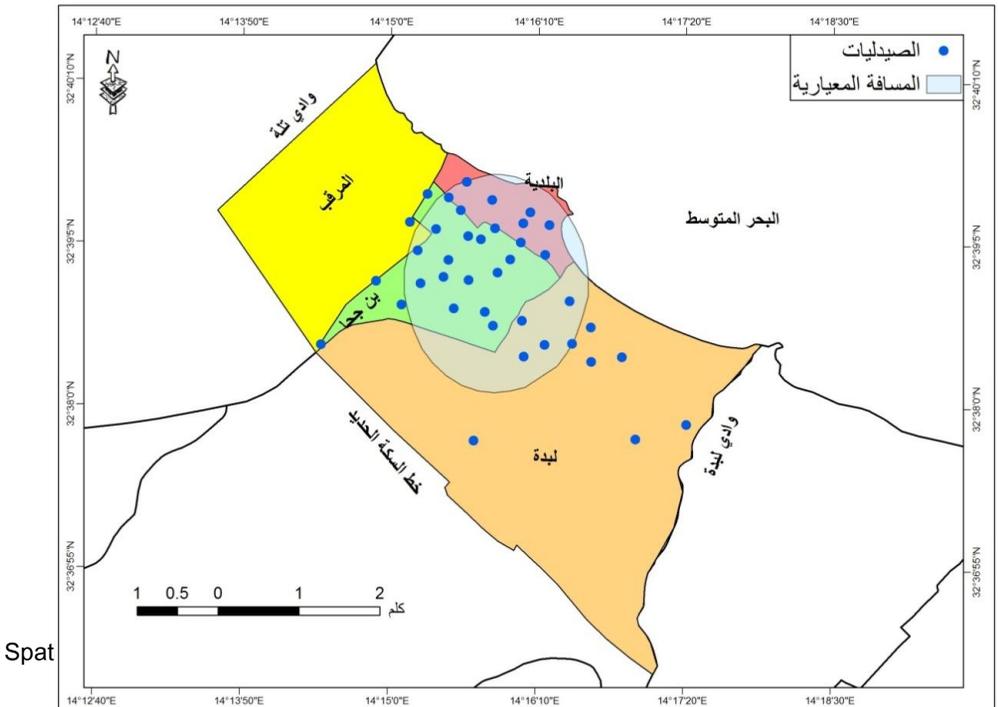
تعتبر المسافة المعيارية مقياساً جيداً للحكم على مدى التشتت المكاني لعناصر الظاهرة المدروسة من خلال وصف انتشار النقاط حول مركز المتوسط، الجدول (6) والخريطة (5) يبينان المسافة المعيارية للصيدليات في مدينة الخمس عام 2016 م.

جدول (6) قيم مؤشر المسافة المعيارية للصيديات في مدينة الخمس عام 2016 م

الخدمة	المسافة المعيارية بالمتراً	مساحة الدائرة بالهكتار	% من مساحة المدينة	% عدد الصيديات ضمن دائرة نصف قطرها مسافة معيارية
الصيديات	7807.04	447.7	23.2	71.8

المصدر: من عمل الباحث باستخدام برنامج Arc GIS 10.2.2، والملحق الإحصائي Spatial Statistics Tools.

خريطة (5) المسافة المعيارية للصيديات في مدينة الخمس عام 2016 م



بالرجوع لبيانات الجدول (6) والخريطة (5) التي توضح خصائص التوزيع المكاني للصيديات في مدينة الخمس وفق مقياس المسافة المعيارية منها يستنتج أن نسبة الصيديات الواقعة ضمن دائرة نصف قطرها مسافتها المعيارية (7807.04) متر (71.8%). ويدل ذلك على عدم توزيع الصيديات في المدينة توزيعاً طبيعياً، وميلها نحو التجمع، لأنه من المفترض أن تضم الدائرة التي نصف قطرها مسافة معيارية واحدة (68.27%) من عناصر الظاهرة إذا كان التوزيع طبيعياً، وما عدا ذلك فإن طبيعة التوزيع تتأثر بعوامل أخرى⁽¹⁾. وترتبط المسافة المعيارية بعلاقة طردية مع تشتت توزيع النقاط، فكلما كبرت قيمة المسافة المعيارية عن المركز زاد التباين وتشتت عناصر الظاهرة، في حين يزداد تركيز النقاط حول المركز المتوسط كلما صغرت قيمة المسافة المعيارية⁽²⁾.

اتجاه التوزيع (Directional Distribution):

يعبر اتجاه التوزيع - والذي يسمى أيضاً الشكل البيضاوي المعياري للتشتت - عما إذا كان التوزيع المكاني للظاهرة المدروسة له اتجاه محدد، ويظهر على شكل بيضوي يعبر عن خصائص التوزيع الاتجاهي، بحيث يكون مركز هذا الشكل منطبقاً مع نقطة المركز المتوسط، ويقاس محوره الأكبر قيمة الاتجاه الذي تأخذه معظم نقاط الظاهرة المدروسة⁽³⁾، الجدول (7) والخريطة (6) يوضحان اتجاه التوزيع للصيديات في مدينة الخمس عام 2016 م.

¹ - نشوان شكري عبدالله ومزكين محمد حسن، تحليل الخصائص المكانية والوظيفية لوحدات الورش الصناعية في مدينة دهوك باستخدام نظم المعلومات الجغرافية (GIS)، مجلة جامعة دهوك، العدد (21)، كانون الأول 2008، ص104.

² - عبدالعزيز فهمي الهيكل، مبادئ الأساليب الإحصائية، دون مكان طبع، بيروت، 1966، ص 280 - 282.

³ - جمعة محمد داود، أسس التحليل المكاني في إطار نظم المعلومات الجغرافية GIS، مكة المكرمة، 2012، ص46.

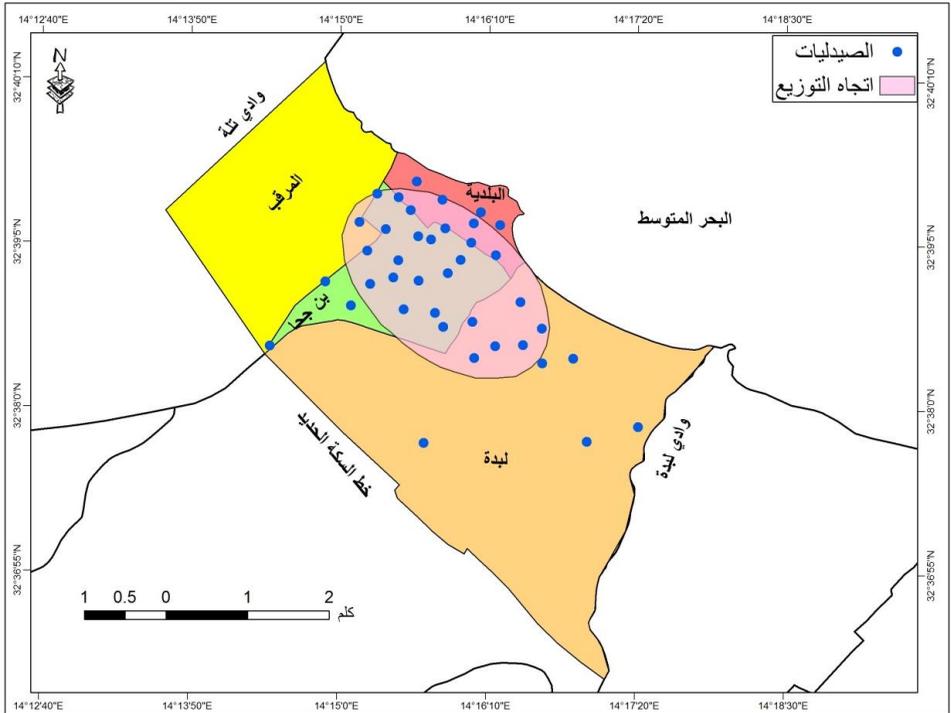
جدول (7) قيم مؤشر اتجاه التوزيع للصيديات في مدينة الخمس عام 2016 م

% عدد الصيديات ضمن الشكل البيضوي	قيم محاور اتجاه التوزيع			الخدمة
	قيمة الدوران	قيمة Y (متر)	قيمة X (متر)	
71.8	119.46	32.65	14.26	الصيديات

المصدر: من عمل الباحث باستخدام برنامج Arc GIS 10.2.2، والملحق الإحصائي Spatial Statistics

.Tools

خريطة (6) اتجاه التوزيع للصيديات في مدينة الخمس عام 2016 م



المصدر: من عمل الباحث باستخدام برنامج Arc GIS 10.2.2، والملحق الإحصائي Spatial Statistics

.Tools

يتبين من محتويات الجدول (7) والخريطة (6) أن الاتجاه الفعلي لنمط انتشار الصيدليات في المدينة يتخذ شكلاً بيضوياً يمتد بين الشمال الغربي والجنوب الشرقي، حيث بلغت قيمة دوران اتجاه توزيع هذه الصيدليات (119.46) درجة من الاتجاه الشمالي، وبذلك طوق الشكل البيضوي (87.1%) من عناصر الظاهرة المدروسة، ويرتبط هذا الاتجاه مع الثقل السكاني في الأحياء السكنية والتوسع العمراني الذي شهدته المدينة.

ثانياً - نمط التوزيع المكاني للصيدليات:

لمعرفة نمط توزيع الصيدليات في مدينة الخمس عام 2016 م تم استخدام نموذج صلة الجوار (Nearest Neighbour Analysis) الذي يعتبر تقنية من أهم تقنيات تحليل الأنماط المكانية، وأحد القرائن المستخدمة من قبل الجغرافيين لدراسة الظواهر النقطية على سطح الأرض وذلك بوصفها، وتحليلها، وتفسيرها، اعتماداً على توزيع بواسون (Poisson) للتوزيعات المكانية⁽¹⁾. وخلاف ذلك فإن معظم المعايير المستخدمة لوصف وتحليل نمط التوزيع المكاني للظواهر لا يخلو من ضعف اعتمادها على الوصف، وافتقارها إلى الدليل، أو المؤشر الموحد لقياس نمط التوزيع، وهذا النموذج لقياس وصف التوزيعات، وتصنيفها إلى ثلاثة أصناف، وهي: التوزيع المتجمع أو المتمركز، والعشوائي، والمنتظم أو المتباعد، وتستخدم تقنية التحليل المكاني للظواهر النقطية في إجراء عمليات تحليل مسافة الجار الأقرب، أو ما يطلق عليه أحياناً اسم صلة الجوار، والجدول (8) والشكل (4)

¹ - محمد شرتوح الربحي، كفاءة التوزيع المكاني لمراكز الاستيطان في محافظة نينوى، رسالة دكتوراه "غير منشورة" قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1990، ص53.

يوضحان نتائج تطبيق صلة الجوار على الصيدليات في مدينة الخمس عام 2016

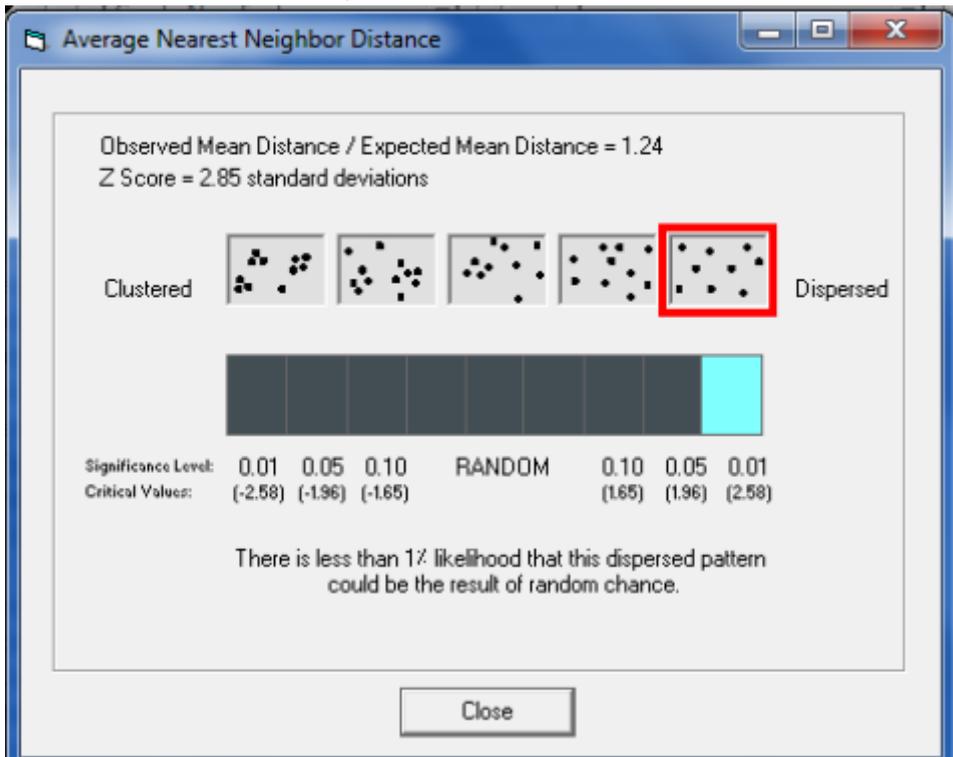
٠٢

جدول (8) نتائج تطبيق صلة الجوار على الصيدليات في مدينة الخمس عام 2016م

البيان	قيمة التحليل	قيمة Z SCORE	مستوى المعنوية	الحالة
الصيدليات	1.24	2.85	0.01	نمط التوزيع متباعد ومستوى الخدمة جيد

المصدر: من عمل الباحث باستخدام برنامج Arc GIS 9.3، والملحق الإحصائي Spatial Statistics Tools.

شكل (4) نتائج تطبيق صلة الجوار على الصيدليات في مدينة الخمس عام 2016م



المصدر: من عمل الباحث باستخدام برنامج Arc GIS 9.3، والملحق الإحصائي Spatial Statistics

.Tools

بالرجوع لبيانات الجدول (8) والشكل (4) يستنتج أن قيمة الدرجة المعيارية (Z SCORE) للصيديات البالغة (2.85) تقع خارج نطاق القيمة الحرجة (CRITICA VALUE) (- 2.58 و 2.58)، وهي بذلك ذات دلالة إحصائية، وبهذا ترفض الفرضية المبدئية القائلة إن نمط التوزيع المكاني للصيديات في مدينة الخمس هو نمط عشوائي وتقبل الفرضية البديلة القائلة إن نمط التوزيع هو نمط متباعد بعيداً عن النمط العشوائي.

اختبار فرضيتي البحث:

الفرضية الأولى:

يتضح من بيانات الجدول (3) والشكل (2) وباستخدام منحنى لورنز لمعرفة العلاقة بين توزيع الصيديات على مستوى محلات مدينة الخمس وعلاقته بالحجم السكاني لتلك المحلات رفض الفرضية القائلة إن " الصيديات تتوزع في المدينة على مستوى محلاتها بشكل غير متوازن مع الحجم السكاني ". وقبول الفرضية البديلة التي تقول إن " الصيديات تتوزع في المدينة على مستوى محلاتها بشكل متوازن مع الحجم السكاني ".

الفرضية الثانية:

بالرجوع لبيانات الجدول (8) والشكل (4) يستنتج أن قيمة الدرجة المعيارية (Z SCORE) للصيديات البالغة (2.85) تقع خارج نطاق القيمة الحرجة (CRITICA VALUE) (- 2.58 و 2.58)، وهي بذلك ذات دلالة إحصائية، وبهذا ترفض الفرضية المبدئية القائلة إن نمط التوزيع المكاني للصيديات في مدينة الخمس هو نمط عشوائي وتقبل الفرضية البديلة القائلة إن نمط التوزيع هو نمط متباعد بعيداً عن النمط العشوائي.

النتائج:

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها في الآتي:

- 1- تركزت أغلب الصيديات بالقرب من المستشفيات والعيادات والمصحات حيث استحوذت محلة بن جحا على أعلى نسبة وهي 46.2% ويليهما محلتا لبدة والبلدية بنسبة 28.2% و 20.5% على التوالي، في حين جاءت محلة المرقب في المرتبة الأخيرة

بنسبة 5.1% نظراً لعدم وجود خدمات صحية فيها.

- 2- إن نمط توزيع الصيدليات في مدينة الخمس يكون نمطاً متباعداً، أي بمعنى المسافات الفاصلة بين الصيدليات غير منتظمة.
- 3- عدم اتباع المعايير في توزيع الصيدليات بالنسبة لعدد السكان في أحياء المدينة، بل اعتمد على مبدأ السوق (العرض والطلب) في إنشاء وتوزيع الصيدليات.
- 4- إن التحليل باستخدام تقنية نظم المعلومات الجغرافية أعطى وبصورة واضحة ملامح التوزيع المكاني للصيدليات، ودرجة تركزه في المدينة، وعلاقات الجوار فيما بينها، بالإضافة إلى كشف وتوضيح المناطق التي تمتعت بالخدمات الصيدلانية.
- 5- تبين أن دراسة نمط التوزيع المكاني للصيدليات لها أهمية في مجال تخطيط المدن في المناطق الحضرية المختلفة.

التوصيات:

بناءً على النتائج يوصي الباحث بالآتي:

- 1- الحث والتشجيع على إنشاء وافتتاح صيدليات في أحياء مناطق المدينة ذات الكثافة المنخفضة أو البعيدة عن مركز المدينة التي لم تصلها الخدمات الصيدلانية، والابتعاد عن مبدأ السوق (العرض والطلب) نظراً لأهمية توفير هذا النوع من الخدمات المجتمعية لكل فرد من أفراد مجتمع المدينة.
- 2- اتباع المعايير التخطيطية عند إنشاء وافتتاح صيدليات جديدة في أحياء المدينة المختلفة.
- 3- توظيف تقنيات نظم المعلومات الجغرافية في التحليل المكاني للخدمات المجتمعية التي تمس مباشرة حياة الفرد ورفاهيته لتحقيق مبدأ العدالة في توزيعها في الحيز المكاني.
- 4- بناء قاعدة بيانات متعلقة بالصيدليات وتوفيرها للمتخصصين والمهتمين في مجال تخطيط الخدمات الصحية بصفة خاصة، والباحثين بصفة عامة.
- 5- على الجهات ذات الاختصاص عدم منح تراخيص لفتح صيدليات جديدة في الأحياء والمناطق التي تكثر بها بالصيدليات، ولاسيما الأحياء الواقعة في مركز المدينة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً - المراجع العربية:

- 1- خير، صفوح، الجغرافية موضوعها ومناهجها وأهدافها، دار الفكر، دمشق، 2000.
- 2- داود، جمعة محمد، أسس التحليل المكاني في إطار نظم المعلومات الجغرافية GIS، مكة المكرمة، 2012.
- 3- الرحبي، محمد شرتوح، كفاءة التوزيع المكاني لمراكز الاستيطان في محافظة نينوى، رسالة دكتوراه "غير منشورة" قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1990.
- 4- روانديزي، عمر حسن حسين، التحليل المكاني والوظيفي للخدمات التعليمية في مدينة سوزان باستخدام المعلومات الجغرافية (GIS)، رسالة ماجستير "غير منشورة"، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، أربيل، 2006.
- 5- شحادة، نعمان، الأساليب الكمية في الجغرافيا باستخدام الحاسوب، ط2، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2002.
- 6- عبدالله، نشوان شكري وحسن، مزكين محمد، تحليل الخصائص المكانية والوظيفية لوحدات الورش الصناعية في مدينة دهوك باستخدام نظم المعلومات الجغرافية (GIS)، مجلة جامعة دهوك، العدد (21)، كانون الأول 2008.
- 7- الفراء، محمد علي، مناهج البحث في الجغرافيا بالوسائل الكمية، وكالة المطبوعات، الكويت، 1983.
- 8- الهيكل، عبدالعزيز فهمي، مبادئ الأساليب الإحصائية، دون مكان طبع، بيروت، 1966.

ثانياً - المراجع الأجنبية:

- 1- Barclay, G. W., and George, W., Techniques of Population Analysis, John Wiley and Sons, Inc, 1970.
- 2- Polservice – Consulting Office, Al Khums Master Plan – 2000, Final Report No. TF-33 ,Warsaw – Poland.

التشبيه في الشعر الليبي

(ديوان راشد الزبير السنوسي الخروج من ثقب الإبرة - أنموذجا)

إعداد: د. سالم فرج زويبيك *

المقدمة

الحمد لله الذي جعل البيان ميزة الإنسان، والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام.

وبعد، فالشعر الليبي جعل من التشبيه أداة طيعة يوضح من خلالها صوراً في غاية الجمال، وللتعريف بالشعر الليبي وشعرائه اخترت أن يكون الشاعر الليبي "راشد الزبير السنوسي" الذي يمثل جزءاً من الشعر الليبي في فترة محدودة من الزمن، مجالاً لهذا البحث، وقد طبعت له المجموعة الشعرية الأولى للجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، وهي تحوي خمسة دواوين للشاعر اخترت منها الديوان الأول مجالاً للبحث وهو: "الخروج من ثقب الإبرة"؛ لما يحمله من رمزية في حياة الشاعر من خلال عنوانه، فالشاعر . كما سنرى . قد اعتمد على عدة أنواع من التشبيه؛ ليرسم لنا لوحات في غاية الروعة والجمال، متتبع في دراستي المنهج الاستقرائي الوصفي، وقد قسّمت هذا البحث على تمهيد، وفيه: التعريف بالشاعر، وأهمية التشبيه وأقسامه، وأربعة مطالب، ذكرت فيها أنواع التشبيه التي اعتمد عليها الشاعر: فكان المطلب الأول: التشبيه البليغ، و الثاني: التشبيه المفصل، والثالث: التشبيه المرسل، و الرابع: تشبيه التمثيل، وخاتمة بيّنت فيها أهم نتائج البحث، وقائمة بالمصادر والمراجع.

* عضو هيئة التدريس بكلية الآداب قسم اللغة العربية وآدابها جامعة المرقب.

التمهيد:

أ . التعريف بالشاعر:

راشد الزبير أحمد الشريف السنوسي، ولد في: 1/10/1938م بمرسى مطروح، حيث كان والده ضمن آلاف الليبيين المهاجرين إلى مصر إبّان الاحتلال الإيطالي لليبيا، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عاد مع أسرته ضمن العائدين، والتحق بالجامعة الليبية ببنغازي وحصل منها على الليسانس في الآداب عام 1963م.

عمل بالتدريس، ثم بالإعلام نائبا للمدير العام لإدارة الثقافة والفنون بالمناطق الشرقية من ليبيا خلال الفترة من عام 1967 حتى عام 1970م.

نشر نتاجه بعدد من الصحف والمجلات المحلية والعربية، وشارك في عدد من المؤتمرات المحلية والعربية، وله أربعة عشر ديوانا(1).

ب . تعريف التشبيه وأهميته وأنواعه:

الشعراء الليبيون كغيرهم من الشعراء العرب رسموا لنا صوراً رائعة في قصائدهم تبيّن مرادهم وتوضّح مقصدهم، ومن أهم الوسائل التي اعتمدوا عليه في ذلك هو التشبيه، فالتشبيه هو: «صفة الشيء بما قاربه وشاكله، ومن جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إيّاه» (2) ويعرّف "شكري عياد" التشبيه بأنه: «العقد على أن أحد الشئيين يسد مسد الآخر في حسّ أو عقلٍ»، ويقسمه قسمين أيضاً، «تشبيه شئيين متفقين بأنفسهما، وتشبيه شئيين مختلفين لمعنى يجمعهما مشترك بينهما» (3) والتشبيه في اللغة صفة الشيء بما يقاربه وبشاكله، ويراد به تقريب الصفة

(1) معجم الشعراء الليبيون شعراء صدرت لهم دواوين، عبد الله سالم مليطان، دار مداد للطباعة والنشر والتوزيع والإنتاج الفني، طرابلس ليبيا، ط1، 2008م، ج1: 523-524.

(2) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: 463 هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1401 هـ - 1981 م: 1، 286.

(3) النقد والبلاغة مطبوع ضمن «موسوعة الحضارة العربية الإسلامية»، شكري محمد عياد (ت: 1420 هـ)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1987: 422.

وإفهام السامع، وفي الاصطلاح إلحاق أمر بآخر في صفة بأداة، فالأمر الأول مشبّه، والثاني مشبّه به، والصفة وجه الشبه، والأداة الكاف وكأنّ وشبه ومثّل وكلّ ما يفيد معنى التشبيه كحَسِبَ وظنّ وحكي وروى نحو: (العلم كالنور في الهداية) (1) ومنهم من عرفه بقوله: «التشبيه لغة التمثيل، يقال: هذا شبه هذا ومثيله، وشبهت الشيء بالشيء أقمته مقامه لما بينهما من الصفة المشتركة، واصطلاحاً: إلحاق أمر "المشبّه" بأمر "المشبّه به" في معنى مشترك "وجه الشبه" بأداة "الكاف" وكأنّ وما في معناهما "لغرض "قائدة"(2)»

التشبيه فن من فنون البلاغة لا غنى للشاعر أو الكاتب له عنه، فهو: « ميدان يتسابق فيه فرسان البلاغة وأمراء القريض، وقد تفتنوا في ضروبه وتنافسوا في فنونه»(3)، وقد عدّه بعضهم فن يساعد على الفهم والتوضيح، فقال: «وسبيل التشبيه إذ كانت فائدته إنما هي تقريب المشبّه من فهم السامع، وإيضاحه له أن تشبّه الأدون بالأعلى إذا أردت مدحه، وتشبّه الأعلى بالأدون إذا أردت ذمّه»(4)، وقد يكون التشبيه للترغيب في الشيء أو التفتير منه فمنهم من عدّ: «فائدة التشبيه من الكلام فهي أنك إذا مثلت الشيء بالشيء، فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبّه به أو معناه، وذلك أوكّد في طرفي الترغيب فيه، أو التفتير عنه»(5)، وهو ركن مهم في الكلام ففيه فوائد لا توجد في الاستعارة «فهو الدلالة على اشتراك شيئين في وصف هو من أوصاف الشيء في

(1) اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثّل، محمد علي السّراج، مراجعة: خير الدين شمسي باشا، دار الفكر - دمشق، ط1، 1403 هـ - 1983 م: 171.

(2) علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ): 213.

(3) اللباب في قواعد اللغة: 173.

(4) العمدة: 1: 290.

(5) المثّل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت:

637هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة، 2: 99.

نفسه، كالشجاعة في الأسد، والنور في الشمس، وهو ركن من أركان البلاغة لإخراجه الخفي إلى الجلي، وإدائه البعيد من القريب، وهو حُكْمٌ إضافي لا يوجد إلا بين الشئيين بخلاف الاستعارة»(1)، ومنهم من عدَّ المراد من التشبيه التقرير والإيجاز والبيان، فقال: «اعلم أنك إذا أردت تشبيه الشيء بغيره فإنما تقصد به تقرير المشبه في النفس، بصورة المشبه به، أو بمعناه، فيستفاد من ذلك البلاغة فيما قصد به من التشبيه على جميع وجوهه من مدح، أو ذم، أو ترغيب، أو ترهيب، أو كبر، أو صغر، أو غير ذلك من الوجوه التي يقصد بها التشبيه، وتراد للإيجاز أيضا والاختصار في اللفظ من تعديد الأوصاف الشبهية، وتراد للبيان والإيضاح أيضا(2)»، وعند تشبيه شيء بآخر فلا بد أن يجمع بينهما أمرا، فيكون بذلك التشبيه على قسمين: «فاعلم أن الشئيين إذا شُبَّ أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين أحدهما أن يكون من جهة أمرٍ بيِّنٍ لا يحتاج إلى تأوّل، والآخر أن يكون الشبه محصلاً بضرب من التأوّل»(3)، وربما يعد الخفاء والغموض في وجه الشبه حسنا وكثيرا في كلام العرب فمنهم من رأى أنه: «كلّما كان مكان الشبه بين الشئيين أخفى وأغمض وأبعد من العُرف، كان الإتيان بكلمة التشبيه أبين وأحسن وأكثر في الاستعمال(4)» وقد يكون التشبيه من حيث الجودة نوعين: حسن، أو قبيح، وللحكم

(1) نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت: 733هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1423 هـ: 7: 38.

(2) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالبي الملقب بالمؤيد بالله ت: 745هـ)، المكتبة العنصرية - بيروت، ط1، 1423 هـ، ج1: 142.

(3) أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: 471هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة: 90.

(4) أسرار البلاغة: 333.

على ذلك يقول ابن رشيقي: «اعلم أن التشبيه على ضربين: تشبيه حسن، وتشبيه قبيح، فالتشبيه الحسن هو الذي يخرج الأغمض إلى الأوضح فيفيد بياناً، والتشبيه القبيح ما كان على خلاف ذلك» (1)، وقد يقع التشبيه بين الضدين والمختلفين: كقولك " العسل في حلاوته كالصبر في مرارته، أو كالخل في حموضته "، قال أبو الحسن الرُّماني: وهذا الضرب من التشبيه لا يقال إلا بتقييد وتفسير (2)»

ولابد من وجود مناسبة بين طرفي التشبيه وإذا جاء خلاف ذلك يعد قبيحاً، فقد قال ابن الأثير: « وإذا ورد التشبيه ولا مناسبة بين المشبه، والمشبّه به كان ذلك قبيحاً، ولا يستعمل هذا الضرب من التوسع إلا جاهل بأسرار الفصاحة والبلاغة، أو ساهٍ غافل يذهب به خاطره إلى استعماله ما لا يجوز ولا يحسن» (3)، فالتشبيه يجمع بين طرفي التشبيه فيجمع بينهما في صفة ويفرق في أخرى، فقد رأى السكاكي: « أن التشبيه مستدع طرفين مشبهاً ومشبهاً به واشتراكاً بينهما من وجه وافتراقاً من آخر مثل: أن يشتركا في الحقيقة، ويختلفا في الصفة، أو بالعكس» (4)، ويرى ابن طبا طبا أن الصورة التشبيهية جزء لا ينفصل عن القصيدة، الحسن فيها يضاف إلى القصيدة وكذا القبح، وأن قبول التشبيه مرتبط بحسن اختيار اللفظ وصحة المعنى وموافقة الوزن والقافية مع إحكام النظم (5)

التشبيهات التي اعتمدها الشاعر في ديوانه:

(1)العمدة 1، 287.

(2)العمدة: 1 : 295.

(3)المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 2: 64.

(4)مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت: 626هـ)

ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط2، 1407 هـ - 1987 م: 232.

(5)البدیع في شعر المتنبي التشبيه والمجاز، د. منير سلطان، منشأة المعارف الإسكندرية، 1996م: 95.

استعان الشاعر "راشد الزبير" بأنواع من التشبيهات، منها:

1. "التشبيه البليغ"

وهو التشبيه الذي لم تُذكر فيه أداة التشبيه، ولم يُذكر فيه أيضاً وجه الشبه (1).

ومن التشبيه البليغ قول الشاعر راشد:

وَجَدْنُهُمَا قَدْ ارْتَحَلَا وَلَفَّ خُطَاهُمَا الْعَدَمُ
وَكَاْنَا وَاحَةً الظَّمَانِ إِنَّ ضَاقتُ بِهِ رَجْمُ
وَكَاْنَا لَمْسْتِي حُبًّا عَلَى الْجَالَاتِ تَرْتَسِمُ
وَكَاْنَا رَاحةَ الْمُلْهُوفِ لَمْ تَحْنَتْ لَهُمْ نِعَمٌ (2)

في قصيدة بعنوان: "العودة" غرضها "شعر المناسبات" يظهر فيها الشاعر عاطفته لأبويه، فيشبهه والديه اللذين رحلا عن الدنيا بواحة الظمان عندما يضيق به أقاربه ورحمه، ويشبه وجودهما بلمستي الحب التي ترتسم على نواحي الحزين، ويشبه كرمهما وعطفهما على المحتاج بتوفير سبل الراحة للملهوف، فقد حول أشياء عقلية إلى أشياء حسية يراها القارئ بتشبيه بليغ يبهز العقول حيث أن «التشبيه: هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى، والمراد بالتشبيه ههنا ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية، ولا الاستعارة بالكناية، ولا التجريد؛ فدخل فيه ما يسمى تشبيها بلا خلاف؛ وهو ما ذُكرت فيه أداة التشبيه؛ كقولنا: "زيد كالأسد"، أو "كالأسد" بحذف "زيد" لقيام قرينة، وما يسمى تشبيها - على المختار - وهو ما حذف فيه أداة التشبيه وكان اسم المشبه به خبرا للمشبه، أو في حكم الخبر كقولنا: "زيد أسد". (3)

(1) البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني دمشقي (ت: 1425هـ)، دار القلم،

دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416 هـ - 1996 م، ج2: 173.

(2) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي، منشورات

اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، ليبيا، ط1، 2008م: 14.

(3) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي (ت: 1391هـ)،

ومن تشبيهاته قوله:

ظَلَمُوا حُسْنَكَ لَمَّا شَبَّهُوا بِكَ بَدْرًا فِي الدُّجَى يَرْتَعُ
أَوْ غَزَالًا حَفِظَ الحَرْفُ لَهُ أَلْفَ وَصْفِ جُلُهَا مُصْطَنَعُ
أَنْتَ فِي النَّبْضِ تَسَابِيحٌ وَفِي وَاحَةِ الْمُتَعَبِ لَحْنٌ أَرْوَعُ(1)

في قصيدة غزلية بعنوان: "شفة سكرى" يقرر بأن وصف الجميلات بالبدر والغزال ظلم لحسنهن، فالعرب اعتادت على تشبيه النساء بالشمس والقمر، فقد قيل: «إن للتشبيه حداً؛ لأن الأشياء تتشابه من وجوه، وتتباين من وجوه؛ فإنما ينظر إلى التشبيه من أين وقع، فإذا شبه الوجه بالشمس والقمر فإنما يراد به الضياء والرونق، ولا يراد به العظم والإحراق، قال الله جل وعز: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾، والعرب تشبه النساء ببيض النعام، تريد نقاءه ورقة لونه»(2)، فيخالف ما اعتاد العرب عليه، ويقرر أن محبوبته تشبه التسابيح المقدسة في نبض قلبه، وحبها يحول تعب المتعب إلى لحن رائع تشبيهاً بليغاً حذف منه الأداة ووجه الشبه، إذ إن: «التشبيه عبارة عن العقد على أن أحد الشئيين يسد مسد الآخر في حال أو عقد، هكذا حد الرماني، وهذا هو التشبيه العام الذي يدخل تحته التشبيه البليغ وغيره»(3).

ومن تشبيهاته قوله:

عِيُونُ طَرَائِلَسَ لَمَّا تَرَلْ تُغَازِلُ أَحْلَامِي الرَّائِيَه

ط17: 1426هـ- 2005م، ج3: 384.

- (1) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 24.
- (2) الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ات: 285هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ط3، 1417 هـ - 1997 م: 3: 41.
- (3) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (ت: 654هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي: 159.

تُبَدِّينَ لِي أَفَقًا مِنْ عَيْبِرٍ يُرِنِّحُ قَلْبِي... وَأَوْزَانِيَه
وَدَكَرْتُهُنَّ لِيَدَكُرْتَنِي وَهَنَّ جِنَانُ الْهَوَى الدَّانِيَه (1)

في قصيدة غزلية بعنوان: "عيون طرابلس"، يتغزل فيها بعيون فتاة رآها في طرابلس، فيشبهها بالجنان الدانية ولكنها جنان الهوى، ووجه الشبه بينهما الجمال والقرب، تشبيها بليغا حذف منه الأداة ووجه الشبه.

ومن تشبيهاته يقول:

هَلْ لِهَذَا الْفُؤَادِ مِنْكَ أَمَانٌ يَا حَنَانُ إِلَيْهِ يَهْفُو الْجَنَانُ
أَنْتِ رُوحٌ تَهِيمُ فِي فَلَكَ الْقَلْبِ وَسِرٌّ تُغْوَى بِهِ الْأَلْحَانُ (2)

في قصيدة عرضها الغزل بعنوان: "حنان"، يعشق فتاة اسمها حنان، فيهفو قلبه لحبها، ويشبهها بالروح التي تسري في القلب بجامع الحركة والحياة في كليهما، ويشبهها بسر تحبه الألحان بجامع الجمال والرقّة في كليهما، فقد شبه المرأة وهي جسم يدرك بالحواس بشيئين معقولين يدركان بالعقل من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس تشبيهين بليغين حذف منهما الأداة ووجه الشبه.

ومن تشبيهاته يقول:

بَقْدَ كَتَهْوِيَمَةٍ (3) الْحَلْمُ أَطْفًا هُوَ النَّبْعُ وَالْأَخْرِيَاتُ النَّمَادُ (4)

في قصيدة: غزلية بعنوان: "ركاد" يجمع في بيت واحد بين التشبيه المفصل، والتشبيه البليغ، فيشبهه قدّ محبوبته بلطف الحلم في النوم الخفيف مستعملا أداة التشبيه "الكاف" ووجه الشبه اللطف في كليهما على طريقة التشبيه المفصل، ويذكر لفظ "تهوية" إذ إن:

- (1) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 32.
- (2) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 106.
- (3) «الهُومُ وَالتَّهْوَمُ وَالتَّهْوِيمُ: النَّوْمُ الْخَفِيفُ، وَالتَّهْوِيمُ: أَوَّلُ النَّوْمِ وَهُوَ دُونَ النَّوْمِ الشَّدِيدِ» لسان العرب محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: 711هـ)، دار صادر - بيروت - ط3 - 1414 هـ: فصل الهاء.
- (4) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 56.

التهويم يعني النوم الخفيف المحبب للنفس، ثم يجعل من قدّ محبوبته نبعا صافيا يشرب منه الناس تشبيها بليغا دون ذكر أداة التشبيه، وقدّ غيرها من النساء ثماد(1) غير صاف سريع الانقطاع.

ومن تشبيهاته قوله:

مَرَحَى بِمِصْرَ، وَمِصْرُ الدَّلِّ وَالْحَفْرُ (2) وَمِصْرُ تَاجِ الْعُلَا إِنْ فَاخَرَ الْبِشْرُ (3)

في قصيدة وطنية بعنوان: "مصر" يرحب بدولة مصر العربية بعد إعادة علاقتها مع العرب التي انقطعت بسبب اتفاقية كامب ديفيد، فيجسمها بفتاة تنصف بالدلال و والخفر الذي يعني: شدة الحياء، ثم يشبهها تشبيها بليغا يحذف منه الأداة بتاج الرفعة والعلو الذي يفاخر به البشر دائما.

ومن تشبيهات راشد قوله:

تَرْتُو لِسَاقِيَةَ تُذَكِّرُهَا هَوَى زَرَعْتُهُ فِي جَنَبَاتِهَا أَحْلَامًا

تِلْكَ الصَّبِيَّةُ بَوْحُ دِرْنَاوِيَّةٍ وَحَفِيفُ أَنْسَامٍ وَعِطْرُ حُرَامِي (4)

تُحْرِكُ فتاة جميلة في نفسه قول الشعر الغزلي، فينشد قصيدة بعنوان: "لوزية العينين"، فتتظر هذه الفتاة الصبية التي هي من مدينة درنة الليبية إلى ساقية ماء فتتذكر حبا قديما زرعه الأحلام في جنباتها، فيشبهها بصوت النسمة الهادئة، وبرائحة طيبة تشبه

(1) «فَالنَّمْدُ قَلَّتْ يَجْتَمِعُ فِيهِ مَاءُ السَّمَاءِ فَيَشْرَبُ بِهِ النَّاسُ شَهْرَيْنِ مِنَ الصَّيْفِ، فَإِذَا دَخَلَ أَوَّلُ

الْفَيْطِ انْقَطَعَ فَهُوَ نَمْدٌ، وَجَمْعُهُ ثِمَادٌ» لسان العرب: فصل الناء.

(2) «الْحَفْرُ، بِالتَّحْرِيكِ: شِدَّةُ الْحَيَاءِ؛ تَقُولُ مِنْهُ: حَفَرٌ، بِالْكَسْرِ، وَحَفَرَتِ الْمَرْأَةُ حَفْرًا وَحَفَارَةً» لسان

العرب: فصل الخاء المعجمة.

(3) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 77.

(4) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 89.

رائحة شجر الخزامى(1) بجامع الخفة في كليهما وطيب الرائحة ويستعمل في ذلك التشبيه البليغ.

2. التشبيه المفصل

وهو التشبيه الذي دُكر فيه وجه الشبه(2).

ومن التشبيهات المفصلة قول راشد:

أَغْلَى الْفَوَاطِمِ إِيْنَسَا وَعَاطِفَةً لَأَنْتِ فِي الْقَلْبِ وَفَدَّ كَالسَّعِيرِ شَبَابًا (3)

يعبر عن حبه لأغلى امرأة ممن اسمهن فاطمة، فينشد قصيدة في الغزل بعنوان: "أغلى الفواطم"، فيشبه حبه في قلبه بالسعير الذي يشب في الحطب بجامع اشتداد الحرارة وانتشارها في كليهما، فذكره لوجه الشبه لتبيين مراده فالنار قد تكون للإحراق، وهو ضروري للتوضيح، فقد قيل: « اعلم أن كل من أراد تشبيه شيء بغيره فلا بد من أن يجمع بينهما بوصف ما كما قررناه من قبل، فعليه أن يسعى في طلب الوجه الجامع بينهما، فمن طلب أن يمثل حركة أو هيئة بغيرهما، فعليه أن يطلب أمرا يتفقان فيه»(4).

ومن تشبيهات راشد المفصلة قوله:

جَالَتْ كَطَيْفٍ مَنَامٍ يَعْ نَنْقُ الْعُيُونَ لِكَيْ يُؤَانِسَ (5)

ينشد قصيدة غزلية بعنوان: "تأتي ولا تأتي" فيشبه ظهور محبوبته وتجوّالها أمامه بطيف المنام الذي يعانق العيون ليؤانسها، بجامع الحاجة والمؤانسة في كليهما، فهو محتاج إلى ظهورها أمامه كما تحتاج العيون للنوم.

(1) « نَبْتُ طَيْبُ الرِّيحِ » تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق

الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الرّبيدي، ت: 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية: باب خ ز م.

(2) البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَّكَةَ الميداني دمشقي، ج2: 173.

(3) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 22.

(4) الطراز لأسرار البلاغة، ج1: 147.

(5) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 27.

ومن تشبيهاته قوله:

وَحَدِيثُهَا كَطَرَاوَةِ النَّسَدِ مَاتَ فِي الْأُدُنَيْنِ هَامِسٌ (1)

في نفس قصيدة الغزل السابقة "تأتي ولا تأتي" يستعين بالتشبيه المفصل، فيشبه رقة ونعومة حديث حبيبته بطراوة النسمة في رقتها ونعومتها، فكلاهما يدخل الأذنين همسا بسلاسة وسهولة.

ومن تشبيهاته قوله:

أَتَذْكُرُ يَا سَاهِرَ اللَّيْلِ كَمْ مَرْهَقٌ أَنْ تَنَامَ وَطَرَفُكَ يَفْطَانُ يَهْتَرُّ رُعبًا
وَحُلْمُكَ مُنْكَمِشٌ كَالْقَطَاةِ شَنَّ عَلَيْهِ الْكَوَابِيسُ حَرَبًا (2)

يعاني الشاعر من الهم وعدم النوم، فيصور مشاعره وأحاسيسه في قصيدة غزلية يتذكر فيها أيامه الماضية بعنوان: "أتذكر" يشبه فيها انكماش حلم الساهر المرهق بالهموم وطرف عينه يرتعش من الرعب والخوف بقطة انكشفت في عشاها لتنام، فهي تخاف أن يراها طير جرح أو صياد يصيدها، ثم يفسر حال الهموم بأن أحلامه مليئة بالكوابيس المرعبة.

ومن تشبيهاته قوله:

يَنْشَقُّ صَدْرُ الشَّمْسِ عَنْ فَرَسٍ مُطَهَّمَةٍ (3) وَقَارِسٍ
يَهْوَى بِحُرْقَةٍ عَاشِقٍ وَالْأَرْضُ مِثْلُ حَنِينِ عَانِسٍ
تَسْتَحْلِبُ الْقَطَرَاتِ حَنْ تَى يَرْتَوِي يُبْسُ الْمَعَارِسِ (4)

(1) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 27.

(2) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 28.

(3) المطهم: من النَّاسِ والخيل: الحَسَنُ التَّامُ كُلُّ شَيْءٍ مِنْهُ عَلَى جِدَّتِهِ فَهُوَ بَارِعُ الْجَمَالِ. فَرَسٌ مُطَهَّمٌ وَرَجُلٌ مُطَهَّمٌ

لسان العرب: فصل الطاء المهملة.

(4) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 27.

وفي قصيدة عنونها: "تأتي ولا تأتي" يحدثنا عن الصباح وإشراق الشمس عن فرس وفارس وصفهما بالمطعم أي نواتي الحسن والجمال التام، وهذا الفارس يهوى بحرقه العاشق ولهفته، ثم يشبه الأرض التي يسير عليها في حنينها إلى الماء؛ لتروي به المغارس اليابسة، بحنين واشتياق المرأة العانس للزوج، مستعملا أداة التشبيه "مثل" بجامع الحنية والعشق في كليهما.

ومن تشبيهاته قوله:

حَلَّتْكُمْ تَرَى كَسْمُوحِ النُّجُومِ يُعَانِقُ كُلَّ سَرِيٍّ (1) هُمَامٌ (2) (3)

في قصيدة وطنية يعنون لها بعنوان: "ليلي" يشبه ثرى أرض بنغازي الشامخ الذي استقبل الشعراء في مهرجان الشعر بالنجوم التي تعانق السماء، ولكن الثرى يعانق الأشراف، ووصفهم بالملوك في قوله "همام"، فالسما تعانق النجوم، وثرى بنغازي يعانق الأشراف الملوك.

ومن تشبيهات راشد قوله:

وَكَثِيرٌ لَكِنَّا كَعْنَاءِ السَّيْلِ تَلَهُو بِنَا الْحُطُوطُ اللَّعِينَةَ (4)

يزور الشاعر المدينة المنورة فتجود قريحته بقصيدة في شعر المناسبات بعنوان: "المديمة المنورة"، فيستدعي التراث الديني، ويشبه كثرة المسلمين في هذا الزمن بعنقاء السيل الذي لا يرجى منه فائدة بجامع عدم النفع في كليهما متأثرا بقول الرسول - صلى الله عليه وسلم-: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أَفْقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا». قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ قَلَّةٍ بِنَا يَوْمئِذٍ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ يَوْمئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ

(1) سري: «سَرًا يَسْرُو سَرَوًا وَسَرِيٍّ، بِالْكَسْرِ، يَسْرَى سَرَى وَسَرَاءً وَسَرَوًا إِذَا شُرْفَ» لسان العرب: فصل السين المهملة.

(2) «الهُمَامُ: الْمَلِكُ الْعَظِيمُ الْهَمَّةُ» لسان العرب: فصل الهاء.

(3) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 50.

(4) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 70.

تَكُونُونَ غُنَاءً كَغُنَاءِ السَّيْلِ، تُنْتَزَعُ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ «. قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ» (1) .

3. التشبيه المرسل:

وهو ما ذكرت فيه الأداة (2)

ومن تشبيهات راشد المرسل قوله:

وَلَيْلَى الصَّبِيَّةُ أَحْلَامُهَا تَشْبُ (3) بِنَا كَصَلَاةٍ نُقَامُ (4)

تجدد قريحة الشاعر بقصيدة وطنية بعنوان: "ليلى" يبدأها على طريقة الشعراء بأبيات غزلية، ويتأثر بأصل من أصول الإسلام وهي الصلاة، فيشبه أحلام ليلى الصبية المتزايدة باشتياق وازدياد المصلي لصلاة قائمة، ووجه الشبه التعلق المتزايد بكليهما، ويختار لهذا المعنى كلمة "تشب" لما فيها من معاني الترقيق، واللهب، والتغزل بالنساء.

ومن تشبيهات راشد قوله:

أَهَاجَتْ كَوَامِنُنَا الْعُنَعَاتُ نُجْرِرُنَا كَقَطِيعِ السَّوَامِ (5)

- (1) مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ - 2001 م، ج37: 82.
- (2) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: 1362هـ)

ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت: 238.

(3) «تشبيب الشعر: تَرْقِيقُ أَوَّلِهِ بِذِكْرِ النِّسَاءِ، وَهُوَ مِنْ تَشْبِيبِ النَّارِ، وَتَأْرِيثِهَا، وَشَبَّ بِالْمَرْأَةِ: قَالَ فِيهَا الْغَزَلَ وَالنَّسِيبَ؛ وَهُوَ يُشَبَّبُ بِهَا أَي يَنْسَبُ بِهَا» لسان العرب: فصل الشين.

(4) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 42.

(5) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 44.

في نفس القصيدة الوطنية السابقة "ليلي" يستدعي شيئاً من تراث الأمة الغابر، فيشبهه تأثر العرب بتاريخهم، وعدم العمل بجدية للنهوض بالأمة والجري وراء الروايات بقطع أنعام لا يفكر يسوقه راعيه بجامع عدم استعمال العقل في كليهما.

ومن تشبيهات راشد قوله:

فَهَلْ مُخْلِصٌ يَصْنَعُ الْمُسْتَحِيلَ وَيَخْتَرِقُ الْحُجْبَ مِثْلَ السَّهَامِ
وَيَدْعُو مَرَابِعُنَا لِالْتِقَاءِ يُبْلِسِمُ مَا قَدْ جَنَاهُ الْخِصَامُ (1)

في نفس القصيدة "ليلي" يتمنى أن تعود الأمة إلى سابق مجدها، وتلد نساؤها رجلاً شجاعاً يخلصها من ضعفها بقوة خارقة تشبه السهام التي تخترق الأجسام الصلبة، فيخترق الحجب ويجعل من ضعفها وفرقتها قوة واجتماعاً يداوي به ما قد سببه لهم الخصوم، فيستعين بأداة التشبيه "مثل" على سبيل التشبيه المرسل.

ومن تشبيهات راشد قوله:

فَيَا رُفْقَةَ الْحَرْفِ مَرَحَى بِكُمْ شُمُوعًا تَوَجَّسَ مِنْهَا الظَّلَامُ
تَزَلُّنَّمْ جَوَانِحَنَا كَالنَّدَى وَجَلُّنَّمْ بِأَمَاقِنَا كَالْمَنَامُ (2)

لا زال الشاعر ينشد قصيدته الوطنية "ليلي"، فيرحب برفاقه الشعراء، ويستغل الفرصة؛ ليوضح لهم مدى حبه إياهم، فيشبههم بالشموع، ويشبه دخولهم في خواتمهم بالندى، ويشبه قدرهم بعيون أصحاب المكان كقدر حب العين الساهرة للنوم، بجامع اللطف في الندى وفي نزولهم، وجامع حب النوم للعيون وحبهم لضيوفهم.

ومن تشبيهات راشد:

قَدْ كُنْتُ خَافَ السُّورِ أَرْقُبُ صَامِدًا يَوْمًا أَضْمَكَ فِيهِ عِنْدَ إِيَابِي
وَرَجَوْتُ أَنْ أَلْقَاكَ كَالغَيْثِ الَّذِي عَوْدْتُهُ فِي نَشَاتِي وَشَبَابِي (3)

(1) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 48.

(2) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 49.

(3) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 73.

ينشد الشاعر قصيدة اجتماعية بعنوان: "الغائبان"، فيتحدث عن الحب المتبادل بينه وبين أبيه، واعتماده عليه الذي عوده على النفقة والحياة السعيدة في فترة شبابه، فيستعين بصورة حسية يلحظها القارئ؛ ليبين مدى اعتماده على والده، وهي صورة الغيث بجامع الاستفادة الكثيرة في كليهما.

ومن تشبيهات راشد قوله:

إِذَا وَرَدْنَا حَيْثُنَا مَرَابِعُهُ وَعَانَقْنَا حَكَايَا الْأُمْسِ تَهْتَصِرُ (1)

وَأَطَّلَعَ اللَّيْلُ مِنْ أَعْمَاقِهِ غُرْرًا تَسَابُ كَالْعِطْرِ وَاسْتَأَقَ الْمُنَى قَمْرُ (2)

تعود مصر إلى أحضان الأمة بعد القطيعة، فينشد الشاعر قصيدة وطنية بعنوان: "مصر" ويتحدث بلغة الشعراء فعندما ورد ماء النيل شعر بالتحية والترحيب واستدعاء الذكريات، فعانقته حكاياه القديمة معانقة المحب لحبيبه وقد استدعى لفظ "تهتصر" لما فيه من المعنى المطلوب ، وأخرج له الليل منه أضواء وأشياء نفيسة لها رائحة طيبة تنساب في الأفق كانسياب رائحة العطر الفواح، واستنكر أمانيه من القمر المتلألئ فوق صفحته.

ومن تشبيهات راشد قوله:

سَلَّمَ عَلَى الْأَسْمَرِ الْمُجْتَبَى وَرَبَعَ حَوْوَلَتْنَا الطَّيِّبِيْنَا

وَأُمَّ نَمَتْنَا إِلَى نَخْلَةٍ تَنْبِيهُ شُمُوخًا، وَتَخْتَالُ لِيْنَا

رَعَتْهَا الْكَرَائِمُ مِنْ أَرْضِكُمْ كَمَا رَعَتِ الْفُلَّ وَالْيَاسَمِيْنَا (3)

يحضر مهرجانا يكرم فيه الشاعر "أحمد الشارف" فتخرج كلمات بالمناسبة من الشاعر يعبر فيها عن شعوره بالفخر والاعتزاز بأخواله الذين ينتمي إليهم الشاعر أحمد الشارف، وهم أهل زليتن، فيشبهه أخواله بنخلة شامخة مختالة رعتها كرائم أرضهم كراعية أزهار الفل والياسمين بجامع الرائحة الطيبة الفواحة في كليهما.

(1) « هَصَرَ الشَّيْءَ يَهْصِرُهُ هَصْرًا: جَبَدَهُ وَأَمَالَهُ وَاهْتَصَرَهُ » لسان العرب: باب الهاء.

(2) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 78.

(3) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 81.

ومن تشبيهات راشد:

هَذِي الْحُرُوفُ رِيَاحِيٌّ قَدْ اعْتَنَقَتْ جَذْلَى تَمِيْسُ وَكَالْأَنْسَامِ تَنْسَكِبُ (1)

يعنون لقصيدة اجتماعية من شعر المناسبات بـ "تحية مهرجان المدينة الثاني" ويشارك مع غيره من الشعراء في هذا المهرجان، فيتأثر بالطبيعة من ورود الرياحين، والنسمة العطرة التي تمر على أشجار الورد، ويشبهه قصائد الشعراء التي ألقيت في المهرجان بالرياحين الفواحة التي تعتق بفرح كل من يسمعها، ويشبهها بالنسمة التي تنسكب بسهولة ويسر، بجامع سهولة الانتشار في كليهما، فيقول:

ومن تشبيهات راشد:

وَالشَّاعِرُ الْفَدُ مَا زَالَتْ فَرَائِدُهُ رَشِيْقَةً وَلَقَدْ جَتَّاحَهَا اللَّهَبُ

تَسْتَقْبِلُ الشَّمْسُ هَامَاتٍ قَدْ امْتَلَأَتْ عَزْمًا وَتَاهَ بِهَا مَنْ كَانَ يَرْتَقِبُ

قَالَتْ: أَمَا زَالَ نَبْضُ الْحَرْفِ يُطْرِبُهُ؟ قُلْتُ الْهَزَارُ (2) كَعَطْرِ اللَّيْلِ يَنْسَرِبُ (3)

وفي القصيدة نفسها "تحية مهرجان المدينة الثاني" يشيد بمن حضر مهرجان المدينة الثاني من الشعراء، فيصور لنا شعر أحدهم بأنه كالقلائد الفريدة الرشيقة المضيئة فتستقبلها الشمس كأنها هامات مملوءة بالعزم، ويتيه بها كل من يراقب هذا المهرجان، ويستعين بكلمة "الهازر" ويستعيرها لصوت الشاعر ثم يشبه صوته بالعطر الذي يتسرب إلى الأنوف ليلا بجامع سهولة الانتشار وصفائه في كليهما، فيقول:

ومن تشبيهات راشد قوله:

أُرُومٌ يَدًا تُطَوِّفُنِي وَصَدْرًا مَلُوءُهُ نَهْمٌ (4)

(1) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 85.
(2) طائر حسن الصوت « المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة: باب الهاء.

(3) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 86.

(4) « بلوغ الهمة في الشيء. ابن سيده: النهْمُ، بِالْتَحْرِيكِ، وَالنَّهْمَةُ: إِفْرَاطُ الشَّهْوَةِ فِي الطَّعَامِ وَأَنْ لَا تَمْتَلِيَّ عَيْنُ الْآكِلِ وَلَا تَشْبَعُ، وَقَدْ نَهَمَ فِي الطَّعَامِ، بِالْكَسْرِ، يَنْهَمُ نَهْمًا إِذَا كَانَ لَا يَشْبَعُ. وَرَجُلٌ

يُقْتَحُ كُلُّ نَافِذَةٍ... زَوَاهَا الصَّمْتُ وَالْقَدَمُ
وَيُطْلَقُ فِي الْمَدَى فَرَحًا كَمَا تَنْدَفِقُ الْحِمَمُ (1)

يعود الشاعر من سفر أو غياب، فينشد بالمناسبة قصيدة بعنوان: "العودة" فيشبهه إطلاق الفرح من الصدر المملوء بالحب فلا يُشبع منه ويتمنى أن يطوقه، بتدفق الحمم من البركان المشتعل، بجامع القوة في كليهما مستعملا في ذلك كلمة نهم التي تعني: الولوع بالشيء وعدم الشبع منه، مستعملا أداة التشبيه الكاف التي هي من أدوات التشبيه: «فالكاف تدل دائما على التشبيه، يليها المشبه به» (2)، فقد شبه شيئا عقليا وهو الفرح بشيء حسي وهو تدفق الحمم الساخنة من البركان، إذ إن: «الأصل في حسن التشبيه: أن يمثل الغائب الخفي الذي لا يعتاد بالظاهر المحسوس المعتاد، فيكون حسن هذا لأجل إيضاح المعنى وبيان المراد، أو يمثل الشيء بما هو أعظم وأحسن وأبلغ منه، فيكون حسن ذلك لأجل الغلو والمبالغة» (3).

4. تشبيه التمثيل:

يُسَمَّى التَّشْبِيهُ تَمَثِيلًا إِذَا كَانَ وَجْهُ الشَّيْءِ فِيهِ صُورَةً مُنْتَزَعَةً مِنْ مُتَعَدِّدٍ، وَغَيْرِ تَمَثِيلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ وَجْهُ الشَّيْءِ كَذَلِكَ (4)

ومن تشبيهات راشد في التشبيه التمثيلي قوله:

فَلَوْتُ عَنَانَ حَنِينِهَا وَمَسَّتْ كَمَا تَمْشِي الْعَرَائِسُ (1)

نَهْمٌ وَنَهْيٌ وَمَنْهُومٌ، وَقِيلَ: الْمَنْهُومُ الرَّغِيبُ الَّذِي يَمْتَلِئُ بَطْنُهُ وَلَا تَنْتَهِي نَفْسُهُ، وَقَدْ نُهِمَ بِكَذَا فَهُوَ مَنْهُومٌ أَيُّ مَوْلَعٌ بِهِ» لسان العرب: فصل النون.

(1) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 13.

(2) علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»، أحمد بن مصطفى المراغي: 232.

(3) سر الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت:

466هـ)، دار الكتب العلمية، ط1، 1402هـ_1982م: 246.

(4) البلاغة الواضحة، علي الجارم و مصطفى أمين، جمعه ورتبه وعلق عليه ونسقه الباحث في

القرآن والسنة علي بن نايف الشحود: 346.

في قصيدة غزل بعنوان "تأتي ولا تأتي" يصف هيئة مشية حبيبتة في التوائها وتغنجها بهيأة مشية العرائس، بجامع الفرح والتبختر لكليهما، وهو من تشبيه التمثيل الذي حكم عليه بأنه أشرف فنون البلاغة، فقد قيل عن التشبيه: «اعلم أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره في فن البلاغة، وأن تعقيب المعاني به - لا سيما قسم التمثيل منه - يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها، مدحا كانت أو ذما أو افتخارا أو غير ذلك» (2)

ومن تشبيهات راشد قوله:

شَرِيسًا تَصُولُ كَأَنَّ فِي بُرْدَيْكَ يَشْتَعِلُ الظَّمَا (3)

في قصيدة يتكلم فيها عن "البوسنا" بعنوان: "كارديتشي" يشبه هيئة صولة قاتلهم بهيأة من يشتعل بين برديه الظمأ، ولكن ظمأه ليس للماء؛ بل لدماء المسلمين، ويؤكد ذلك بأداة التشبيه "كأن" التي قيل فيها: «وكان تفيد التشبيه، إذا كان خبرها جامدا أو مؤولا به، التشبيه بـ"كأن" أبلغ من التشبيه بـ"الكاف"، لما فيه من التوكيد، لتركيبها من: "الكاف" و"أَنَّ"» (4).

ومن تشبيهات راشد قوله:

تَلُكَّ الدِّيَارُ وَمَا يُؤْنِسَنَ سَاكِنُهَا وَمَا يُدَكِّرُنَ أَمَا أَوْ يُسَعِدُنَ أَبَا
إِنْ جِئْتَهَا لَمْ تَكَدْ تَلْقَى مَلَاظِفَةً كَأَنَّ مَنْ كُنْتَ تَهْوَى عَادَ مُغْتَرِبًا (5)

في قصيدة وطنية بعنوان: "تحبير الكلمات"، يشبه هيئة حال الحبيب الذي يسكن ديار العرب ولا يجد فيها الحنان واللفظ المعتاد عند الناس بهيأة حال الغريب المجافي الذي لا يلاطف أحدا بجامع الجفوة في كليهما، مستعملا أداة التشبيه "كأن".

(1) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 27.

(2) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ج 3: 385.

(3) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 35.

(4) علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»، أحمد بن مصطفى المراغي: 232.

(5) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 53.

ومن تشبيهات راشد قوله:

أَيَا نَعْمَةً حَصَّنَتْهَا الشَّعَافُ كَمَنْ غَابَ ثُمَّ إِلَى الْوَكْرِ عَادُ (1)

في قصيدة: غزلية بعنوان: "ركاد"، يشبه هياة محبوبته التي شبهها بالنغمة الشجية وقد دخلت شغاف قلبه وتحصنت به كهياة طير غاب عن وكره ثم عاد إليه ليتحصن به.

ومن تشبيهات راشد قوله:

الْمُوحِيَاتُ اسْتَنَامَتْ فِي مَخَادِعِهَا وَمَا يُحَرِّكُهَا الطُّوفَانُ وَالْعُرْقُ
كَأَنَّهَا طَائِرٌ رَاشَتْ قَوَادِمَهُ هَوَجٌ وَمَا لَاحَ إِصْبَاحٌ وَلَا أُفُقُ (2)

في قصيدة بعنوان: "يسمطر الوهم" يفقد الشاعر دوافعه وموحياته لقول الشعر؛ نتيجة لأزمة يمر بها، فيجسمها للقارئ ويجعلها امرأة نامت في مخدعها، ولا تشعر بشيء مما حولها ولو كان طوفانا أو ماء يغرق الناس، ثم يشبهها بهياة طائر غطيت قوادم شعره ربح هوجاء، فلم يرى نور الصباح ولا إشراق الأفق بجامع انشغال كليهما بما هو فيه من الهم.

ومن تشبيهات راشد قوله:

تَلَقَّاهُ فِي ضِحْكَهٍ تَسْبِيكَ رِقَّتِهَا وَنَظَرَةٍ مِنْ بَنَاتِ الْكَرَمِ تُعْتَصِرُ وَمَشِيَةٍ كَتَّهَادِي
الْمَوْجِ لَوْ حَصَّنَتْ صَخْرًا نَفَجَّرَ مِنْ تَحْنَانِهِ الْحَجْرُ (3)

في قصيدة وطنية بعنوان: "مصر"، يصف ضحكة عاشق هوى مصر بالجندي المقاتل الذي يسبي أعداءه ولكن سلاحها الرقة لا السيف، ونظرته تذهب العقل كأنها خمر عصر من العنب، وهياة مشية فيها رقة وحنان كهياة ورقة وحنان الموج المتهادي حين يحتضن الصخر ويفجر ينباع الحنان بينهما.

ومن تشبيهات راشد:

لَمْ تَبْرَحِ الْأَفَاقُ صُورَتُهَا وَقَدْ نَزَلْتُ عَلَى ظَمَأِ الْقَصِيدِ عَمَامَا
مَدَّتْ بِطُوقِ الْيَاسَمِينِ أَنَامِلًا كَطَرَاوَةِ الشَّلَالِ لَامَسَ جَامَا (1)

(1) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 56.

(2) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 76.

(3) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 79.

في قصيدة غزل بعنوان: "لوزية العينين"، يرسم صورة لفتاة حركت مشاعره لقول القصائد، فنزلت عليها غاما يظلها من حر الشمس، ثم يشبه هيئة مد أناملها بهيأة طراوة ماء الشلال المشهورة به مدينة درنة الليبية عندما يلامس كأساً من فضة الذي عبر عنه بكلمة من الموروث الثقافي وهي "جاما(2)" " بجامع الصفاء والبياض في كليهما. ومن تشبيهات راشد قوله:

هَذَا هُنَّ نِي وَهَبَطْنَ بَيْنَ عَرَائِشٍ وَخَرِيرِ أَمْوَاهِ وَطَيْبِ نَدَامَى
فَكَأَنَّ مَا الْفِرْدُوسِ حَطٌّ عَلَى ثَرَى دَرْنَا وَلَمَّا يَبْرَحِ الْأَكْمَامَا (3)

في نفس قصيدة الغزل السابقة: "لوزية العينين"، تنزل نساء في مدينة درنة الليبية في عرائش حول مياه الشلال، فيصور نزولهن في ذلك المكان وهيأته وما فيه من خضرة وصفاء بهيأة الفردوس الذي لم تخرج زهراته من أكمامها ونزل على ثرى المدينة، بجامع الجمال والخلود في كليهما فرسم صورة للفردوس بكلمة من التراث اللغوي وهي الأكمام(4)؛ ليأسر قلب القارئ.

ومن التشبيهات الجيدة، قول الشاعر راشد:

سَأَلْتُكَ هَلْ عَرَفْتِ فَنَّا... كِ جَلَّ رَأْسُهُ ضَرَمٌ (5)
أَكْبَّ عَلَيْكَ مَلْهُوقًا كَمَنْ لِلرُّكْنِ يَسْتَلِمُ (6)

(1) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 89.

(2) «إناء للشرب والطعام من فضة أو نحوها وهي مؤنثة» المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة،: باب الجيم.

(3) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 90.

(4) الأكمام ما عطى، وكلُّ شجرة تُخْرِجُ مَا هُوَ مُكَمَّمٌ فَهِيَ ذاتُ أكمَامٍ: تاج العروس من جواهر القاموس: باب: ك م م.

(5) «الضَّرْمُ: مَصْدَرٌ ضَرِمَ ضَرَمًا، وَضَرِمَتِ النَّارُ وَتَضَرَّمَتْ وَاضْطَرَمَتْ: اشْتَعَلَتْ وَالتَّهَيَّبَتْ، وَاضْطَرَمَ مَشِيْبُهُ كَمَا قَالُوا اشْتَعَلَ» لسان العرب: فصل الظاء المعجمة.

(6) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 14.

في قصيدة: "العودة"، يسأل مخاطبته هل عرفت فتاها الذي أغلب رأسه كساه الشيب فاستعمل كلمة صرم؛ ليعبر عن شدة الاشتعال، ويستدعي موروثا دينيا ليبين لنا مدى حبه لها، فيشبهه انكبابه على تقيلها بلهفة المشتاق كمن أكب على الركن اليماني في الكعبة المشرفة ليستلمه بجامع اللهفة وشدة الحب لكلا المستلمين.
ومن تشبيهات راشد قوله:

بَكَرَ النَّعْيُ فَمَا مَلَكْتُ صَوَابِي وَتَنَاءَثَرْتُ هِمَمِي عَلَى أَعْتَابِي
قَالُوا: أَبُوكَ تَصْرَمْتَ (1) أَيَّامُهُ وَمَضَى بِعُصْبِهِ إِلَى الْوَهَّابِ
كَالطَّائِرِ الْمَطْعُونِ قُصَّ جَنَاحُهُ وَاعْتَالَ بِسَمْتُهُ هَوَى الْمُعْتَابِ (2)

في قصيدة اجتماعية بعنوان: "الغائبان"، يُنعى للشاعر أبوه، فيفقد صوابه وتتناثر همته، ويكني عن الموت بقوله تصرمت أيامه بمعنى مات وانقطع عن الدنيا إذ إن معنى ويصف حالة أبيه في وقت موته وصفا دقيقا فيستعين بصورة محسوسة ترى بالعين، فيشبه حالته وهيأته عند الموت، بحالة وهياة طائر جريح قد قص جناحه، بجامع الألم والتشتت لكليهما، فيقول:

ومن تشبيهات راشد قوله:

يَسْقُ صَفْحَتَهُ الْمَجْدَافُ مُنْتَدَاً كَأَنَّهُ عَازِفٌ يَعْنُو لَهُ وَتَرٌ (3)

في قصيدة "مصر" أراد وصف نيل مصر فرسم صورة لهياة المجداف الذي تحرك به السفن على صفحة الماء ببطء وعدم إسراع، فشبهه بهياة العازف الذي يطيب له وتر آتته الموسيقية التي يعزف عليها لحنا تطرب له النفس بجامع جمال الصوت في الطرفين، وعدم الإسرا.

(1) « صرم: الصرْمُ: القَطْعُ البَائِنُ، وَعَمَّ بَعْضُهُمْ بِهِ الْقَطْعُ أَيَّ نَوْعٍ كَانَ، صَرَمَهُ يَصْرِمُهُ صَرْمًا

وَصَرْمًا فَانصَرَمَ، وَقَدْ قَالُوا صَرَمَ الْحَبْلُ نَفْسَهُ» لسان العرب: فصل الصاد المهملة.

(2) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 72.

(3) ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي: 78.

الخاتمة:

وهكذا انتهيت من هذا البحث، الذي أتمنى أن أكون قد وفقت فيه لتسليط الضوء على شاعر من شعراء بلادنا الحبيبة ليبيا، ومن خلاله تبين لي:

1. أن الشعراء الليبيين اعتمدوا كغيرهم من الشعراء العرب على التشبيه؛ لرسم صور رائعة بالحروف كما يرسم الفنان صوره بالألوان.

2. اعتمد الشاعر الليبي "راشد الزبير" في تشبيهاته السابقة على:

أ . الطبيعة.

ب . العادات الاجتماعية.

ج . الموروث الديني.

3 . شبه المعقول بالمحسوس.

4 . شبه المحسوس بالمعقول.

5. رسم صورًا واضحةً جليةً؛ ليستمتع بها القارئ في أغراض متعددة من الشعر،

وهي:

أ . الغزل.

ب . الشعر الوطني.

ج . شعر المناسبات.

د . الشعر الاجتماعي.

قائمة المصادر والمراجع

1. أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: 471هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.
2. البديع في شعر المتنبي التشبيه والمجاز، د. منير سلطان، منشأة المعارف الإسكندرية، 1996م.
3. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي (ت: 1391هـ)، مكتبة الآداب، ط17: 1426هـ - 2005م.
4. البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَّكَّة الميداني الدمشقي (ت: 1425هـ)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416 هـ - 199 م.
5. البلاغة الواضحة، علي الجارم و مصطفى أمين، جمعه ورتبه وعلق عليه ونسقه الباحث في القرآن والسنة علي بن نايف الشحود.
6. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزبيدي، (ت: 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
7. تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (ت: 654هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي.
8. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: 1362هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.
9. ديوان الخروج من ثقب الإبرة، المجموعة الشعرية الأولى، راشد الزبير السنوسي،

منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، ليبيا، ط1، 2008م.

10. سر الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت: 466هـ)، دار الكتب العلمية، ط1، 1402هـ_1982م.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالب الملقب بالمؤيد بالله ت: 745هـ)، المكتبة العنصرية - بيروت، ط1، 1423 هـ.
11. علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ).
12. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: 463 هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1401 هـ - 1981 م.
13. الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت: 285هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ط3، 1417 هـ - 1997 م.
14. اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، محمد علي السراج، مراجعة: خير الدين شمسي باشا، دار الفكر - دمشق، ط1، 1403 هـ - 1983 م.
15. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: 711هـ)، دار صادر - بيروت - ط3 - 1414 هـ.
16. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت: 637هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة.

17. مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ - 2001 م.
18. معجم الشعراء الليبيين شعراء صدرت لهم دواوين، عبد الله سالم مليطان، دار مداد للطباعة والنشر والتوزيع والإنتاج الفني، طرابلس ليبيا، ط1، 2008م.
19. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.
20. مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت: 626هـ)، ضبطه وكتبه همامه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط2، 1407 هـ - 1987 م.
21. النقد والبلاغة مطبوع ضمن «موسوعة الحضارة العربية الإسلامية»، شكري محمد عياد (ت: 1420هـ)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1987.
22. نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت: 733هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1423 هـ.

التفكير الإيجابي وعلاقته بالتوافق النفسي

إعداد: د. أحمد على الهادي الحويج

مقدمة :

يتأثر الإنسان طول حياته بالأحداث المحيطة به، ويعيش مواقف وخبراته المختلفة منتقلاً بين الحزن والسعادة، والإقدام والإحجام، والهدوء والغضب، والقناعة والتردد، وتتعاقب وتختلف المشاعر حسب تقدير الفرد لما يحدث حوله، فالإنسان كائن حيوي ديناميكي هدفه من وراء كل العمليات النفسية والسلوكية التي يقوم بها طوال حياته الوصول الى حالة من الإشباع لحاجاته سواءً كانت حاجات مادية أو نفسية وجدانية، والقدرة على التعايش والتفاعل مع المواقف والأنشطة المختلفة في بيئته الإجتماعية وتحقيق أعلى قدر ممكن من درجات الانسجام والرضا والإحساس بقيمة الحياة وجودتها، وكما تقول بهاد 1986 م أن حياة الفرد بأكملها تمثل سلسلة من المحاولات للوصول إلى حالة الاتزان عن طريق خفض التوتر الناشئ عن الحاجة وعن طريق الوصول إلى أهداف وإشباع حاجات شعورية أو لا شعورية⁽¹⁾. وكما يوضح زهران 1980 م فإن سلسلة المحاولات التوافقية والتي يحاول من خلالها الفرد الوصول إلى حالة التوازن والاستقرار النفسي هي عبارة عن عملية موازنة بين الفرد ونفسه من جهة وبينه وبين بيئته من جهة أخرى وأن الفرد المتوافق هو الذي يحقق حاجاته ومتطلباته المادية والنفسية ضمن الإطار الثقافي الذي يعيش فيه، وهو على قدر من المرونة وعلى التشكل ضمن البيئة التي يعيش فيها والمسايمة للمجتمع الذي يعيش فيه وهذه العملية مستمرة باستمرار صدور السلوك وتفاعل الشخص مع بيئته، تزداد وتنقص وتيرتها حسب المثيرات التي يتعرض لها الفرد سواءً داخلية كانت او خارجية الهادف و الغاية منها التغلب على الإحباطات وتحقيق الأهداف وإشباع الدوافع والحاجات بطريقة يقبلها الآخرون ، وتتمشى

¹ - سعدية محمد بهادر 1986م ، في سيكولوجية المراقبة ، الطبعة الرابعة ، الكويت ، دار البحوث العلمية .

والقيم الاجتماعية وتصل بمستوى الصحة النفسية الى اعلى معدلاته⁽¹⁾. ولكي يشعر الشخص بقيمة الحياة وجودتها لابد من أن يتحلى بالإيجابية في سلوكه وتعامله مع الاحداث الحياتية اليومية، ولكن احياناً يقف الفرد عاجزاً عن تحقيق رغباته وتلبية حاجاته نتيجة وقوعه تحت العديد من المؤثرات البيئية والذاتية مما ينعكس ويؤثر على سلوكه وردود أفعاله تجاه العديد من المواقف الأخرى ، فسوء التوافق يعني عيش الفرد في صراع نفسي مستمر، والحياة بطبيعتها بيئة مليئة بالتناقضات والمشاكل والمظاهر والخبرات المحبطة والتي يجب على الفرد ان يتزاولها حتى يقي نفسه الاضطرابات والأمراض النفسية ومظاهر سوء التوافق . وكما يقول معاش 2003م الإنسان بطبيعته كائن عقلائي يتشكل نمط حياته العام تبعاً لنوعية الحركة المعرفية الإدراكية التي يتخذها في موقف معين وحسب أساليبه الاستدلالية والمعرفية التي يستخدمها في هذا الموقف، ولأن تغيير الكثير من الأخطاء التي يعيشها الأفراد وتغيير الواقع المرير الى واقع سليم يعتمد بشكل أساسي على الأسلوب التفكيرى الذي يستخدمونه في هذا التغيير، ولأن مايعيشه هؤلاء الأفراد من واقع سيء هو نتاج عمليات التفكير الخاطيء التي يمارسونها أثناء حياتهم وتراكم هذه الخبرات حتى تصبح بهذا الواقع ، وكان لابد من تغيير أو على الأقل تعديل أساليب وأنماط التفكير التي يستخدمها الفرد لتغيير هذا الواقع² . فأهم الجوانب الإيجابية الداعمة للفرد في حياته هو أسلوب وطريقة تفكيره، وكما يقول بركات 2006 م يعد التفكير عاملاً من العوامل الأساسية في حياة الإنسان فهو يساعد على توجه الحياة وتقدمها ، كما يساعد على حل كثير من المشكلات وتجنب الكثير من الأخطار، وبه يستطيع الإنسان السيطرة على أمور كثيرة وتسييرها لصالحه، فالتفكير في صورته الإيجابية هو إيجاد الأسلوب وطريقة التكيف التي يتمكن من خلالها الشخص الوصول لإشباع حاجاته و تجاوز مشكلاته وخلق الشعور بالرضا عن حياته ،

¹ - حامد عبدالسلام زهران 1980 م، التوجيه والارشاد النفسى، الطبعة الثانية، القاهرة، عالم الكتب.

² - مرتضى معاش 2003م ، ملاحظات منهجية لاستكشاف أفات التفكير

كما أنه يشمل قدرة الفرد على التركيز والانتباه إلى جوانب الحل في كل مشكلة , وأيضاً في القدرات التي يمتلكها الفرد كالمثابرة والقدرة على تحمل المشاق والتوافق النفسي , كما تشمل أيضاً قدرات عقلية ترتبط بأساليب واستراتيجيات متنوعة لحل المشكلات والقدرة على التعلم والإستفادة من المواقف الضاغطة واكتشاف الفرص الإيجابية في كل موقف وتكوين عادات جديدة في حياة الفرد¹. ويشير سيشل وكارلس إلى أن التفكير الإيجابي هو أحد المرادفات للتوجه التفاؤلي في الحياة , وأن التفكير السلبي هو أحد مرادفات للتوجه السلبي, وأن التوجه المتفائل في الحياة يؤدي إلى النجاح وبما يتضمنه من توقعات ايجابية للنجاح وللسعادة والانجاز, أما التوجه السلبي المتشائم فإنه يؤدي الى فقدان الثقة في امكانية مواجهة وتخطي المواقف العادية والصعبة مما يؤدي الى الفشل². ولهذا يعد البحث في طبيعة التفكير الإيجابي داعماً للدراسات النفسية التي تهتم في البحث على مكامن القوة في نفسية الإنسان كالسعادة والطمأنينة والأمل والاستقرار النفسي و الاجتماعي بهدف التغلب على الضغوط التي تؤدي بالإنسان إلى اضطراب صحته النفسية.

مشكلة الدراسة :

الحياة بطبيعتها لاتتيح وتعطي الفرد كل ما يطمناه دائماً, ولكي يستطيع أن يشعر بقيمة حياته عليه ان يقوم بعملية موازنة ما بين متطلباته ورغباته وما توفره له البيئة , وذلك من خلال عملية التوافق النفسي , فعملية الاتزان النفسي الانفعالي تتطلب من الشخص الموازنة ما بين رغباته وحاجاته من جهة وبين بيئته من جهة أخرى , والشخص المتوافق هو الذي يحقق حاجاته ومتطلباته المادية والنفسية ضمن الإطار الثقافي الذي يعيش فيه, وحيث إن عملية التوافق عملية مستمرة باستمرار الحياة والإخفاق فيها يؤدي إلى تدني مستوى الصحة النفسية للشخص فأن الحرص على البحث في مقومات نجاح هذه العملية يعد ذا قيمة علمية وأهمية حياتية , وباعتبار أن التوافق النفسي في صورته الإجرائية هو

¹ - زياد بركات 2006م, التفكير الايجابي والسلبي لدى طلبة الجامعة دراسة ميدانية في ضوء بعض المتغيرات , جامعة القدس ص 18.

² - نقلا عن يوسف سلطان العنزي, اثر التدريب التفكير الإيجابي واستراتيجيات التعميم في علاج التأخر الدراسي لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي في دولة الكويت .79. www.abegs.org/Aportal/Research/PhdDetails?id=79

مجموعة من السلوكيات الهادفة , والتفكير يعد من أهم مقومات المؤثرة فيه فحسن توافق شخص واخفاق شخص اخر سببه اختلاف اساليب التفكير في الحياة والتعامل مع المشكلات وحلها وكل ماكان التفكير إيجابياً كلما أدى الى حل فاعل وناجح للمشكلات , وكلما كان التفكير سلبياً كلما أدى الى التعامل مع هذه المشكلات بأساليب سطحية وخاطئة سواءً كان ذلك بتضخيم هذه المشكلات والمبالغة

في التعامل معها أو بتبسيطها واختزالها واستسهالها واتباع أساليب سلبية في التعامل معها , وبالتالي عدم الوصول إلى حل مناسب لها , وعلى وجه الإجمال فإن التفكير السلبي يرتبط بتدهور المستوى الصحي وازدياد الحالات المرضية والإضطراب النفسي , وغير ذلك حيث تشير الدراسات والبحوث النفسية إلى أن الاضطراب النفسي والعقلي ليس ناشئاً من المواقف الصعبة التي تحيط بالفرد بقدر ما هو ناجم عن حالة اليأس الذي تنتابه اتجاه تلك المواقف والذي يوحي اليه بالعجز والفشل اتجاهها , وهذا مايعبر عنه بالتفكير السلبي للحياة والذي يجعل الفرد ينظر إلى حياته والى الحياة من حوله بمنظار مظلم ويجعله اكثر تعاسة وتشاؤماً في طريقة تفكيره . وباعتبار ان عملية التفكير الإيجابي ذات اهمية وتأثير في حياة الفرد فإن الباحث يحدد مشكلة الدراسة الحالية في الكشف عن العلاقة ما بين التفكير الإيجابي والتوافق النفسي لدى طلبة السنة الثالثة من مرحلة التعليم الثانوي.

الاهداف التالية :-

- التعرف على العلاقة ما بين التفكير الإيجابي والتوافق النفسي لدى طلبة السنة الثالثة من مرحلة التعليم الثانوي .
 - الكشف عن وجود فروق من عدمها ما بين الذكور والإناث في أسلوب التفكير الإيجابي لدى طلبة السنة الثالثة من مرحلة التعليم الثانوي.
 - الكشف عن وجود فروق من عدمها ما بين الذكور والإناث في مستوى التوافق الإيجابي لدى طلبة السنة الثالثة من مرحلة التعليم الثانوي .
- فرضيات الدراسة :**

- هناك علاقة ذات دلالة إحصائية موجبة ما بين التفكير الإيجابي والتوافق النفسي لدى طلبة الثانوية .

- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الذكور والإناث في التفكير الإيجابي وأبعاده .

- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الذكور والإناث في التوافق النفسي وأبعاده .

أهمية البحث:

ويمكن إيجاز أهمية البحث الحالي فيما يلي:

- اهتمامه بالجوانب الإيجابية للسلوك, باعتبار أن الدراسة تبحث في العلاقة ما بين التفكير الإيجابي وعلاقته بعملية مهمة وحيوية في الحياة والتي تدل في أفضل حالتها على إيجابية الشخص في محيطه الاجتماعي وهي عملية التوافق النفسي .

- في حدود ما اطلع عليه الباحث وجود ندرة أو قلة في البحوث والدراسات التي تناولت العلاقة التفكير الإيجابي بالتوافق النفسي الاجتماعي في حدود بيئة الدراسة الحالية .

- من خلال هذه الدراسة يمكننا الوصول إلي التوصيات اللازمة التي تفيد الآباء والأمهات والتربويين والنفسيين والاجتماعيين في التعامل مع أبنائهم وذلك بعد الكشف على أهمية متغيري الباحث سواء كان التفكير الإيجابي او التوافق النفسي وطبيعة العلاقة بينهما .

حدود الدراسة :

وتتمثل حدود الدراسة الحالية في الآتي :

- **حدود مكانية:** وتتضمن الحدود المكانية لهذه الدراسة مجموعة من مدارس التعليم الثانوي بمدينة الخمس.

- **حدود أدائية:** مقياس التفكير الإيجابي , ومقياس التوافق النفسي .

- **الحدود الزمانية :** طبقت هذه الدراسة خلال السنة الميلادية 2017 م

- **حدود بشرية:** وتتضمن مجموعة من طلبة السنة الثالثة من مرحلة التعليم الثانوي

وعددهم 120 طالب .

مصطلحات الدراسة:

-التفكير الإيجابي : عرفته أماني إبراهيم 2005 م بأنه قدرة الفرد الإرادية على تقويم أفكاره ومعتقداته والتحكم فيها وتوجيهها تجاه تحقيق ماتوقعه من النتائج الناجحة وتدعيم حل المشكلات وذلك ومن خلال تكوين انظمة وأساق عقلية منطقية ذات طابع تفاولي تسعى إلى الوصول لحل المشكلة¹.

- التوافق النفسي : عرف زهران 1997 م التوافق النفسي بأنه عملية دينامية مستمرة تتناول السلوك والبيئة الطبيعية والاجتماعية بالتغيير والتعديل حتى يحدث توازن بين الفرد وبيئته وهذا التوازن يتضمن إشباع حاجات الفرد وتحقيق متطلبات البيئة, كما يتضمن التوافق النفسي السعادة مع النفس والرضا عنها وإشباع الدوافع الحاجات الاولية والعضوية والفسولوجية والثانويو والمكتسبة ويتضمن كذلك التوافق لمطالب النمو في مراحلها المتتابعة².

الإطار النظري

-التفكير الإيجابي :

مفهوم التفكير الإيجابي : التفكير هو الأداة الأساسية التي يستخدمها الإنسان في حل مشكلاته على المستوى اليومي البسيط وعلى المستوى المجتمعي العام , فإن كان لهذه الأداة أهمية بالغة , فإنه من الحكمة أن يعمل المرء على فهمها وبحث وسائل تطويرها³. ويعد التفكير عملية مستقلة عن المثيرات الحاضرة أو الموجودة في الموقف بينما العمليات

¹ - أماني سيد ابراهيم 2005م , فاعلية برنامج لتنمية التفكير الإيجابي لدى الطالبات المعرضات للضغوط النفسية , مجلة كلية التربية , ص 24.

² - حامد زهران 1997 م, الصحة النفسية والعلاج النفسي, القاهرة, عالم الكتب, ص 27

³ - هناء العابد 2010م التنشئة الاجتماعية ودورها في تنمية التفكير الأبداعي , رسالة دكتوراه , جامعة الشارقة , ص 5 .

العقلية الأخرى جميعها تعمل عن طريق الإثارة الحسية المرتبطة بالمشيرات الخارجية، والتفكير سلسلة متتابعة محددة لمفاهيم رمزية تثيرها مشكلة معينة تحتاج إلى حل من نوع محدد وأن يعي الفرد لحل المشكلة هو مؤشر ودلالة على وجود التفكير وأهميته لمواجهة هذه المشكلة ، فالتفكير يتضمن معالجة داخلية لعناصر الموقف من جهة ومن جهة أخرى يقوم على تجهيز الفرد للمثيرات الداخلية لديه ، إذ لا تتوفر في الموقف الإدراكي الراهن، وبذلك فإن التفكير يعتمد على عمليتين ذهنتين هما ، الاستقراء والاستنباط أو الاستنتاج ، والتي يتميز بها الإنسان عن غيره من الكائنات الحية ، على أنه لا تتميز عملية التفكير بأنها إنسانية فحسب وإنما هي عملية تتطلب تنميتها وإكتسابها جهوداً متميزة من أطراف عدة¹ .

تعريف التفكير الإيجابي : تعددت التعاريف لمفهوم التفكير وذلك مثل العديد من المصطلحات في الدراسات الإنسانية ويمكن أن نذكر من هذه التعريفات أن التفكير بمفهومه العام هو عبارة عن سلسلة من النشاطات العقلية التي يقوم به الدماغ عندما يتعرض لمثير يتم استقباله عن طريق واحدة من الحواس بحثاً عن معنى في الموقف أو الخبرة² . ويتكون مصطلح التفكير الإيجابي من مفهومين هما التفكير و الإيجابي نسبة إلى الإيجابية وهي المحافظة على التوازن السليم في إدراك مختلف المشكلات، وهي أسلوب متكامل في الحياة يقوم بالتركيز على الإيجابيات في أي موقف بدلاً من التركيز على السلبيات وحسن الظن والثقة بالذات وحسن الظن بالآخرين وتبني الأسلوب الأمثل في الحياة³ . ويعرف عبد الستار إبراهيم 2008م الإيجابيين من الناس بأنهم من يتصفون بالسعادة لما يتبنون من تلك الأفكار العقلانية التي تهديهم في توجهاتهم

¹ - محمود غانم 1995 م، التفكير عند الاطفال : تطوره وطرق تعليمه ، ط1 ، عمان ، دار الفكر، ص 12.

² - سناء سليمان 2011م التفكير اساسياته وأنواعه، القاهرة، عالم الكتب، ص 33.

³ - يورك برس 2005 م ، التفكير الإيجابي ضمن سلسلة مهارات الحياة المثلى ، ط1 ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ص 6 .

الشخصية والسلوكية والاجتماعية مثل بعض المعتقدات الفكرية والسلوكية التي تعين الفرد على مواجهة الصعاب وليس الهروب¹ .

ويرى حجازي 2006م أن التفكير الإيجابي هو نواة الاقتدار المعرفي وفاعلية التعامل مع المشكلات الحياة وتحدياتها والتغلب على محنها وشدائدها , كما انه ليس مجرد وسيلة او مقاربة منهجية , بل هو توجه يعبئ الطاقات ويستخرج الإمكانيات الحاضرة منها والكامنة من أجل العمل , ويشكل العلاج الناجح للحفاظ على المعنويات وحسن الحال النفسي² .

وقد عرف سعيد عبد الرقيب 2008م التفكير الإيجابي على أنه استخدام قدرة عقلك الباطن (عقلك اللاواعي) للتأثير على حياتك العامة بطريقة تساعدك على بلوغ آمالك , وتحقيق أحلامك أو هو قدرتنا الفطرية للوصول إلى نتائج أفضل عبر أفكار إيجابية³ . وفي مقابل الأفكار الإيجابية التي تحقق لأصحابها النجاح والرضا من المنطقي أن توجد أيضاً أساليب ومعتقدات واتجاهات ذهنية مناقضة للتفكير الإيجابي والتي تسهم بعكس التفكير الإيجابي في إثارة الفوضى والاضطراب النفسي وسوء التوافق , أي أن التعامل مع المفاهيم والاستجابة لمختلف المواقف التي تواجهنا يمكن معالجتها والتفكير فيها إما بطرق سلبية تزيد من صعوبتها وتضفي على الفرد الشعور بالتعاسة أو في المقابل سيجد الفرد البدائل الإيجابية التي تساعده في القيام بالسلوكيات السوية⁴ . حيث تنمو السعادة بممارسة الأفكار السعيدة والسارة وإن سبب الشعور بالتعاسة والحزن هو ما يصنعه الفرد بنفسه بأن

¹ - عبد الستار إبراهيم 2008م , عين العقل دليل المعالج المعرفي لتنمية التفكير العقلاني الإيجابي , القاهرة , دار الكاتب , ص 101.

² - مصطفى حجازي 2006م , الانسان المهدور - دراسة تحليلية نفسية اجتماعية , الدار البيضاء , المركز الثقافي العربي 329.

³ - سعيد بن صالح الرقيب 2008م , أسس التفكير الإيجابي وتطبيقاته تجاه الذات والمجتمع في ضوء السنة النبوية" , منشورات المؤتمر الدولي عن تنمية المجتمع: تحديات وآفاق في الجامعة الإسلامية بماليزيا , ص 36.

⁴ - عبد الستار إبراهيم 2008م , مرجع سابق , ص 116

يتترك الأفكار السلبية تتسرب إلى عقله وأيضًا إلى طريقة التفكير تجاه المواقف و تجاه الآخرين، وبذلك يصبح إحساس الفرد مجالًا خصبًا للقلق والخوف.

أهمية التفكير الإيجابي:

لا يمكن تصور الحياة الإنسانية على الأرض وتصور ما أنجزه الإنسان فيها بدون تفكير، فكل صور الحضارة

التي نعيشها أو نشاهدها من نتاجه ، وبنظرة سريعة لحياة الحيوان وحياة الإنسان توضح لنا فضل التفكير على الإنسان وكيف أن بسببه استطاع الإنسان أن يصنع هذه الحياة وأن يطور فيها¹ .

والتفكير الإيجابي هو التفاوض بكل ماتحمله هذه الكلمة من معنى، النظر إلى الجميل في كل شيء، وللتفكير الإيجابي أثر فعال وقوي في أنفسنا وأمور حياتنا اليومية والمستقبلية لذلك تتبع أهمية التفكير الإيجابي من بثه التفاوض في النفوس، فكلما زادت مرونة الانسان في التفكير كلما صار من السهل عليه تجاوز لحظات الفشل والتعامل معها على انها خبرات يتعلم ويستفيد منها ، ويمثل التفكير الإيجابي توقع النجاح في القدرة على معالجة المشكلات باستخدام قناعات عقلية ببناء واستخدام استراتيجيات القيادة الذاتية للتفكير ولتدعيم ثقة الفرد في النجاح من خلال تكوين أنظمة وأنساق عقلية منطقية ذات طابع تفاؤلي² . ومن أهم فوائد التفكير الإيجابي:

- أنه الباعث على الاستنباط الأفضل وهو سر الأداء العالي، ويعزز بيئة العمل بالانفتاح والصدق والثقة .

¹ - علاء كفاقي 2000م ، لماذا وكيف نعلم ابنائنا التفكير النقدي ، ورقة مقدمة إلى مؤتمر التعليم وتنمية التفكير ، القاهرة ، ص 37 .

² -اماني سالم 2006م، فاعلية برنامج لتنمية التفكير الإيجابي لدى الطالبات المعرضات للضغط النفسي في ضوء نموذج معرفي، مجلة كلية التربية بالاسماعلية، العدد 4 ص 105- 169 .

- إعداد الانسان إعداداً صالحاً لمواجهة ظروف الحياة العملية التي تتشابك فيها المصالح وتزداد المطالب ليتاح له المجال للاكتساب المهارات التي تجعله قادراً على التفكير بحلول للمشكلات التي تطرأ على حياته¹.

- يبحث التفكير الإيجابي عن القيمة والفائدة وهو تفكير بناء وتصدر منه المقترحات الملموسة والعملية ، وحيث يجعل الأشياء تعمل ، وهدفه هو الفعالية والبناء و أن التغيير الإيجابي البناء الذي يجريه الفرد داخل نفسه سوف يكون له الأثر النافع في شخصيته وفي كافة نشاطاته² .

إن العقل يمتلك فكرة واحدة في أي وقت فإذا أدخلنا في عقولنا فكرة إيجابية أخرجت الفكرة السلبية التي تقابلها ، إن العقل لا يقبل الفراغ فإذا لم نملأه بالأفكار الإيجابية فسوف تملأه الأفكار السلبية "، وإن هذه الإيجابيات في عقولنا ومشاعرنا تصنع في حياتنا : الإيجابية ، والتفاؤل والطاقة ، والقدرة على الدفاع عن النفس وعندما نفكر بطريقة إيجابية تنجذب إلينا المواقف الإيجابية، والعكس يحدث عندما نفكر بطريقة سلبية فإننا نجذب إلينا المواقف السلبية ، وينبغي عدم الإفراط في أن التفكير الإيجابي بمفرده لتغيير الحياة إلى الأفضل فإنه من الضروري أن يكون لدى الإنسان بعض الاستراتيجيات وبعض الخطط التدريجية لتغيير الطريقة التي يفكر بها، والتي يشعر بها ، وأيضاً لتغيير ما يفعله في كل يوم يمر عليه ، فالتفكير الإيجابي هو عملية وإجراء وليس غاية في حد ذاته³.

خصائص المفكرين إيجابياً :

يتميز الأفراد الذين يستعملون التفكير الإيجابي بعدد من الخصائص على المستوى العقلي والنفسي والاجتماعي ، مما يجعلهم أكثر تكيفاً مع انفسهم ومشاعرهم ومن هذه الخصائص مايلي :

¹ - معيوف السبيع 2010م ، تعليم التفكير في مناهج التربية الاسلامية ، دار البازوري ، عمان ، ص 48

² - ادوار ديبونوا 2001م ، تعليم التفكير ، دار الرضا ، دمشق ، ص 183 .

³ - سعيد بن صالح الرقيب 2008م ، مرجع سابق ، ص 42.

- 1- يبحثون عن الأفكار قبل حصول الأحداث, ويقدرّون الحياة ويرفضون الهزيمة.
- 2- لديهم الميل والقوة لتحقيق ذواتهم وتحسين صورهم.
- 3- يبحثون عن التغيير من حالة التفكير السلبي الى الاداء الكامل بطريقة التفكير الإيجابي ولديهم رغبة جادة في التغيير.
- 4- لديهم استخدام لإستراتيجية التحدث الذاتي تمكن أصحابها من زيادة مراقبة وتقويم الافكار الداخلية والقناعات الموجهة لتوقعات الفرد للنجاح في حل المشكلات.
- 6- ينشغلون بحورات داخلية تساعدهم في توجيه مشاعرهم واتجاهاتهم ودائماً ما يكون مضمونها إيجابياً ودافعا نحو المحاولة والنجاح.
- 7- لديهم زيادة في قدرة على الإدارة الذاتية للتفكير في وجهات ايجابية وليصبح اكثر تحكماً بطريقة ارادية في عمليات التفكير واتجاهاتها¹.

كما أن من سماتهم الشخصية بالإضافة إلى النقاط السابقة تتميز بالآتي:

- ذو لغة ومفردات تتمتع بالمرونة .
 - قادر على الحوار المثمر والمفيد .
 - ذو فكر مستتير وقادر على إبداء الرأي.
 - قادر على إعطاء تصوير طبيعي وواقعي عن ذاته أمام الآخرين².
- وتتعدد مظاهر التفكير وتعدد صورها, ويمكن ان نصف كل سلوك إيجابي يصدر من الشخص انها دلالة على فكرة إيجابية اوجدته, ويمكن ذكر مجموعة من العمليات العقلية الوجدانية و المظاهر السلوكية التي تشكل في مجملها واجتماعها نمط للتفكير الايجابي وهي :

التفاؤل: وهو عبارة عن حالة وجدانية لدى الفرد تتمثل في توقعه للخير والأمل لمجريات الأحداث الحالية والمستقبلية وتوقعات ايجابية بتحقيق مكاسب في مختلف جوانب الحياة ،

¹ - يوسف سلطان العنزي, اثر التدريب التفكير الإيجابي واستراتيجيات التعميم في علاج التأخر الدراسي لدى تلاميذ الابتدائي في الكويت , ص 7 .

² - زياد بركات 2006 , مرجع سابق , ص 10 .

ويعتبار ان النقيض لحل التفاوض هو التشاؤم فمن الطبيعي ان يكون التفاوض حالة ايجابية ومؤشر للتفكير الايجابي .

الضبط الانفعالي : إذا كان الغضب والتوتر والعدوانية وتدبب المشاعر والتخوف كلها من المظاهر السلبية للإنفعال , فإن قدرة الفرد التخلص من هذه المظاهر وقدرته على ضبط انفعالاته والسيطرة على ردود أفعاله مؤشر حسن ودلالة على التفكير الإيجابي, والضبط الانفعالي هو مهارات في توجيه انتباهه وذاكراته وقدراته على التخيل في اتجاهات سليمة ومفيدة تتلاءم مع متطلبات الصحة النفسية وتنمية رصيده المعرفي الملائم لعمليات التوافق النفسي والاجتماعي .

الرضا عن الحياة: وهو تقبل الفرد لذاته و أساليب الحياة التي يحيها في المجال الحيوي المحيط به ويكون متوافقاً مع نفسه ومع المحيطين به ويشعر بقيمته وقادراً على التكيف مع المشكلات التي تواجهه , والتي تؤثر على سعادته وقانعاً بحياته ومافيه .

تحمل المسؤولية : عملية تحمل المسؤولية تحتاج الي قدرة على إدارة الأمور وتحمل نتائج الأفعال المختلفة سواء كانت مسؤوليات شخصية أو مسؤوليات اجتماعية, ومما لاشك فيه أن إدارة الأمور بصورة حسنة هو في جوهره نتاج تفكير إيجابي , الإيجابيون من الناس لا يتحججون بقلّة الوقت ولا يلقون الأعذار على غيرهم، ولديهم من الشجاعة ما يجيز لهم أن يتحملوا مسؤوليتهم بلا تردد ، وبالتالي فمثل هؤلاء، هم النماذج الجميلة التي تتجح وتساعد الآخرين على النجاح، وتحقق الفوز لنفسها ولمن حولها.

حب المخاطرة : هو المعنى المرادف لمفهوم المغامرة وحب التجربة والاستطلاع والرغبة في إكتشاف المجهول وتقبل الغموض والمجازفة المحسوبة والنقيض للتفكير النمطي والسلوك الانسحابي , بمعنى أن حب المحاولة وإثبات الذات من المظاهر التي يتحلى بها أصحاب السلوك الإيجابي , فالإيجابيون يتسمون بقدرات أعلى من حيث حب الاستطلاع والرغبة في اكتشاف المجهول و تقبل الغموض، ومن ثم يكونوا أكثر قدرة على اتخاذ القرارات الإيجابية الفعالة والإقدام على المجازفة المحسوبة.

- التوافق النفسي

الإنسان له حاجات ومتطلبات كثيرة يقضي معظم وقته وطاقاته محاولاً إشباعها ولا تقتصر هذه المتطلبات على الحاجات الجسدية كالجوع والعطش وغيرها بل هناك حاجات نفسية أيضاً تحتاج للإشباع؛ لكي يحافظ الفرد على التوازن بين مطالبه وبيئته الاجتماعية ، ويعتبر التوافق المحصلة النهائية لتفاعل الفرد مع بيئته وتحقيق حالة التوازن بين إشباعه لحاجاته ومراعاة الضوابط الاجتماعية ، ولقد اهتم علماء النفس على اختلاف اتجاهاتهم بموضوع التوافق والكثير منهم فسروه على أنه حجر الأساس في حياة الفرد وصحته النفسية بل يرجعه الأكثر بأنه الصحة النفسية بعينها ، فهو الهدف الرئيسي لجميع فروع علم النفس بصورة عامة ومن أهم أهداف العملية الإرشادية والعلاج النفسي، ويرتب في أوائل أهداف الإرشاد النفسي .

معنى التوافق النفسي :

التوافق مصطلح مركب وغامض إلى حد كبير ذلك أنه يرتبط بالتصور النظري للطبيعة الإنسانية ، وهناك اختلاف بين تعريفاته وهي راجعة إلى طبيعة عملية التوافق المعقدة وإلى الإطار النظري والفلسفي الذي ينطلق منه الباحثون ، وهناك ثلاثة اتجاهات عند تعريف التوافق وهي :

1. الميل إلى التوازن وأن عملية التوافق هي عملية موازنة بين الفرد ونفسه من جهة ، وبينه وبين بيئته من جهة أخرى ، وأن الفرد المتوافق هو الذي يحقق حاجاته ومتطلباته المادية والنفسية ضمن الإطار الثقافي الذي يعيش فيه ، وهو على قدر من المرونة وعلى التشكل ضمن البيئة التي يعيش فيها، وهناك من يرى بأن هناك أموراً تلازم التوافق الجيد مثل السعادة النفسية ، لذا يعرف التوافق بأنه تحقيق السعادة مع النفس والرضا عنها وإشباع الدوافع والحاجات الأولية الفطرية والعضوية والفيولوجية والثانوية والمكتسبة ، ويعبر عن سلم داخلي حيث يقل الصراع ويتضمن كذلك التوافق لمطالب النمو في مراحل المتابعة .

2. الميل إلى أن عملية التوافق تكمن في مسايرة المجتمع بما فيه من معايير وأعراف وتقاليده وعدم الخروج عليها أو الاصطدام معها ، لذا فإن الباحثون السلوكيون الذين هم من أنصار هذا الاتجاه يرون بأن العمليات التوافقية متعلمة وأن الأفراد متى ابتعدوا عن المجتمع واصبحوا أقل اهتماماً بالتلميحات الاجتماعية فإن سلوكياتهم تأخذ شكلاً شاذاً غير متوافق¹.

3. أن عملية التوافق ذاتية الصبغة وان الفرد المتوافق هو الذي يخلو من الصراعات الداخلية الشعورية واللاشعورية ويتحلى بقدر من المرونة ويستجيب للمؤثرات الجديدة بأستجابات ملائمة وانه مشبع لحاجاته الداخلية الأولية والثانوية المكتسبة وأنه متوافق مع مطالب النمو عبر مراحل العمر المختلفة وهذا يعكس بالطبع على بيئته التي يعيش فيها ، لذا فإن الباحثون الذين يميلون إلى هذا الاتجاه التحليليون يرون أن الشخص المتوافق هو الشخص صاحب الأنا الفعال الذي يسيطر على كل من الهو والأنا الأعلى ويستطيع أن يوازن بين متطلبات الهو وتحذيرات الأنا الأعلى وبالتالي يستطيع الفرد أن يقوم بعملياته العقلية النفسية والاجتماعية على خير وجه².

ابعاد التوافق :

تعددت أبعاد التوافق لما لها من أهمية في تحقيق إشباع وطموحات الفرد ، وتحقيق الشعور بالسعادة ، ومن هذه الأبعاد مايلي :

التوافق الشخصي الانفعالي : ويتضمن السعادة مع النفس والرضا عنها وإشباع الدوافع والحاجات الداخلية الأولية والفطرية والثانوية ويعبر عن سلم داخلي حيث يقل الصراع الداخلي ويتضمن كذلك التوافق لمطالب النمو في مراحل المتابعة³.

التوافق الإجتماعي : ويتضمن السعادة مع الآخرين والالتزام بأخلاقيات المجتمع ومسايرة المعايير الاجتماعية والإمتثال لقواعد الضبط الاجتماعي وتقبل التغيير الاجتماعي

¹ - حامد زهران، 1980م مرجع السابق.

² - مدحت عبداللطيف 1993 م، الصحة النفسية والتفوق الدراسي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

³ - حسيب عبد المنعم عبدالله، مقدمة في الصحة النفسية، ط1 الاسكندرية 2006م ص 21.

والتفاعل الاجتماعي السليم والعمل لخير الجماعة والسعادة الزوجية مما يؤدي إلى تحقيق الصحة الاجتماعية .

التوافق الصحي (الجسمي) : وهو تمتع الفرد بصحة جيدة خالية من الأمراض الجسمية والعقلية والانفعالية مع تقبله لمظهره الخارجي والرضا عنه وخلوه من المشاكل العضوية المختلفة , والشعور بالارتياح النفسي اتجاه قدراته وإمكاناته وميله إلى النشاط والحيوية معظم الوقت وقدرته على الحركة والالتزان وسلامة التركيز في العمل المناسب والنشاط والعمل دون إجهاد او ضعف لهتمته ونشاطه .

التوافق الاسري : هو تمتع الفرد بحياة سعيدة داخل أسرة تقدره وتحبه وعلى شعوره بدوره الحيوي داخل الأسرة والتعاون بينه وبين أفراد الأسرة ومدى قدرة الأسرة على توفير الامكانيات الضرورية¹.

العوامل المؤثرة على التوافق النفسي :

من أهم عوامل تحقيق التوافق توفر مطالب النمو النفسي السوي في جميع مراحلها وبكافة مظاهره جسماً وعقلياً وانفعالياً واجتماعياً، ومطالب النمو هي الأشياء التي يتطلبها النمو النفسي للفرد والتي يجب أن يتعلمها حتى يصبح سعيداً وناجحاً في حياته، ويؤدي تحقيق مطالب النمو إلى سعادة الفرد، في حين يؤدي عدم تحقيق مطالب النمو إلى شقاء الفرد وفشله وصعوبة تحقيق مطالب النمو الأخرى في المرحلة نفسها والمراحل التالية أهم مطالب النمو خلال المراحل المتتابعة :

1- نمو استغلال الإمكانيات الجسمية إلى أقصى حد ممكن ، وتحقيق الصحة الجسمية وتكوين عادات سليمة في الغذاء والنمو وتعلم المهارات الجسمية والضرورية للنمو السليم وحسن المظهر الجسدي العام.

¹ - سلطان عائض العصيمي 2010م , ادمان الإنترنت وعلاقته بالتوافق النفسي الاجتماعي لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة الرياض , رسالة ماجستير , جامعة نايف للعلوم الامنية .

2- النمو العقلي المعرفي واستغلال الإمكانيات المادية إلى أقصى الحدود الممكنة ، وتحصيل أكبر قدر ممكن من المعرفة والثقافة العامة وعادات التفكير الواضح ونمو اللغة وسلامة التعبير عن النفس وتنمية الابتكار.

3- النمو الاجتماعي المتوافق إلى أقصى حد مستطاع، وتقبل الواقع وتكوين قيم سليمة والتقدم المستمر نحو السلوك الأكثر نضجا، الاتصال والتفاعل السليم في حدود البيئة وتنمية المهارات الاجتماعية التي تحقق التوافق الاجتماعي وتحقيق النمو الأخلاقي والديني القويم.

4-النمو الانفعالي إلى أقصى درجة ممكنة، وتحقيق الصحة النفسية بكافة الوسائل وإشباع الدوافع الجنسية والوالدية والميل إلى الاجتماع وتحقيق الدافع للتحصيل والنبوغ والتفوق وإشباع الحاجات مثل الحاجة إلى الأمن والانتماء والمكانة والتقدير والحب والمحبة والتوافق والمعرفة وتنمية القدرات والنجاح والدفاع عن النفس والضبط والتوجيه والحرية¹.

وبالرغم من ضرورة تحقيق مطالب النمو فإن هناك العديد من العوامل تؤدي إلى إعاقتها وإحداث سوء التوافق فالفرد يسوء تواقفه ويسلك سلوكاً غير متوافق عندما يعجز عن التوافق وحل مشكلاته بطرق واقعية أو بحيل دفاعية معتدلة، إذ إنه عندما لا يستطيع أن يحتفظ بتوازنه النفسي فإنه يتخذ أساليب سلوكية شاذة لحل أزماته النفسية ، إلا أن الأزمات النفسية وحدها لا تكفي لتفسير عدم القدرة على التوافق بل لابد من النظر إلى شخصية الفرد ككل وإلى ماضيه ووراثته وتربيته وما يتعرض له من إحباطات وصددمات بالإضافة إلى معرفة اتجاهاته وعاداته مما يعني أن عوامل سوء التوافق متعددة وهي تضم:

عوامل نفسية : بالرغم من أن التوافق سمة أو خاصية نفسية ، فإن ذلك لا يعني عدم تأثرها بالمتغيرات النفسية الأخرى ، إذ أن هناك عوامل نفسية كثيرة يمكن أن تساعد على

¹ - حامد زهران 1997 م، الصحة النفسية والعلاج النفسي، القاهرة، عالم الكتب.

التوافق الحسن أو تزيد من حدة سوء التوافق ، فالاضطرابات النفسية عوامل ومظاهر لسوء التوافق كما تعتبر عوامل مساعدة على إحداثه ومنها على سبيل المثال لا الحصر :
- الانفعالات الشديدة والغير مناسبة للمواقف حيث يكون لهذه الانفعالات الغير متوازنة أثرها السيء من الناحية

الجسمية والنفسية والاجتماعية .

- عدم فهم المرء لذاته أو التقدير السالب للذات وضعف مشاعر الكفاية يمكن أن تكون سبباً لسوء التوافق كما يمكن أن تعوق قدرة الفرد على تحديد أهداف مناسبة مما يعني الفشل في تحقيق هذه الأهداف وهذا ما يمكن أن يضاعف من سوء التوافق النفسي والاجتماعي والتعرض لمزيد من الاضطرابات .

- صراع الأدوار إذ يلعب الفرد أدواراً متعددة تبعاً لما يتوقعه المجتمع وقد يلعب دورين متصارعين في آن واحد مما يؤدي إلى سوء التوافق إذ لم يستطيع الموازنة بين هذه الأدوار ويحقق الانسجام بينهما .

- الاضطرابات النفسية بكافة أنواعها حيث سوء التوافق مظهراً من مظاهرها .
عوامل وراثية وجسمية : للوراثة أثرها في سلوك الفرد فإذا كانت الوراثة سليمة وكذلك التربية والبيئة فإننا نتوقع أن يكون الفرد حسن التوافق ، إلا أن بعض الاضطرابات الوراثية والتي يمكن أن ترتبط ببعض الإعاقات العقلية أو الجسمية تكون سبباً لسوء التوافق ، وقد تكون العاهة نتيجة أسباب خارجية عن إرادة الفرد ومع ذلك فإنه في كلتا الحالتين سواء كان السبب وراثياً أو بيئياً فإن النقص الجسمي والعاهات قد تؤدي إلى سوء التوافق ، وتتفاوت العاهات في تأثيرها على مدى التوافق لدى الفرد حسب جسامتها وكذلك بناءً على نظرة المجتمع فكلما كانت العاهة كبيرة كلما قل التوافق وكلما ساءت نظرة المجتمع أي النبذ والإهمال والإحتقار وكذلك العطف الزائد إلى شعور الفرد بأنه عاجز وعالة فإن ذلك يزيد من سوء توافقه .

عوامل بيئية واجتماعية : للفرد حاجات لابد من إشباعها ليكون متوافقاً إلا أن إشباعها لابد أن يكون بصورة اجتماعية ، ولا شك في أن الظروف الاجتماعية والأسرية السيئة

كالنفك الأسري والظروف الاقتصادية السيئة والتغيرات السريعة تمثل عوامل لسوء التوافق¹.

نستنتج مما سبق أن (التوافق) يعني التغلب على الإحباطات وتحقيق الأهداف وإشباع الدوافع والحاجات بطريقة يقبلها الآخرون وتقبلها القيم الاجتماعية من جانب ، وتحقيق الانسجام والتوافق بين الدوافع والحاجات وانعدام الصراع النفسي من جانب آخر ، فإذا تحقق ذلك أصبح الفرد متوافقاً توافقاً حسناً .

وتعتمد طبيعية التوافق على ثلاثة عناصر تشمل الفرد ويقصد به التركيب النفسي للشخص ، والحاجات والآخرون الذين يشاركونه الموقف ولا بد من تحقيق الانسجام بين هذه العناصر ليتم التوافق بمعنى أن تتحقق أهدافه وتتبع حاجاته بطريقة مقبولة اجتماعياً فيحدث الاستقرار النفسي ويتم التوافق النفسي وكذلك الاجتماعي في حين إن (سوء التوافق) يعني عجز الفرد عن تحقيق دوافعه وإشباع حاجاته نظراً لضغوط اجتماعية أو عجز عن التنسيق بين هذه الدوافع أو تم إشباعها بشكل يتنافى مع القيم الاجتماعية ولا يرضى من حوله لذلك فإن الفرد يتعرض لاضطرابات نفسية . كما إن لسوء التوافق مظاهر متعددة ومختلفة فقد يظهر سوء التوافق في شكل مشكلات سلوكية كالسرقة والهروب وغيرها أو ما يتعرض المراهقين من مشكلات كالتنمر والإنطواء وقد يشتد ويصبح أكثر خطورة إذا ما وصل إلى درجة الأمراض النفسية والانحرافات المهنية والاضطرابات العقلية .

الدراسات السابقة

حاول الباحث الاطلاع على ما أمكن من الدراسات السابقة التي تناولت البحث في متغير التفكير الإيجابي ومتغير التوافق النفسي وهما متغيري الدراسة الحالية وذلك من أجل الاستفادة منها ومن نتائجها في دراسته وفي صياغة فروض الدراسة الحالية وقد رتب الدراسات التي حصل عليها الباحث تصاعدياً على النحو الآتي :-

¹ - سعد جلال 1985م ، الطفولة والمراهقة ، القاهرة ، دار الفكر العربي .

– الدراسات التي تناولت بالبحث متغير التفكير الإيجابي :

أجرى زياد بركات غانم 2006م دراسة بهدف التعرف على مستوى التفكير الإيجابي والسلبي لدى طلبة الجامعة في ضوء بعض المتغيرات الديموجرافية والتربوية وتكونت عينة الدراسة من 200 طالب وطالبة في جامعة القدس المفتوحة ، وتكونت الأدوات من مقياس التفكير الإيجابي والسلبي لدى طلبة الجامعة وقد أظهرت النتائج أن حوالي 45% من أفراد الدراسة قد أظهروا نمطا من التفكير الإيجابي منهم 40% من الذكور و59% من الإناث مع فروق دالة بين الطلاب في التفكير الإيجابي ترجع إلى بعض المتغيرات مثل التحصيل الدراسي والمستوى الاجتماعي الاقتصادي¹.

وقام علي القرشي 2012م بدراسة هدف من خلالها قياس مستوى التفكير الإيجابي لدى طلبة الجامعة وعلاقته ببعض المتغيرات وتكونت عينة الدراسة من 120 طالب وطالبة وقد بينت نتائج الدراسة ان افراد العينة يتحلون بمعدل فوق المتوسط من التفكير الإيجابي , كما بينت النتائج بانه لاتوجد فروق مابين الذكور والإناث في مستوى التفكير الإيجابي².

كما أجرت عفراء إبراهيم خليل العبيدي 2013م دراسة والتي استهدفت التعرف على طبيعة التفكير الإيجابي و السلبي لدى طلبة الجامعة وعلاقته بالتوافق الدراسي لدى طلبة الجامعة , وتكونت عينة الدراسة من 200 طالب , وتمثلت نتائج الدراسة في أن الطلبة يتمتعون بمستوى عالي من التفكير الإيجابي وأيضاً من التوافق الدراسي , كما انه لا توجد فروق مابين الذكور والإناث في مستوى التفكير الإيجابي والتوافق الدراسي , كما بينت

¹ – زياد بركات 2006م, التفكير الإيجابي والسلبي لدى طلبة الجامعة, دراسة ميدانية في ضوء بعض المتغيرات, جامعة القدس المفتوحة

² – ازهار محمد السياب, 2016م , التفكير وعلاقته بتنظيم الذات لدى طلبة التعليم الجامعي , مجلة الأستاذ , المجلد الثاني , العدد 219.

الدراسة من خلال نتائجها وجود علاقة ايجابية دالة احصائياً ما بين التفكير الإيجابي والتوافق الدراسي¹ .

كما قامت أزهار محمد السباب 2016م بالبحث هدفت من خلالها التعرف على مستوى التفكير الإيجابي والسلبي وعلاقته بتنظيم الذات لدى طلبة التعليم الجامعي , وتكونت عينة الدراسة من 100 طالب وطالبة , وتوصلت النتائج الي افراد العينة يمتلكون تفكيراً ايجابياً وتنظيماً ذاتياً وان هناك علاقة بين التفكير الايجابي والتنظيم الذاتي² .

- الدراسات التي تناولت بالبحث متغير التوافق النفسي :

دراسة عسيري 2004م , والتي تبحث في علاقة تشكيل هوية الأنا وعلاقته بكل من مفهوم الذات والتوافق النفسي والاجتماعي العام , وتكونت عينة الدراسة من 146 طلاب المرحلة الثانوية , وأظهرت نتائج الدراسة بأنه يوجد علاقة ارتباطية بين تحقيق الهوية الاجتماعية وأبعاد التوافق النفسي والاجتماعي³ .

وأيضاً دراسة حسينة بن ستي 2013م , والتي هدفت إلى الكشف عن العلاقة بين التوافق النفسي والدافعية للتعلم لدى طلاب المرحلة الثانوية, وقد تكونت عينة الدراسة من 200 طالب , وقد توصلت الدراسة من خلال نتائجها الى وجود علاقة دالة احصائياً ما بين التوافق النفسي والدافعية للتعلم لدى عينة الدراسة , كما انه لا توجد اي فروق في التوافق النفسي ما بين جنسي العينة الذكور والإناث⁴ .

¹ - دراسة عفراء إبراهيم خليل العبيدي, 2013م, التفكير الإيجابي-السلبي وعلاقته بالتوافق الدراسي لدى طلبة جامعة بغداد , المجلة العربية للتطوير والتفوق , العدد7 .

² - علي تركي القرشي , 2012م , التفكير الإيجابي وعلاقته ببعض المتغيرات لدى طلبة الجامعة , مجلة القادسية للعلوم الإنسانية , المجلد الخامس عشر , العدد 2 .

³ - عبيد محمد عسيري 2004م, علاقة تشكيل هوية الأنا بكل مفهوم الذات والتوافق النفسي والاجتماعي العام لدى عينة من طالبات الثانوية بمدينة الطائف , رسالة ماجستير , كلية التربية , جامعة ام القرى .

⁴ - حسينة بن ستي 2013 , التوافق النفسي وعلاقته بالدافعية للتعلم لدى تلاميذ سنة الاولى ثانوي ,رسالة ماجستير كلية العلوم الانسانية , جامعة قاصدي مرياح ورقلة .

كما قام مومن بكوش الجموعي 2013م ، بدراسة هدفت الى معرفة العلاقة بين القيم الاجتماعية والتوافق النفسي الاجتماعي لدى الطالب الجامعي، حيث اجري البحث على عينة مكونة 205 طالب وطالبة ، وقد تم التوصل الى نتائج تفيد بأن القيم الاجتماعية لدى الطالب الجامعي ترتبط بتوافقه النفسي ارتباط موجب¹. (3)

كما أجرى عبدالرحمن بن منيف الخالدي 2014 م ، بدراسته والتي هدفت من خلالها الى التعرف على العلاقة بين الوعي الذاتي وعلاقته بالتوافق النفسي لدى طلاب المرحلة الثانوية ، وقد طبقت على عينة مكونة من 200 طالب ، وقد أسفرت نتائج البحث الى الكشف على وجود علاقة ارتباطية موجبة بين الوعي الذاتي والتوافق النفسي لدى عينة الدراسة². (4)

ومن خلال الاطلاع على الدراسات السابقة والتي اهتمت بالبحث في متغير التفكير الايجابي ، تبين للباحث أن هناك ثدرة في الدراسات داخل البيئة المحلية ، كما بينت النتائج علاقة التفكير الايجابي ببعض المتغيرات الايجابية في حياة الأفراد مثل التوافق الدراسي والتنظيم الذاتي ، و بينت نتائج الدراسة انه لا توجد فروق مابين متغير الجنس ذكوراً وإناث في مستوى التفكير الايجابي ، كما انه ومن خلال الاطلاع على الدراسات التي تناولت بالبحث في التوافق النفسي بينت نتائج الدراسات وجود علاقة ايجابية ما بين التوافق النفسي وبعض المتغيرات ذات الطابع الايجابي مثل الوعي الذاتي والقيم الاجتماعية والدافعية للتعلم ، ولقد اقتصت مجمل الأبحاث في دراستها بعينة من الطلاب سواء كانت طلاب المرحلة الثانوية أو المرحلة الجامعية،

¹ - مومن بكوش الجموعي 2013م ، القيم الاجتماعية وعلاقتها بالتوافق النفسي الاجتماعي لدى الطالب الجامعي ، رسالة ماجستير ، قسم العلوم الاجتماعية ، جامعة محمد خيضر .

² - عبدالرحمن بن منيف الخالدي 2014 م، الوعي الذاتي وعلاقته بالتوافق النفسي لدى طلاب المرحلة الثانوية، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبدالعزيز.

إجراءات الدراسة

منهج الدراسة :

انطلاقاً من الأهداف التي تسعى الدراسة لتحقيقها اعتمد الباحث المنهج الوصفي الارتباطي باعتباره المنهج المناسب لتحقيق أهداف الدراسة الحالية حيث يوضح هذا المنهج واقع الحوادث والأشياء , ولايتوقف عند توضيح الحقائق كماهي بل يتناولها بالتحليل والتفسير لغرض الخروج بأستنتاجات اكثر فائدة لتصحيح الواقع.

مجتمع وعينة الدراسة :

تمثل مجتمع الدراسة في طلبة السنة الثالثة من مرحلة التعليم الثانوي لمجموعة من المدارس الواقعة داخل نطاق مدينة الخمس , و تمثلت عينة البحث بإجمالي عدد بلغ (120) طالبا, اختيرت بطريقة عشوائية , حيث بلغ عدد الذكور (60) طالبا من إجمالي

عدد العينة , هذا وبلغ عدد أفراد عينة الدراسة من الإناث (60) طالبة

الجدول رقم (1) يوضح مجتمع العينة وعدد افرادها

عدد الطلبة		اسم المدرسة
ذكور	إناث	
60	-	إبراهيم الرفاعي الثانوية
-	60	المجد الثانوية

الدراسة الاستطلاعية :

حرصاً من الباحث على التأكد من وضوح وسلامة مقاييس الدراسة وفقراتها والكشف عن الفقرات الغامضة أو غير واضحة إن وجدت , وقام بتطبيق المقاييس الدراسة على عينة استطلاعية بلغت (20) فرداً من أفراد العينة الأصلية, وبعد إجراء الدراسة الاستطلاعية ومراجعة الإجابات اتضح أن فقرات أدوات الدراسة وتعليماته واضحة ومفهومة لدى العينة , كما أنه عن طريق الدراسة الاستطلاعية تم اختبار و قياس المؤشرات والخصائص السيكمترية للمقاييس الدراسة وسيتم إيضاحه بتفصيل لاحقاً:

أدوات الدراسة : للدراسة أداتين :

أولاً - مقياس التفكير الإيجابي : عمد الباحث لاستخدام مقياس التفكير الإيجابي من إعداد أسماء فتحي احمد 2012 م ، وقد تكون من خمسة أبعاد تعكس درجة التفكير الإيجابي لدى الأفراد والأبعاد في صورتها الأولية قبل التحكيم هي كالتالي :البعد الأول التفاؤل ويشمل (8) عبارات ، البعد الثاني الضبط الانفعالي ويحتوي علي (11) عبارة، البعد الثالث الرضا عن الحياة ويشمل (10) عبارات البعد الرابع وهو تحمل المسؤولية ويشمل (8) عبارات ، أما البعد الخامس وهو حب المخاطرة ويشمل (9) عبارات. وللتأكد من ملائمة وصلاحيه فقراته في تحقيق اهداف الدراسة فانه عمد الى قياس الخصائص السيكومترية لها وكانت على النحو الآتي :

أ- الصدق :

1-صدق المحكمين: لضمان صدق أداة الدراسة وصلاحيتها لقياس ما وضعتُ لقياسه ، قام الباحث بعرضها على مجموعة من المحكمين من أساتذة علم النفس وفي ضوء الاقتراحات والتوجيهات التي قُدمت من المحكمين قام الباحث بإجراء التعديلات على المقياس.

2-الاتساق الداخلي: من خلال الدراسة الاستطلاعية قام الباحث بحساب الاتساق الداخلي عن طريق حساب معامل الارتباط بين درجة المفردة والدرجة الكلية للبعد الذي تنتمي إليه ، كذلك تم حساب معامل الارتباط بين درجة البعد والدرجة الكلية للمقياس، وجدول التالي يوضح ذلك:

جدول رقم (2) يوضح معاملات الاتساق الداخلي بين درجة البعد والدرجة الكلية للمقياس(ن=20)

ت	الأبعاد	عدد الفقرات	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
1	التفاؤل	6	0.804	0.01
2	الضبط الانفعالي	11	0.787	0.01
3	الرضا عن الحياة	10	0.881	0.01
4	تحمل المسؤولية	8	0.795	0.01
5	حب المخاطرة	7	0.831	0.01
	الدرجة الكلية	42	0.819	0.01

من جدول السابق يتضح أن جميع معاملات الارتباط دالة عند مستوى (0.01) وهذا يدل على أن مقياس التفكير الإيجابي يتمتع بدرجة عالية من الصدق.

ب - ثبات المقياس : للتأكد من ثبات المقياس، قام الباحث باستخدام معادلة ألفا كرونباخ

لحساب معامل الثبات للمقياس، ويوضح جدول التالي ثبات المقياس باستخدام معامل ألفا كرونباخ .

جدول رقم (3) يوضح معامل ألفا كرونباخ لمقياس التفكير الإيجابي (ن=20)

ت	الأبعاد	عدد الفقرات	معامل ألفا كرونباخ	مستوى الدلالة
1	التفاؤل	6	0.695	0.01
2	الضبط الانفعالي	11	0.771	0.01
3	الرضا عن الحياة	10	0.715	0.01
4	تحمل المسؤولية	8	0.747	0.01
5	حب المخاطرة	7	0.735	0.01
	الدرجة الكلية	42	0.733	0.01

من جدول السابق يلاحظ ارتفاع قيم معامل ألفا للمقياس ومكوناته وهي دالة عند مستوى (0.01) ، وهذا يدل على أن المقياس يتمتع بقدر كبير من الثبات ويمكن استخدامه في الدراسة الحالية .

ثانياً- مقياس التوافق النفسي : عمد الباحث لاستخدام مقياس التوافق النفسي المعد من قبل زينب محمود شقير عام 2003 م ، والذي يحتوي على (80) فقرة غطت في مجملها بعد التوافق النفسي والانفعالي وبعد التوافق الصحي وبعد التوافق الاجتماعي وبعد التوافق الاسري ، ولتأكد من ملائمته وصلاحيته لتحقيق اهداف الدراسة عمد الباحث الى قياس السيكومترية لها وكانت على النحو الآتي :

أ- الصدق :

1-صدق المحكمين: لضمان صدق أداة الدراسة وصلاحيتها لقياس ما وضعت لقياسه ، قام الباحث بعرضها على مجموعة من المحكمين من أساتذة علم النفس وفي ضوء الاقتراحات والتوجيهات التي قُدمت من المحكمين قام الباحث بإجراء التعديلات على المقياس .

2-الاتساق الداخلي: من خلال الدراسة الاستطلاعية قام الباحث بحساب الاتساق الداخلي عن طريق حساب معامل الارتباط بين درجة المفردة والدرجة الكلية للبعد الذي تنتمي إليه ، كذلك تم

حساب معامل الارتباط بين درجة البعد والدرجة الكلية للمقياس، وجدول رقم (4) يوضح ذلك:
جدول رقم (4) يوضح معاملات الاتساق الداخلي بين درجة البعد والدرجة الكلية للمقياس (ن=20)

ت	الأبعاد	عدد الفقرات	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
1	التوافق الشخصي	20	0.815	0.01
2	التوافق الاجتماعي	20	0.771	0.01
3	التوافق الصحي	20	0.715	0.01
4	التوافق الاسري	20	0.847	0.01
	الدرجة الكلية	80	0.787	0.01

من جدول يتضح أن جميع معاملات الارتباط دالة عند مستوى (0.01) وهذا يدل على أن مقياس التوافق النفسي الاجتماعي يتمتع بدرجة عالية من الصدق.
ب - ثبات المقياس : للتأكد من ثبات المقياس، قام الباحث باستخدام معادلة ألفا كرونباخ لحساب معامل الثبات للمقياس، والجدول التالي يوضح درجات ثبات المقياس.

جدول رقم (5) يوضح معامل ألفا كرونباخ لمقياس التوافق النفسي (ن=20)

ت	الأبعاد	عدد المفردات	معامل ألفا كرونباخ	مستوى الدلالة
1	التوافق الشخصي	20	0.752	0.01
2	التوافق الاجتماعي	20	0.811	0.01
3	التوافق الصحي	20	0.767	0.01
4	التوافق الاسري	20	0.813	0.01
	الدرجة الكلية	80	0.785	0.01

من خلال الجدول رقم (5) يلاحظ ارتفاع قيم معامل ألفا للمقياس ومكوناته وهي دالة عند مستوى (0.01) ، وهذا يدل على أن المقياس يتمتع بقدر كبير من الثبات يمكنه من الاستخدام في الدراسة الحالية .

الاساليب الاحصائية: تم استخدام الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS للقيام بالتحليل الإحصائي حيث تم استخدام اختبار " ت " t.test ، ومعامل الارتباط لبيرسون لقياس العلاقة بين المتغيرات.

نتائج الدراسة

نتائج الفرض الاول ونصه (توجد علاقة ارتباطية دالة إحصائياً بين درجات عينة الدراسة على مقياس التفكير الإيجابي ودرجاتهم على مقياس التوافق النفسي) وللتحقق من صحة هذا الفرض قام الباحث باستخدام معامل ارتباط بيرسون والجدول رقم (6) يوضح ذلك .

جدول رقم (6) يوضح معامل ارتباط بيرسون التفكير الإيجابي بالتوافق النفسي

التوافق النفسي		الأبعاد
مستوى الدلالة	معامل الارتباط	
0.01	0.426	التفكير الإيجابي

من خلال النتيجة المبينة بالجدول السابق يتضح أنه توجد علاقة ارتباطية موجبة دالة إحصائياً بين درجات عينة الدراسة على مقياس التفكير الإيجابي ودرجاتهم على مقياس التوافق النفسي ، وهذه النتيجة تؤيد الفرض السابق وتحققه .

نتائج الفرض الثاني ونصه (لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الذكور والإناث في التفكير الإيجابي وأبعاده) وللتحقق من هذا الفرض تم استخدام اختبار (T) والجدول رقم (7) يوضح ذلك النتيجة .

جدول رقم (7) يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة (T) ودلالاتها للفروق

بين الذكور والإناث في التفكير الإيجابي وأبعاده (ن=120)

الأبعاد	الجنس	العدد	المتوسط	الانحراف لمعياري	قيمة (T)	الدلالة
التفاؤل	إناث	60	13.41	0.91	0.68	غير دالة
	ذكور	60	13.32	0.78		
الضبط الانفعالي	إناث	60	19.05	1.95	0.65	غير دالة
	ذكور	60	18.75	1.80		
الرضا عن الحياة	إناث	60	18.43	1.24	0.26	غير دالة
	ذكور	60	18.37	1.20		
تحمل المسؤولية	إناث	60	15.16	1.09	1.34	غير دالة
	ذكور	60	14.91	1.17		
حب المخاطرة	إناث	60	12.01	0.79	1.12	غير دالة
	ذكور	60	11.56	0.82		
الدرجة الكلية	إناث	60	77.82	4.38	1.18	غير دالة
	ذكور	60	77.01	3.74		

يتضح من الجدول السابق أنه لا توجد فروق دالة إحصائية في التفكير الإيجابي تعزى لمتغير الجنس ما بين (ذكور، إناث) ، حيث بينت النتائج أن قيمة (T) كانت غير دالة في كل أبعاد التفكير الإيجابي وفي الدرجة الكلية للمقياس ، وبهذه النتيجة يتحقق الفرض الدراسة السابق .

نتيجة الفرض الثالث ونصه (لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات الذكور والإناث في مستوى التوافق النفسي وأبعاده) وللتحقق من هذا الفرض قام الباحث باستخدام اختبار (T) والجدول رقم (8) يوضح ذلك .

والجدول رقم (8) يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة (T) ودلالاتها للفروق

بين الذكور والإناث في التوافق النفسي وأبعاده (ن=120)

الأبعاد	الجنس	العدد	المتوسط	الانحراف لمعياري	قيمة (T)	الدلالة
التوافق الشخصي	إناث	60	13.07	1.24	1.19	غير دالة
	ذكور	60	13.43	1.31		
التوافق الاجتماعي	إناث	60	15.63	1.29	1.22	غير دالة
	ذكور	60	15.57	1.32		
التوافق الصحي	إناث	60	15.62	1.72	0.66	غير دالة
	ذكور	60	15.17	1.54		
التوافق الأسري	إناث	60	14.96	1.17	0.46	غير دالة
	ذكور	60	14.88	1.02		
الدرجة الكلية	إناث	60	8.01	3.79	1.14	غير دالة
	ذكور	60	11.56	3.82		

يتضح من الجدول السابق أنه لا توجد فروق دالة إحصائياً في مستوى التوافق النفسي تعزى لمتغير الجنس ما بين (ذكور، إناث) ، حيث بينت النتائج ان قيمة (T) كانت غير دالة في كل ابعاد التوافق النفسي وفي الدرجة الكلية للمقياس ، وبهذه النتيجة يتحقق الفرض الدراسة السابق .

من خلال الاطلاع على نتائج الدراسة يتبين أن هناك علاقة ايجابية ما بين التفكير الإيجابي والتوافق النفسي وهذا النتيجة تعد نتيجة منطقية ومتوقعة وذلك بأعتبار ان الجوانب الإيجابية في الشخصية دائماً ما تكون مرتبطة وداعمة لبعضها البعض ، باعتبار أن التفكير الإيجابي والتوافق النفسي من مؤشرات ودلالات الصحة النفسية وهذا ما اكدت عليه نتائج الدراسات السابقة . كما بينت الدراسة عدم وجود أي فروق بين أفراد عينة الدراسة فيما يخص متغير الجنس ، أي نفس الدرجة التي يتحلّى بها الذكور هي نفس الدرجة التي تتحلّى بها الإناث في مستوى كل من التفكير الإيجابي والتوافق النفسي ، وربما يكون السبب راجع الى انماط التنشئة التي يخضع لها

الابناء من الجنسين تكون متشابهة ومتقاربة من بعضها , وهذه النتيجة تتفق في الغالب مع نتائج الدراسات التي سبق ذكرها في هذا البحث , ويمكن إيجاز اهم ماتوصلت اليه الدراسة في ان الاهتمام بتنمية التفكير الإيجابي لدى فئات المجتمع ضامن لنمو مستوى التوافق النفسي لديهم ومن تم ارتفاع معدلات الصحة النفسية بينهم وبالمجتمع ككل .

التوصيات :

في ضوء الإطار النظري للدراسة ونتائجها ومناقشتها يقترح الباحث التوصيات الآتية :

- 1- أن يقوم الآباء والمربين والمعلمين بأستخدام طرق واساليب تربوية تساعد على التفكير العلمي المنظم لمساعدة الأبناء على تجنب التفكير العشوائي السطحي ومحاولة تنمية التفكير الإيجابي لديهم وتناول الأمور الحياتية بإيجابية.
- 2-على ذوي الاختصاص والخبرة العمل على توجيه المؤسسات التربوية من جهة والأسر من جهة أخرى عبر التركيز على جانبي الثقافة والتنشئة, إما بشكل مباشر أو عن طريق الاعلام و مؤسسات المجتمع المدني على تنمية ثقافة التفكير الإيجابي لما له من قيمة واهمية في الرفع من مستوى الصحة النفسية من خلال زيادة معدل للتوافق النفسي بين أبناء المجتمع.

المقترحات :

يقترح الباحث القيام بالآتي :

- 1- إجراء دراسات تتناول التفكير الإيجابي لدى شرائح أخرى من المجتمع كالموظفين والمحامين والأطباء والمعلمين, وغيرهم من فئات المجتمع وعلاقته ببعض المتغيرات مثل الدافعية وتقدير الذات والاتزان الانفعالي.
- 2- إجراء دراسات تتناول بالبحث في العلاقة ما بين التفكير الإيجابي و ببعض المتغيرات الأخرى مثل الدافعية وتقدير الذات والاتزان الانفعالي واتخاذ القرار .
- 3 - محاولة إعداد برامج لتنمية التفكير الإيجابي لدى طلاب الجامعة مما يزيد من مستوى توافقهم النفسي ويشعرهم بالرضا والسعادة بأموهم الحياتية.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- إدوار ديبونوا (2001): تعليم التفكير, دار الرضا, دمشق.
- 2- أزهار محمد السباب (2016): التفكير وعلاقته بتنظيم الذات لدى طلبة التعليم الجامعي, مجلة الأستاذ, المجلد الثاني.
- 3- أماني سالم (2006) : فاعلية برنامج لتنمية التفكير الإيجابي لدى الطالبات المعرضات للضغط النفسي في ضوء نموذج معرفي , مجلة كلية التربية , جامعة الاسماعيلية , العدد 4 , ص 105- 169 .
- 4 - أماني سيد ابراهيم (2005): فاعلية برنامج لتنمية التفكير الايجابي لدى الطالبات المعرضات للضغوط النفسية, مجلة كلية التربية, جامعة قناة السويس.
- 5 - حامد عبدالسلام زهران (1980): التوجيه والارشاد النفسي, ط1, القاهرة, عالم الكتب.
- 6 - حامد عبدالسلام زهران (1997): الصحة النفسية والعلاج النفسي, القاهرة, عالم الكتب.
- 7- حسينة بن ستي (2013): التوافق النفسي وعلاقته بالدافعية للتعلم لدى تلاميذ سنة الاولى ثانوي, رسالة ماجستير, كلية العلوم الانسانية, جامعة قاصدي مرباح ورقلة.
- 8- زياد بركات (2006): التفكير الايجابي والسلبي لدى طلبة الجامعة دراسة ميدانية في ضوء بعض المتغيرات, جامعة القدس المفتوحة.
- 9- سعد جلال (1985): الطفولة والمراهقة, القاهرة, دار الفكر العربي.
- 10- سعاد محمد بهادر (1986): في سيكولوجية المراهقة, ط4, الكويت, دار البحوث العلمية.
- 11- سعيد بن صالح الرقيب (2008): أسس التفكير الإيجابي وتطبيقاته تجاه الذات والمجتمع في ضوء السنة النبوية" , منشورات المؤتمر الدولي عن تنمية المجتمع: تحديات وآفاق في الجامعة الإسلامية بماليزيا.
- 12- سناء سليمان (2011): التفكير اساسياته وأنواعه, القاهرة, عالم الكتب.

- 13- عبدالرحمن بن منيف الخالدي (2014): الوعي الذاتي وعلاقته بالتوافق النفسي لدى طلاب المرحلة الثانوية، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبدالعزيز.
- 14- عبد الستار إبراهيم (2008): عين العقل دليل المعالج المعرفي لتنمية التفكير العقلاني الإيجابي، القاهرة، دار الكاتب.
- 15- عبير محمد عسيري (2004): علاقة تشكيل هوية الأنا بكل مفهوم الذات والتوافق النفسي والاجتماعي العام لدى عينة من طالبات الثانوية بمدينة الطائف، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة ام القرى.
- 16- عفراء إبراهيم خليل العبيدي (2013): التفكير الإيجابي - السلبي وعلاقته بالتوافق الدراسي لدى طلبة جامعة بغداد، المجلة العربية للتطوير والتفوق.
- 17- علاء كفاي (2000): لماذا وكيف نعلم ابنائنا التفكير النقدي، ورقة مقدمة لمؤتمر تنمية التفكير، القاهرة.
- 18- علي تركي القرشي (2012): التفكير الإيجابي وعلاقته ببعض المتغيرات لدى طلبة الجامعة، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد الخامس عشر، العدد 2.
- 19- محمود غانم (1995): التفكير عند الاطفال و تطوره وطرق تعليمه، ط1، عمان، دار الفكر.
- 20- مرتضى معاش (2003): ملاحظات منهجية لاستكشاف أفات التفكير
www.annabaa.org/nba38/molahazat.htm
- 21- مصطفى حجازي (2006): الانسان المهدور - دراسة تحليلية نفسية اجتماعية، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.
- 22- معيوف السبيع (2010): تعليم التفكير في مناهج التربية الاسلامية، دار البازوري، عمان.
- 23- مومن بكوش الجموعي (2013): القيم الاجتماعية وعلاقتها بالتوافق النفسي الاجتماعي لدى الطالب الجامعي، رسالة ماجستير، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر.

- 24- هناء العابد (2010): التنشئة الاجتماعية ودورها في تنمية التفكير الأبداعي, رسالة دكتوراه, جامعة الشارقة.
- 25- يورك برس (2005): التفكير الإيجابي, ضمن سلسلة مهارات الحياة المثلى, مكتبة لبنان, بيروت.
- 26- يوسف سلطان العنزي, اثر التدريب التفكير الإيجابي واستراتيجيات التعميم في علاج التأخر الدراسي لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي في دولة الكويت.
- www.abegs.org/Aportal/Research/PhdDetails?id=79.

العامل في المستثنى بـ"إلا"

إعداد: د. صالح الأخضر

مقدمة

فإن قضية العامل وفي كثير من المواطن أثارت نظري، ولفنت انتباهي، فجعلتني دائماً في تفكير مستمر في سؤال مفاده ما العامل؟، هل كله يرجع إلى اللفظ، أم له علاقة بالمعنى، وبينما كنت أدرس موضوع الاستثناء وخلاف النحاة في عامله، وكنت لا أستوعب ما يقولون، وإن استوعبت جانباً، التبس علي آخر، وإن قدمت رأياً ظهر لي المناقض، وبقيت فترة طويلة وأنا أفكر أي هذه الأقوال جدير أن يكون الصواب، وبينما أنا في حيرة من الأمر زادني تيهها قول السيوطي وهو أحد الأعلام المبرزين: "ولم يترجح عندي قول منها، فلذا أرسلت الخلاف"⁽¹⁾، فمن أنا حتى أخوض مثل هذا الغمار، وأركب لجاج بحر متلاطم الأمواج، من غير سفينة تركب، ولا درية تذكر، ولكنني استخرت الله في أن أتبع بعض خطوات هؤلاء الأجلاء، وأغمس لقيمتي لألتقط شيئاً من فضلاتهم، فعلي بذلك أنال من بركاتهم، موازناً بين آرائهم، ومرجحاً لما تضافرت الأدلة أنه الأقرب للصواب، فعلى الله التكلان، ووسمت هذا البحث بعنوان: "العامل في المستثنى بـ"إلا"، وبنيته على مقدمة وأربعة مطالب وخاتمة.

المقدمة

الاستثناء أسلوب من أساليب العرب خصته بنمط معين في تركيب كلامها كما خصت غيره من الأساليب، فالاستفهام أسلوب خصته بحروف تكون لها الصدارة في صدر جملتها نحو أقام زيد، وأزيد قائم، وهل قام زيد، وهل زيد قائم، وصلة الموصول وصل وبيان للموصول نحو قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾⁽²⁾ فاسم

(1) همع الهوامع 253/3.

(2) البقرة الآية رقم 2.

الموصول اسم مبهم لا بد من جملة تزيل إبهامه، وفعلي المدح والذم لها تركيب يخصها نحو: نعم الرجل زيد، وبئست الصفة النفاق، وكذلك التفضيل نحو قوله تعالى ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾⁽¹⁾، والاستثناء كذلك له نمط معين استخدمته العرب في إخراج ما لم يدخل في حكم ما تناوله الفعل أو أسند إليه، أو ما في مثله نحو: قام القوم إلا زيدا، والقوم قيام إلا زيدا، فالقيام الذي عبر عنه بالفعل، أو أسند إلى مبتدأ، يعم جميع القوم لولا الاستثناء، فالاستثناء مخرج لما خالف ذلك ولم يدخل فيما تناوله الفعل، فأخرج زيد منهم بواسطته.

وسمى النحاة هذا الأسلوب بـ"الاستثناء"، ولذا عرفوه بأنه: إخراج بعض من كل قال الرماني في الحدود: "إخراج بعض من كل بمعنى إلا"⁽²⁾، وقيل: هو إخراج ما لولا إخراجها لتناوله الحكم المذكور⁽³⁾

المطلب الأول: تركيب جملة الاستثناء

إن أي جملة من الجمل لها نمط خاص بها كالمبتدأ والخبر في الجملة الاسمية، والفعل والفاعل في الجملة الفعلية، وفعل المدح أو الذم وفاعله ومخصوصه في أسلوب المدح والذم، كذلك أسلوب الاستثناء جملة أسس بنائها أربعة أركان هي:

1- الفعل أو ما في حكمه.

الفعل حركة متحرك يسند إلى فاعله نحو: قام زيد، أو معبر عنه باسم مشتق أسند إلى من هو قائم به نحو: زيد القائم، ومضمونه محكوم به على ما أسند إليه وإخراج ما بعد "إلا" من الحكم، ولولاها لكان داخلا فيه، هذا إن كان الكلام مثبتا، أما إن كان منقيا فهو إدخال المستثنى لا إخراجها. في مقابل أن يتم إخراج جميع بقية أفراد الجنس نحو: ما قام

(1) الكهف الآية رقم 33.

(2) الحدود 38، وانظر: أسرار العربية للجرجاني 201.

(3) اللباب في علل البناء والإعراب 302/1.

أحد إلا زيدا، والتقدير ما قام فرد من أفراد هذا النوع إلا زيد، فزيد داخل في حكم القيام المنفي عن غيره، ولا يتنافى ذلك في المنقطع الذي هو إخراج ما ليس من جنس الأول، فالإخراج مما حكم له من الفعل، سواء كان من جنسه أو من غير جنسه؛ لأن إخراج ما ليس من الجنس المحكوم عليه ليس لإخراجه من جنسه؛ بل لإخراجه من الحكم الذي يتناوله لولا خروجه بـ"إلا" نحو قام القوم إلا حمارا، فالحمار ليس من القوم، ولا يمكن إخراجه لعدم دخوله فيهم أصلا، وإنما إخراجه من طائفة الحكم الذي يشمل مع القوم؛ إذ القوم والحمار محكوم عليهم جميعا بالقيام فجاءت "إلا" وأخرجته من تحت طائفة هذا الحكم، قال الخصري "الدخول... إن كان الكلام منفياً، والخروج إن كان موجباً؛ لأن الاستثناء من النفي إثبات عكسه، والمراد الدخول في النسبة الثبوتية والخروج منها، فلا ينافي أن الاستثناء إخراج دائماً؛ لأن المراد به الخروج مما قبل إثباتاً أو نفياً"⁽¹⁾.

2- المستثنى منه

وهو ما أسند إليه الفعل إن كانت الجملة فعلية، وهو المراد إدخاله أو إخراجه عند الإطلاق من قيد الاستثناء، وإن قيد فما بعد "إلا" نوع منه فيما يسميه النحاة بالاستثناء المتصل، أي: ما بعد "إلا" من جنس ما قبلها نحو: قام الطلاب إلا طالبا. وأما إذا كانت الجملة اسمية نحو: القوم حضور إلا زيدا، وكل الطلاب مجدون إلا عمرا، فهما مركبتان أيضا من كلا الطرفين: المسند والمسند إليه، فالحضور ومجدون مسندان إلى المبتدأ "القوم" و "كل الطلاب"، فالجملتان اسميتان، وظاهر الأمر أن لا وجود لأثر الفعل هنا، ولكنه مستفاد من المعنى كما لو قلنا: حضر القوم إلا زيدا، وجدَّ كل الطلاب إلا عمرا.

وكل حركة متحرك أسندت إلى من قام بها في جملة فعلية أو اسمية على الإطلاق دون قيد تفيد عموم فاعلها إن كان متعددا، فالمفرد يقع منه الفعل ولا مجال لدخول غيره معه نحو: قام محمد، فإنه لا يشمل القيام في هذا المثال إلا محمدا فقط دون غيره، وقام

(1) حاشية الخصري على ابن عقيل 208/1.

الزيدان يشمل الشخصين المسند إليهما الفعل، فإن كان الفاعل جنسا تحته أنواع، فإنه يفيد حصول الفعل من جميع ذلك النوع عند الإطلاق نحو: قام الطلاب، قام الرجال، غادرت النساء، غابت النجوم، فكل هذه أجناس تحتها أنواع يشملها اللفظ، فإذا أطلقت استغرقت جميع ذلك النوع، والواقع أنه قد يتخلف عن الفعل بعض أفراد، فإن تخلفت قلة احتجنا إلى ما يفيد ذلك وهو إخراج ما لا يقع تحت طائفة الفعل، فالمستثنى منه لا بد أن يكون متعددا ملفوظا به نحو: جاعني القوم إلا زيدا، وغير ملفوظ به نحو: ما جاعني إلا زيد⁽¹⁾، ولا يصح إن دل على مفرد نحو: قام زيد إلا محمدا

3 - أداة الاستثناء "إلا" وهي أم الباب؛ لأنها حرف مختص بهذا الأسلوب "الاستثناء" لأمرين:

"أحدهما: أنَّها حرف موضوع لإفادة معنى من المعاني كالنفي والاستفهام والنداء. والثاني: أنَّها تقع في جميع الباب للاستثناء فقط، وغيرها يقع في أمكنة مخصوصة منها، ويستعمل في أبواب أخر"⁽²⁾.

4 - المستثنى .

وهو الذي يأتي بعد أداة الاستثناء، وهو مقصود أداة الاستثناء في إخرجه من حُكم المستثنى منه، وهو أحد طرفي أسلوب الاستثناء، المستثنى، والمستثنى منه، و"إلا" واسطة بينهما.

المطلب الثاني: الاستثناء ونظرية العامل

جرت عادة النحاة في تعريف الإعراب أن يقولوا: تغير أواخر الكلم لمقتضى العامل، فالعامل عند جمهور النحاة هو المؤثر في تغير أواخر الكلم لإيضاح المعاني التي تعثر الاسم بسبب تغير موقعه في الجملة، فتارة يكون مبتدأ به، وتارة خبرا، وأخرى مفعولا، ويأتي حالا ووصفا ومضافا إليه، فموقعه من الجملة يضي عليه معنى مصاحبا لدالاته

(1) ينظر: شرح الرضي على الكافية 76/2.

(2) ينظر: اللباب في عل البناء والإعراب 302/1.

على الذات نحو: محمد قائم، فمع دلالة محمد على ذات ما ابتدئ الكلام بها ثم يخبر عنها بما اتصل بها من أمر، والخبر "قائم" حركة صادرة منه متصلة به فأسندت إليه إخبارا، فلو كانت لغيره لما صح الإخبار، إذ لو كان الفعل من زيد والخبر لمحمد لكان خلطا في الكلام مع صحة التركيب، وأخرى يسند إليه فاعلا نحو: قام محمد، وقد يقع عليه الفعل لا منه نحو: كَلَّمَ زيد محمدا، ولهذا احتاج إلى علامة إعراب، وأما الفعل فله دالتان:

الأولى: إفادته معنى بتركب حروفه نحو: ذهب، كتب، علم، فكل فعل مفيد لمعنى غير المعنى الأول لتغيير حروفه.

الثانية: تغيير زمن حدوث الفعل بصيغته، فالماضي على "فعل" بحركات العين الثلاثة، والماضي على يفعل، والأمر على افعل، وليس له معان أخرى يستلزم بيانها إعرابه، إلا المضارع ولذا أعرب⁽¹⁾.

والفعل أصل في العمل؛ لأن كلام الناس أخبار، والأخبار لا تكون إلا عن متغيرات، والمتغير هو الفعل؛ لأنه حركة متحرك، وحركات المتحرك لا تحصى، فعند حصول فعل يكون الناس بين أمرين: عالم بما حصل لمشاهدته إياه، وجاهل به يحتاج إلى معرفته. والحركة الواقعة مشاهدة من قبل بعض الناس فعلموه، وجهله آخرون، والفعل إن وقع ولم يشاهده أحد يخبر عنه لكان هو والعدم سواء، وكان شيئا مجهولا لا يدري به ولا يسمع، مثل ما يقع من مجرات الكون، أو ما وقع في سالف الأيام ولم يصل إلينا خبرها.

وحدوث الفعل عند وقوعه يستلزم ضرورة فاعله، فإذا ما وقع أمر فلا بد أن نحتاج إلى فاعل ذلك الفعل فلا وقوع لفعل مهما كان إلا وله فاعل علم أم جهل، فإن كل حدث أول ما يحتاج أن يخبر عن فاعله، فالفعل هو الذي استوجب أن يكون في تركيب الجملة فاعل، فالذي أتى بالفاعل هو الفعل على رغم أن الفاعل هو الذي أحدث الفعل، وما يقال ذلك إلا لأجل أننا في دراسة التراكيب اللغوية، ولهذا أقر النحاة ألا يكون فعلا إلا وله فاعل، ولا تصح الجملة إلا بكليهما، فإن لم يظهر فهو مستتر كاستتار الفاعل وجوبا بعد

(1) ينظر: همع الهوامع 1/ 44، 54.

فعل الأمر نحو: قمْ، فلم تظهره العرب قط، والفعل في هذه الحالة جملة، فهما ركنان أساسيان لا يسقطان أبداً وإن حذف في اللفظ.

والأسماء غير عاملة في تراكيب اللغة؛ لأنها في ذاتها لا تستدعي معمولاً لكونها ثابتة لا تتغير، فسمى "محمد" هو محمد منذ ولادته إلى وفاته، والسماء سماء منذ الأزل إلى يوم القيامة، وأما حركاتها وما يصدر منها فمتغيرات، إذ لو كانت عاملة لكان الخبر مرفوعاً للاسم، ولم يقل به أحد من جمهور النحويين البصريين، على رغم أن الكوفيين قالوا بترافعهما، فيكون الاسم "المبتدأ" عمل في الخبر.

ولكنها قد تعمل في مواضع كأن تفيد معنى الحدث وفاعل الحدث، وهي الأسماء المشتقة فإنها تلتقي مع الفعل في الدلالة على الحدث، ومع الاسم في الدلالة على الذات قال الأشموني عند قول ابن مالك في ألفيته "وانعت بمشق" والمراد به ما دل على حدث وصاحبه⁽¹⁾ نحو اسم الفاعل واسم المفعول، فالأسماء المشتقة التي تفيد معنيين: الأول: دلالتها على الذات الفاعلة ووصفاً، أي: أن يطلق على الذات بما قامت به نحو: قائم وجالس وكاتب ومتقدم ومتعلم، والثاني: دلالتها على معنى الفعل التي التقت معه في جذر حروفه، فجالس تلتقي مع جلس وكلاهما من الجلوس، وكاتب مع كتب من الكتابة.

وأما الحرف فأبعد ما يكون عن العمل في أصل الوضع؛ لأنه لا معنى له في ذاته في الأصل، ولا يفيد معنى إلا من خلال سياق جملة، وإن جرد عن التركيب لم يعد له معنى فلا نقول مثلاً "ب" وحدها - دون متعلق لها - معناها كذا؛ لأن حروف الجر لا بد لها من متعلق، فالباء لها عدة معانٍ لا تستبين إلا من خلال الجملة كالاستعانة، والإلصاق، والتعدية، فالباء وحدها لا تفيد شيئاً ولا يعرف شيئاً من هذه المعاني، فإذا قلت: مررت بزيد قيل عنها: إنها للإلصاق، وإذا قلت: نبحت بالسكين كانت للاستعانة، وعمل الحرف هنا متصل بالفعل لا من ذاته؛ لأنه إذا حذف نصب وهو الذي يسميه النحاة النصب على نزع الخافض، وكأن الإعراب رجع إلى أثر الفعل مباشرة، ولو كان هو العامل لما جاز حذفه ولا دليل عليه.

(1) شرح الأشموني 114/3.

ومحلّه مع مجروره النصب في تقدير اسم مفعول قال الجرجاني: "وحروف الجر لا بد لها من شيء تتعلق به، وتكون مع المجرور بها معمولة له من حيث أن كل جار مع المجرور في تقدير اسم مفعول، ولا يكون مفعول ما لم يكن فعل"⁽¹⁾، فالفعل عامل على كل حال بنفسه أو بواسطة الحرف، وأما الحرف إن جردناه عن الفعل لا عمل له، فلا نقول "بزيد" و "بالسكين" دون إرادة الفعل، ولا نقول "إنّ" ونسكت دون أن ننوي بعدها ما تعمل فيه، لأنه قد ننطق ب"إنّ" ولا نكمل الكلام فلا تكون جملة، والجملة أسبق منها، فالجملة الاسمية مرادة بعدها، ولولاها لما كان لها معنى ولا عمل، وهكذا بقية الحروف، ولو كانت الحروف عاملة طبيعيةً فلا معنى لقول النحاة عن بعض الحروف إنها غير عاملة؛ لأن الطبع لا يتخلف ويتطلب أن تكون عاملة على الإطلاق، وعلى كل حال، فألّ " تدخل الاسم النكرة فتعرفه ولا تعمل فيه نحو الرجل، الشمس، العلم، الصبر، واللام التي للتوكيد تدخل على المبتدأ ولا تعمل فيه نحو: لزيد قائم، فإذا دخلت "إن" عليها زحلت إلى الخبر ولا عمل لها فيه أيضا قال ابن جني "ومنها أن "إن" عاملة، واللام غير عاملة"⁽²⁾ وقال العكبري: "اللام غير عاملة و "إن" عاملة وتأخير غير العامل أولى"⁽³⁾ و "ما" التميمية مهملة لا عمل لها نحو: ما زيد قائم، و"لا" الداخلة على المعرفة نحو قول الشنفرى:

هُمُ الْأَهْلُ لَا مُسْتَوَدِعُ السَّرِّ ذَائِعٌ لُدَيْهِمْ وَلَا الْجَانِي بِمَا جَرَّ يُخَذَلُ⁽⁴⁾

فإذا عمل مرة وتأخر أخرى، فإن عدم العمل أصل، والعمل طارئ عليه بأن خرج إلى العمل من عدم، فلا بد له من ظهير يجعله صالحا للعمل، إما لنياية عن فعل، أو كان

(1) المقتصد في شرح الإيضاح 96/1.

(2) الخصائص في إصلاح اللفظ 314/1. وينظر : اللباب في علل البناء والإعراب 216/1.

(3) اللباب في علل البناء والإعراب 216/1.

(4) البيت من البحر الطويل للشنفرى في ديوانه 59 من قصيدته المسماة لامية العرب ومطلعها

أقيموا بني أمي صدورَ مطيكم فإني إلى قومٍ سواكم لأميلُ

وينظر: خزنة الأدب 14/2، 410/3.

وسيلة لإيصال أثر، فبعض الحروف عملت لحملها على الفعل كـ"ما" الحجازية فإنها تعمل عمل ليس، فهي محمولة عليها في العمل، أو مثبه بالفعل قال السيوطي في ناصب المفعول معه "...وبأنه لا نظير لها إذ لا يعمل الحرف نصباً إلا وهو مثبه بالفعل"⁽¹⁾، وقال الأشموني في مبحث "أما": "... لما فيها من الفعل الذي نابت عنه"⁽²⁾ وقال: "وفيه دليل أيضاً على أن "أما" ليست العاملة إذ لا يعمل الحرف في المفعول به"⁽³⁾.

والحرف يتضمن معنى عند التركيب لا يعقل إلا به كالنفي والاستفهام قال الجرجاني: "فيأتلّف الفعل مع الاسم ويحصل بانتلافهما فائدة لا نعقلها من كل واحد منهما على الانفراد، ثم تعتور تلك الفائدة معان وأوصاف كالنفي في قولك: ما ضرب زيد، والاستفهام في قولك: أضرب زيد؟، فالنفي كما ترى معنى اعترض على الفعل والاسم بعد اتلافهما"⁽⁴⁾، وهذا المعنى لم يجعله عاملاً، إذ لو كان تضمنه للمعنى مؤثراً في نقله إلى العمل لكانت الحروف كلها عاملة ولا يوجد المهمل غير العامل، فحرف الجر عامل الجرّ نحو: مررت بزيد، وهمزة الاستفهام غير عاملة نحو: أزيد قائم، و"إن" للتوكيد عاملة نحو: إن زيدا قائم، ولام التوكيد غير عاملة نحو لزيد قائم، ولام التعليل عاملة نحو: جئت لأكرمك، وسين الاستقبال غير عاملة نحو: سأزورك غداً، وفي الأصل ليس لها تأثير في بناء الكلام قال الجرجاني: "وليس للحروف تأثير في أصل اتلاف الكلام، ألا ترى أن سقوطها وثبوتها سواء"⁽⁵⁾.

ولو كان لمعنى الحرف عمل لتعدد عمله، فحرف الجر يأتي لمعان عدة فلو كانت لمعانيه عمل لتعدد العمل لاختلاف المعنى، فالباء تارة تكون للإلصاق، وتارة للاستعانة، وأخرى للتبويض قال الأنباري: (وإعمال معاني الحروف لا يجوز، ألا ترى أنك تقول ما

(1) همع الهوامع 238/3.

(2) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك 104/4.

(3) المصدر نفسه 104/4.

(4) المقتصد في شرح الإيضاح 153/1.

(5) المقتصد في شرح الإيضاح 94/1.

زيد قائماً، فيكون صحيحاً، فلو قلت ما زيد قائماً على معنى: نفيت زيدا قائماً، لكان فاسداً... وإنما لم يجز إعمال معاني الحروف؛ لأن الحروف إنما وضعت نائبة عن الأفعال طلباً للإيجاز والاختصار، فإذا عملت معاني الحروف فقد رجعت إلى الأفعال فأبطلت ذلك المعنى من الإيجاز والاختصار⁽¹⁾.

وقد يكون دليلاً على عدم عمل الحرف أنه إذا تصدر لم يكن له عمل؛ لأنه غير متعلق بما قبله فيعطيه قوة العمل، وينقل الأثر الإعرابي من العامل إلى ما بعده، فالحروف قسمان، يأتي في أول الجملة متصدر لها كالحروف الناسخة وتعمل لتضمنها معنى فعل، وبعض الحروف لا تأتي إلا متصدرة كحرفي الاستفهام "الهمزة" و"هل"، وما النافية، ولام الابتداء، وهاء التثنية، ولا تعمل بالرغم أنها متضمنة لمعنى، وإن كان هناك بعض الحروف ملازمة للتصدر وعاملة كـ"إن" الشرطية، ففي نظري أن العامل فيها هو الشرط الموضوع له، أي أنها بمضمونين: معناها كسائر الحروف وهو الشرط، والربط بين جملتين فعل الشرط وجوابه، فيما في الشرط من جزاء عملت، إذ أنها تعلق حصول جواب الشرط بتحقيق فعله بدليل أن بعض الأسماء ليست عاملة، فإذا تضمنت معنى الشرط عملت نحو "أين" و"حيثما" و"أنى"، فأنى ظرفية وضعت في أصلها غالباً للمكان، فإذا تضمنت معنى شرط عملت فصارت جازمة نحو قوله تعالى ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾⁽²⁾ وقولهم: أين ينزل العدل يتبعه الأمن والرخاء، وقولهم: حيثما تجد صديقاً وفيما تجد كنزاً نفيساً، وقول الشاعر:

فَأَصْبَحْتُ أَنَّى تَأْتِيهَا تَلْتَبِسُ بِهَا كِلَا مَرْكَبِيهَا تَحْتَ رِجْلِكَ شَاجِرٌ⁽³⁾

(1) الإنصاف في مسائل الخلاف 1/262 . وينظر: أسرار العربية 202.

(2) النحل الآية رقم 76.

(3) هذا بيت من الطويل للبيد بن ربيعة في دوانه: 65 من قصيدة مطلعها

مَنْ كَانَ مِنِّي جَاهِلاً أَوْ مَغْمِراً فَمَا كَانَ بَدْعاً مِنْ بِلَائِي عَامِراً

وينظر البيت في: الكتاب 3/58، المقتضب 2/48، شرح المفصل 7/45، شرح الكافية الشافية 3/1582، الخزانة 3/190.

فالشروط هو الذي صير "إن" على رغم صدارتها عاملة، قال ابن الصانع: "لأنها تعلق في الاستقبال جملة بجملة، تسمى الأولى شرطاً، والثانية جزاء"⁽¹⁾. وقال إبراهيم السفاقي صاحب التحفة الوفية: "ضُمَّتْ معنى الشرط، فَجَزَمَتْ"⁽²⁾

وما بسطت القول في عمل الحرف ومقارنته بالفعل والاسم إلا لأسقط عدم عمل الحرف على "إلا" التي هي حرف فيما سيأتي بعد، وهو مناط البحث وهدفه.

المطلب الثالث: آراء النحاة في عامل المستثنى

تعددت آراء النحاة في عامل المستثنى نظرا لاختلافهم في زاوية الرؤى بينهم وصلت إلى سبعة أقوال قال السيوطي: "وفي ناصبه سبعة أقوال لا ترجيح عندي فيها"⁽³⁾، والذي اشتهر ودار السنة النحاة أربعة أوجه:

1- الفعل وحده

نسب أبو حيان هذا الرأي إلى ابن خروف قال: "وقيل بما قبلها من غير واسطة "إلا" وهو مذهب ابن خروف مستدلا عليه في زعمه بكلام سيبويه"⁽⁴⁾، وأرى أن في هذا الرأي بُعد؛ لأجل أن الفعل لو وصل أثره الإعرابي إلى المستثنى دون واسطة لم يطرد ذلك في مثيلاته، فتعدية الفعل اللازم إلى مفعول لا تكون إلا بأداة تعدية، وتعدية المتعدي إلى مفعول واحد إلى مفعول ثان بحرف الجر بعد أن كان قاصرا عنه.

وتعدية الفعل إما بالحرف أو بالتضعيف، فلو قلنا في مثال: فرح زيد عمرا: إن "عمرا" مفعول للفعل فرح، فلا ضرورة لأن تأتي بحرف معدٍ بحيث يصبح الفعل بعدها متعديا، فمعنى قولنا: "فرح زيد" هو حصول الفرح منه دون أن يتعدها، وأما "أفرح زيد عمرا"

(1) اللحة في شرح الملحمة 866/2.

(2) التحفة الوفية 38.

(3) المطالع السعيدة 338 . وينظر همع الهوامع 252/3

(4) الارتشاف 1506/3 . وينظر: همع الهوامع 252/3 .

فالمعنى هو حصول الفرح لعمرى من أثر زيد، فليس لصاحب الفعل فرح؛ بل هو قام بإفراح غيره، فالفرح قائم على غيره لا عليه؛ ولهذا تعدى إليه، ولو تم القياس عليه لاحتيج إلى ما يعدي الفعل، ولم يقل به أحد في الاستثناء.

1 - الفعل بواسطة "إلا"

يرى جمهور البصريين أن العامل في المستثنى هو الفعل بتوسط "إلا"، فالفعل هو العامل وإن كان لازماً لتعدي أثره إلى المستثنى عبر "إلا"، ف"إلا" واسطة بين العامل والمعمول، واللازم لا يتعدى إلى مفعول أصلاً فضلاً عن غيره، ولكنه في الاستثناء يتقوى بـ"إلا" كما يتقوى الفعل بالحرف إذا تأخر عن معموله نحو قوله تعالى ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾⁽¹⁾ فـ"الرؤيا" معمولة للفعل المتأخر "تعبرون"، ولتأخره قوي باللام، وتسمى هذه اللام لام التقوية، والفعل قد يتعدى إلى مفعولين أحدهما بنفسه والآخر بحرف الجر كما يتقوى الفعل اللازم به أيضاً، و"إلا" بمثابة ذلك فقوت العامل وأفادت الاستثناء قال ابن الحاجب: "العامل فيه ما قبله بواسطة "إلا" إذا كان فضلة، وهو المذهب الصحيح"⁽²⁾، وقال الأنباري محتجاً للبصريين: "... إنما قلنا: إن العامل هو الفعل، وذلك لأن هذا الفعل وإن كان فعلاً لازماً في الأصل إلا أنه قوي بـ"إلا" فتعدى إلى المستثنى كما تعدى الفعل بحرف الجر، إلا أن "إلا" لا تعمل وإن كانت معدية كما يعمل حرف الجر؛ لأن "إلا" حرف يدخل على الاسم، والفعل المضارع نحو: ما زيد إلا يقوم، وما عمرو إلا يذهب، وإن لم يجز دخوله على الفعل الماضي نحو ما زيد إلا قام، وما عمرو إلا ذهب، والحرف متى دخل على الاسم والفعل لم يعمل في واحد منهما، وعدم العمل لا يدل على عدم التعدية، ألا ترى أن الهمزة والتضعيف يعديان وليسا عاملين، ونظير ما نحن فيه نصبهم الاسم في باب المفعول معه نحو: استوى الماء والخشبة، وجاء البرد والطيالسة، فإن الاسم نصب بالفعل المتقدم بتقوية الواو، فإنها قوت الفعل فأوصلته إلى الاسم فنصبه فكذلك

(1) يوسف الآية رقم 43 .

(2) الإيضاح 362/1، وينظر: أسرار العربية 201 .

هاهنا⁽¹⁾، فالعمل للفعل كما هو الأصل في العمل، إذا الأفعال هي المقتضية للعمل؛ لأنها هي الجالبة للفظ الفاعل، والمفعول، والمفعول لأجله، والمفعول فيه مكانا أو زمانا، والحال، والتمييز، والتوابع وغيرها، فلو لا الفعل أو ما كان في معناه لما كان لهذه وجود، ولما كانت جملة بالأصل، والجملتين الاسمية والفعلية في ذلك سواء، إلا أنه في الفعلية أظهر منه في الاسمية، فإما أن يكون الفعل خبرا مسندا لمبتدأ، أو فعلا مسندا لفاعله، فإلا "قوت الفعل للوصول إلى المستثنى قال ابن السراج: "تقول: جاءني القوم إلا زيدا، فجاءني القوم: كلام تام، وهو فعل وفاعل، فلو جاز أن تذكر "زيداً" بعد هذا الكلام بغير حرف الاستثناء ما كان إلا نصيباً، لكن لا معنى لذلك إلا بتوسط شيء آخر، فلما توسطت "إلا" حدث معنى الاستثناء ووصل الفعل إلى ما بعد "إلا"⁽²⁾، وقال الجرجاني: "وذلك لأن هذا الفعل وإن كان لازماً في الأصل إلا أنه قوي بـ"إلا" فتعدى إلى المستثنى كما تعدى الفعل بالحروف المعدية، ونظيره نصبهم الاسم في باب المفعول معه نحو: استوى الماء والخشبة، فإن الاسم منصوب بالفعل المتقدم بتقوية الواو فكذلك ههنا"⁽³⁾، وقال الرضي: "العامل فيه الفعل المتقدم، أو معنى الفعل، بتوسط "إلا"؛ لأنه شيء يتعلق بالفعل معنى، إذ هو جزء مما نسب إليه الفعل، وقد جاء بعد تمام الكلام فشابه المفعول"⁽⁴⁾، ولـ"إلا" وجه شبه مع حرف العطف، فحرف العطف لا يعمل بدليل أن ما بعده موافق لما قبله في الإعراب رفعا ونصبا وجرا، فالأثر الإعرابي للفعل، ولكنه لم يصل إليه مباشرة إلا عن طريقه، وله وجه اتفاق واختلاف مع حرف الجر، فما بعد حرف الجر لا يكون إلا مجرورا، وكان إعرابه مخالفا لإعراب ما يستوجبه الفعل إذا عمل مباشرة؛ لأنه لا يكون في العمل المباشر إلا الرفع في الفاعل ونائب الفاعل، والنصب في المفاعيل، ولذا أصبح

(1) الإنصاف 262/1، وينظر: أسرار العربية 201.

(2) الأصول 281/1 .

(3) أسرار العربية 201

(4) شرح الكافية 80/2.

الحرف يعمل عملاً مغايراً لعمل الفعل غير مستقل عنه، فاستحق أن يكون هو العامل لاختصاصه بالاسم، ومن ثم استلزم أن تكون بعض الحروف عاملة، وبعضها غير عامل قال عبد القاهر الجرجاني: "ولم يكن له عمل في الاسم لكونه واسطة كما كان للباء في مررت يزيد، وإنما كان النصب مشتركاً بينه وبين الفعل"⁽¹⁾، وقال ابن يعيش: "والفعل يكون لازماً أو منتهياً في التعدي فعدي باللام، وقد تحذف هذه اللام فيقال: فعلت ذاك حذار الشر، وأنتيك مخافة فلان، وأصله لحذار الشر، ولمخافة فلان، فلما حذفت اللام وكان موضعها نصبا تعدى الفعل بنفسه فنصب"⁽²⁾.

و"إلا" حرف لا يعمل بذاته، وإنما هو وسيلة لنقل أثر عامل قصر عن التأثير في معموله كالفعل اللازم فإن معناه لا يتجاوز فاعله نحو "قام" فإنه لا يتعدى صاحبه، ولا يصح أن يقع منه أثر على معمول، فإن قلنا مثلاً: قام القوم زيدا، ف"زيداً" في محل المفعول ولكنه لا يصح معنى، ولا يصل إليه في العمل؛ لأنه لازم غير متعد، ومن جهة أخرى إذا أسند القيام إلى القوم، ونريد أن نخرج زيدا منهم، فالفعل قاصر على أن يؤدي معنى الإدخال والإخراج معاً، فجاءت "إلا" لتعدي أثر الفعل مع إفادة معنى الاستثناء، ولذلك نظير في المفعول معه إن قلت: سرت وعمراً، فالواو غير ناصبة، ولا ناصب لها بعد الواو إلا الفعل، وهذا رأي جمهور النحاة قال ابن الصايغ: "والعامل فيه النصب؛ الفعل الذي قبله بواسطة الواو"⁽³⁾، وقال العكبري: "لأن الاسم منصوب، والنصب عمل، ولا بد للعمل من عامل، و"الواو" غير عاملة للنصب، ولا شيء هنا يصلح للعمل إلا الفعل، فإن قيل الفعل هنا لازم والواو غير معدية له إلى المنصوب قيل: المتعدى إلى الاسم ما تعلق معناه به، والواو علقت الفعل بالاسم فكان الناصب هو الفعل بواسطة الواو كما كان الفعل عاملاً في المستثنى بواسطة "إلا"؛ لأنها علقت الفعل بما بعدها ولم تصلح هي للعمل"⁽⁴⁾.

(1) المقتصد في شرح الإيضاح 700/2 .

(2) شرح المفصل لابن يعيش 53/2 .

(3) اللحة في شرح الملح 368/1 .

(4) اللباب في علل البناء والإعراب 279/1 .

والمستثنى منه و"إلا" جميعا معمولة للفعل، ف"إلا" حرف لا عمل له فيما بعده إن تصدر الجملة ولم يسبقه شيء، ولا ينصب ما بعدها إلا إن توسطت كأن نقول مثلا "إلا زيدا وعمرا القائمان" دون تقدير شيء قبلها، إذ المقدر في حكم الملفوظ، ولا معنى للجملة دون تقدير، ولكنها مكنت من إيصال أثر الفعل إلى المستثنى؛ لأنه لم يستطع الوصول إليه بنفسه، فكانت "إلا" وسيلة له، حتى أن القاضي عبد الجبار جعلها بمنزلة اسم واحد، فقد نقل عنه الرضي قوله: "لكنه قال: المستثنى، والمستثنى منه، وآلة الاستثناء، بمنزلة اسم واحد"⁽¹⁾، وهذا الرأي له من الوجاهة والقوة والمنطق والاطراد مع النظائر ما يجعلني أميل إليه وأقويه.

2- تضمين "إلا" معنى أستثني

يقول الكوفيون إن العمل في المستثنى لـ"إلا" لأنها متضمنة معنى أستثني، والتقدير في قول القائل حضر جميع الطلاب إلا طالبا هو: حضر جميع الطلاب وأستثني طالبا، فالمستثنى في الأصل منصوب بالفعل، وحلت "إلا" محله فهو منصوب بها، وحجتهم فيما إذا كان الفعل لازما فإنه لا يتعدى إلى مفعول مباشر له، فكيف إلى ما أبعد منه، ولا يتأوله معنى الفعل إن قلنا: خرج القوم إلا زيدا، فالمستثنى لم يقع عليه معنى الفعل وهو الخروج، وأيضا إن لم يكن هناك فعلا أصلا نحو: القوم إخوانك إلا زيدا⁽²⁾، وينسب هذا الرأي للمبرد والزجاج قال الرضي: "وقال المبرد والزجاج: العامل فيه "إلا" لقيام معنى الاستثناء بها، والعامل ما به يتقوم المعنى المقترض، ولكونها نائبة عن "أستثني"، كما أن حرف النداء نائب عن "أنادي"⁽³⁾، ويفسد هذا الرأي جواز الرفع بعد "إلا"، حُكي عن أبي علي الفارسي أنه كان مع عضد الدولة في الميدان فسأله عضد الدولة عن المستثنى بماذا ينتصب فقال له: أبو علي ينتصب لأن التقدير أستثني زيدا، فقال له عضد الدولة: وهلا قدرت امتنع زيد فرفعته، فقال له أبو علي هذا الجواب الذي ذكرته لك جواب ميداني، وإذا

(1) شرح الرضي على الكافية 77/2 .

(2) ينظر : الإنصاف 1/264 .

(3) شرح الكافية 2/80 .

رجعنا ذكرت لك الجواب الصحيح إن شاء الله تعالى⁽¹⁾، وأفسده الأنباري من خمسة أوجه⁽²⁾، والحجة بأن الفعل اللازم لا يتعدى مباشرة إلى مفعول واحد فما بالك بما هو أبعد منه مردودة؛ لأن هناك أفعال لا تنصب إلا مفعولا واحدا فتعدت إليه مباشرة وإلى آخر بحرف جر قال السيوطي: "أو لاثنتين بحرف جر، والأول بنفسه، وسمع حذفه من الثاني مع أفعال وهي: اختار قال تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾⁽³⁾ أي: من قومه، واستغفر قال:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ (4)

أي: من ذنبي، وأمر قال:

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَأَفْعَلْ مَا أَمَرْتُ بِهِ (5)

وقال ابن درستويه أصل "تصح" أن يتعدى إلى واحد بنفسه، وإلى آخر بحرف الجر، والأصل نصحت لزيد رأيه، قال أبو حيان وما زعم لم يسمع في موضع، قلت: ولا أظنه مخصوصا بـ"تصح" فإنه ممكن في باقي أخواته إذ يقال: شكرت له معروفه، ووزنت له ماله⁽⁶⁾، وقال المبرد: "وكذلك كل خافض في موضع نصب إذا حذفته وصل الفعل فعمل فيما بعده"⁽⁷⁾،

(1) ينظر: الإنصاف 1/263 .

(2) ينظر: أسرار العربية 202 .

(3) الأعراف الآية 155 .

(4) البيت من البحر البسيط مجهول القائل مستشهد به غير منسوب في: الكتاب 1/37، المقتضب 2/321، الخصائص 3/247، همع الهوامع 5/17، شذور الذهب 397.

(5) البيت من البحر البسيط مجهول القائل مستشهد به منسوب لعمر بن معديكرب في الكتاب 1/37، مغني اللبيب 1/315، الأصول في النحو 1/178، وغير منسوب في: المقتضب 2/321، الكامل في اللغة والأدب 1/39178، شذور الذهب 397..

(6) ينظر: همع الهوامع 5/9 .

(7) المقتضب 2/321 .

3- "إلا" هي العاملة

يرى بعض النحاة ومنهم ابن مالك أن "إلا" هي العاملة؛ لأنها حرف مختص بالدخول على الأسماء قال في التسهيل: "فللمستثنى بـ"إلا" النصب مطلقا بها لا بما قبلها معدى بها، ولا به مستقلا، ولا بـ"أستثني" مضمرا، ولا بأن مقدرة بعدها، ولا بـ"إن" مخففة مركبا منها ومن "لا" خلافا لزاعمي ذلك، وفاقا لسيبويه والمبرد"⁽¹⁾، وقال في شرحه: "واخترت نصبه بها نفسها، وزعمت أني في ذلك موافق لسيبويه وللمبرد وللجرجاني"⁽²⁾، وقال السيوطي: "وصححه ابن مالك وعزاه لسيبويه والمبرد، واستدل بأنها مختصة بدخولها على الاسم وليست كجزء منه فعملت فيه كـ"إن" و"لا" التبرئة"⁽³⁾، فابن مالك يعملها على أنها بسيطة لا مركبة، وفريق آخر من النحاة يعملونها على أنها مركبة منهم الفراء وبعض الكوفيين، وتركيبها من "إنّ" المثقلة و"لا" النافية، وخففت "إن" وأدغمت في "لا"، والعمل فيها من وجهين: نصبوا بها ما بعدها باعتبار إنّ، وعطفوا ما بعدها باعتبار "لا"، فهي تنصب في الإيجاب اعتبارا بـ"إن"، وترفع في النفي اعتبارا بـ"لا"، ورده الجرجاني فقال: "وأما قول الفراء أن "إلا" مركبة من "إن" و"لا" فدعوى تفتقر إلى دليل، ولو قدرنا ذلك فنقول: الحرف إذا ركب مع حرف آخر تغير عما كان عليه في الأصل قبل التركيب، ألا ترى أن "لو" حرف يمتنع به الشيء لامتناع غيره، فإذا ركب مع "ما" تغير ذلك المعنى وصارت بمعنى هلا"⁽⁴⁾.

ولا نريد أن نطيل في سرد بقية الأوجه، ونأتي بها على سبيل الإيجاز والإجمال وهي: أن الناصب بعد إلا "أن" مقدرة نقله السيرافي عن الكسائي، وأن هذه غير "أن" المركبة مع "إلا" كما مر، أو منصوب على المخالفة بمعنى أن المستثنى مخالف لحكم المستثنى منه، فما ثبت للأول ينفي عن الثاني، وما نفي عنه أثبت له، وهو ما نقله ابن عصفور عن

(1) شرح التسهيل 264/2.

(2) شرح التسهيل 271/2.

(3) همع الهوامع 252/3.

(4) أسرار العربية 204.

الكسائي، وأخيرا أنه انتصب بفعل مقدر، ولا يعني هذا ما سبق أنه "إلا" بمعنى أستثنى، نقله السيرافي عن المبرد والزجاج⁽¹⁾.

المطلب الرابع: أدلة ترجيح أن العمل للفعل بواسطة "إلا"

بعد الموازنة بين آراء النحاة وما حاولت إثباته سلفا من اقتصار العمل على الفعل أو الاسم المتصل به، وأن لا عمل للحرف في الأصل، وإنما عمله عارض طارئ عليه مستند إلى الفعل يمكن الاستدلال على هذا الترجيح بما يأتي:

1 - الإلغاء

الإلغاء وهو إلغاء العمل في المستثنى عندما يكون الاستثناء مفرغا لا موجبا، وهو ألا يذكر المستثنى قبل "إلا" بشرط أن يكون مسبوqa بنفي أو شبهه، ويكون ما بعد "إلا" معمولا للفعل رفعا ونصبا وجرا تقول: ما قام إلا زيد، وما رأيت إلا زيدا، وما مررت إلا بزيدا، فلا عمل لـ"إلا" في هذه الأمثلة، فلو كانت عاملة بنفسها، أو بمعنى فعل لكانت عاملة هنا، وهي مفيدة للإثبات في مقابل النفي وشبهه، وإن حذفت "إلا" مع مقابلها النفي يكون المعنى على الإثبات نحو: ما قام إلا زيد، نفي القيام عن غير زيد، وإثباته له كأنك قلت: قام زيد.

2 - البدلية

وهو إبدال ما بعد "إلا" بما قبله نحو: ما قام أحد إلا زيد، والبدل كما هو معلوم إحلال البدل محل المبدل منه فيأخذ حكمه، ولو كانت "إلا" هي العاملة فلا مجال لإعراب المستثنى نصبا، ولم يسمع بتبعية ما بعدها لما قبلها، ولا نطقت العرب بغير النصب، كما نطقت بغير الجر بعد حذف حرفه، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن البدلية لا تقف عند النصب فقط؛ بل تكون في الرفع والجر نحو: لم يأت أحد إلا زيد، فرفع زيد بعد "إلا"؛

(1) ينظر: همع الهوامع 253/3 .

لأنه حال محل ما قبله، ولم يعد لها موضع في إعراب الجملة "إلا" كونها تفيد في المعنى أن بعدها مستثنى كما تفيد الهمزة الاستفهام الاستفهام ولا عمل لها في الإعراب، ونقول: ما مررت بأحد إلا زيد، فجر المستثنى تبعاً للمجرور قبل "إلا"، ونقول أيضاً: ما رأيت أحداً إلا زيدا، فالنصب على البدلية لا "إلا" فالمنصوب بعده هنا كالمرفوع والمجرور، والباب على نسق واحد.

3 - وقوع "غير" موقعها فتتصب، وتجر ما كان مستثنى على الإضافة.

تقع "غير" موقع "إلا" فتتصب، ويكون المستثنى بعدها مجروراً بالإضافة إليها نحو: قام القوم غير زيد، و"غير" هنا- وفي نظري- أنها منصوبة على وجه الشبه بالمفعول كما حكى عن الكسائي⁽¹⁾، قال الزمخشري: "والمفعول أضرِب: المفعول المطلق، والمفعول فيه، والمفعول معه، والمفعول له، والحال، والتمييز، والمستثنى المنصوب"⁽²⁾، وإن كان الفعل لازماً؛ لأجل أنها أتت في محل الفضلة، والفضلة حكمها النصب، فالفعل "قام" من قولك: قام القوم إلا زيدا، لازم غير متعد، وفاعله القوم، ولم يعد لزيد في الجملة إلا أن يكون فضلة، وهو ما شغله بعد "إلا"، ف"غير" والمستثنى المنصوب بـ"إلا" يتشابهان، يقول الأتباري: "فإن "غير" منصوب، ولا يخلو إما أن يكون منصوباً بتقدير "إلا"، وإما أن يكون منصوباً بنفسه، وإما أن يكون منصوباً بالفعل الذي قبله، بطل أن يقال: إنه منصوب بتقدير "إلا"؛ لأننا لو قدرنا "إلا" لفسد المعنى؛ لأنه يصير التقدير فيه قام القوم إلا غير زيد، وهذا فاسد، وبطل أيضاً أن يقال: إنه يعمل في نفسه، فوجب أن يكون العامل هو الفعل المتقدم، وإنما جاز أن يعمل فيه وإن كان لازماً لأن "غير" موضوعة على الإبهام"⁽³⁾،

4 - وقوع "إلا" وصفا مع ما بعدها كما تقع "غير"

(1) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف 1/261 .

(2) شرح المفصل 1/71 . وينظر شرح الرضي على الكافية 2/80.

(3) الإنصاف 1/263.

تقع "إلا" مع ما بعدها وصفا نحو قول الله تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾⁽¹⁾، فالمعنى على الاستثناء مفسد لمعنى الآية لإحالته إلى معنى غير مراد وهو: لو وجدت آلهة واستنتى منها الله لفسدتا، وعكسه لو وجدت الآلهة مع الله لصلحت، وهذا فاسد، والمعنى كما فسره العلماء لو وجدت آلهة، وأن هذه الآلهة موصوفة بأنها غير الله لفسدتا، ف"إلا الله" وصف لتلك الآلهة، وفي هذه الحالة فإن "إلا" وما بعدها في محل رفع وصف لآلهة⁽²⁾، وهذا يدل على أنه لو كانت "إلا" عاملة بنفسها لنصبت ما بعدها، ولو كانتا جميعا في محل الوصفية، ف"آلهة" اسم "كان"، والجار والمجرور خبرها، والعامل في الموصوف عامل في الصفة، وقد عقد سيويوه بابا سماه "باب ما يكون فيه "إلا" وما بعده وصفاً بمنزلة "مثل" و"غير" قال: "وذلك قولك: لو كان معنا رجلٌ إلا زيدٌ لغلينا، والدليل على أنه وصف أنك لو قلت: لو كان معنا إلا زيدٌ لهلكننا وأنت تريد الاستثناء لكنك قد أخلت"⁽³⁾، وقال العكبري: "ويجوز أن تقع "إلا" صفةً بمعنى "غير" فيجري ما بعدها على ما قبلها"⁽⁴⁾، ويقول ابن السراج: "وكذلك إن جعلت "إلا" بمعنى "غير" قلت: جاءني القوم إلا زيدٌ، ومررت بالقوم إلا زيدٌ، ورأيت القوم إلا زيداً، تنصبه نصب "غير" على الصفة لا على الاستثناء"⁽⁵⁾.

(1) الأنبياء الآية رقم 22.

(2) ينظر: البحر المحيط 420/7.

(3) الكتاب 331/2.

(4) اللباب في علل لبناء والإعراب 312/1.

(5) الأصول 285/4.

الخاتمة

في خاتمة هذا البحث لا أدعي أنني استقصيت جميع ما يتعلق بأداة الاستثناء وعملها، ولكني أتيت على شيء منه، فما لا يدرك كله لا يترك جله، ويمكن إيجاز نتيجة البحث في الآتي:

1- أن العامل في المستثنى هو الفعل، وأداته في الوصول إلى المستثنى "إلا" كما وصل إلى بعض المفاعيل بحروف الجر.

2 - أن الحرف ليس بعامل و"إلا" حرف فترجح قول بعض البصريين أن "إلا" غير عاملة، وأن العامل في المستثنى هو الفعل بواسطة "إلا".

3 - أن الفعل هو العامل متفق عليه عند النحاة، ولم يقل أحد أن الفعل غير عامل، والمآل إلى شيء متفق أولى حتى يسير العمل على وثيرة واحدة، وعلى نسق واحد.

4 - أن العامل وصل إلى المستثنى بواسطة "إلا" ليس بمبتدع، فقد جرت له نظائر أخرى كواو المعية.

5 - القول بأن الفعل هو العامل يطرد في جميع أساليب الاستثناء تاما ومفرغا، ومثبنا ومنفيا، ويتفق مع كل المعاني المستفادة من الاستثناء.

هذا ما أردت بيانه وتوضيحه، والأمر أوسع مما أن يحاط في إيجاز سريع، وتحقيق أقوال العلماء في هذا يحتاج إلى وقت أطول وصبر وتأن، وإمعان نظر، فلرب ما يترجح اليوم ينقض غدا، وما عُقِلَ عنه في بابه أكثر مما استُحْضِر، ووجه القصور فينا من هذا بادٍ للعيان، نسأل الله تعالى أن يلهمنا الصواب، ويهدينا سواء الصراط.

هذا جهد العبد الضعيف، فإن أصبت فذلك فضل الله ومنة منه، وإن أخطأت الطريق فعذري أنني اجتهدت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية الإمام قالون.

- أسرار العربية لأبي البركات الأنباري، تح: محمد بهجت البيطار، مطبعة الترقى، دمشق، 1377هـ، 1957م.

- الأصول في النحو لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط، الثالثة 1988م.

- الإنصاف في مسائل الخلاف لعبد الرحمن بن محمد الأنباري ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا، بيروت، 1407هـ-1987م.

- الإيضاح في شرح المفصل لأبي عمر عثمان بن الحاجب، تح: د. موسى بناي العلي، دار إحياء التراث الإسلامي.

- التحفة الوفية بمعاني حروف العربية، لإبراهيم بن محمد بن إبراهيم السفاقي.

- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- الحدود لعلي بن عيسى الرماني، تح: بتول قاسم ناصر، مجلة المورد، المجلد الثالث والعشرين، العدد الأول، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق.

- خزانة الأدب ولب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي، دار صادر، بيروت.

- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية 1952م.

- ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. الثانية 1417هـ-1996م.

- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر بيروت.

- ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان، تح: رجب عثمان محمد، رمضان عبد

- التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. 1، 1418هـ - 1998م.
- شرح الأشموني لألفية ابن مالك، تح: عبد الحميد السيد عبد الحميد، المكتبة الأزهرية للتراث.
- شرح الرضي على الكافية الحاجب لرضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي، تح: يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس، 1398هـ - 1978م.
- شرح المفصل لموفق الدين بن يعيش، عالم الكتب، بيروت.
- الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تح: حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ط. 1، 1417هـ - 1997م.
- كتاب سيبويه لأبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، ط. 1.
- اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري، تح: غازي مختار طليمات، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط. 1، 1416هـ - 1995م.
- اللحة في شرح الملحة لمحمد بن الحسن الصايغ، تح: إبراهيم بن سالم الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط. الأولى، 1424هـ/2004م.
- المطالع السعيدة لجلال الدين السيوطي، تح: طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية، الإسكندرية، 1999م.
- المقتصد في شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجاني، تح: كاظم بحر المرجان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، ط. 2، 1979م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للإمام جلال الدين السيوطي، تح: د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة بيروت ط. 2، 1987. دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع الكويت 1977م .

دور وسائل النقل المتطورة في تنمية السياحة

إعداد : د. عياد ميلاد المجرش

د. الصادق محمود حامد

المقدمة :

يُعد النقل أحد الأسباب المهمة لازدهار السياحة في أي بلد ، وبواسطة الطرق ووسائل النقل بأنواعها كافة يتم توفير متطلبات أنشطة السياحة والترويج في المكان المقصود ، وكذلك يتم ربط المزار السياحي بأسواق الطلب ، بما يعني أن النقل يمثل القاعدة الرئيسية للسياحة ورواجها ، ويعبر أيضاً عن درجة التمدن والحضارة مؤشر على مدى الرقي الاقتصادي للبلد.

تعتبر شبكة المواصلات الجيدة والحديثة من أهم الأشياء المطلوبة من أجل حرية التنقل والوصول وتقديم الخدمات لكافة القطاعات الخدمية والمرفقية في الدولة ولاسيما في قطاع السياحة⁽¹⁾.

إن ازدهار السياحة والترويج لها في أقاليم ودول العالم المختلفة يرتبط بتقدم طرق ووسائل النقل ، ولا يمكن للمواقع السياحية أن تكون أكثر جذباً للسياح طالما لا تتوفر لها إمكانية الوصول بغض النظر عما تقدمه من تسهيلات وخدمات ، وتؤثر وسائل النقل السريعة والمريحة على السياحة والترويج فالمسافة والزمن مرتبطان ، مثال ذلك السياحة بالمناطق الجنوبية في ليبيا، فسرعة وسائل النقل حالياً جعلت العالم أشبه بقرية صغيرة ، وبهم السائح الوقت الذي يلزمه للوصول إلى الجهة السياحية التي يرغب

¹ - هناء أبو القاسم أبودية، التخطيط السياحي لمدينة لبدية الكبرى ومدى تأثيره في زيادة الخل القومي، المؤتمر العلمي الأول لكلية الآداب (دور العلوم الإنسانية في معالجة قضايا المجتمع) ،جامعة طرابلس، 2015 م، ص117 .

الذهاب إليها ، ويذهب بعض خبراء السياحة إلى أن إمكانية الوصول للموقع السياحي تلعب دوراً مهماً لا يكاد يختلف عن الخصائص الجمالية للموقع نفسه. إن تسهيلات النقل في معظم دول العالم ساعدت على إيجاد مدن وقرى المنتجعات ، إذ ساعدت الأفراد الذين يرغبون إلى قضاء أجازاتهم في الاستجمام والترفيه والراغبين للراحة بأن يذهبوا إلى هذه المنتجعات ، التي تقدم لهم هذه الخدمات ، ولم يعد النقل في الوقت الحاضر وسيلة للوصول إلى مكان ما ، وإنما أصبح هدفاً في حد ذاته ، ومع تطور وسائل النقل تشهد أنشطة السياحة نمواً وازدهاراً لم يكن ليتحقق بدون النقل إن عدم التوازن في الأجور والحظوظ بين موظفي القطاع السياحي ، والقطاعات الاقتصادية الأخرى وكذلك الامتيازات فهذا القطاع يؤدي إلى هروب الإطارات من القطاعات الأخرى إلى القطاع السياحي الذي يتوفر فيه العامل على حظوظ أكثر من العامل في القطاعات الاقتصادية الأخرى (التجربة التونسية تثبت ذلك) كما أن تركيز الخدمات والمرافق السياحية في المدن الكبرى يؤدي إلى خلق النزوح الريفي كما هو الحال في إسبانيا (1).

مشكلة الدراسة :

تتركز مشكلة البحث في عدم الاهتمام بمجال التخطيط السياحي وعلاقته بتوفير وسائل النقل بانواعه لخدمة السياحة، وفي تنظيم هذه الوسائل وبالأسعار المناسبة التي تساعد السائح، والاستفادة من الكفاءات وذوي الخبرات في تطوير مجال السياحة بما يحقق التنمية الاقتصادية المطلوبة وتطور شبكة النقل لتواكب ازدياد أعداد السواح ومن تم زيادة الدخل القومي . .

¹ - بوعقلين بديعة، السياسات السياحية في المجتمع الجزائري وانعكاساتها على العرض

والطلب رسالة ماجستير غير منشورة سنة 1996 ص : 34.

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية الدراسة في أنها تعد من الدراسات القلائل التي تعتنى بأبرز دور علاقة النقل بأنواعه بالسياحة والتخطيط السياحي وأيضا تكمن أهميتها في أنها سنتلقي الضوء على اغلب الدراسات المتخصصة والمتعمقة في النقل ودوره في نشاط السياحة, وكيفية المحافظة على البيئة.

أهداف الدراسة :

تتمحور أهداف الدراسة في.

- 1- تحديد وتوضيح أهم المشاكل والمعوقات التي تواجه قطاع السياحة والحركة السياحية وتأثرها بتطور شبكات النقل لتواكب ازدياد أعداد السواح .
- 2- توفير قاعدة للبيانات والمعلومات السياحية الخاصة بالمنطقة السياحية .

مفهوم السياحة:

تعد الحركة والتنقل من خصائص الإنسان، فقد اعتاد منذ نشأته التنقل من مكان إلى آخر سعيا وراء لقمة العيش من جهة، وبالاعتماد على وسائل النقل المختلفة سواء الجوي أو النقل البري وسعيا لتحقيق المتعة النفسية والذهنية من جهة أخرى. ومع الأيام تحولت عملية التنقل هذه إلى ظاهرة ذات أبعاد مختلفة، شملت المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية كل على حدى. وانبثق عن عملية التحول هذه ما يعرف بظاهرة السياحة.

وبارتباط السياحة مع قطاعات عديدة، أدى بمفاهيمها إلى التعدد وكل مفهوم يتحدد بحسب طبيعة الجهة الدارسة لها. فمن وجهة نظر الاقتصادي السياحة تعتبر نشاط اقتصادي، وأما من وجهة نظر الاجتماعي فهي عبارة عن علاقات اجتماعية وإنسانية... ويشمول السياحة قطاعات عدة، جعلها تتطور عما كانت عليه في الماضي، فتزايدت الحركة السياحية الدولية بدرجة كبيرة. وأصبح السائحون يمثلون نسبة

معتبرة من سكان العالم. وعليه من خلال هذا الفصل سوف نحاول التطرق للتطور التاريخي للظاهرة السياحية مع الإلمام بمختلف التعاريف والمفاهيم المرتبطة بالسياحة والسائح.

النقل والمواصلات وعلاقته بالسياحة:

يرتبط التطور في السياحة ارتباطا وثيقا بالتقدم في تكنولوجيا المواصلات ، ولا تصبح المواقع أكثر جذبا للسائحين طالما لا تتوفر فيها إمكانية الوصول ، بصرف النظر عما تقدم من تسهيلات وقد ارتبط بالتطور بالنقل بالسكك الحديدية ، وفي فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية أدت الزيادة في امتلاك السيارات إلى زيادة مماثلة في السياحة الداخلية في المنتجعات الدولية ، ولم يكن التغيير في حجم الحركة فقط بل في تعديل أنماطها ، مما انعكس بدوره على أنماط تنميتها .

ويذهب سميلز Smailes إلى إمكانية الوصول إلى المواقع السياحية تلعب دورا لا يكاد تختلف عن الخصائص الجمالية المائية ، في حين يرى بيريللو أن تسهيلات النقل والمواصلات ساعدت على خلق المراكز السياحية خلقا جديدا .

دور وسائل النقل المتطورة في تنمية السياحة وازدهارها:

يُعد النقل بكل أنواعه من أهم أسباب تقدم السياحة وتطورها . ولكي تخدم طرق ووسائل النقل والمواصلات الأغراض السياحية بالشكل الأمثل يجب أن تتوفر فيها الشروط التالية:

1- الراحة : إن أهم ما يقصده السائح هو راحة الجسم وراحة البال، فوسائل النقل يجب أن توفر المقاعد المريحة مع التهوية الصحية ودرجات الحرارة المناسبة ، وتوفير الخدمات من مرافق صحية وحمامات وتقديم وجبات أو مرطبات وتوفير الاستراحات على الطرق مع إمكانية التمتع بالمناظر الطبيعية الخلابة خلال الرحلة.

2- الأمان : من الأمور التي تشجع استعمال وسائل النقل للأغراض السياحية والترفيهية

هي أن يتم تطبيق مستوى جيد من مستلزمات الأمان للأشخاص وتأمين الأمتعة من الضياع والتلف.

3- السرعة : اختيار السرعة المناسبة التي يطمئن إليها المسافر وتوقيت الرحلات السياحية بموجب ذلك ، بحيث يتم مراعاة الحالات النفسية للسائحين.

4- السعة : العمل على تهيئة طاقات النقل للأشخاص والأمتعة بما يتلاءم ومقدار الطلب ، على أن يمتاز جهاز النقل بالمرونة بما يتناسب وساعات النهار خلال اليوم الواحد ، وكذلك بالنسبة لمقدار الطلب خلال فصول السنة والمواسم والأعياد والإجازات والزيارات الدينية.

5- الانتظام : إن الالتزام بمواعيد السفر يبعث الثقة للمسافرين ويساعد السياح من استغلال أوقاتهم بشكل أفضل الاستغلال الأفضل للوقت بما يؤدي إلى تخطيط أمثل للسياحة.

6- الاختيار: إن توفير أوقات مختلفة ومتعددة ومتكررة يومياً في الحافلات والمركبات العامة لانطلاقها بين مدينتين أو بلدين يعطي السائح مجال الاختيار في الوقت الذي يناسبه لسفره ويقبل من فترات الانتظار .

7- الشمول : قد تتضمن الرحلة السياحية استخدام أكثر من وسيلة من وسائل النقل ، وقد تتكامل الوسائل مع بعضها لخدمة السائح كتكامل النقل بالسيارات والعبارات أو النقل المائي ، أو السيارات مع القطارات ، أو السيارات مع الطائرات

8- التكلفة المناسبة : تشكل تكلفة النقل نسبة غير قليلة من مجموع تكاليف السفارة السياحية ، وأي محاولة لتقليل تكلفة النقل ستمكن عدداً أكبر من السياح للاستمتاع بالرحلة السياحية ، ويمكن للدولة دعم وسائل النقل المختلفة وتقديمها خدمات بتكاليف أقل وبصورة خاصة للسياح، فالتخطيط السياحي له دوراً بارزاً وضرورة ملحة تمكن

قطاع السياحة من تحقيق أهدافها بوضوح حتى يتسنى لكل العاملين بالقطاع السياحي من تحقيق هذه الأهداف وفي إطار عمل مشترك وبروح واحدة⁽¹⁾.

9- المسؤولية : ينبغي أن يتحمل جهاز ووسائل نقل المسافرين والسياح والأمتعة مسؤولية هذا النقل بأمان وضمان وتعويض عن الأضرار في حالة الحوادث والكوارث والنكبات وفقدان الأمتعة.

الأثر المتبادل بين النقل والسياحة:

المجتمعات البشرية كانت تعيش سابقاً في مناطق محدودة ومعزولة بعضها عن البعض الآخر ، أن توفر طرق ووسائل النقل والمواصلات بمختلف الأنواع والسبل أزال هذه العزلة ، ووفر مجالات الاختلاط والتداخل فيما بينها. وقد قاد ذلك إلى تبادل الخبرات والتمتع من قبل جماعات أوسع بالميزات الموجودة في منطقة كانت معزولة . وأدى تطور طرق ووسائل النقل والمواصلات إلى ازدهار صناعة السياحة . فقد هيأت وسائل النقل إمكانات التنقل الشخصي والجماعي ، وتبادل وجهات النظر، وانتقاء الممارسات الناجحة في منطقة ما واستخدامها في مناطق أخرى ، مما شجع بشكل ملحوظ على السياحة وأدى إلى توسيع مفاهيم الإنسان وزيادة المعرفة والتقارب والانسجام في مختلف الفعاليات ، وعليه فكلما كانت خدمات النقل بكل أنواعها أفضل خدمت الأغراض المذكورة بشكل أكثر فعالية.

وتشير معظم الدراسات حول السياحة إلى أن العامل الأهم الذي يؤثر في حجم الحركة السياحية هو أسعار النقل بشكل خاص ، بما لها من تأثير واضح على التكاليف الشاملة للسياحة.

¹ - قسيمة: كباشي حسين، التخطيط السياحي وأثره في مناطق ومواقع التراث الأثري، مجلة جامعة شندي، 2010م،

إن الفكرة من دراسة أثر النقل بكل أنواعه في تقدم الحركة السياحية وتطورها هو بيان للعلاقة القوية والمتبادلة بين النشاطين ، وكذلك بيان مدى تأثير طرق ووسائل النقل على الاقتصاد الوطني وارتباط ذلك وتنشيط السياحة سواء كانت داخلية أو خارجية.

ونعرض أهم طرق ووسائل النقل المؤثرة في السياحة:

1- النقل الجوي.

2- النقل النهري والبحري.

3- النقل البري بالسيارات.

4- النقل البري بالقطارات (السكك الحديدية).

أولاً : النقل الجوي:

إن للنقل الجوي أهمية كبيرة في الاتصال بين الشعوب ويعتبر من أكثر وسائل النقل تطوراً ، كما أصبح من لوازم السفر والسياحة ولأسباب عدة منها عامل السرعة والزمن ، وبدلاً من أن يقضي السائح جزءاً كبيراً من رحلته على وسيلة النقل بحراً أو برّاً ، فإنه يمضي وقته في الاستمتاع بالرحلة ذاتها على حساب الزمن المتوافر في الانتقال . بالإضافة إلى ذلك فإن قطاع الطيران قد تقدم كثيراً فأصبح السفر مريحاً إلى أقصى الحدود ، واستحداث الدرجة السياحية في الطائرات والدرجة الاقتصادية وذلك لتشجيع الانتقال من مكان إلى آخر جواً . ويتميز السفر جواً عن غيره من وسائل النقل بالآتي :

أ- درجة الأمان : لا يمكن لأي رحلة لا تتصف بالأمان أن تغري السائح بالمقارنة بين مختلف وسائل النقل الأخرى ، والأمان مسألة تعود للسائح يقدرها كما يعتقد .

ب- عامل السرعة : إن أسرع وسائل النقل هو الطيران ، ومن السهل اختيار وسيلة النقل بمقارنة الزمن الذي تستغرقه كل رحلة تبعاً لكل وسيلة ، ومن ثم احتساب طول مدة الإقامة في البلد مقصد السياحة ، وذلك يتوقف على مدة الإجازة الممنوحة للسائح

ج- المواظبة والراحة والتكرار : يعتبر توفير الراحة ضرورة في وسيلة السفر ونوع الخدمة التي تقدم للسائح ، فإن لها تأثير كبير على تيسير سفر السائح وترغيبه فيه ،

وكذلك أهمية المواظبة في مواعيد السفر لأنها مرتبطة بتنظيم السائح لرحلته ومدة إجازته . وهناك أربع خطوات رئيسية تتعلق بعامل المواظبة هي التوجيه من مكان الإقامة إلى محطة المغادرة ، والقيام بالرحلة على خير وجه ، وانتظار المغادرة ، ثم الوصول من مكان المغادرة إلى مكان الوصول.

د- الأجرة : بالنسبة لأجور تذكرة الطائرات نجد أن هناك تعريفات عادية وأخرى مخفضة لعدة أيام أو أسابيع ، أو مخفضة لمجاميع سياحية ، أو مخفضة للشباب ، أو مخفضة في مواسم دون أخرى خصوصاً في موسم الشتاء عندما تقل حركة السياحة في هذا الفصل ، أو مخفضة في تنشيط حركة السياحة إلى بعض المعارض خصوصاً المهرجانات التسويقية وكذلك حضور المؤتمرات.

ويُعتبر السفر جواً من ضروريات ومقتضيات السياحة في العصر الحديث ، ولا يعني أن هذا النقص من شأن وسائل النقل الأخرى ، ولا زال النقل البحري والنهري وفي السيارات والقطارات لها قيمتها في نقل السائح من مكان إلى آخر ، وما زالت التحسينات تدخل عليها كزيادة السرعات والراحة وتقديم الخدمات باستمرار.

وقد كان نتيجة إدخال التحسينات الضرورية على طرق ووسائل سفر السياح عن طريق الجو وباستخدام الطائرات النفاثة السريعة ، وإجراء التحسينات وتقديم خدمات أفضل وأسرع في المطارات كان له أثره الكبير في زيادة الإقبال على سفر السياح جواً سواء كان داخلياً أو خارجياً.

ومن الجدير بالذكر أن معظم شركات الطيران العالمية التابعة لمنظمة إياتا اتفقت فيما بينها على تخطيط وتنظيم وتشغيل خدماتها لتكمل عمليات بعضها مع البعض الآخر ، دون التنافس على الخطوط وجذب السياح.

2- النقل البحري والنهري:

يعتبر النقل بحراً من أهم عوامل جذب السياح ، ولاسيما وأن أجور النقل على السفن أقل بكثير من أجور النقل جواً ، إذ أن معظم السياح هم حالياً من الطبقات المتوسطة ذات الدخل المحدود.

وتُعد شركات النقل البحري من أهم المقومات السياحية ، لذلك يتطلب ضرورة بناء أسطول بحري يُعوّل عليه في نقل الأعداد الهائلة من السياح ، وإقامة الأرصفة الحديثة وما إلى ذلك من متطلبات وسائل النقل والرسو وسفر ووصول السياح.

3- النقل البري:

يعتبر النقل البري بوسائله المختلفة من قطارات وسيارات عامة وخاصة ، من أهم وسائل النقل المؤثرة في حجم الحركة السياحية في العالم.

وقد اهتمت العديد من الدول أخيراً بتحديث شبكات وخطوط النقل الحديدية ، واستخدام قطارات سريعة ومريحة ومكيفة ، وتجهيز محطات السفر والوصول لراحة السياح واستخدام أحدث التكنولوجيا في حجز وبيع تذاكر السفر كالحاسوب الإلكتروني والمكنات الآلية.

وقد اهتمت معظم الدول بمرافق النقل البري وأنشأت العديد من الطرق السريعة والجسور والأنفاق ومحطات الاستراحة لتسهيل حركة مواطني تلك الدول والسياح.

وأُسست العديد من الدول مؤسسات وشركات النقل البري ، واستخدمت السيارات الكبيرة والحديثة والسريعة يعد قطاع النقل بفروعه وأنشطته المختلفة مكوناً مهماً من مكونات البنية الأساسية للاقتصاد الوطني وركيزة أساسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة في أي بلد؛ نظراً لما له من تأثير على القطاعات الاقتصادية الأخرى مثل: قطاع الصناعة، وقطاع التجارة ، وقطاع السياحة وغيرها من القطاعات الاقتصادية.

ولا يخفى على أحد أن توفر شبكات حديثة ومتكاملة للنقل بوسائله المختلفة: (بري، بحري، جوي) يمثل عاملاً مهماً في تحديد مواقع واتجاهات الأنشطة الاقتصادية المختلفة ، فهناك علاقة ارتباط قوية بين التطور الاقتصادي والاجتماعي لبلد ما ومستوى نمو قطاع النقل كون النمو الاقتصادي يتأثر وبصورة مباشرة بكفاءة قطاع النقل ومرونته حيث تم من خلال شبكات النقل المختلفة عمليات التبادل بين مراكز الإنتاج ومراكز الاستهلاك. المؤثرة على الطلب السياحي لا يمكن عليها أو التنبؤ بها.

ويعد التقدم في صناعة السيارات في مطلع القرن العشرين ثورة في حركة السياحة والاستجمام بواسطتها أصبحت السياحة مرنة والأماكن المزاراة أكثر ارتيادا لكل الأفراد ، كما قدمت المرونة في اختيار المكان وطول الفترة الاستجمام كما ساعدت على الحركة السريعة والاقتصاد في الوقت حتى أصبحت أكثر شعبية ومكنت الأشخاص من السفر بعيدا في حرية كاملة . كما شجعت على قضاء الإجازات القصيرة وعطلات نهاية الأسبوع مما دعا البعض إلى تسميته السيارة أداة الاستجمام Recreational ويرى ميشل إلى أنه لكي يتم فتح دولة ما أمام السياحة وتطوير وإنشاء مراكز سياحية جديدة فإن ذلك يتطلب:

- وجود شبكة آمنة وواسعة من الطرق التي تربط بين المناطق السياحية.
 - وجود شبكة طرق ثانوية لتسهيل عملية الربط بين الطرق الرئيسية .
 - أن يشمل نظام الطرق كل أرجاء الدولة، لكي يشجع السائح على الحركة.
 - تماش وجود نهايات مينة في الطرق لكي لا تمثل عائقا للسيارات.
- ويرى البعض أن إمكانية استئجار سيارة للقيام برحلة ساعد على زيادة الاهتمام بالسيارات للقيام بالرحلات ... وهناك العديد من الأمثلة توضح أثر الطريق البرية استخدامها. لمناطق السياحية ففي فرنسا كان تهيئة طرق سريعة ومداخل سريعة وسهلة للمنتجات القائمة وراء زيادة استخدامها ... كذلك إسبانيا التي صنعت طرق برية إلى جبال البرانس وتوجه السياح للاستجمام في المناطق الطبيعية الجبلية .

دور السياحة في قضايا التنمية :

رغم تباين الآثار الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لصناعة السياحة في العالم وتباين أنواعها وأنشطتها المختلفة إلا أن الدلائل العلمية وتجارب الدول تشير إلى التزايد الملحوظ في الدور الذي تلعبه السياحة بصفة عامة في قضايا التنمية بمفهومها الشامل وقد ترجم

الاهتمام الشديد بقطاع السياحة في الكثير من دول العالم في شكل تشجيع الاستثمارات الأجنبية وإعطاء المزيد من الحريات للقطاعين العام والخاص بمزاولة العديد من الأنشطة وإنشاء المشروعات السياحية وأن الملتقيات والندوات التي انعقدت بالدول العربية لأكبر دليل على الأهمية التي ولتها الجزائر في الآونة الأخيرة لقطاع السياحة. إن انخفاض معدل البطالة يمكن أن يؤدي إلى تحقيق درجة عالية من السلام الاجتماعي ويزيد ثقة الجماهير في القيادة⁽¹⁾.

هذا بالإضافة إلى التسهيلات المتنوعة كالإعفاءات الضريبية أو التخفيض منها وخاصة الصناعات التقليدية وكذلك المساعدات الجمركية والتسهيلات التي يتلقاها أصحاب السياحة العمومية والخواص والأجانب وكذلك مساهمة الدولة في تكاليف إنشاء الخدمات اللازمة للمشروعات السياحية كتمهيد الطرق في الأماكن السياحية الوعرة والمسالك الضيقة وكذلك إنشاء العديد من الطرق الجبلية و الشبكات الخاصة بالكهرباء والمياه والاتصالات وغيرها من الخدمات الأخرى التي تعمل في إنجاح السياحة.

قطاع النقل في ليبيا وأثره على السياحة في ليبيا:

تقع ليبيا فلكياً بين خطي طول $9^{\circ} 25'$ شرقاً وان أقصى امتداد لها من ناحية الشمال يصل إلى دائرة عرض $10^{\circ} 33'$ شمالاً في إقليم الجبل الأخضر في الشمال الشرقي، وأقصى امتداد لها من ناحية الجنوب يصل إلى دائرة عرض $46^{\circ} 18'$ في طرفها الجنوبي الشرقي، وهي بالتالي تقع في شمال القارة الأفريقية وجنوب قارة أوروبا⁽²⁾.
تقع ليبيا جغرافياً في الجزء الأوسط من الساحل الجنوبي للبحر المتوسط حيث يحدها من الشمال البحر المتوسط ومن الشرق كلاً من جمهورية مصر العربية ودولة

¹ - أحمد ماهر - عبدالسلام أبو حقف : المنشآت السياحية والفندقية مصر , المكتب العربي الحديث, الإسكندرية, 1999م, ص22.

² - سالم الحجاجي , 1989م , ليبيا الجديدة , منشورات مجمع الفاتح للجامعاتو ص14 .

السودان، ومن الجنوب تشاد والنيجر، ومن الغرب تونس والجزائر وتطل ليبيا على خط ساحل بحري بطول 1950 كم تقريباً وبمساحة تقدر 540. 1.759 كم² (1) .

تعاني المناطق السياحية في ليبيا من قلة توفر السيارات والمتمثلة في سيارات الأجرة والحافلات الخاصة بالنقل السياحي و الداعمة للسياحة والنشاط السياحي. وقد حقق قطاع النقل في ليبيا نقلات نوعية على ما كان عليه قبل خاصة في السنوات العشر الماضية، ففي مجال النقل البري جرى توسيع وتحديث شبكة النقل البري وربط مختلف المدن الرئيسية والعديد من المناطق الريفية بشبكة طرق حديثة حيث بلغ إجمالي طول شبكة الطرق البرية في البلاد حتى عام 2007م بحسب الإحصائيات الرسمية (كيلو متر) منها (كيلومتر) طرق إسفلتية، (كيلومتر) .

وفي مجال النقل البحري والذي يمثل ركيزة من الركائز الأساسية لاقتصاد في الدولة الليبية نظراً لطول الساحل الليبي الممتد بطول 2000 كيلومتر ، وكذلك نظراً لامتلاك ليبيا أحد عشر ميناء وهي: (الزاوية، طرابلس، الخمس، مصراتة، رأس الأنوف، البريقة، السدرة ، الزويتنة، بنغازي، درنة، طبرق) منها أربع موانئ رئيسية هي: (طرابلس، الخمس، مصراتة، بنغازي) والباقي موانئ فرعية إضافة إلى الموانئ النفطية الرئيسية التي تستقبل السفن العملاقة الناقلة للنفط مما يجعل حجم نشاط الملاحة البحرية في المياه الإقليمية الليبية ما بين (3000-3500) سفينة إلى الموانئ.

4- النقل الجوي:

وفيما يتعلق بنشاط النقل الجوي فقد حقق هو الآخر تطوراً نسبياً خلال هذه السنوات الأخيرة حيث وصل عدد المطارات الدولية في ليبيا (4) مطارات ، بينما بلغ عدد المطارات الداخلية (8) مطارات والعديد من المطارات النفطية الخاصة بالحقول والموانئ . وقد اتسع نشاط هذا القطاع بحيث وصل حجم حركة الركاب في المطارات الدولية ما بين (1.2-1.5) مليون راكب سنوياً ، كما تتراوح حركة الطائرات في المطارات ما بين

¹ - محمد المبروك المهدي، 1098م ، جغرافية ليبيا البشرية ، دار الكتاب الوطنية ، الطبعة الثالثة ، ص7.

(18 - 22) ألف طائرة سنوياً، بينما بلغت حركة الشحن للبضائع ما بين (15 - 20) ألف طن سنوياً في المتوسط .

يعد قطاع النقل من القطاع الهامة في تركيبة الاقتصاد اليمني حيث تتراوح نسبة مساهمة هذا القطاع في الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي ما بين (10-13) % سنوياً.

- **التكلفة المناسبة :** تشكل تكلفة النقل نسبة غير قليلة من مجموع تكاليف السفارة السياحية ، وأي محاولة لتقليل تكلفة النقل ستمكن عدداً أكبر من السواح من الحضور وإنعاش السياحة بشكل أكبر.

الخاتمة

بعد تطرقنا إلى مفهوم السياحة على رأي الفلاسفة والمختصين والتي تبين أن مفهوم السياحة هو التقارب وربط العلاقات الإنسانية ، وكذلك العادات والتقاليد ، ومن خلال هذه المفاهيم الأساسية تم تعريف السياحة وتأثرها بحركة النقل وذلك حسب المفهوم الحديث، والتي تتعلق بالقواعد السياحية والعلاقات التي تترتب على إقامة مؤقتة لشخص أجنبي، ومن خلال هذه المفاهيم والتعاريف السياحية نصل إلى أن هناك أذن عدة أنواع للسياحة ، فهي تختلف من شخص إلى آخر ومن موقع إلى موقع آخر، فكل قطاع قابل للنمو والتطور، فإن قطاع السياحة أيضا هو قابل للنمو والتطور وساهم في النمو الاقتصادي وذلك حسب الأزمنة، وهذا التطور لا يخلو أيضا من العيوب والمزايا ، فهو يساهم في زيادة الدخل الوطني وذلك إذا كان قدوم السواح للمناطق السياحية ، أما إذا كان العكس أي خروج المقيمين إلى خارج الوطن فهذا يؤدي خروج العملة الصعبة وبالتالي يعود بالخسارة على ميزان المدفوعات. ومن خلال دراستنا هذه نجد أن السياحة لا تتمثل في خروج ودخول الأشخاص فقط ، بل هناك صناعة سياحية يمكن أن تصدر إلى البلدان الخارجية وهذه الصناعة السياحية تدخل في إطار التنمية الوطنية.

قائمة المصادر والمراجع

- 1 - هناء أبو القاسم أبودينة, التخطيط السياحي لمدينة لبدة الكبرى ومدى تأثيره في زيادة الخل القومي, المؤتمر العلمي الأول لكلية الآداب (دور العلوم الإنسانية في معالجة قضايا المجتمع) ,جامعة طرابلس, 2015 م, ص117 .
- 2- بوعقلين بديعة, السياسات السياحية في المجتمع الجزائري وانعكاساتها على العرض والطلب رسالة ماجستير غير منشورة سنة 1996 ص : 34.
- 3- قسيمة: كباشي حسين, التخطيط السياحي وأثره في مناطق ومواقع التراث الأثري, مجلة جامعة شندي, 2010م, ص9 وما بعدها.
- 4- احمد ماهر - عبد السلام أبو قحف المنشآت السياحية والفندقية مصر, المكتب العربي الحديث , الإسكندرية سنة, 1999 ص: 22.
- 5 - سالم الحجاجي , 1989م , ليبيا الجديدة , منشورات مجمع الفاتح للجامعات , ص14
- 6 - محمد المبروك المهدي, 1098م , جغرافية ليبيا البشرية , دار الكتاب الوطنية , الطبعة الثالثة , ص7.

أثر النص النبوي في تأصيل القواعد النحوية

دراسة تحليلية لبعض الأحاديث النبوية الواردة في أمالي السهيلي•

إعداد: د. فاطمة محمد الأزهري•

تقديم:

يُعدُّ النص النبوي الأصل الثاني للشرعية الإسلامية بعد القرآن الكريم ، إلا أن المتأمل في كتب المتقدمين من أعلام الدرس النحوي يلحظ مصنفاتهم شبه خالية من شواهد الحديث الشريف، ونتج عن هذه القلة التي شهدتها مصنفاتهم؛ قضية موقف النحويين من الاحتجاج بالحديث الشريف، فلقت عناية الكثير من الدراسات التي فصلت الحديث عن هذه القضية وتوصيفها، وكان الجانب النظري أوفر حظاً في تلك الدراسات، وما نحتاجه في هذا المجال التركيز على الجانب العملي الذي تمثله الدراسات التطبيقية والتي بدورها تضيف لحقل اللغة العربية أدلة نحوية تزدان بها قضايا اللغة والنحو، في الوقت الذي نشهد فيه كثرة الدراسات البحثية التطبيقية في جانب الشاهد الشعري وذلك بدراسة دواوين الشعراء المتقدمين والمتأخرين حتى استهلكت دواوين شعراء المعلقات وغيرها، ودرست من جميع جوانبها التركيبية في اللغة والنحو، فالشعر القديم المعاصر لزم الاحتجاج يقدم فائدة للدرس النحوي بخلاف الشعر المصنف خارج عصر الاحتجاج، الذي يقضي فيه الباحث سنوات ليخرج لنا مباحث لتوصيف القصائد ووضع جملها في جداول بحسب تراكيبها التي لا يمكنها إضافة الجديد للقواعد النحوية، لذا فالحاجة ملحة لتسليط الضوء في دراساتنا اللغوية على الشاهد النبوي في كتب الصحاح والسنن وفق ما حدده العلماء من شروط الاحتجاج بالحديث الشريف والتي سيأتي ذكرها فيما بعد، وعن قضية الاحتجاج وموقف النحويين فقد ذكرنا سابقاً أن الدراسات أفاضت

• وهي مجموع ما أملاه السهيلي وأجوبة عن أسئلة سأله إياها الفقيه المحدث أبو اسحاق بن قرقول.

• جامعة طرابلس - كلية الآداب - قسم اللغة العربية

الحديث حولها ويمكن الإشارة إلى بعضها لتوضيح موقف علماء اللغة من الحديث الشريف، فقد أشار الدكتور محمود فحال في دراسته القيمة في الحديث النبوي والنحو العربي إلى اللغويين الذين استشهدوا بالحديث وهم:

" أبو عمرو بن العلاء والخليل والكسائي، والفراء والأصمعي وأبو عبيد، وابن الأعرابي وابن السكيت، وأبو حاتم، وابن قتيبة، والمبرد، وابن دريد، وأبو جعفر النحاس وابن خالويه، والأزهري، والفارابي، والصاحب بن عباد، وابن فارس والجوهري، وابن سيده، وابن منظور، والفيروز أبادي، وغيرهم(1)

كما خلّصت دراسة الدكتورة خديجة الى إعلان مخالفتها الباحثين جميعاً—قديماً ومحدثين— في ما ذهبوا إليه من أن أبا حيان كان يمنع الاحتجاج بالحديث مطلقاً؛ لأنه لم يعلق بالرفض على ابن مالك و غيره، ويعرض احتجاجهم بدون ردّ، بل قد يتابعهم في احتجاجهم، وختمت دراستها ببيان موقف المحدثين من الاحتجاج بالحديث، وكيف أنهم أجازوا الاحتجاج به وفق شروط، اعتمدها مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مع بعض الاستدراكات في الشروط من قبل بعض الباحثين المحدثين.(2)

وتصرح بالأسباب التي دعت إليها دراستها قائلة:

"إن الدافع إلى القيام بهذا البحث ما لمستّه من اضطراب الآراء والأقوال والنقول عن القدماء والمحدثين في جواز الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف وما يلحق به من كلام آل البيت والصحابة، وما ذكره من أن أول من احتج به ابن خروف كما يرى ابن الضائع، أو ابن مالك كما يرى أبو حيان، أو السهيلي الذي كان سابقاً لهما كما يرى البغدادي.."(3)

¹ - الحديث النبوي والنحو العربي، محمود فحال ص312

² - ينظر موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث، د.خديجة ص427

³ - السابق ص367

وعرضت موقف العلماء على النحو التالي:

- فريق يجوز الاستدلال بالحديث مطلقاً، منهم ابن خروف والصفار، والسيرافي، وابن عصفور، وابن مالك، وابن هشام، وغيرهم

- فريق يمنع الاحتجاج مطلقاً منهم أيوحيان في شرح التسهيل وأبو الحسن بن الضائع في شرح الجمل

وقد احتج الفريق المانع للاحتجاج بالأحاديث الشريفة بحجتين هما:

الأولى: الرواية في نص الحديث أجازها الرواة بالمعنى

الثانية: كثرة وقوع اللحن في رواية الحديث باعتبار أن أغلب الرواة كانوا غير عرب

ولقد أشار الدكتور رياض الخوّم في دراسته التي جاءت في مكاتبة وقعت بين البلقيني(1) والذماميني(2) حول موقف العلماء من الاحتجاج بالحديث إلى فريق ثالث يتوسط المذهبين السابق ذكرهما، من جوز الاستشهاد ومن منعه، يتمثل هذا الفريق في رأي الشاطبي الذي توسط المذهبين، ورأى بأن يحتج بالأحاديث التي اعتنى رواتها بنقل ألفاظها دون معنى، أما التي عرف عن رواتها النقل بالمعنى، فلا يحتج بها، ولقد حرص الدكتور على عرض جهود الشيخ محمد الخضر حسين في هذا المجال الذي يلخص موقف الشاطبي بجواز الاستشهاد بالأحاديث النبوية قائلاً:

"ما يروى بقصد الاستدلال على كمال فصاحته وبلوغه أعلى ما يمكن لبشر أن يبلغه من
حكمة البيان

4- عمر بن رسلان بن صالح بن عبد الحق السراج البلقيني القاهري الشافعي ولد سنة(724هـ) ببلقينه من الغربية، واشتهر

لكثرة محفوظاته، من مصنفاته، شرح جزء من شرح البخاري، وله شرح على الروضة، ينظر الضوء اللامع 85/6

2 - محمد بن أبي بكر بن عمر بن محمد القرشي المخزومي، ولد بالإسكندرية(763هـ) من مصنفاته: حاشيتين على مغني اللبيب، شرح التسهيل، شرح الخرزجية، نزول الغيث، ينظر بغية الوعاة، السيوطي 66/1

• ما يروى للاستدلال على أنه -عليه الصلاة والسلام- كان يخاطب كل قوم من العرب بلغتهم ككتابه لهمدان، وكتابه لوائل بن حجر

• ما يروى لبيان أقوال كان يتعبد بها أو أمر بالتعبد بها كألفاظ القنوت

• الأحاديث التي وردت من طرق متعددة واتحدت ألفاظها، لأن اتحاد الألفاظ مع تعدد الطرق دليل على أن الرواة لم يتصرفوا في الألفاظ

• الأحاديث التي دونها من نشأ في بيئة عربية لم ينتشر فيها فساد اللغة كمالك بن أنس والشافعي

• ما عرف من حال رواته أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى كابن سيرين والقاسم بن محمد⁽¹⁾

وقد تضمن نص المكاتبة التي وقعت بين البلقيني والذماميني على الآتي:

" قال العلامة بدرالدين الدماميني : وقد كنت عام ثلاثة وتسعين وسبعمئة كتبت سؤالاً نصه: ما جوابكم رضي الله عنكم في الاستدلال بالأحاديث النبوية على إثبات القواعد النحوية، هل هو صحيح أو لا؟ فقد منع ذلك بعضهم مستدلاً بأن الحديث يجوز نقله بالمعنى، فلا يجزم بأن هذا لفظه صلى الله عليه وسلم، وقد أشار الشيخ أثير الدين أبو حيان إلى هذا المعنى، وخالف في ذلك بعضهم محتجاً بأن تطرق الاحتمال الذي يوجب سقوط الاستدلال بالحديث ثابت في أشعار العرب وكلامهم، فيجب أن لا يستدل بها أيضاً، وهو خلاف الإجماع، وزعم هذا القائل أن الاستدلال بالحديث إنما يسقط إذا أثبت المنكر أن الحديث المستدل به ليس من لفظه عليه الصلاة والسلام، وأن لفظه كان كذا، وأن الناقل غيره إلى كذا، فأبي الرأيين أصح؟ بينوا لنا الحجة على ذلك مثابين مأجورين...جواب الشيخ سراج الدين البلقيني- رحمه الله تعالى- اللهم أرشد للصواب، إثبات

¹ - الاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة على إثبات القواعد النحوية د.رياض حسن الخوام ص20

القواعد النحوية يحتاج إلى استقراء تامّ من كلام العرب، ومجرد وجود لفظة في حديث، لا تثبت به قاعدة نحوية، وكذا وجود لفظة في كلام العرب، والذي وقع للشيخ ابن مالك في ذلك في "يتعاقبون فيكم" (1) وفي "من يقر ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ لَهُ ما تقدّم من ذنْبِهِ" (2) وغير ذلك، فالشيخ ابن مالك يجد الشواهد من كلام العرب لذلك الذي في الحديث، فيأتي به كالاعتضاد لا لإثبات قاعدة نحوية بمجرد ذلك، وشيخنا أبوحيان يتوقف في ذلك من جهة ما دخله من تغيير الرواة، وأما ما نقل عن العرب من منظوم ومنثور مع الاستقراء، فذلك هو الذي تثبت به قواعد أبواب النحو، والذي ذهب إليه الشيخ ابن مالك من الاعتضاد حسن راجح، والله سبحانه أعلم بالصواب" (3)

تضمنت المكاتبة الاستفسار عن قضية الاستدلال بالنص النبوي، وهل يصح الاستدلال به في بناء القواعد النحوية؟ أولاً يصح؟

ويمكن تلخيص ما ورد فيها على النحو التالي:

- ذكر الشيخ البلقيني الفريق المجيز للاحتجاج بالحديث الشريف، متمثلاً في ابن مالك رحمه الله
- أكد على ضرورة الاستقراء التام لإثبات القواعد النحوية، فالنص وحده لا يكفي وكلام العرب أيضاً وحده لا يكفي، بل القواعد لا بد أن تبنى على الاستقراء التام
- بيّن جواب الشيخ أن ابن مالك يرى بالاحتجاج إلا أنه في عرضه للشواهد لم يكن عرضه إثبات القواعد النحوية بقدر ما كان عرضه الاعتضاد، أي يأتي بالحديث الشريف، ثم يأتي من كلام العرب ما يؤيد ما جاء في الحديث، ومثل لذلك بالحديثين الشريفين، وغيرهما

¹ -- حديث شريف " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار " صحيح البخاري 139/1

² - صحيح البخاري 14/1

³ - الاستدلال بالأحاديث، رياض الخوام ص 28

. تناول الدكتور رياض في تحقيقه لهذه المكاتبة بعض المواضيع التي تناول فيها ابن مالك الاعتضاد بالحديث الشريف¹

• يظهر جانب الاعتضاد بوضوح في استشهد ابن مالك بالآيات الدالة على هذا الجواز الوارد بالحديث الشريف- جواز حذف المعطوف للعلم به- وذلك في قوله تعالى: {قَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} (2) ،التقدير: فمن كان منكم مريضاً (فأفطر) .

• يؤكد أنّ أبا حيان لم يكن من الفريق الممانع، بل يجيز الحديث الوارد باللفظ، لا بالمعنى.

أما ما وصل إليه مجمع اللغة العربية بالقاهرة بخصوص هذا الشأن ووضع له لضوابط الاحتجاج بالحديث الشريف جاء على النحو التالي:

* أنه لا يحتج في العربية بحديث لا يوجد في الكتب المدونة في الصدر الأول، بل يحتج بما جاء في ما ورد ككتب الصحاح الستة وما قبلها ، وعن صور الاحتجاج حدها المجمع في الآتي(3) :

1-الأحاديث المتواترة المشهورة

2-الأحاديث التي تستعمل ألفاظها في العبادات

3-الأحاديث التي تعد من جوامع الكلم

4-كتب النبي عليه الصلاة والسلام

¹ - ينظر شواهد التوضيح ، ابن مالك ص112-113

² - سورة البقرة : 180

³ - أشارت الدراسات إلى ذلك ينظر موقف النحاة ص427، الاستدلال بالأحاديث ص11

5- الأحاديث المروية لبيان أنه -عليه الصلاة والسلام- كان يخاطب كل قوم بلغتهم

6- أحاديث الرواة الذين لا يجيزون الرواية بالمعنى

7- الأحاديث المروية من طرق متعددة وألفاظها واحدة

أهمية النص النبوي في الدرس النحوي وبيان أثره:

أشار الدكتور محمد قاسم إلى أهمية النص النبوي الذي لم يلق العناية التي لاقتها النصوص الشعرية، ويؤكد أن التضحية بالحديث هدر لجانب كبير من مصادر الدرس النحوي، ويستتكر القيود التي فرضها المانعون على رواية الحديث دون رواية الشعر، يقول:

" وقد قدم المانعون من الاحتجاج به من الحجج غير المقنعة ما يصح تطبيقها على رواية الشعر ورواته؛ فلماذا أبيحت في الشعر وحُرِّمت في الحديث!" (1)

والنص النبوي يمثل شاهداً من شواهد العربية، والاستدلال به أولى من الاستدلال بالشعر العربي، وتكمن أهمية الدراسات التطبيقية للشاهد النبوي في موافقة الكثير من النصوص للقواعد النحوية ومخالفة البعض منها للقواعد، وذلك لا يظهر إلا في هذه الدراسات التي أكدت على أهمية النص النبوي في الدرس النحوي، وهذه بعض القضايا والمسائل المتعلقة بالنصوص النبوية وبيان موضع الشاهد فيها، وذلك بتحليل بعض النصوص النبوية الواردة في أمالي السهيلي والتي احتوت على شواهد نبوية هامة، وهي:

إضمار الفعل لدلالة السياق عليه:

عن زينب بنت أم سلمة تحدث عن أمها أن امرأة توفي زوجها، فخافوا على عينها، فأتوا النبي - صلى الله عليه وسلم - فاستأذنوه في الكحل فقال رسول الله - صلى الله عليه

¹ - إعراب الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة في شرح ابن عقيل د. محمد قاسم المكتبة العصرية، بيروت

وسلم- (قد كانت إحداكن تكون في شربتيها في أحلاسها حولاً فإذا مرّ كلب رمت ببعرة فخرجت ، أفلا أربعة أشهر وعشراً)1

تحليل النص:

الشاهد في النص السابق في قوله: (أفلا أربعة أشهر وعشراً) والتقدير: ألا ترصبين وتمكثين أربعة أشهر وعشراً، ولقد تناول السهيلي في أماليه الشاهد النبوي في هذا الحديث قائلاً: " وإنما قدرنا الفعل المضممر مستقبلاً، لأن سياقة الحديث تدل عليه، ولأن حرف "لا" ينفي به المستقبل، ولما ينفي به الماضي إلا أن يقدر بمعنى "لم" مثل قوله: وأي عبد لك لا ألماً"2

نلاحظ في نص السهيلي تحديده لزمن الفعل للمستقبل، والسياق في الحديث يحدد ذلك الزمن، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنه يرى قلة مجيء النفي ب "لا" للماضي ، وإن ورد ما يدل على ذلك فيقدر معنى (لم) ل(لا) ومثل ذلك بالجملة الواردة بنصه وتقديرها: وأي عبد لك لم ألماً

عمل المصدر عمل الفعل:

عن أنس رضي الله عنه (مرّ على النبي صلى الله عليه وسلم بجنابة ،فأثنوا عليها خيراً فقال: وجبت، ثم مرّ بأخرى ، فأثنوا عليها شراً، أوقال غير ذلك ، فقال وجبت، فقيل يا رسول الله، قلتَ لهذا وجبت ولهذا وجبت، قال: شهادة القوم المؤمنون شهداء الله في الأرض)3

تحليل النص:

1 - صحيح مسلم 203/4

2 - أمالي السهيلي ص82

3 - صحيح البخاري 221 /3

الشاهد في النص في قوله (شهادة القوم) على إضمار مبتدأ والتقدير: هي شهادة والقوم مرتفع بالابتداء ولقد تناول السهيلي في أماليه هذا الحديث وذكر له أكثر من وجه، يقول:

" كأنه قال : هي شهادة، والقوم مرتفع بالابتداء والمؤمنون نعت له أو بدل، وما بعده خبر، ويضعف عندي هذا الوجه، لأن المعهود في كلام النبوة حذف المنعوت على هذا النحو، نحو قوله .. (المؤمن غرّ كريم) لأن الحكم متعلق بالصفة فلا معنى لذكر الموصوف"1

بعد عرضه لوجه الإضمار وحذف المنعوت يعرض السهيلي وجهين آخرين لقوله (شهادة القوم) وهي:

* وجه عمل المصدر وهو (الشهادة) يقول السهيلي:

" ولكن في الحديث وجه آخر، أن يرتفع القوم بالشهادة، لأنه مصدر ويتم الكلام فيه، ويرتفع المؤمنون بالابتداء وقد أجازوا أن يعمل المصدر عمل الفعل فلا بعد في عمله ههنا في القوم منوناً كما يقول: يعجبني ضرب زيد عمراً"2

* وجه عمل الفاعل وهو (القوم) وإضمار الفعل، يقول السهيلي:

" ويجوز أيضاً وجه ثالث وهو أن يكون القوم فاعلاً بإضمار فعل كأنه قال: هذه شهادة ، ثم قال: القوم أي شهد القوم"3

رفع الفعل وجزمه بعد "لا" النافية:

جاء في حديث البخاري عن أبي هريرة: (إن لي عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحداً فقال عليه السلام: من لا يرحمُ لا يُرحمُ)1

1 - أمالي السهيلي ص 87

2- أمالي السهيلي ص 87

3 - السابق ص 87

تحليل النص:

الشاهد في النص السابق في قوله (من لا يرحم لا يرحم) حيث ورد لفظ الفعل (يرحم) بالرفع حملاً على الخبر وذلك لدلالة سياق الكلام عليه , وورد بالجزم على الشرط، ولقد تناول السهيلي هذا الحديث معللاً سبب الرفع الذي يراه الوجه الأقرب للصواب مع تجويزه لوجه الجزم، يقول:

" أي: الذي يفعل هذا لا يرحم، ولو جعلها شرطاً لانقطع الكلام مما قبله بعض الانقطاع؛ لأن الشرط وجوابه كلام مستأنف، وأيضاً فإن الشرط إذا كان بعده فعل منفي فأكثر ما وجدناه في القرآن وفي كلام النبوءة منفياً بحرف "لم" لا بحرف "لا" كقوله سبحانه: {ومن لم يتب} 2 و{ومن لم يؤمن} 3 كما قيل في الحديث (من لم يهاجر) فأكثر ما تجده هكذا، وإن كان الوجه الآخر جائزاً، كقول زهير 4:

ومن لا يذ عن حوضه بسلام

يقدم، ومن لا يظلم الناس يظلم

فكلا الوجهين جائز والمعنى فيها متقارب جداً، رفعت أو جزمت 5

وهذا تصريح من السهيلي بجواز الوجهين، لأنهما بالفعل متقاربين.

حذف العائد في النعت:

¹ - صحيح البخاري 9/8 كتاب الأدب وصلة الرحم

² - الحجرات: 11

³ - الفتح: 13

⁴ - ينظر ديوانه ص 30

⁵ - أمالي السهيلي ص 89

ورد في صحيح مسلم حديث في باب بيان أنه لا اعتبار بكبر الهلال وصغره:

(سئل ابن عباس وقد اختلف القوم في الهلال أهو ابن ثلاث أو ابن ليلتين ،وقال: " أي ليلة رأيتموه، قال أبو البخترى: فقلنا: ليلة كذا وكذا ،وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله مدّه للرؤية، فهو لليلة رأيتموه)1 بالتتوين

تحليل النص:

الشاهد في النص السابق في قوله (لليلة رأيتموه) حيث ورد لفظ (ليلة) بالتتوين والفتح، ولقد أورد السهيلي في هذا الحديث أوجه إعراب لفظ (ليلة) وضعّف وجه التتوين بقوله:

" وأما قوله في الهلال، هو لليلة رأيتموه، بالتتوين فهذا أضعف الوجوه الثلاثة ، لأن حكم الجملة التي هي في باب النعت أن يعود فيها ذكر على المنعوت ، و"رأيتموه" في موضع نعت لليلة ، ولكنه قد يحذف العائد من الصفة كما يحذف من الصلة ؛ تقول: الذي ضربت، وحذفه من الصلة أحسن من حذفه في الصفة، لأن الموصول لا يستغنى عن صلته، فطال الكلام واحتاج إلى الحذف، ومع قبح الحذف في الصفة فهو أحسن من حذفه في الخبر، إذا قلت : زيدٌ ضربتَ، لأنك في الخبر تقدر أن تعمل الفعل في زيد، فنقول: زيداً ضربت، ولا يمكن في الصفة أن تعملها في الموصوف؛ فلا وجه عن الحذف للضمير أو ذكره، وقد جاء منه2:

* فنُوب نسيت وثوب أجر

فنسيت في موضع نعت لثوب، لا في موضع خبر، كما توهم سيبويه لأن الثوب نكرة، فلا يخبر عنها إلا مع الشروط المذكورة، وكذلك وهم أيضاً في قول العرب: " شهر ثرى وشهر ترى" أي ترى فيه النباتات، فليس ثرى في موضع خبر، وإنما هو وصف، كأنه قال : "

1 - صحيح مسلم 127/3

2 - وهو من شواهد كتاب سيبويه وصدرة: فأقبلت زحفاً على الركبتين

الشهور ثلاثة: شهر ثرى وشهر ترى وشهر مرعى" وجعله سيبويه مثل : زيد ضربت...
وأما من رواه: " لليلة رأيتموه" فهو حسن لأن الظرف إذا أضيف إلى غير معرب ولا
متمكن حسن فيه البناء على الفتح..1

يتضح من النص السابق أن السهيلي يجيز وجه البناء على الفتح للظرف ويعبر عنه بأنه
حسن أما وجه التثوين فيضعفه، ورأيتموه في موضع نعت لليلة، ورأى قبح حذف العائد في
الصفة، كما خالف سيبويه الذي رأى2 جواز حذف العائد في الخبر في قول امرئ القيس
ويرى أنه واهم فيما رآه، لأن الثوب نكرة في قوله(ثوب نسيت وثوب أجر) و(نسيت) في
موضع نعت لثوب وأكد على مخالفته سيبويه أيضاً في توهمه لقول العرب(شهر ثرى)
بإعراب ثرى على الخبرية، ويرى السهيلي أنها وصف.

الظرف المقطوع والحال:

جاء في صحيح البخاري عن رفاعة بن رافع قال: (كنا يوماً نصلي وراء النبي صلى الله
عليه وسلم ، فلما رفع رأسه من الركعة، سمع الله لمن حمد، ربنا ولك الحمد حمداً طيباً
كثراً مباركاً فيه، فلما انصرف قال: من المتكلم؟ قال: أنا: قال: رأيت بضعة وثلاثين ملكاً
يبتدرونها أيهم يكتبها أول)3 ويروى " أولاً"

تحليل النص:

الشاهد في النص السابق في قوله : (يكتبها أول) حيث وردت روايتان لها : رواية البناء
على الضم على الظرفية، ورواية النصب على الحال من الكاتب، ولقد تناول السهيلي هذا
النص الذي اختار فيه وجه الرفع بالبناء على الضم، يقول:

1 - أمالي السهيلي ص92

2 - ينظر الكتاب 44/1

3 - صحيح البخاري 203/1

" وأما (أيهم يكتبها أول) فهو رواية الرفع مبني على الضم لأنه ظرف قطع عن الإضافة مثل : قبلُ وبعْدُ ، قال سيبويه: تقول ابدأ بهذا أولُ، وإذا نصبت فهو حال من الكاتب، تقدير الكلام: يكتبها أولَ من غيره ، كما تقول: يجيئ زيد أحسن من فلان، ثم قد يحذف الجار والمجرور، ويفهم المعنى، وكذلك: أيهم جاء أول فهو حال وإذا نصبت وظرف مبني إذا رفعت، وكذلك قول أبي بردة : أحببت أن تكون شاتي أول تُذبح، من رفع ظرفه ، كأنه قال : تذبح قبل، ومن نصب فحال من المضمَر الفاعل ، كأنه قال: تذبح أول من غيرها ، ثم قدم الحال ، وجاز تقديرها لأن العامل لفظي" 1

تظهر موافقة السهيلي لسيبويه في النص السابق، الذي استشهد فيه بأمثلة متعددة تؤكد جواز الوجهين ، بالرفع على الظرفية والنصب على الحال، مع ترجيحه أو ميله لوجه الرفع ، مستنداً بقول سيبويه الذي يرى وجه الرفع أقرب لأنه قدر الحذف في وجه الرفع الي يراه جائزاً، في حين يرى وجه النصب مع عدم الحذف قول:

" وأما قولهم: ابدأ به أول ، وابدأ بها أول، فإنما تريد أيضاً أول من كذا، ولكن الحذف جائز جيد، كما تقول ، أنت أفضل، والحذف يستعمل في قولهم : ابدأ به أول أكثر، وقد يجوز أن يظهره إلا أنهم إذا أظهره لم يكن إلا الفتح" 2

يظهر من العرض السابق جواز الوجهين لكلمة (أول) فيجوز فيها الرفع على الظرفية، كما يجوز فيها النصب على الحال.

دخول لام الأمر على فعل المتكلم:

جاء في صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه (أن جدته مليكة دعت رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعته له، فأكل منه ثم قال: قوموا فلأصل لكم..) 1 ، ويروى (فلأصلي لكم) بفتح اللام ونصب الباء

1 - أمالي السهيلي ص 93

2 - الكتاب ، سيبويه 46/2

تحليل النص:

الشاهد في النص السابق في قوله: (قوموا فلأصل لكم) وذلك في دخول لام الأمر على الفعل المضارع، وقد تناول السهيلي هذه الشاهد النبوي بالتحليل رافضاً فيه دخول لام الأمر على المضارع، وأول لها وجهين سيأتي ذكرهما في نصه التالي، مستشهداً بقول الزجاج وبعض الشواهد يقول:

" وأما قوله: (قوموا فلأصل لكم) بلفظ الأمر فمستحيل في الحقيقة ، ولكن له وجهان: أحدهما: أن يكون من باب قوله {فليمدد له الرحمن مدا} قال الزجاج: لما أوجب ذلك على نفسه وحتم به حتماً، جاء به على لفظ الأمر، لأن الأمر حتم وإيجاب على المأمور، والوجه الثاني: أن يكون قوله " لأصل لكم" أمراً لهم بالاهتمام به، لكنه أضافه إلى نفسه لارتباط فعلهم بفعله كما قال الشاعر 3:

وقد جعلت إذا ما قمت بثقلني

ثوبي فأنهض نهض الشارب الثمل

ولا يقال: جعلت بفعل غيري كذا، إنما تقول: جعلت أفعل ولكنه جاز في هذا البيت لارتباط الثاني بالأول"4

فالسهيلي بتحليله للشاهد الوارد في النص السابق يحاول أن يبعد وقوع أثر هذا النص على قاعدة دخول لام الأمر على فعل المتكلم (لأفعل) لأنها كما في القاعدة تدخل على المخاطب، ومثلاً لذلك بجواز دخولها على الغائب في الآية الكريمة، لكنه في آخر تحليله للنص لم ينكر أثر الشاهد على القاعدة مصرحاً بقوله:

¹ - صحيح البخاري 106/1، صحيح مسلم 128/2

² - سورة مريم 75

³ - أحمر الباهلي ينظر خزانة الأدب 94/4

⁴ - أمالي السهيلي ص 95

" وأما فتح اللام فإنما أراد : لأصلن وقلما يوجد في الكلام انفراد هذه اللام في التأكيد والقسم دون النون، فإن صحّت الرواية فليس ببعيد في القياس كل البعد أن تقول " ليقوم زيد" أي لقائم زيد، توقع الفعل موقع الاسم، كما توقع الاسم موقع الفعل وتعمله عمله"1

هذا ما نتحدث عنه في بحثنا هذا الذي يكمن في الأثر الذي يتركه السماع في القياس الأثر الذي يرد في الشاهد النبوي، فيستعمله اللغويون في قياسهم، والنص السابق يؤكد ذلك بتصريح السهيلي ، بأن الرواية إن صحّت فالقياس يجيز استعمال لام الأمر في المتكلم والمخاطب والغائب، وغير ذلك من السماع الوارد في النصوص النبوية المختلفة.

وبعد هذا العرض الذي أشرنا فيه إلى أهمية النص النبوي وأثره في قضايا الاحتجاج والاستشهاد في الدرس النحوي، خاصة إذا كان الحديث بأكثر من رواية، فقد تختلف الألفاظ بحيث يقع التأثير، أو الأثر الذي من شأنه أن يغير من مجرى القاعدة التي بني عليها النص الوارد، ولقد تناولت بعض الدراسات تعدد روايات الشواهد العربية منها دراسة للدكتور رياض السواد بعنوان: تعدد رواية الشاهد الشعري وأثره على القواعد النحوية والتي يشير فيها إلى أثر هذا التعدد على قواعد العربية، يقول:

"تعددت روايات الشاهد وشكلت ظاهرة بارزة تحتاج إلى الدرس والتحري ومعرفة التأثير الذي يمكن أن تتركه على القواعد النحوية عامة ، فكانت هذه الدراسة التي ركزت على جانب واحد من جوانب التعدد ، وهو الذي يغيّر موطن الشاهد إذا ما ذكر ليصبح الشاهد بعده ليس ذا فائدة في طرحه دليلاً على مسألة نحوية ما ، وتركت الشواهد التي تعددت روايتها من دون أن تشكل تأثيراً على موطن الشاهد، وهي كثيرة يصعب إحصاؤها"2

1 - أمالي السهيلي 95

2 - تعدد رواية الشاهد وأثره على القواعد النحوية، د، رياض السواد ص3

فتعدد رواية الشاهد تمثل النص اللغوي الذي يعتمد عليه النحوي في توجيه قضايا اللغة، فنشهد في توجيهاته العقلية النحوية التي أنتجت لنا تراثاً هائلاً يزخر به الدرس النحوي.

والنص النبوي يخضع لهذا التعدد الذي قام علماء الحديث بوضع ضوابط له وفق سلسلة الجرح والتعديل، بحيث يصل إلينا النص سليماً صحيحاً، تخضع له القواعد النحوية، لا يخضع لها.

خاتمة:

أشارت الكثير من الدراسات إلى أهمية النص النبوي وضرورة الاستشهاد به، وحقيقة أرى مذهب من ذهب بجواز الاستشهاد بالحديث مطلقاً وهذا الدكتور محمود فحال يؤكد على ذهابه هذا المذهب القائل بالاحتجاج مطلقاً قائلاً:

" وبنيني فكرة الاستشهاد بالحديث مطلقاً تكون قد وسعنا دائرة الاستشهاد باعتبار الحديث الشريف مصدراً من مصادر الاستشهاد وبالاستقناء من ينبوعه الفيض العذب الزلال يصبح ربع النحو خصباً"¹

وتظهر مواطن الأثر للنص النبوي في جوانب عديدة منها:

* النص النبوي حُدِّدَ له ضوابط معينة في الاستشهاد به حُدِّدتها جهات مختصة، وقد وضعنا ذلك في هذه الدراسة.

* ينبغي على المتخصصين في مجال اللغة العربية، الاهتمام بدراسة النص النبوي، وتوجيه الطلاب لهذا الحقل الحافل بالقضايا اللغوية المتعددة، وذلك بدراسة تعدد الروايات والأثر الذي تتركه في قواعد العربية.

¹ - الحديث النبوي والنحو العربي، محمود فحال ص314

* يكمن أثر النص النبوي في تأصيله القواعد النحوية، وذلك عبر دراسات إحصائية، تتبعها دراسة تحليلية ، لبيان سياق النصوص النبوية وأثرها في تأكيد قواعد نحوية أو مخالفتها إن رأت ذلك.

* وجوب عمل فهرسة تُعنى بكتب الصحاح والمسانيد ، وبيان المدروس منها وما لم يدرس، حتى يتمكن الباحث من مواصلة المشوار البحثي لتكملة النصوص التي لم تدرس، ولتعم الفائدة على البحث العلمي والدرس النحوي على وجه الخصوص

* تعدد الروايات في الشاهد النحوي سواء أكان شعراً أم قرآناً ، تناوله العلماء بالتوجيه والتأويل، وتناوله المتشددون بالنقد والتحريف، ولا زال حقل الشاهد النبوي خصباً للدراسات التطبيقية.

قائمة المصادر والمراجع

1. أمالي السهيلي، لأبي القاسم الأندلسي، تح محمد ابراهيم البناء، مطبعة السعادة
2. الاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة على إثبات القواعد النحوية، د. رياض بن حسن الخوام ، عالم الكتب 1998
3. الأشباه والنظائر في النحو، السيوطي ، تح، محمد مختار عمر دمشق 1887
4. الحديث النبوي والنحو العربي، محمود فحال
5. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي تح/ محمد أبو الفضل 1964
6. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي، دار الحياة/ بيروت
7. صحيح البخاري، مطبعة الشعب
8. صحيح مسلم، مطبعة التحرير
9. شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، ابن مالك ، تح، محمد عبدالباقي 1987
10. خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبدالقادر البغدادي ، تح، عبدالسلام هارون 1979
11. موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، د. خديجة الحديثي دار الرشيد 1981
12. تعدد رواية الشاهد وأثره على القواعد النحوية، د. رياض السواد بحث علمي
13. الكتاب ، أبو بشر عثمان بن قنبر سيبويه ، تحقيق / عبد اللام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط1/ د.ت

التوفيق بين الفلسفة والدين في الفكر الإسلامي

ابن رشد⁽¹⁾ أنموذجاً

إعداد: د. سدينة علي صالح إكريبات *

المقدمة:

تعد مسألة التوفيق بين الفلسفة والدين أو الحكمة والشريعة أو العقل والنقل، أو النص والاجتهاد موضع جدل كبير بين الفلاسفة من مختلف الاتجاهات الفكرية. حيث برزت هذه المسألة عند فلاسفة المسلمين منذ انطلاقتهم الأولى. وعلجت بصور شتى، سواء بالإشارة والتلميح، أو بالتفصيل والتدليل عند بعضهم كالكندي⁽²⁾ والفارابي⁽³⁾ وابن سينا⁽⁴⁾، وعند بعض فلاسفة المغرب كابن طفيل⁽¹⁾ حيث أشاروا إلى ضرورة التوفيق بين الفلسفة والدين.

* عضو هيئة تدريس بقسم الفلسفة وعلم الاجتماع بكلية الآداب . جامعة المرقب.

¹ . ابن رشد : هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد وأشتهر باسم ابن رشد الحفيد ولد بقرطبة في الاندلس سنة 520هـ وتوفي سنة 595هـ بمراكش، وهو فيلسوف وطبيب وقاضي وفلكي وفيزيائي مسلم أندلسي وهو من أهم فلاسفة الاسلام في المغرب، وله عدة مؤلفات من أهمها: تهافت التهافت ، وفصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، والكشف عن مناهج الأدلة يراجع: (جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، دار الطليعة ببيروت، ط 2006، 3، ص24 .)

² . الكندي: هو أبو يعقوب بن اسحق الكندي، ولد بالكوفة في مطلع القرن التاسع الميلادي سنة 185هـ وتوفي سنة 260هـ وهو من قبيلة كندة العربية ولقب بفيلسوف العرب، عاش في زمن المأمون والمعتمد ، وهو من فلاسفة المشرق العربي، ومن مؤلفاته : رسائل الكندي الفلسفية(يراجع: جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، ص528).

³ - الفارابي: هو: أبو نصر بن محمد بن طرخان الفارابي ولد في واسج في مقاطعة فاراب بتركستان، وتوفي في دمشق سنة 331هـ وعمره 80 عاماً وهو من فلاسفة المشرق ولقب بالمعلم الثاني لأنه شرح كتب أرسطو ، ومن مؤلفاته: الجمع بين رأي الحكيمين أفلاطون وأرسطو، وإحصاء العلوم. (جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، ص450).

⁴ . ابن سينا: هو أبو علي الحسين عبد الله بن سينا وهو من فلاسفة المشرق، ولد في قرية أفشنة عاصمة السامانيين في شهر صفر سنة 370هـ ، ومن مؤلفاته: الشفاء، والإشارات والتنبهات، والنجاة، وغيرها. (جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة ص26).

أما ابن رشد فقد احتلت هذه المسألة حيزاً كبيراً من اهتماماته وحدد منهجه تحديداً دقيقاً وبرهن عليه بطريقة إجمالية، وتفصيلية، واعتبر طرح القضايا الدينية لا تخرج عن صميم الدراسات الفلسفية. كما تابع ابن رشد جانباً من الجدل الدائر حول الفلسفة وعلاقتها بالدين ولاسيما الحملة التي شنّها الغزالي على الفلسفة والمتفلسفين المسلمين. حيث حاول أن يرد على منتقدي الفلسفة في كتابه تهافت التهافت ثم وضع كتابه الذي بين فيه التوفيق بين الفلسفة والدين وهو كتاب (فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال) وأكد فيه بأن الشرع لا يرفض اعتبار الموجودات بالعقل ومعرفتها به.

وارتبطت هذه المحاولات بإشكاليات عدة وحاول الفلاسفة المسلمون الوصول إلى حلها من خلال التوفيق بين النقل والعقل.

أما تحديد إشكالية البحث فتكون من خلال طرح عدد من التساؤلات التي يثيرها موضوع البحث لعل من أهمها ما يلي:

إلى أي مدى يمكن التوفيق بين الفلسفة والدين؟ وهل استطاع ابن رشد التوفيق فعلياً بين العقل والنقل، أم أنه انحاز لأحدهما على حساب الآخر؟ وهل هناك مشكلة حقيقية بين الفلسفة والدين أم أنها تكون لعدم فهم النص الديني فقط؟ ثم ما علاقة التأويل بالقياس البرهاني؟ ولماذا اشترط ابن رشد الدراية بقوانين اللغة العربية للوصول إلى تأويل صحيح؟

ومن هنا يمكننا طرح التساؤل الرئيس: **كيف وفق ابن رشد بين الفلسفة والدين؟**

وهل تم له ذلك؟

أما هدف البحث فهو إبراز دور العقل وحدوده عند ابن رشد، ومن ثم إبراز الجهود العقلانية التي طبعت في فلسفته. وكذلك معرفة العلاقة بين الفلسفة والدين عند

¹ ابن طفيل: هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن عبد الملك بن طفيل، ولد في قádiz سنة 494هـ وتوفي في مراكش بالمغرب سنة 580هـ وهو من فلاسفة المغرب وقد اشتهر ابن طفيل برسائله الفلسفية المعروفة باسم رسالة حي بن يقضان (جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص31).

ابن رشد كنموذج إسلامي في تأصيل المعرفة العقلية والنقلية، والاستفادة منها في حل المشكلات الفكرية في زمنه.

أما المنهج المتبع في هذا البحث فهو المنهج التحليلي وذلك من خلال عرض نصوص الفيلسوف المتعلقة بموقفه من قضية التوفيق بين الفلسفة والدين، ومحاولة استنباط أفكاره من خلالها.

أما أهمية البحث فهي: بيان إمكانية صلاح العقل في بناء المعرفة على أسس شرعية، وعقلية منطقية، وبيان الإخاء بين الفلسفة والدين، وهذا ما أكده ابن رشد حين اعتبر أن جوهر الفلسفة هو النظر العقلي في الموجودات من جهة دلالاتها على الصانع أي الله تعالى. وهذا ما دعا إليه الشرع وحث عليه، بحيث يعتبر هذا النظر عند ابن رشد هو أتم أنواع النظر باتم أنواع القياس.

وقد قسم هذا البحث إلى أربع مباحث، بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة متبوعاً بقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول : ماهية الفلسفة والدين في اللغة والاصطلاح .

أولاً: تعريف الدين في اللغة والاصطلاح:

الدين في اللغة مشتق من الفعل الثلاثي (دان)، وهو تارة يتعدى بنفسه، وتارة باللام، وتارة بالباء، ويختلف المعنى باختلاف ما يتعدى به؛ فإذا تعدى بنفسه يكون (دانه ديناً) بمعنى ملكه وحكمه، وقهره، وحاسبه، وجزاه. وإذا تعدى باللام يكون (دان له) فإنه يكون بمعنى الطاعة والخضوع، والعبادة أي أطعته. وإذا تعدى بالباء يكون (دان به) بمعنى اتخذ دينا ومذهباً واعتاده، وتخلق به، واعتقده⁽¹⁾. يقال (دان بكذا ديانة وتدين بها) فهو دين ومتدين⁽²⁾.

¹ . ابن منظور: لسان العرب ، ج2، دار الجبل، بيروت، 1988، ص1044.

² . ابن المنظور ، ص1469.

أما في الاصطلاح فهو كل ما يتخذه الناس ويتعبدون له سمي ديناً، سواء كان معتقداً صحيحاً أو باطلاً بدليل قوله تعالى عز وجل: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ...) (1)، وقوله تعالى: (...لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) (2). والدين عند الله الإسلام وهو: وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند رسول الله . صلى الله عليه وسلم . والدين والملة متحداً بالذات ومختلفان بالاعتبار، والشريعة من حيث الطاعة تسمى ديناً، ومن حيث تجمع الناس تسمى ملة (3).

وهكذا فإن لفظ الدين يطلق على الشريعة، وهي ما شرعه الله لعبادة من الفرائض السنن والأحكام (4).

ثانياً: تعريف الفلسفة :

الفلسفة مشتقة من كلمة يونانية وهي فيلوسوفيا وأصلها فيلو بمعنى محبة ، وسوفيا بمعنى الحكمة وتفسيرها (محب للحكمة) فلما عُرِّبَت قيل فيلسوف ثم اشتقت الفلسفة منه. وبذلك تدل كلمة (الفلسفة) على محبة الحكمة أو السعي وراء المعرفة أو إيثارها حيث نقلها العرب إلى لغتهم بهذا المعنى في عصر الترجمة، والفلاسفة هم الحكماء، والفيلسوف هو الحكيم، والباحث في فروع الفلسفة.

وهكذا تكون الفلسفة في الأصل اليوناني محبة الحكمة والحكمة هي أرقى أنواع المعرفة لأنها تتناول المسائل الكبرى والمبادئ العامة بحيث تتجاوز البحث في الجزئيات والعوارض المرئية إلى ما وراء الطبيعة (الغيبات) (5).

وعلى الرغم من المعنى الأصلي السابق للفلسفة (محبة الحكمة) إلا أن الفلسفة . بشكل عام . تشير إلى نشاط إنساني قديم جداً يتعلق بممارسة نظرية أو عملية عرفت بشكل أو بآخر في مختلف المجتمعات والثقافات البشرية منذ أقدم العصور، والسؤال عن

1 . سورة آل عمران ، الآية 85.

2 . سورة الكافرون، الآية 6.

3 . ابراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، مصر 1983م، ص 86.

4 . جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب ، تونس ، ص 102.

5 . جلال الدين سعيد : معجم المصطلحات الفلسفية والشواهد الفلسفية ، ص 137.

ماهية الفلسفة يشكل أحد المظاهر الأساسية للفلسفة في ميلها للتساؤل والتدقيق في كل شئ والبحث عن ماهيته ومختلف مظاهره وأهم قوانينه. ولهذا فإن المادة الأساسية للفلسفة مادة واسعة ومتشعبة ترتبط بكل أصناف العلوم، وربما بكل جوانب الحياة، ومع ذلك تبقى الفلسفة منفردة عن بقية العلوم والتخصصات.

فالفلسفة بمفهومها العام هي: العلم الذي يبحث فيه عن حقائق الأشياء وعللها وغايتها وعلاقتها بغيرها من الأشياء الأخرى بقدر الطاقة البشرية⁽¹⁾.

أما عند فلاسفة اليونان كأفلاطون وأرسطو . على سبيل المثال . فهي دراسة الكون وكل مناحي الحياة الإنسانية ومحاولة الوصول إلى الحقيقة في كل مجالات القيم (الحق، والخير، والجمال) بغض النظر عن المنافع العملية المترتبة على معرفة الحقيقة⁽²⁾. فالفلسفة إذاً هي العلم الذي يبحث عن حقائق الأشياء وعللها وغايتها وعلاقتها بغيرها من الأشياء الأخرى⁽³⁾.

وهكذا فإن معنى الفلسفة اختلف باختلاف العصور والمذاهب. حيث اهتمت الفلسفة في العصور الوسطى بالبرهنة على القضايا الدينية، كوجود الله، وخلود النفس... واهتمَّ بعض الفلاسفة بالتوفيق بين العقل والنقل، أي بين الحكمة والشريعة.

المبحث الثاني : النظر العقلي بين الفلسفة والشريعة.

إن دراسة مسألة التوفيق بين الفلسفة والدين، شغلت الإنسان الواعي ليجعل انسجاماً بين معطيات عقله ومعطيات إيمانه. والمتتبع لتاريخ الفكر الإنساني يجد لهذه

¹ . محمد السيد نعيم و عوض الله حجازي: في الفلسفة الإسلامية وصلاتها بالفلسفة اليونانية، ط2، القاهرة، د.ت، ص8 .

² . يراجع: جميل صليبا : المعجم الفلسفي، ج2، ص161، 160، حسين علي: ما هي الفلسفة، دار التنوير، بيروت، 2011م، ص14، وأرمسترونغ: مدخل إلى الفلسفة القديمة، ترجمة سعيد الغانمي، شبكة الفكر، المركز الثقافي العربي، ط1، 2009، ص19.

³ . سعد الدين السيد صالح : قضايا فلسفية في ميزان العقيدة الإسلامية، مطبوعات جامعة الإمارات العربية

المتحدة، ط1، 1998م، ص9، نقلاً عن عوض الله حجازي، تاريخ الفلسفة اليونانية.

المسألة محلاً في بعض الأديان، لأنها ضمير كل إنسان، فقد عالجها فلاسفة اليونان، وعالجها مفكروا المسيحية وآباء الكنيسة، كما عالجها مفكروا الإسلام، حيث عالج كل فيلسوف هذه المسألة بطريقة مختلفة عن غيره. وكذلك فإن الفلاسفة قد أردوا النجاة من ثورات التعصب والتزمت، ومن غضب رجال السلطان فأخذوا بهذا الأسلوب ليثبتوا من ورائه آراءهم المختلفة؛ فحاول المعتزلة أن يذهبوا على طريق التوفيق، حيث رأوا أن العقل والوحي من الله، يكمل أحدهما الآخر، وأن الوحي من لدن إله حكيم؛ وغير بعيد عن فهم العقل، وإذا كان الأمر كذلك وجب تحليل النص إن ظهر بمظهر غير معقول⁽¹⁾.

ولهذا فإن قضية التوفيق قد أثرت قبل ابن رشد بزمان طويل، وعولجت بصور شتى بالإشارة والتلميح تارة، وبالتفصيل والتدليل تارة أخرى، فأراء الكندي، وابن سينا، مثلاً لم تكن إلا اضروباً من التقريب بين الإسلام وبين الفلسفة اليونانية، ولكنه تقريب تغلب عليه الإشارة والتلميح. أما ابن طفيل، فهو كذلك لم يواجه قضية التوفيق مواجهة مباشرة بل ظل يحاور للوصول إليها، ويتحايل عليها بالنصوص والرموز والتشبيهات والاستعارات. ومن ثم نرى أنّ الفارابي، وابن سينا وابن طفيل قد أشاروا . إجمالاً . إلى ضرورة الاتفاق بين الفلسفة والدين، دون أن يعنوا بالبرهنة التفصيلية المنهجية غراراً على عناية ابن رشد بها. ويمكن القول أيضاً أن جميع المحاولات السابقة على ابن رشد قد اقتصرت على إثارة المشكلة دون أن تبرهن عليها وتقدم لها الحل المنهجي كالحل الذي قدمه ابن رشد⁽²⁾، فابن رشد حين حاول التوفيق بين الفلسفة والدين، فإن هذا التوفيق من جانبه بغض النظر عن مدى صواب هذه المحاولة أو خطئها، كان قائماً على تأويل الظاهر، واللجوء إلى القياس العقلي ونقد موقف المفكرين للنظر العقلي⁽³⁾.

¹ . حنا الفاخوري ، خليل الجر: تاريخ الفلسفة العربية ، ج2، دار الجيل ، بيروت، ط3، ص402، 403.

² . عبد الرحمن مرحبا: خطاب الفلسفة العربية، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، 1993م، ص514، 515.

³ . عاطف العراقي : ابن رشد فيلسوفاً عربياً بروح غربية، المجلس الأعلى للثقافة، د.ط، 2002م، ص33.

والجدير بالذكر أنَّ ابن رشد قد خصص دراسة مفصلة في قضية التوفيق بين الفلسفة والدين مما جعله ينفرد في هذا الشأن عن سائر الفلاسفة، وقد وقف الفقهاء في عصره موقف التنكر للفلسفة اليونانية، وخاصة فلسفة أرسطو. وقد ساعدهم على ذلك انحياز الدولة الموحدية⁽¹⁾ إلى الغزالي الذي هاجم الفلاسفة في كتابه تهافت الفلاسفة.

يمكن القول كما سبق وأن أشرنا منذ قليل بأن ابن رشد كان من أكثر فلاسفة العرب اهتماماً بالبحث في هذه المسألة، مسألة التوفيق، وما يؤكد ذلك وجود كثير من مؤلفاته التي تتعرض للبحث في هذه المسألة، سواء بصورة أساسية، أو بصورة عامة، ومن هذه المؤلفات: (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال)، حيث عالج في هذا الكتاب مسألة التوفيق ورسم أبعادها من الوجهة النظرية البحتة، وفصلها وخاض في جزئياتها من الوجهة التطبيقية في كتاب (الكشف عن مناهج الأدلة)، كما أفصح عنها أيضاً في ثنايا كتابه (تهافت التهافت)، بالإضافة إلى كثير من الإشارات الموجودة بين ثنايا شروحه وتلخيصاته على أرسطو، والتي لا تخلو من بعض الدلالات العميقة⁽²⁾.

ويستهل ابن رشد في أول كتابه الذي خصصه بمسألة التوفيق "إن الغرض من هذا القول أن نفحص على جهة النظر الشرعي، هل النظر في الفلسفة وعلوم المنطق مباح بالشرع، أم محظور؟ أم مأمور به (على جهة الذنب أم على جهة الجواب)⁽³⁾.

يقصد ابن رشد بعبارة على جهة النظر الشرعي الطريقة المتبعة في التشريع الإسلامي عامة، وأنها ترمي إلى استخلاص حكم الشيء من النصوص الدينية، أو الحكم

¹ .الدولة الموحدية : إمبراطورية إسلامية أسسها الموحدون وهم من سلالة أمازيغية حكمت بلاد المغرب (المغرب ، الجزائر ، تونس ، ليبيا) والأندلس سنوات 1121م . 1269م أسسها إيتاب محمد بن تومرت.

² - عاطف العراقي: النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد، مكتبة أبو العيس الإلكترونية، دار المعارف، ط2، 1984م، ص296..

³ - ابن رشد: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، دار المعارف، القاهرة، ط3، ص22.

الذي أراد الله أن يحكم به على هذا الشيء، أو ذاك، وإلى إظهار منزلة هذا الحكم بين الأحكام الشرعية الخمسة⁽¹⁾ وهي: الوجوب، والندب، والتحریم، والكرهية، والإباحة⁽²⁾.

ولكي ينتهي ابن رشد في أمر النظر العقلي إلى حكم شرعي فإنه يتقدم بمقدمات وينتهي إلى نتيجة، فأما المقدمة، فهي إن كان فعل الفلسفة ليس شيئاً أكثر من " النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع، أعني من جهة ما هي مصنوعات فإن الموجودات إنما تدل على الصانع بمعرفة صنعتها وأنه كلما كانت المعرفة بصنعتها أتم كانت المعرفة بالصانع أتم "⁽³⁾. أما النتيجة فهي : ما يدل عليه اسم الفلسفة من نظر عقلي إما أن يكون حكم الشرع فيه هو حكم المأمور به وجوباً، أو حكم المدعو إليه ندباً. وهكذا .. يتخذ دليل ابن رشد على أن الشرع قد أوجب النظر العقلي أو ندب إليه. واستدل على هذا الوجوب بجملة من الآيات القرآنية الكامنة في آيات التدبر والتفكير والاعتبار كما في قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ...)⁽⁴⁾، اعتبر ابن رشد هذه الآية نصاً في الحث على النظر في جميع الموجودات. وقوله تعالى: (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ)⁽⁵⁾، وهذا نص على وجوب استعمال القياس العقلي أو العقلي والشرعي معاً. وقوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ...)⁽⁶⁾. وغير ذلك من الآيات التي لا تحصى.

¹ - وهذه الأحكام تستنبط من النصوص الدينية، ومعانيها تتفاوت: فالوجوب هو: أمر بفعل شيء، على وجه الجزم والتأكيد بحيث يتعلق العقاب بتركه. والندب هو: أمر بفعل شيء، لقاء ثواب على فعل، وانتفاء العقاب على الترك، والتحریم هو: أمر بعدم فعل شيء، على وجه الجزم، والتأكيد بحيث يتعلق العقاب بالفعل. والكرهية هي: الأمر بعدم فعل شيء، من غير تعلق عقاب بفعله. والإباحة هي: ما لا يتعلق به أمر ولا نهي لذاته. (يراجع: محمد بن صالح العثيمين، مختصر الأصول من علم الأصول، أختصره: حاتم محمد ظاهر الكثيري، مدونة مكتبة الأصالة، ص3).

² - ابن رشد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج1، دار المعرفة، ط1، 1982م، ص5. عصام زكريا جميل: مصادر فلسفية، دار المسيرة، ط1، 2012م، ص223.

³ . ابن رشد: فصل المقال، ص22.

⁴ . سورة الاعراف: الآية 184.

⁵ ، سورة الحشر: الآية 2.

⁶ . سورة النحل: الآية 125.

من تلك الآيات وغيرها يستخرج ابن رشد الاستدلال الآتي:

إن الغرض من الفلسفة هو النظر العقلي في الكون للوصول إلى معرفة صانعه وهو الله
إن الدين يأمر على سبيل الوجوب بأن يعرف الإنسان الله بالنظر في العالم والتفكر فيه

إذاً إن دراسة الفلسفة واجبة بحكم الشرع على القادر عليها.⁽¹⁾

فالنظر والاعتبار لا يكونان إلا بالقياس العقلي، إذ أن " الاعتبار ليس إلا استنباط المجهول من المعلوم واستخراجه منه، وهذا هو القياس"⁽²⁾. ولما كانت المقدمة الصغرى هنا عبارة عن تعريف الفلسفة، وبيان الغاية منها، فهي إذن لا تحتاج إلى دليل. وكذلك المقدمة الكبرى، فإنها لا تحتاج إلى دليل، وقد أورد ابن رشد الدليل عليها مستمداً من القرآن الكريم في الآيات التي وردناها، وهناك في القرآن آيات أخرى تؤيد المعنى الذي يريده ابن رشد، ويريد أن يستدل به على أن النظر العقلي واجب بالشرع. فمن ذلك قوله تعالى: (قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)⁽³⁾، وقوله تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)⁽⁴⁾.

وبناء على ذلك فإن ابن رشد يصل إلى إثبات أن الشرع أوجب النظر العقلي في الموجودات، وأوجب استعمال البرهان لمعرفة الله سبحانه وتعالى، كما يصرح بالأخذ بالفعل والاستعانة به⁽⁵⁾ فيقول ابن رشد: "إذا كان القياس العقلي يعد ضرورياً، فإنه يجب علينا الاستعانة على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا في ذلك، سواء كان ذلك الغير مشاركاً لنا في الملة أو غير مشارك في الملة"⁽⁶⁾.

¹ . عاطف العراقي: النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد، ص 298.

² . ابن رشد: فصل المقال، ص 23.

³ . سورة يونس: الآية 101.

⁴ . سورة الزمر: الآية 9.

⁵ . يراجع: عاطف العراقي: ابن رشد فيلسوفاً عربياً بروح غربية، ص 34.

⁶ . ابن رشد: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، ص 26.

يفهم من النص السابق أن الاطلاع على كتب الفلسفة وعلوم الأوائل يقود إلى فهم العقل، فكما أنه لا حرج في استعمال آلة القدماء التي هي المنطق في عصمة الأذهان عن الخطأ فكذلك لا ضير في الرجوع إلى حكمتهم والفحص عما انتهوا إليه، خاصة في نظرتهم إلى الموجودات، وبالتالي فإن ابن رشد يرى أنه ليس من الضروري أن تؤخذ كل العلوم التي أتى بها فلاسفة اليونان، بل عليه أن يقف على الآثار التي خلفها المتقدمون في الفلسفة، وأن يميز بين الصحيح والفاقد، فإن كان صحيحاً قبله، وإن كان مخالفاً للشرع نبه عليه وحذر منه.

ويعد المبدأ السابق لابن رشد كمبدأً فيه دعوة إلى البحث عن الحقيقة، كحقيقة في حد ذاتها، كما تتضح أهمية ذلك المبدأ حين يُعرف أن من أسباب الهجوم على المنطق أنه أتى من اليونان، وأن صاحبه كافر.

من جانب آخر يصرح ابن رشد بضرورة فحص الأقاويل والتحقق منها والاعتماد على العلوم المختلفة في إدراك المقاصد، مثال ذلك أنه لو لم يكن هناك علم الهيئة والأجرام السماوية فهل كان بمقدور أي إنسان عاقل أن يعرف بأن الشمس أكبر بأضعاف مضاعفة من الأرض ويؤكد بأن ذلك غير ممكن، وما عدا ذلك فنحن بحاجة إلى البرهان للعلم بهذه الأشياء. وبهذا يرى ابن رشد أن من يريد أن يعرف علوم الشرع يجب عليه التدبر والتفكير وامعان النظر لكي يتمكن من معرفة مقاصد الشرع، وهو باب النظر المؤدي إلى معرفة الله تعالى حق المعرفة.

من هنا ينتقي التعارض بين الدين والفلسفة، فطالما غاية الفلسفة بلوغ الحقيقة والكشف عن ماهية الأشياء التي يقوم الدين على أساسها، فإن الغاية النهائية للدين هي تمكين الإنسان من الحقيقة وبلوغ السعادة بواسطة تصويب مساره في علاقته بالوجود والعالم⁽¹⁾.

كما يفصح ابن رشد في كتابه (فصل المقال) عن غايته مؤكداً على أن مطلبه مستمد من النص القرآني، الأمر الذي أدى إلى صبغه بالصبغة الشرعية، حيث جاء

¹ .يراجع : محمد أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، دار المعرفة الجامعية، د.ط، 2000م، ص506.

خطابه نقلياً لكي يقيد سلطة الخصوم ويقنعهم بالنتيجة البرهانية التي انتهى إليها ألا وهي أن النظر العقلي واجب على أولي الأبصار، فيقول: " إذا كانت هذه الشريعة حقاً، وتدعو إلى النظر المؤدي إلى معرفة الحق، فإننا . معشر المسلمين نعلم على القطع . أنه لا يؤدي النظر البرهاني إلى مخالفة ما ورد به الشرع، فإن الحق لا يصاد الحق، بل يوافقه ويشهد له"⁽¹⁾.

من هنا نستطيع القول بأن الشرع عند ابن رشد هو المرجعية ، وأن النظر العقلي هو الفلسفة وأنه يؤمن بوحدة الحقيقة وإمكانية الوصول لها بالجهد الإنساني العقلاني وما كان للتوفيق بين الفلسفة والدين أن يكون لولا وجود هذه الفكرة عند ابن رشد.

كما أن ابن رشد يشترط في من أراد معرفة الله وسائر الموجودات من خلال القياس البرهاني عليه أن يتعرف أولاً على أنواع البراهين وشروطها، ولهذا ميز ابن رشد بين ثلاث أنواع من الأقيسة وهي:

1- **القياس البرهاني**: هو الذي دعا إليه الشرع لأنه أتم أنواع الأقيسة وأصحها على الإطلاق، فهو يبدأ من مقدمات أولية يقينية تكون واضحة في ذاتها، لذلك كانت نتائجها يقينية صادقة لا تختلف.

2- **القياس الجدلي** : وهو دون القياس البرهاني في الرتبة وهو يبدأ من مقدمات ظنية محتملة مأخوذة من بادي الرأي، ومن ثم فإن نتائجها لا تفيد اليقين.

3- **القياس الخطابي**: وهذا دون القياس الجدلي في الرتبة وهو يعتمد على مقدمات مشهورة يُراد بها السيطرة على عواطف السامع ومشاعره.

4- **القياس المغالطي** : وهو دون القياس الخطابي في الرتبة، ويعتمد على مقدمات تبدو صادقة ولكنه ينتهي إلى نتائج غير مقبولة⁽²⁾.

¹ ابن رشد : فصل المقال، تحقيق : محمد عمارة، ص 31، 32.

² عبد الرحمن مرحبا: خطاب الفلسفة العربية الإسلامية، مؤسسة عز الدين، دط، 1993م، ص 517. ، محمد

عابد الجابري: ابن رشد سيرة وفكر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1989م، ص 100.

وعليه فإن البحث النظري في أمور الدين لا سبيل إليه إلا بدراسة المنطق والتمكن فيه ومعرفة كيف يكون القياس برهانياً أو غير برهاني، للوصول إلى الاستنباط الصحيح. "فالمنطق للنظر هو بمرتبة الآلات للعمل"⁽¹⁾.

فصل من هذا إلى أن الشريعة الإسلامية تدعو المؤمنين جميعاً إلى معرفة الله ووجوده وحكمته، وقدرته تهالي كما تدعو إلى بلوغ السعادة الحقيقية بالدين. وتلزمهم بطلب هذه المعرفة. ومن المعلوم أن الناس متفاوتون في المعرفة وفي مستوياتهم الإدراكية، لذا فقد قسمهم ابن رشد إلى ثلاث مراتب فقال: "إن طباع الناس متفاوتة في التصديق، فمنهم من يصدق بالبرهان، ومنهم من يصدق بالأقاويل الجدلية... ومنهم من يصدق بالأقاويل الخطابية"⁽²⁾.

معنى أن ابن رشد يرى بأن المراتب الثلاثة التي تشمل الناس جميعاً وتدل على اختلافهم في الفهم والإدراك والمعرفة ولهذا كان اختلاف الألوان والألسن آية من آياته تعالى فكان في خلقه الأسود والأحمر والأبيض لتكون طرق الدعاء إلى الله تعالى مختلفة، وذلك صريح في قوله تعالى: (اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِلِأْسِي هَيِّ أَحْسَنُ)⁽³⁾. فالمجادلة الحسنة لا بد أن تكون من خلال العقل، الذي هو الأرضية المشتركة التي يقف عليها الناس من مختلف الأعراق والأديان، ولذلك فإن ابن رشد ينظر إلى الفلسفة على أنها قد تكون أداة نافعة في تدعيم الشرع وإقناع غير المسلمين بها⁽⁴⁾.

يصل ابن رشد إلى أنه ليس هناك خلافاً بين الحكمة والشريعة، فهو يميز بين الحقيقة ذاتها واللفظ الذي يستعمل للتعبير عنها، فالحقيقتان متفقتان في المضمون، مختلفتان في اللفظ؛ فيجب تأويل اللغة للوصول إلى الحقيقة الواحدة. وهكذا مازال ابن رشد يردد قوله بأن الفلسفة الصحيحة لا يمكن أن تتنافى مع الدين، مؤكداً أن فهم أحدهما يكتمل بالآخر وهو ما تسعى إليه علوم العقل، فكلاهما يسعى إلى البحث عن الحقيقة

¹. ابن رشد : المصدر نفسه، ص

². ابن رشد فصل المقال ، ص31

³. سورة النحل: الآية 125.

⁴. عصام زكريا جميل: مصادر فلسفية، ص228.

الحقّة التي قال عنها ابن رشد " الحكمة هي صاحبة الشريعة وأختها الرضيعة فهما المصطحبتان بالطبع المتحابتان بالجواهر والغريزة"⁽¹⁾ وما جاء به الدين من حقائق كونية هو نفسه ما يستخلصه العقل من دراسته للكون دراسة علمية مباشرة.

أما الذين يعتقدون باستحالة التوفيق بين الدين والفلسفة فهم أولئك الذين يجهلون حقيقة الدين أو الذين أساءوا فهم الفلسفة ونسبوا أنفسهم إليها ظلماً وعدواناً⁽²⁾. ولهذا تكون دراسة الفلسفة عند ابن رشد واجبة وجوباً شرعياً وهي وسيلة عقلية لمعرفة الله وموجوداته فيقول " فقد تبين من هذا أن النظر في كتب القدماء واجب بالشرع... وأن من نهى عن النظر فيها من كان أهلاً للنظر فيها، وهو الذي جمع أمرين: أحدهما: ذكاء الفطرة، والثاني: العدالة الشرعية والفضيلة العلمية والخلقية، فقد صد الناس عن الباب الذي دعا الشرع منه الناس إلى معرفة الله، وهو باب النظر المؤدي إلى معرفته حق المعرفة، وذلك غاية الجهل والبعد عن الله تعالى"⁽³⁾.

أما عندما يلاحظ خلافاً أو تعارضاً بين النص ونتيجة البرهان الفلسفي يجب أن يُحكم أن هذا لا يمكن أن يكون إلا في الظاهر وأن البحث العميق كفيل بإزالته. ولكن السؤال المهم الذي كان على ابن رشد مواجهته، ماذا لو تعارضت الحقيقة الدينية مع الحقيقة الفلسفية؟ وهذا يحدث في بعض الأحيان حيث نجد أن ما يذهب إليه بعض الفلاسفة يخالف ما ورد في الشرع. وهنا نجد ابن رشد يميز في الشرع بين ظاهر وباطن فإذا جاء الظاهر موافقاً لما أدى إليه البرهان أخذ به، وإن كان مخالفاً طلب تأويله. فما هو مفهوم التأويل عند ابن رشد وتصوره لشروطه، وضوابطه؟

¹ . ابن رشد : فصل المقال، ص 67.

² . عبد الرحمن مرحبا: خطاب الفلسفة العربية الإسلامية، ص 520.

³ . ابن رشد : فصل المقال، ص 28، 29.

المبحث الثالث: التأويل والطريق إلى الاجتهاد عند ابن رشد

يعتبر التأويل من أهم الأفكار التي توصل إليها ابن رشد، بل ويعتبرها من الأفكار المفتوحة الغير مغلقة الدائرة مما يسمح باتساع الرؤية وانفراجها كلما أزدادت معطيات الواقع الفكري والثقافي ثراءً وأزدهاراً، وبالتأويل يؤسس ابن رشد لمشروعية الاختلاف القائم على مبررات عقلية أو علمية، ويقضي على الرؤية ذات الاتجاه الواحد، الذي يفرض على متبعيه الاستسلام الفكري المطلق للقراءة الحرفية للنص الأصلي⁽¹⁾.

وإذا كانت العلوم الفلسفية تتطلب إطلاعاً واسعاً ومجهوداً ضخماً في التفكير فإن علوم الشريعة تتطلب . في نظر ابن رشد . درساً واجتهاداً وإدراكاً قد يكون أصعب من الذي تتطلبه الفلسفة.

والسبب في ذلك أن النصوص الشرعية سواء منها ما يهم العقيدة، أو ما يهم التشريع، إنما هي نصوص إجمالية ومختصرة تتوجه إلى البشر في العموميات الأساسية، ولكنها تدعو العقلاء منهم إلى التأويل والاستنباط لمواجهة مختلف الأحوال المجتمعية والفكرية الثقافية ومتابعة التطورات والتغيرات البشرية، ومن أجل هذا نشأت العلوم الإسلامية المتعددة⁽²⁾.

لقد كثرت الأبحاث التي تتحدث عن التأويل في الدراسات الغربية والشرقية فالاختلاف واضح في الممارسة والتعريف، وهذا الاختلاف عائد إلى أسباب عدة من أهمها طبيعة النص المقدس، وطابع التفكير والبنية التراثية والتجربة التاريخية الخاصة لكل منهما.

¹ . بركات محمد مراد، ابن رشد فيلسوفاً معاصراً، ضمن مؤتمر ابن رشد فيلسوف الشرق والغرب، في الذكر المئوية الثامنة لوفاته، مج2، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، منشورات المجمع الثقافي ، تونس، ط1، 1999م، 690.

² . مونييس بخضرة: مخارج التأويل في قراءة النص والفلسفة عند ابن رشد، مقال منشور، في صحيفة الحريات، 39 مايو، 2013م.

إن تعريف التأويل ضمن فضاء المعرفة الإسلامية خاصة (بالنص القرآني) يجب أن يتم وفق الشرطين التاليين:

أولاً: ألا يقع فيه التحريف وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون.

ثانياً: إلزام النص القرآني بمعنى محدد عند بعض المؤولين لقوله تعالى: (وَمَا يَغْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ)⁽¹⁾، كما أن النص القرآني نص كوني إلهي لفظاً ومعنى واللفظ بحد ذاته مقدس تماماً كقداسة المعنى، لذلك ليس ثمة ترجمة معلنة لنصه إنما هناك ترجمة لمعانيه أو لتفسير معين من تفاسيره.

فالتأويل عند ابن رشد هو: "إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخل في ذلك بعادة لسان العرب في التجوز في تسمية الشيء بشبيهه، أو بسببه أو لاحقه، أو مقارنه، أو غير ذلك من الأشياء التي عودت⁽²⁾ في تعريف أصناف الكلام المجازي"⁽³⁾. وأيضاً بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، كقوله تعالى: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ...)⁽⁴⁾. فابن رشد يرى أن كل ما أدى إليه البرهان العقلي، وخالفه ظاهر الشرع إنما يقبل التوفيق، لأن هذا الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربي. وابن رشد حين يتحدث عن قبول ظاهر الشرع للتأويل إنما يتحدث حديث المستيقن منه القاطع به، ويرى أن هذه القضية لا يشك فيها مسلم، ولا يراقب بها مؤمن، وأن اليقين بها إنما يعظم عند من أول هذا المعنى وجريه، وقصد إلى الجمع بين المعقول والمنقول⁽⁵⁾.

ومن تعريف ابن رشد للتأويل أكد أن عملية التأويل ليست عملية مفتوحة، بل هي عملية محكمة بعدة شروط أهمها: العلم التام بقواعد وأصول اللغة العربية، التي نزل بها

¹ . سورة آل عمران : الآية 7.

² . استعملت

³ . ابن رشد: فصل المقال، ص32.

⁴ . سورة الأعراف، الآية 53.

⁵ . عصام زكريا جميل: مصادر فلسفية، ص229.

النص، فيبحث المؤول عن استخدامات أخرى للفظ المؤول في القرآن، بحيث يعضد به تأويله، ويبحث أيضاً عن استخدامات اللفظ في اللغة والصرف، مما يؤكد ما ذهب إليه في التأويل فضلاً عن ضوابط البرهان العقلي الذي يؤكد ابن رشد.

إضافة إلى ذلك فإن التأويل . حسب رأي ابن رشد . على الرغم من كونه مفهوماً عاماً يفتح الطريق إلى الاجتهاد، ويُخلص الفكر من الوقوع في براثن الاتجاه الواحد، فإنه يجب أن يلتزم بتلك الضوابط التي وضعها ابن رشد حتى لا يقع في إسقاطات ذاته أو إيديولوجية مثل تلك التي وقعت فيها الاتجاهات الصوفية الفلسفية في التراث العربي والإسلامي، والتي حاربها ابن رشد . ومن قبله حاربها الغزالي . مستخدماً العقلانية الصارمة ومعتمداً على البرهان⁽¹⁾.

يقول ابن رشد: ((في جميع الحالات يؤدي النظر البرهاني إلى معرفة الموجود في حالة سكت عنه الشرع، فهنا وجب البحث فيه كما هو الشأن في الاستنباط الفقهي بقياس الشرع، وإذا كان الموجود قد نطق به الشرع، فلا يخالف ظاهر هذا النطق مع ما يدعوا إليه البرهان، وما بينه الشرع ، هنا وجب أن نطلب التأويل))⁽²⁾.

إن ابن رشد يلجأ إلى التأويل لتأسيس رؤية عقلية للشريعة لا غنى عنها من أجل إثراء المعاني والمفاهيم التي لا تنتهي في النص الديني، فإن هذا التأويل لا يستطيعه إلا العالم المجتهد بفضل المنطق والعلم الصحيح والعارف بمقاصد الشريعة⁽³⁾، وهذا يعني أن ابن رشد يؤكد على أن ينحصر التأويل في أهل العلم لأنهم وحدهم الذين يستطيعون فهم النص الديني على ضوء العقل، لأن العقل هو الذي يبين ما يمكن تأويله، وعلى أي وجه يكون هذا التأويل، وهذا ما ترجحه الباحثة، لقوله تعالى: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا)⁽⁴⁾.

¹ . مونس بخضرة: مخارج التأويل في قراءة النص والفلسفة عند ابن رشد، مقال منشور، في صحيفة الحريات..

² ، ابن رشد: فصل المقال، ص32.

³ . ابن رشد ، مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1،

بيروت، 1998م، ص132.

⁴ . سورة آل عمران: الآية7.

أما التأويلات التي قامت بها بعض المذاهب والفرق الكلامية، كلها ناقصة في نظر ابن رشد، لأن أصحابها لا يملكون منطق البرهان، لذا فإن ابن رشد يتجاوزها جميعاً لكي يصل مباشرة إلى النص.

ومن الجدير بالذكر أن ابن رشد لا يعترف بإجماع العلماء في العلوم النظرية بل يقطع بأن هذا الإجماع لم يسبق أن وقع بين العلماء، فهو يستبعد حصول الإجماع على ظاهر ما في الأمور العلمية النظرية وذلك لتعذر نقله إلينا يقول ابن رشد: ((وقد يدل على أن الإجماع لا يتقرر في النظريات بطريق يقيني كما يمكن أن يتقرر في العمليات، إنه لا يمكن أن يتقرر الإجماع في مسألة ما في عصر ما... وأن ينقل إلينا في المسألة مذهب كل واحد منهم فيها نقلاً متواتراً...))⁽¹⁾ ، ويجب ابن رشد على السؤال الذي وجه إليه ((وإن قال قائل: إن في الشرع أشياء قد أجمع المسلمون على حملها على ظاهرها، وأشياء على تأويلها وأشياء اختلفوا فيها... فهل يجوز أن يؤدي البرهان إلى تأويل ما أجمعوا على ظاهرها))⁽²⁾ لكان جوابه غريباً حيث قال: ((أما لو ثبت الإجماع بطريق يقيني لم يصح، وإن كان الإجماع فيها ظنياً فقد يصح))⁽³⁾ ولهذا يمنع ابن رشد وقوع الإجماع التام والذي يعطي حجة قاطعة في بابه، ومن ثم فالبرهان العقلي مقدم عليه ولا يأبه بحجة الإجماع لأنه لا يفيد إلا الظن.

فحجة الإجماع لو كانت يقينية ما جاز لأئمة النظر أن يتجاوزوها ولمّا تجاوزوها تبين أن حجة البرهان العقلي هي الأقوى وهذا ما يريد ابن رشد الوصول إليه⁽⁴⁾. إذاً فابن رشد يرى بوضوح أن التأويل هو القائم على البرهان اليقيني، بينما دليل الإجماع . عنده . وإن كان صحيحاً لا يفيد إلا الظن، والظن محله الأدلة الجدلية والخطابية.

¹ . ابن رشد : فصل المقال، ص35.

² ، ابن رشد: المصدر نفسه، ص34.

³ . ابن رشد : المصدر نفسه ، ونفس الصفحة.

⁴ . حنا الفخوري : وخلي الجر، تاريخ الفلسفة العربية، ص412، 413.

والذي دفع ابن رشد إلى هذا القول هو خوفه من أن يقال: إن هذا القياس بدعة فأراد أن يسبق هذا القائل بتذكيره بقياس الفقهاء الذي يقومون به لمعرفة الأحكام الشرعية. وقد دافع ابن رشد عن التأويل وحاول أن يجعل له أساساً فقال: ((وليس لقائل أن يقول: إن هذا النوع من النظر في القياس العقلي بدعة، إذ لم يكن في الصدر الأول فإن النظر أيضاً في القياس الفقهي وأنواعه هو شيء استتبط بعد الصدر الأول، وليس يرى أنه بدعة فكذلك يجب أن نعتقد في النظر إلى القياس العقلي))⁽¹⁾.

يفهم من ذلك كله أن ابن رشد كان حريصاً على نقد موقف الذين يريدون الوقوف عند ظاهر النص بحيث يجرمون التأويل. وهذا النقد نابح كما سبق وأن أشرنا من إيمان ابن رشد بالعقل، حيث يرى أن الفيلسوف لا يصح من جانبه الوقوف عند ظاهر النص بل واجبه تأويله.

كما يفهم أن ابن رشد يدعوا إلى النظر في الموجودات بالعقل لأن البرهان يقوم أساساً على العقل. ولهذا يري أن النظر البرهاني إذا أدى بالفرد إلى نحو ما من المعرفة بموجود من الموجودات، فإن ذلك الموجود إما أن يكون الشرع لم يبحث فيه ولم يتعرض له، أو أن يكون الشرع قد تعرض له⁽²⁾، ففي الحالة الأولى لا يوجد تعارض أو خلاف بين ما ينتهي إليه بالعقول وبين الشرع، ونظراً لأن الشرع لم يعرض له تماماً كما يقال: إن الفقيه عن طريق القياس الشرعي الذي يقوم على الاجتهاد يستتبط حكماً من الأحكام سكت عنه الشرع⁽³⁾.

أما في الحالة الثانية فإن الشريعة إذا نطقت بشيء فلا يخلو النطق بظاهرة أن يكون متفقاً مع ما توصل إليه بالبرهان، أو يكون مخالفاً، فإذا كان متفقاً فلا تعارض إذن تماماً كما هو الحال في الأحكام التي سكت عنها الشرع⁽⁴⁾. أما إذا كان مخالفاً فإنه لا

¹. ابن رشد: المصدر نفسه، ص25.

². ابن رشد: فصل المقال، ص32.

³. عاطف العراقي: المنهج النقدي في فلسفة ابن رشد، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1984م، ص238.

⁴. عاطف العراقي: المنهج النقدي في فلسفة ابن رشد، ص238.

بد من أن يُلجأ إلى التأويل في هذه الحالة، وذلك طبقاً لما سبق أن قال به ابن رشد، من أن الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربي.

ولكن هل كل ظاهر من الشرع يجوز تأويله؟

والإجابة عن هذا السؤال نجدها فيما بينه ابن رشد من أن التأويل يجب ألاّ يتناول مبادئ الشرع؛ إذا أن هذا يعد كفراً عنده، كما يجب ألاّ يتناول ما بعد المبادئ، إذ أن هذا يعد بدعة، فابن رشد حريصٌ على أن يبين أن الخطأ في الشرع يكون على نوعين: خطأ يعد صاحبه معذوراً، وهو قد يأتي من الباحثين في هذا المجال الذي وقع فيه الخطأ، وخطأ لا يعذر صاحبه وهو الخطأ في الأشياء التي تؤدي إلى معرفتها جميع الأدلة، مثل الإقرار بالنبوت، وبالسعادة والشقاء في الآخرة أي البعث⁽¹⁾.

يقول ابن رشد: "إنه ما من منطوق به في الشرع مخالف لما أدى إليه البرهان إلا إذا اعتبر الشرع، وتصفحت سائر أجزائه، وجد في ألفاظ الشرع ما يشهد لذلك التأويل أو يقارب أن يشهد"⁽²⁾.

فمن هنا قرر ابن رشد أن الدين يقوم على ثلاثة مبادئ رئيسية لا يجوز التأويل

فيها وهي:

1. الإقرار بالله .
2. الإقرار بالنبوت.
3. الإقرار باليوم الآخر⁽³⁾.

ومن هنا فلا يجوز تأويل الآيات التي تدعو إلى الإيمان . إيماناً قلبياً . بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر، أما ما عدا ذلك، أي ما يترتب عن هذه المبادئ من نتائج ومقدمات يعبر الخطاب الديني عنها . في الغالب . تعبيراً مجازياً حسياً، فهي قابلة للتأويل ولكن ضمن شروط وقواعد ثلاثة رئيسية:

¹ . عاطف العراقي: المنهج النقدي في فلسفة ابن رشد، ص238.

² . ابن رشد: فصل المقال ، ص33.

³ . عاطف العراقي: النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد، ص306.

1. احترام خصائص الأسلوب العربي في التعبير .

2. احترام الوحدة الداخلية للقول الديني .

3. مراعاة المستوى المعرفي لمن يوجه إليه التأويل .

من هنا كان التأويل هو مخاطبة الناس حسب عقولهم، أي حسب مستواهم الفكري والمعرفي ، تلك هي المبادئ الثلاثة التي تستند إليها نظرية ابن رشد في التأويل⁽¹⁾.

فهمة التأويل عند ابن رشد ليست لكل إنسان لأن الناس عنده تنقسم على ثلاثة

أصناف :

1- صنف ليس من أهل التأويل أصلاً وهم الخطابيون الذين هم الجمهور

الغالب .

2. صنف من أهل التأويل الجدلي وهم الجدليون .

3- صنف من أهل التأويل اليقيني وهؤلاء هم البرهانيين بالطبع والصناعة، أي

صناعة الحكمة، وهذا التأويل لا ينبغي أن يصرح به لأهل الجدل فضلاً عن الجمهور⁽²⁾.

فالتصريح بالتأويل يجب أن يحصر في أهل البرهان، لأن التصريح بالتأويلات

اليقينية لمن هم غير أهلها يقضي إلى الكفر كما أوضح ابن رشد سلفاً، إذ أن التأويل

يبطل الظاهر لمن هم من أهل الظاهر، ولا يمكنهم من فهم المؤول لأنهم من غير أهله .

فيجب إذن أن لا يصرح بالتأويل للجمهور بل يتركوا على الظاهر ويقال لهم ما قاله الله

تعالى: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ...) ⁽³⁾.

¹ .بركات محمد مراد: ابن رشد فيلسوفاً معاصراً، مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002م، 5، ص155.

² . ابن رشد : فصل المقال، ص31.

³ .سورة آل عمران : الآية 7.

المبحث الرابع

مسألة حدوث العالم وقدمه عند ابن رشد

حاول ابن رشد أن يوفق بين الفلاسفة القائلين بحدوث العالم والقائلين بالقدم، فنظر في القرآن الكريم فلم يجد آية تنص على أن الله خلق الكون من عدم محض. حيث تشير بعض الآيات إلى موجود سابق على خلق العالم، لذلك اعتقد ابن رشد بوجود مادة أولية قديمة خلقت منها العالم، والله هو خالق العالم وصانعه.

وابن رشد حينما ناقش الخلاف القائم بين القائلين بأن العالم مخلوق محدث بعد أن لم يكن، وبين الفلاسفة القائلين بأن العالم قديم أزلي مع الاعتراف بأنه مخلوق، اكتشف أن هذا الخلاف هو خلاف لفظي غير جوهرية ذلك لأن في الوجود طرفين وواسطة فاتفق الجميع في تسمية الطرفين واختلفوا في الواسطة.

فأما الطرف الأول: فهو موجود ووجد من شيء، أي عن سبب فاعل ومن مادة، والزمان متقدم على وجوده، وهذه هي حال الأجسام التي يدرك تكونها بالحس، وغير ذلك وقد اتفق الجميع على تسمية هذا الصنف من الموجودات بالموجودات المحدثّة.

أما الطرف الثاني وهو المقابل للطرف الأول، فأن وجوده لم يكن من شيء، ولم يتقدمه زمان فيسمى قديم وهذا ما اتفق عليه الجميع، وهذا الموجود لا يدرك إلا بالبرهان، وهو فاعل الكل، وموجده وهو الله تبارك وتعالى.

أما الواسطة التي هي بين الطرفين السابقين فهو الموجود الذي لم يكن من شيء ولا يتقدمه زمان، ولكنه موجود عن فاعل وهذا هو العالم بأسره، ففيه شبه من الموجود المحدث، وشبه من الموجود القديم. فمن غلب عليه ما فيه من شبه القديم على ما فيه من شبه المحدث سمي محدثاً، وهو في الحقيقة ليس محدثاً حقيقياً، ولا قديماً حقيقياً، فإن المحدث الحقيقي فاسد بالضرورة والقديم الحقيقي ليس له علة، وهناك من سماه (محدثاً أزلياً) كأفلاطون مثلاً لكون الزمان عنده متناهيّاً من الماضي⁽¹⁾.

¹ ابن رشد: فصل المقال، ص 41، 40، وعبد الرحمن مرجحاً: خطاب الفلسفة العربية، ص 527.

فالعالم إذاً من صنع الله فهو قديم لو نُظر إليه من حيث هو نتيجة لفعل الله، ومحدث من حيث أن له علة هي الله. فيمكن القول أنه محدث من الأزل، أو محدث قديم الحدوث. وحدوث العالم عند ابن رشد حدوث مستمر وأزلي وهو ليس حدوثاً منقطعاً ويختلف ابن رشد مع المتكلمين من حيث أن الإحداث الدائم عنده أحق باسم الإحداث من ذلك المنقطع بينما العكس هو الصحيح عند المتكلمين وقد تمسك ابن رشد بالحدوث المستمر لأنه أدل على قدرة صانعة إذ ينطوي على فكرة استمرار القدرة على الفعل، بينما الإحداث المنقطع يشير إلى اثبات قدرة سبقها عجز لدى الصانع، وفي ذلك تقليل من شأن الفاعل القادر على كل شيء⁽¹⁾.

يقول ابن رشد ((وأما أن كان العالم قديماً بذاته وموجوداً لا من حيث هو متحرك لأن كل حركة مؤلفة من أجزاء حادثة فليس له فاعل أصلاً وأما إن كان قديماً بمعنى أنه في حدوث دائم وأنه ليس لحدوثه أول ولا منتهى فإن الذي أفاد الحدوث الدائم أحق باسم الأحداث من الذي أفاد المنقطع، وإنما سمي الحكماء العالم قديماً تحفظاً من المحدث الذي هو من شيء وفي زمان وبعد العدم))⁽²⁾.

ومما هو جدير بالذكر في هذا الشأن أن ابن رشد لم يكتف بإبداء رأيه في أزلية العالم كفيلسوف بل قد حاول أن يتخذ من نصوص القرآن سنداً يؤيده في هذه الأزلية ونظر إلى ظاهر بعض النصوص القرآنية فوجدها تدل على إيجاد العالم وأن صورته محدثة بالحقيقة وأن نفس الوجود والزمان مستمر من الطرفين غير منقطع وذلك في قوله تعالى: ((هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ))⁽³⁾ يقتضي ظاهر هذه الآية أن وجوداً كان قبل هذا الوجود وهو العرش، والماء، وزماناً قبل هذا الزمان أي المقترن بصور هذا الوجود الذي هو عدد حركة الفلك. وقوله تعالى: ((يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ))⁽⁴⁾ فظاهر هذه الآية يقتضي وجوداً ثانياً بعد هذا

¹ . ماجد فخري: ابن رشد فيلسوف قرطبة، دائرة معارف البستاني، ص 98.

² . ابن رشد : نهافت التهافت، تحقيق: موريس بويج، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1930م، ص 162.

³ . سورة الحديد: الآية 4.

⁴ . سورة ابراهيم: الآية 48.

الوجود، وقوله تعالى: ((ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ))⁽¹⁾ بمعنى أن السموات خلقت من شي. فهذه الآيات السابق ذكرها تشير إلى موجود سابق على خلق العالم، ولهذا اعتقد ابن رشد بوجود مادة أولية قديمة خلُق منها العالم، والله هو خالق العالم وصانعه⁽²⁾.

فقدم العالم عند ابن رشد قدماً من نوع معين. لأن الله عنده كما هو عند كل المسلمين قديم، وهذا لا شك فيه، والقديم لا بد وأن يكون فعله قديماً مثله إلا إذا كان هناك ما يحول دون إتمام هذا الفعل، وهو ما لا يليق بالله. فالعالم الذي هو من فعل الله لا بد وأن يكون قديماً مثل فاعله، وهذا دليل استمده ابن رشد من ذات طبيعة الله. ولكن قدم العالم لا يمكن أن يكون مثل قدم الله الذي لا علة له، فالقديم فيما يرى ابن رشد يمكن أن تكون له علة، ومن هنا فهو حادث بمعنى أنه معلول، وإن كان قديماً زماناً بمعنى أن حدوثه قد تم منذ الأزل.

وكان الشرع دقيق عندما استخدم لفظة (الخلق) بدلاً من (الحادث) في حديثه عن أصل العالم، فالخلق يشير إلى معنى العلة أكثر مما يشير إلى الإيجاد في زمان. فاختار ابن رشد خير أنواع الحادث للعالم بمعنى أنه أختار أكثر معاني الحادث التي تليق بجلالة الخالق عندما اعتبره حدثاً بمعنى المعلولية لا بمعنى البدء الزماني. فسمى هذا النمط من الحادث بالحادث الذاتي⁽³⁾.

ينضح مما سبق أن النظرة الفلسفية لخلق قديم لا تتعارض مع النظرة القرآنية عند ابن رشد وأن مفهوم الحادث الذي ذكر في القرآن لا يتضمن بالضرورة عنصر الزمان. أما في أزلية العالم فهو ينحني منحى أرسطو الذي نسب الفعل إلى الله بالحركة، ولهذا دعاه في كتابه ما بعد الطبيعة بالمحرك الأول الذي لا يتحرك وابن رشد ذهب إلى أن

¹ .سورة فصلت: الآية 10.

² .محمد غلاب: الفلسفة الإسلامية في المغرب، ص94-93.

³ .يراجع: زينب محمود الخضيرى: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1993م،

الفاعل بحسب مذهب أرسطو كما فهمه هو إنما يفعل المركب من المادة والصورة، وذلك بأن يحرك المادة ويغيرها حتى يخرج ما فيها من القوة على الصورة إلى الفعل⁽¹⁾.

فالعالم بنظر ابن رشد أزلّي التغير، والموجودات، والموجودات التي في الكون مركبة من مادة وصورة، لا تتفصل أحدهما عن الأخرى، والمادة والصورة أزليتان، فلا يصح القول بأن وراء كل مادة مادة إلى ما لا نهاية، كما لا يصح القول بأن وراء كل صورة، صورة إلى ما لا نهاية. فالله موجود وهو لم يكن من شيء، ولا عن شيء، ولا تقدمه زمان فهو قديم. أما الأجسام الأخرى كالأرض والحيوانات والنبات مثلاً فهي محدثة. أما العالم من جهة ما هو كلّ، فهو موجود لم يكن من شيء، ولا تقدمه زمان، ولكنه موجود عن شيء أي عن فاعل قديم. وعليه فالعالم كما سبق وإن ذكرنا ليس محدثاً حقيقياً، ولا قديماً حقيقياً، لأن المحدث الحقيقي فاسد ضرورة، والقديم الحقيقي لا علة له.⁽²⁾

الخاتمة:

توصلت هذه الدراسة إلى النتائج الآتية :

- . تتفق الفلسفة مع الدين في موضوع البحث وهو معرفة الله والعالم والإنسان فكلاهما لهما نفس الغاية فهما يتفقان في الغاية وهي البحث عن الحقيقة ويختلفان في منهج المعرفة، فالدين يعتمد على النقل والوحي والإيمان، أما الفلسفة فتعتمد على العقل والبرهان والتفكير النظري.
- . حين تطرق ابن رشد لحل الخلاف بين الفلسفة والدين والذي هو ليس بالجوهر وإنما هو اختلاف في أداة البحث نجده يعتمد على منهج يسمى التأويل البرهاني.

¹. ابن رشد : تفسير ما بعد الطبيعة، ص1499.

². يراجع: ابن رشد: مناهج الأدلة، ص79، 80، وجمال المرزوقي: دراسات في علم الكلام والفلسفة، دار الأفاق العلمية، القاهرة، ط1، 2001، ص117، 118، و زينب الخضيرى، أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، ص223.

. إن العقل الإنساني عند ابن رشد مستويات متدرجة، وهي التي تتوافق مع ما جاءت به الشريعة، ولذلك يكون استخدام منهج القياس البرهاني للتدليل على فهم الشريعة، وكذلك للاستنباط فيما دعت إلي استنباطه.

. عند البحث فيما يقرره الشرع وما يذهب إليه العقل، يلزم استخدام منهج آخر هو منهج التأويل، الذي يؤكد أنه يتمشى تماماً مع قوانين اللغة العربية ذاتها، وهي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم نفسه.

- حاول ابن رشد أن يعيد لمستويات الناس العقلية حدودها الواضحة. فالناس عنده واحد من ثلاثة: متأمل متعمق، أو مجادل متوسط، أو عامي يقنعه الدليل الخطابي، ولكل من هؤلاء الثلاثة منهج يقيني ينبغي أن يقتصر عليه، وهو المنهج البرهاني اليقيني.

. أثبت ابن رشد للناس أن الشريعة الإسلامية تنادي في المقام الأول باستخدام العقل، وأنه كلما أحسن الإنسان استخدام عقله استوعب . على نحو أكثر اكتمالا . مبادئ هذه الموجودات. وإن الموجودات إنما تدل على الصانع(الله تعالى) بمعرفة صنعتها، وأنه كلما كانت المعرفة بصنعتها أتم كانت المعرفة بالصانع أتم.

- لقد بذل ابن رشد جهداً كبيراً في محاولة التوفيق بين الفلسفة والدين حيث تناول هذه المسألة تناولاً شرعياً لأن الشريعة عنده حق، والحكمة حق والحق لا يصاد الحق بل يوافقه ويشهد له. إذاً فالاتفاق بين الفلسفة والدين هو اتفاق قائم لا خلاف عليه مما جعل ابن رشد يؤكد على أن الفلسفة هي صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة لها.

- حاول ابن رشد أن يوفق بين الفلاسفة الذين قالوا بأن العالم قديم والقائلين بأن العالم محدث فأجمع الفريقين على أن الله هو خالق الكون ولكن الخلاف هو في الفترة الزمنية التي تتوسط الله ووجود العالم بالكلية فمن قال بأن الله والعالم بنفس الفترة الزمنية كانوا من فلاسفة القدم، ومن قالوا بأنه يوجد فترة زمنية ولو كانت ثانية أو آلاف السنين هم من فلاسفة الحدوث، وبالتالي وفق بين الفريقين بقوله: العالم ليس قديماً وليس محدثاً، ليس قديماً لأن له خالق، وليس محدثاً لأنه لا يوجد زمان قبله. فالعالم قديم في مادته، وحادث في صورته.

- إن مسألة قدم العالم في أي حال، لا تتعارض مع الشرع فالخلق يبقى تلك الحركة الإضطرارية في المادة التي تنشأ عنها الكائنات وتتولد بعضها من بعض وأنه أيضا تحويل ما بالقوة إلى الفعل أي أن الخلق عنده ينطوي على معنى الحركة والله في نظره هو المحرك الأول، وأن العالم المصنوع هو أزلي النشوء، دائم الحدوث، بينما أن الله أزلي بدون سبب وعليه فإن أقدمية العالم ليست كأزلية الله، بل ليس العالم محدثاً حقيقياً، ولا قديماً حقيقياً.

قائمة المصادر والمراجع

1. إبراهيم مذكور : المعجم الفلسفي، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، مصر، 1883م.
- 2- أرمسترزنج: مدخل إلى الفلسفة القديمة، ترجمة سعيد الغانمي، شبكة الفكر، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى، 2009م.
- 3- ابن تيمية: الإكليل في المنتشابه والتأويل، تعليق: حمد الشيمي شحاتة، دار الإيمان ، الإسكندرية، بدون تاريخ.
4. ابن رشد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، تحقيق: محمد عمارة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ.
- 5- ابن رشد: الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق: محمد عابد الجابري، مركز دراسة الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 1998م.
6. ابن رشد: تفسير ما بعد الطبيعة: تحقيق: موريس بويج ببيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1952م.
- 7- ابن رشد : تهافت التهافت، تحقيق: موريس بويج، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1930م.
8. أبو الفضل جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، دار الجبل ، بيروت، 1988م.
9. أبو منصور محمد الأزهرى، تهذيب اللغة، تحقيق: إبراهيم الابياري، الدار المصرية، 1966م.
- 10- بركات محمد مراد : ابن رشد فيلسوفاً معاصراً، مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002م.
11. جمال المرزوقي: دراسات في علم الكلام والفلسفة، دار الأفاق العلمية، القاهرة، ط1، 2001م.
12. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دارالكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، مكتبة المدرسة، 1982م.

13. جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثالثة، 2006م.
14. جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجبل ، تونس.
15. حسين علي، ما هي الفلسفة، دار التنوير، بيروت، 2011م.
- 16- حنا الفاخوري، خليل الجر: تاريخ الفلسفة العربية، دار الجبل ، بيروت، الطبعة الثالثة، 2002م.
17. زينب محمود الخضيرى: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1993م.
- 18- سعد الدين السيد صالح : قضايا فلسفية في ميزان العقيدة الإسلامية، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 1998م
19. عاطف العراقي: ابن رشد فيلسوفاً عربياً بروح غربية، المجلس الأعلى للثقافة، بدون طبعة، 2002م.
- 20- عاطف العراقي: المنهج النقدي في فلسفة ابن رشد، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، 1984م.
20. عاطف العراقي: النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد، مكتبة أبو العيس الالكترونية، دار المعارف، الطبعة الرابعة، 1984م.
- 21- عبد الرحمن مرحبا: خطاب الفلسفة العربية، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1993م.
22. عصام زكريا جميل: مصادر فلسفية، دار المسيرة، الطبعة الأولى، 2012م.
23. ماجد فخري: ابن رشد فيلسوف قرطبة، دائرة معارف البستاني، ص98.
- 24- محمد أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، دار المعرفة الجامعية، بدون طبعة، 2000م.
25. محمد بن صالح العثيمين، مختصر الأصول من علم الأصول، أختصره: حاتم محمد ظاهر الكثيري، مدونة مكتبة الأصالة.
- 26- محمد عابد الجابري: ابن رشد سيرة وفكر، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة

الأولى، 1989م.

27- محمد السيد نعيم وعضو الله حجازي: في الفلسفة الإسلامية وصلاتها بالفلسفة اليونانية، ط2، القاهرة، بدون تاريخ.

28. مونس بخضرة: مخارج التأويل في قراءة النص والفلسفة عند ابن رشد، مقال منشور في صحيفة الحريات، 39 مايو، 2013م.

29. هادي فضل الله: مدخل إلى الفلسفة، دار المواسم للنشر والتوزيع، بيروت، 2002م.

أثر وسائل النقل وتلوث المياه على البيئة بلدية المرقب بشمال غرب ليبيا (دراسة جغرافية)

إعداد: د. نجوى عمر الجنين

تمهيد

يعد النقل من المتطلبات الأساسية لتحقيق التطور والانتعاش الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، كما يعتبر من أهم دعائم الهيكل الاقتصادي، وهو الركيزة لتطوير النشاط الاقتصادي؛ أيضا يوصف النقل بالعمود الفقري أو قوام الاقتصاد، وعرفه آخرون بخادم النشاط الاقتصادي.

كل هذه التعاريف تشير إلى الدور الرئيسي الذي يؤديه النقل داخل الإطار الاقتصادي، لهذا كان تطور وسائل النقل جنبا إلى جنب مع تطور الإنسان على هذه الأرض وزيادة متطلباته المختلفة.

أنماط النقل ببلدية المرقب.

تعد وسائل النقل بأنواعها المختلفة البرية والبحرية من العوامل التي لها دور بارز في عمليات التطور والتقدم في منطقة الدراسة، لما لها من دور في تسهيل حركة النقل و التنقل بين المناطق لإنجاز الأعمال المتنوعة، كذلك وسيلة مهمة في تبادل السلع والخدمات في العديد من المجالات، ويتطور البلاد وازدياد عدد السكان تزداد الحاجة إلى وسائل نقل أكثر حداثة وتطوراً من سابقتها لتواكب التقدم في المجتمع للوصول إلى التطور والإنماء المستمر.

وبما أن أغلب المدن الليبية تتركز في الإقليم الساحلي؛ ما أدى إلى تركيز أعلى كثافة للسكان في البلاد، ولذلك تتناثر هذه المدن على طول الطريق الساحلي الذي يبلغ طوله 1770 كم داخل الأراضي الليبية، والشكل رقم (1) يبين موقع البلدية بليبيا، ومن أجل هذا عُبِدت طرق وخطوط النقل والمواصلات استجابة للمطالب الاقتصادية والبشرية والعمرانية

متمشية مع الظروف الطبيعية، وهي تمتد من الحدود المصرية شرقاً حتى الحدود التونسية في جهة الغرب.(1)

وفما يلي وسائل النقل بشكل موجز:

أولاً: النقل البري:

يعد النقل البري من أقدم الأنماط التي عرفها الإنسان، الأمر الذي أدى إلى الاهتمام بهذه الوسيلة، أيضاً بتطوير شبكات الطرق ودراسة أفضل الطرق والأساليب العلمية الحديثة لتخطيطها وإنشائها وصيانتها لاستخدامها لغرض قضاء المتطلبات والاحتياجات اليومية والضرورية للسكان؛ كذلك للتنقل من مكان إلى آخر ، ومن خلال ذلك أصبحت الحاجة ملحة لتطوير وسائل النقل وزيادة الطلب عليه.

- تطور عدد السيارات:

أسهم تطور وسائل النقل البري وازدياد الطلب عليه، في زيادة أعداد السيارات في منطقة الدراسة، إذ بلغ إجمالي عدد المركبات فيها خلال عام 2005 نحو عام (65438) مركبة.

ثم ارتفع هذا العدد في عام(2010) إلى(81700) ومثلت السيارات الخاصة منها

نحو(90%).(2)

ومن العوامل التي ساعدت على زيادة عدد هذه المركبات زيادة أطوال الطرق، حيث تنتشر أجزاء من منطقة الدراسة ضمن المناطق الزراعية المهمة، وخاصةً أنها تمثل حلقة وصل بين مناطق الشرق والغرب وكذلك الجنوب، وكذلك تغير نمط الحياة الناتج عن تحسين مستوى المعيشة وارتفاع دخل الفرد؛ كذلك بسبب الخدمات التي تتعلق بصناعة السيارة نفسها ،

- تطور شبكة الطرق بالمنطقة (2000-2015).

يعتبر قطاع النقل والمواصلات في منطقة الدراسة من أهم القطاعات بالبلدية، بما يقدمه من أدوار فعالة لتطوير القطاعات المختلفة ، وذلك بوضع برامج وخطط طموحة تتعلق بهذا القطاع، وقد حظي قطاع النقل ومازال يحظى بالمزيد من التطور والتحديث

ليتمكن من تأدية المستهدف من خطط المجتمع ، والمتمثل في إقامة شبكة من الطرق الرئيسية والفرعية، منها الزراعية وغيرها، وقد خصصت لها الدولة الاعتمادات المالية الضخمة اللازمة لإنجاز المشاريع المتعلقة بكل نشاط.

وتتميز منطقة الدراسة بأنها ذات رقعة جغرافية واسعة ومترامية الأطراف والتي شهدت في السنوات الأخيرة ارتفاعاً في معدل استخدام الطرق ، من حدودها الشرقية من وادي كعام شرقاً والقربوللي غرباً و وترهونة ومسلاته جنوباً، والشكل رقم (2) تبين الطرق الرئيسة والفرعية لمنطقة الدارسة.

ويسبب ذلك زاد عدد خدمات الشركات والتشاريكات المحلية والأجنبية للنهوض بهذا القطاع بإنشاء الطرق التي تخدم المواطنين ، ويتواجد هذه الطرق اتجه أكثر المواطنين إلى اقتناء مركبات خاصة لاستعمالها في عدة مجالات: العمل ، والتعليم، والترفيه والرحلات متعددة الأغراض.

كذلك ظهرت خلال السنوات الأخيرة وسائل النقل الجماعي، والتي تعرف بحافلات النقل الريفي والتي تعد من أهم ملامح التطور ، وعن طريقها تحققت مجموعة من النتائج أبرزها تشجيع التحول من العمل الوظيفي (الحكومي) إلى العمل الجماعي (الخاص) حيث تم تحديد أكثر من 25 خط سير لنقل الركاب داخل مدن وقرى منطقة الدراسة و ربطها بمدن ليبيا .

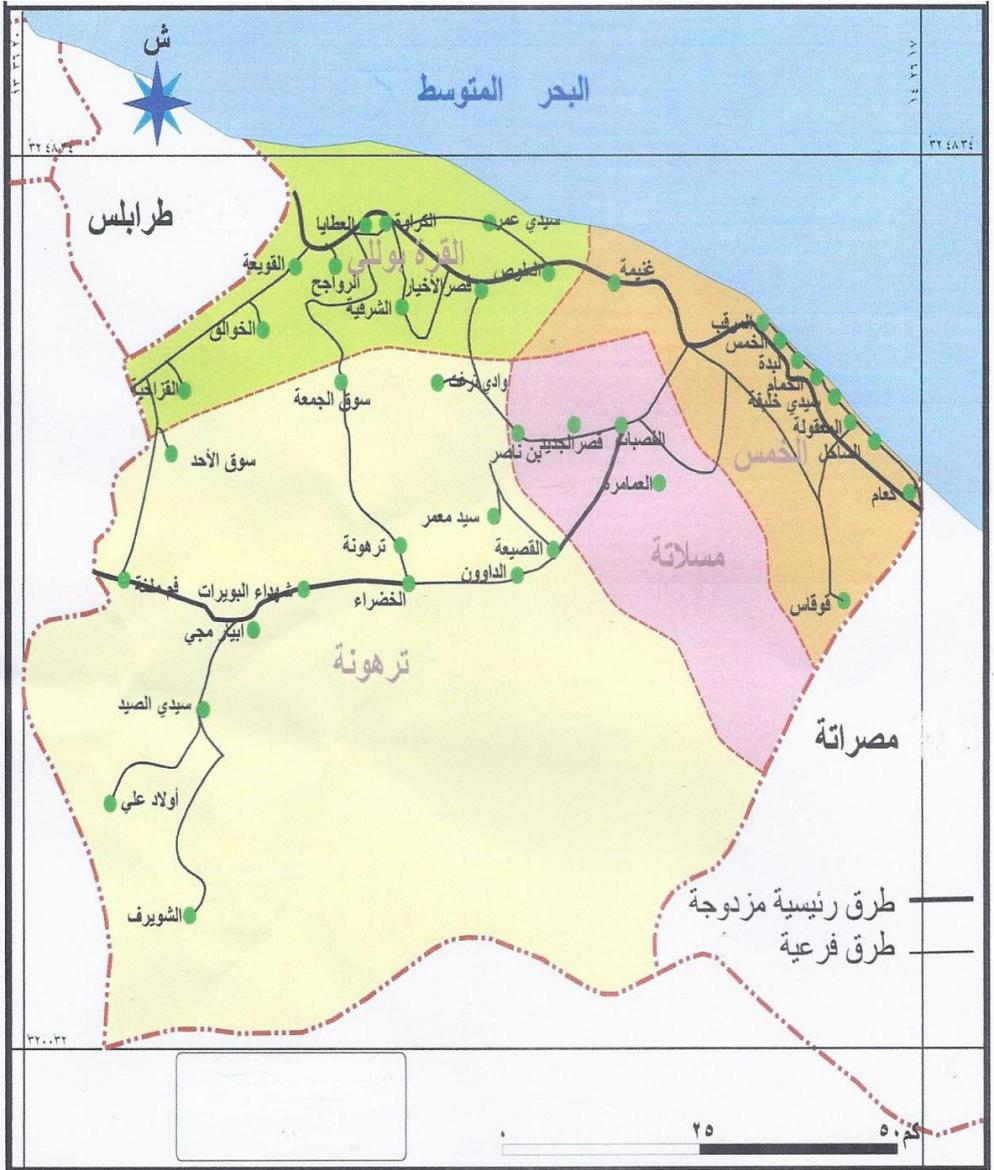
أما فيما يخص نقل البضائع ، فقد تم إنشاء مايزيد على 55 تشاريكيه أو شركة نقل تمارس نشاط نقل البضائع من مصانع الإسمنت وميناء الخمس ، ومن عدد من المواقع الإنتاجية الأخرى حيث ساهم قطاع الركاب والبضائع في توفير ما يزيد على 2500 فرصة عمل في نطاق منطقة الدراسة.

شكل (1) موقع منطقة الدراسة داخل ليبيا



المصدر: من عمل الباحثة استناداً إلى الأطلس الوطني للجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، أمانة التخطيط - مصلحة المساحة 1977.

شكل (2) شبكة الطرق ببلدية المرقب



المصدر: من عمل الباحثة استناداً إلى البيانات المتحصل عليها من اللجنة البلدية العامة للمواصلات والنقل ببلدية المرقب

ولكن يبقى الإنسان العامل الأول والرئيسي من العوامل التي أدت إلى تخريب وإفساد هذه الطرق ونظامها، بسبب الإهمال وعدم المبالاة وسوء الاستخدام الذي يصدر عن الإنسان والذي ينجم عنه تحطيم هذه الطرق والجسور مع مساعدة العوامل الطبيعية.

- الأضرار الناجمة عن سوء استخدام الطرق:

- 1- هبوط جسم الطريق، كما هو الحال بالطريق الساحلي بمنطقة الدراسة، إذ يوجد بالطريق بعض الحفر والمطبات، وتعد السبب الرئيسي في انتشار حوادث السيارات؛ لعدم وجود خرسانة للحماية من الانجراف، كذلك وجود عدة فتحات فرعية في نقاط كيلو مترية في عدة مداخل.
- 2- تشقق الأعمدة والفواصل المطاطية والوسائد المطاطية الحاملة لجسم الجسر والتي تعمل على امتصاص الصدمات المتولدة من الأحمال المتحركة فوقها، كما يوجد في جسور النقازة والخمس وكعام.
- 3- تعرض بعض الجسور المربوطة بجسم الطريق إلى الهبوط، ما أدى إلى انعزال الجسم بصورة كاملة عن جسم الطريق الساحلي، وحدث تشقق في طبقة الإسفلت إلى نهاية جسم الطريق، كما في الصورة (1)، مع العلم بأن هناك أكثر من جسر تمت صيانته، ولكنه عاد مرة أخرى إلى النزول والتشقق بسبب التفاصيل الهندسية في الإنشاء من جهة، كذلك بسبب الحمولة الزائدة.
- 4- يوجد هبوط في البلاطات وتآكل لحديد الحماية الجانبية وتشققات نتيجة لعدم وجود السمك المطلوب من الخرسانة أعلى حديد التسليح.
- 5- تعد الحمولة الزائدة للمركبات بأشكالها المختلفة وبالأخص الشاحنات والمقطورات أحد الأسباب في نزول الطريق كما بالصورة (2).
- 6- بسبب عدم وجود فتحات لتصريف المياه وانسداد الموجود منها سبب ذلك انجرافات وعدم وجود خرسانة حماية جانبية في أكثر من جسر في منطقة الدراسة، كما هو

موجود في الطرق الفرعية التي تربط الساحل بالجنوب كما في الصورة أيضا جسور منطقة غنيمة على الطريق الساحلي الرئيسي.

الصورة رقم (1) بعض الحفر الموجودة في الطريق الساحلي



المصدر: مصلحة الطرق و الجسور بمنطقة الدراسة، 2012.

الصورة (2) انقسام الطريق عن جسم الجسر بسبب الحمولة الزائدة (غنيمة) الخمس



المصدر: مصلحة الطرق والجسور بمنطقة الدراسة، 2012.

ثانياً: النقل البحري:

يقتصر النقل المائي في منطقة الدراسة علي النقل البحري ؛ لعدم وجود أنهار في بلدية المرقب، والذي يعد وسيلة من أقدم وأفضل وسائل النقل ، باعتباره أقل وسائل النقل تكلفة وأكثرها أماناً ، وخاصة في نقل الأوزان الكبيرة والثقيلة ، والتي تعجز عن حملها وسائل النقل الأخرى وهو ميناء تجاري لنقل البضائع والسلع ، ويعد ميناء الخمس البحري ببلدية المرقب من الموانئ المهمة والحديثة والذي يتميز بموقع مميز ومقومات طبيعية تساهم في رفع المستوى الاقتصادي للدولة ومنطقة الدراسة .

هذا وتم افتتاح ميناء الخمس التجاري عام 1991، وهو يقع على بعد 2.5 كم غرب مدينة الخمس التي تعد مركز منطقة الدراسة، على خط طول 14.15 شرقاً على خط طول 32.41 شمالاً.

وتبلغ مساحة اليابسة الموجود عليها الميناء 88.1174 هكتاراً، كما تبلغ مساحات التخزين للحاويات والصناديق المغلقة 17700 هكتار، أما مساحة تخزين البضائع غير المحوه 4.4000 هكتار ؛ كما توجد بالميناء عدد 8 أرصفة بطول 1710 متر.⁽³⁾

أثر النقل على البيئة ببلدية المرقب:

بخلاف ما تقدمه وسائل النقل من مميزات كان أثرها واضحا في القيام بعمليات النقل ومدى مساهمتها إسهاما كبيراً في الوصول إلى التنمية الاقتصادية ، إلا أنها لا تخلو من السلبيات التي تلعب دوراً بارزاً في تلويث الهواء والماء وما يصدر عنها من ضجيج ، وغيرها من الآثار الأخرى ، التي تكون عواقبه وخيمة على الإنسان والنبات والحيوان في بلدية المرقب، وخاصة في الآونة الأخيرة ؛ بعد أن اتجه العديد من السكان في منطقة الدراسة لقطع الغابات الموجودة فيها ؛ إذ تعمل هذه الأشجار على امتصاص كميات هائلة من الغازات الضارة ، حيث تمتص الأشجار نحو 60% من كمية ثاني أكسيد الكبريت الموجود في الجو، فالهكتار الواحد من الغابات ينقي حوالي مليون متر مكعب

من الهواء. (4)

وبزيادة أعداد السيارات زادت نسبة تلوث الهواء، بسبب الغازات المنبعثة من عوادمها، كلما ازداد استخدام أعداد السيارات زادت كمية الغازات المنطلقة من العوادم، إذ يتم تحديد كمية الغاز الصادر من قطاع النقل بحسب نوع الآليات و حجم المحركات ونوعية الوقود المستعمل، وتشتمل المركبات على أشكال مختلفة من الوقود الحاملة لمركبات الرصاص، أول أكسيد الكربون وثاني أكسيد الكربون والهيدروكربونات وأكسيد النيتروجين وثاني أكسيد الكبريت.

أولاً: عوادم السيارات و أثرها علي البيئة:

تعتبر أي سيارة ذات محرك جيد إذا كان الهواء المنبعث منها عديم اللون، وهو أقرب من شفافية زفير الإنسان ، فان أي لون يظهر في عادم السيارة يدل ذلك على سوء حالة المحرك. (5)

وتظهر من محركات السيارات والشاحنات أشكال مختلفة من العوادم التي تكون ألوانها واضحة للإنسان، حيث لاحظت الباحثة عند الزيارة الميدانية التي أجرتها العديد من المناطق بأن انبعاث الأبخرة لا يقتصر على المركبات القديمة فحسب بل القديمة والحديثة منها ؛ إذ تنفث أشكال مختلفة وخطيرة من الأبخرة الضارة كما هو مبين بالصورتين (3)(4).

الصورة (3) التلوث الناجم عن أدخنة بعض المركبات (النفازة) سلين



المصدر: عدسة الباحثه بتاريخ 9- 10 -2011.

الصورة (4) التلوث الناجم عن تسخين الشاحنة (سوق الخميس)الخميس



المصدر: عدسة اللبائحه بتاريخ 15/ 11/2012.

يؤثر الغاز الخارج من المركبة على صحة الإنسان، فعند استنشاق الهواء الملوث بهذه المركبات ينجم عن ذلك أن يصيب الغشاء المبطن للرئة، حيث تتلف الأنسجة و الشعيرات الدموية ويسبب تقرحات و نزيفاً فيها ، وقد يتسبب في الوفاة عند التعرض لتركيزات عالية منه.(6)

أنواع ملوثات الهواء الناتجة من وسائل النقل.

إن الغازات المنبعثة من وسائل النقل المختلفة تختلف في تركيبها، ولكن لها نفس المضار والمخاطر التي تساهم في تلوث الهواء وهي كالاتي:

- 1- غاز أول أكسيد الكربون CO الناتج من عمليات الحرق غير المتكاملة.
- 2- أكسيد النيتروجين NO^X والغازات الهيدروكربونية، إضافة إلى مادة الرصاص الصادرة من احتراق بعض أنواع الوقود، إذ يعد استخدام البنزين الحاوي على مركب الرصاص من أخطر أنواع الوقود، بسبب كثرة انبعاث الغازات المحتوية عليه، خاصةً بعد إضافة (رباعي الاثيل الرصاص) إلى وقود سيارة البنزين مباشرة مع الغازات نتيجة الاحتراق والتفكيك الحراري ثم الأوكسدة (أملاح وأكسيد) على شكل لاعضوي بالإضافة إلى ذلك ينطلق كلوريد الإيثيلين الذي يضاف للبنزين لتحاشي تراكم أكسيد الرصاص في المحرك (7) حيث يضاف مركب الرصاص للبنزين للرفع من كفاءته ، إذ يتجمع ويتكاثر مركب الرصاص في الجو بعد خروجه من عادم السيارة أثناء تشغيلها وتسخينها قبل التحرك بها، أيضا عند وقوف السيارة في النقاط المرورية و نقاط التفتيش، وخاصةً أن منطقة الدراسة التي يوجد بها أكثر من نقطة تفتيش في أكثر من منطقة منتشرة على الطريق الرئيسي الساحلي والطرق الفرعية الأخرى.

كما ينتج تلوث الهواء بالرصاص من مصادر أخرى تتمثل في الأجهزة الحرارية وأجهزة حرق الوقود الصلب والوسائل، كذلك أبخرة البنزين عند استعمالها أيضا والملوثات الصناعية لمركبات الرصاص و المنتجات الصيدلانية والتجميلية (8)

1- غاز أول أكسيد الكربون.

ينجم هذا الغاز أيضا من عمليات الاحتراق غير الكاملة للوقود ؛ كذلك يصدر من عوادم السيارات ، ويعد هذا من الغازات الخطيرة وأشدّها سمية على الإنسان والحيوان ،

وبما أن منطقة الدراسة عبارة عن خليط من المدن و الريف، هناك العديد من السكان الذين يقومون بصناعات عن طريق حرق الحطب ،كذلك للتخلص من بقايا تقليم الأشجار وتنظيم أراضيهم بحرق مخلفاتهم وغيرها من الصناعات الأخرى، التي تعد من العوامل التي تساعد على وجود هذا الغاز وتركزه في منطقة الدراسة، من خلال استنشاق غاز أول أكسيد الكربون وتركزه بكميات كبيرة في جسم الإنسان ،و بعد اتحاد أول أكسيد الكربون مع الهيموجلوبين ،يحرم الجسم من الحصول على الأكسجين ومع زيادة تركزه ينجم عن أول أكسيد الكربون ما يأتي:

الشعور بالتعب ، صعوبة في التنفس ،طنين في الأذن، حالات قلق، نقص في الرؤية ، انخفاض ضغط الدم ، ازدياد النبض في القلب ، شعور بالدوخة.

وأما غاز ثاني أكسيد الكربون فينجم عنه ما يأتي:

صعوبة في التنفس ، الشعور بالاختناق مع تهيج للأغشية المخاطية ، التهاب القصبة الهوائية.

ومن خلال ماسبق يتضح أن كل هذه الغازات لها تأثير مباشر وغير مباشر على صحة الإنسان ومع الكثافة العالية عند ازدحام الشوارع بالمركبات وخاصةً خلال سنة 2009 بعد أن ظهر قرار يمنع سير الشاحنات والمركبات ذات الأحجام الكبيرة خلال الفترة المسائية ؛ ما أدى إلى ازدحام الطرق بالمركبات المختلفة في فترة الظهيرة ،والتي نتج عنها تكاثر كميات كبيرة من الغازات المنبعثة من هذه المركبات، إذ تتركز الجزيئات العالقة بشكل كبير عن المعايير الخاصة بجودة الهواء، ويكون الأشخاص المتضررون والمعرضون لهذا التلوث هم القريبين من نقاط المرور والتي تساهم في تجميع الملوثات و تكوين بيئة يتكاثر فيها هذا التلوث وهم رجال الشرطة وسائقو المركبات الآلية نفسها، كما يلحق الأذى بالسكان الذين تكون مساكنهم قريبة من نقاط المرور، إذ يكون تأثيرها مباشراً على الأشخاص الذين يعانون من ضيق في التنفس والذي يعانون من أمراض في القلب ، حيث يسبب إجهاداً لدى مرضى القلب.

التلوث الضوضائي.

يعرف التلوث بالضجيج على أنه جملة أصوات مستهجنة تحدث تأثيراً مضيقاً ومثيراً للعصبية⁽⁹⁾، كذلك يعرف الضجيج والضوضاء بأنه عبارة عن خليط متناثر من الأصوات ذات استمرارية غير مرغوب فيها. حيث تنتج الضوضاء عن ارتفاع الصوت، حيث يعرف الصوت بأنه عبارة عن طاقة تصدر من اهتزاز جسم يتحرك بسرعة وتكون هذه الطاقة على شكل موجات تتمثل في الهواء أو أي وسط آخر.⁽¹⁰⁾

وترتبط مشكلة الضوضاء بوجود الإنسان ونشاطاته في شتى المجالات وزاد ضرر الضوضاء بصفة عامة منذ أن استخدمت الأشكال المختلفة لوسائل التقدم والتطور، حيث أصبحت الضوضاء السمة الرئيسية للمدن ، بسبب الصناعة ووسائل النقل وغيرها من الأنشطة التي تصدر عن أعمال الإنسان ونشاطاته ، وتأتي الضوضاء في المرتبة الثانية بعد تلوث المياه والتي تعد من بين القضايا المهمة التي تحظى بالاهتمام.

وأظهرت دراسة قامت بها إدارة الإسكان والتنمية الحضرية في الولايات الأمريكية أن سكان المدن في أغلب الأحوال اعتبروا أن الضوضاء هي أسوأ صفة لمنطقة السكن، كما تم تحديد الضوضاء والجريمة باعتبارهما أكبر عاملين ضمن العوامل التي تؤدي إلى رغبة السكان في الانتقال إلى موقع آخر من المدينة ، لذا فإن الضوضاء في المدن مشكلة دائمة ومزمنة.⁽¹¹⁾

ومن الأشكال المختلفة لمصادر التلوث بالضجيج ما يأتي :

1- الضوضاء الناتجة عوسائل النقل:

ينجم عن السيارات من إدارة محرك السيارة ،وتغير سرعات السيارة عن طريق محول السرعات، كذلك أصوات الفرامل عند احتكاك العجلات أو إطارات السيارة ،كذلك ما ينتج عن السيارات من أبواق الترميز و الكاسيت .

وتقاس شدة الصوت بوحدة القياس المعروفة بالديسيبل Decbl scale عندما تكون

نسبة الضوضاء عالية في المدن .

وبما أن منطقة الدراسة يخترقها الطريق الساحلي الرئيسي والذي ساهم في وصول أشكال مختلفة من المركبات في جميع الاتجاهات، الأمر الذي جعل من الطبيعي أن نسمع الأصوات الناجمة عن ضوضاء السيارة يومياً.

ومن خلال الدراسة الميدانية التي أجرتها الباحثة عن أسباب التلوث الضوضائي في منطقة الدراسة، أذ تبين من واقع البيانات المجمعة بأن أعلى نسبة من أفراد العينة أجابوا بأن السيارات والشاحنات وما يصدر عنها من أصوات عاليه تساهم في الضوضاء في الكثير من مناطق بلدية المرقب والتي بلغت نسبتها 30.2% ، في حين من كانت إجاباتهم بأن صوت البوق والكاسيت وما ينجم عنها من أصوات مزعجة شكلت نسبة 20.1% ، أما أصوات الفرامل وما ينجم عنها من إزعاج عند احتكاك عجلات السيارة على الطريق فبلغت نسبتها 3.1% من مجموع أفراد العينة ، كما شكلت نسبة عمليات النظافة في الشوارع 8.6% من أصوات المعدات الخاصة بعمليات النظافة والآليات المستخدمة .

كذلك أصوات الورش وما ينجم عنها من عمليات قص وطرق ورش وغيرها من الأعمال الأخرى والتي بلغت نسبتها 13.0% من مجموع أفراد العينة ، في حين شكلت نسبة السكان والتي كانت إجاباتهم بأن الأصوات التي تصدر عن عمليات البناء والتشييد من عمليات الطرق والخلاط الناجم عن تشغيل الخلاطات وعمليات التكسير، كذلك أصوات الآليات والمعدات المستخدمة في عمليات البناء والحفر والتي بلغت 20.0% أما باقي الإجابات والتي أفاد أصحابها بأن هناك أسباباً أخرى غير ذلك ساهمت في الضجيج في بلدية المرقب شكلت نسبتهم 5.0% من مجموع أفراد العينة .

ولقد بينت الدراسات التي تمت على وسائل النقل المختلفة أن أعلى المستويات تتحقق عند السرعات العالية على الطريق السريع ويزيد المستوى الصوتي على 9 ديسيبل عندما تتضاعف السرعة ، ويقل هذا المستوى بمقدار 3 ديسيبل عندما تتضاعف مسافة نقطة القياس بالنسبة للطريق، حيث يعتمد المستوى الصوتي المتوسط على عدد المركبات في الساعة ونسبة الشاحنات الكبيرة والتي تتضاعف عند سير المرور في الساعة.⁽¹²⁾

كما أدى هبوط ونزول بعض الجسور الموجودة بمنطقة الدراسة إلى تغيير مسار حركة السيارات عند الطريق الساحلي ، ما أدى إلى اختراق بعض المدن بين المساكن والمحال التجارية والمدارس وغيرها من المراكز الأخرى .

وعند المقابلة الشخصية التي أجرتها الباحثة مع سكان تلك المناطق والمتمثلة في سكان مدينة الخمس وسكان منطقة غنيمة والمناطق الداخلية من مدينة ترهونة ومسلاته مما جعل بعض سكان تلك المناطق يتقدمون بالشكاوي من أصوات الشاحنات وما يصدر عنها من أصوات للمحركات وأصوات الأبواق المزعجة والعالية ، كذلك ما ينجم عن هذه المركبات و بالأخص الشاحنات وما تحمله من حمولات ثقيلة كان تأثيرها على الطريق الذي صمم على عدم تحمل هذه الأوزان.

ومن المعلوم أن الإنسان الطبيعي يستطيع أن يتحمل أصواتاً تصل إلى (45) ديسيبل ولا تكون متواصلة وهذا أثناء فترة النهار، أما في فترة الليل فيستطيع الإنسان الطبيعي أن يتحمل معدل الصوت العادي 35 ديسيبل ، وفي حالة الزيادة عن هذا المعدل ينتج عن ذلك ما يأتي:- صداع ، تعب ، سرعة نبضات القلب ، عدم التركيز .

ومن خلال ذلك فإن للضجيج آثاراً واضحةً على أعصاب ومزاج السكان بشكل عام ، وتعد محركات السيارات و مكبرات الصوت لها تأثيرات سلبية ، خاصةً للمنازل القريبة من الطرقات والمدارس القريبة وغيرها من المراكز الأخرى، والشكل رقم(3) يبين التلوث الضوضائي ببلدية المرقب.

حيث أوضحت دراسات كثيرة حقيقة فقدان السمع هو من أبرز الآثار الناجمة للتعرض للضوضاء على مستويات ؛ لأنها عندما تزيد عن مستوي 90 ديسيبل قد تحدث إتلافاً مباشراً في الجهاز العصبي السمعي.⁽¹³⁾،والجدول رقم (2) يبين شدة الصوت ومصادره

الآثار البيئية المترتبة على الضوضاء:

- التعرض الطويل والمستمر للضوضاء والضجيج ينتج عنه عدة مخاطر، منها ما يأتي:
- الصداع بشكل مستمر .
- التوتر العصبي .

- صعوبة في التركيز .

- تأثير نفسي على الإنسان .

- تأثير على القلب ونظام عمله و إيقاع ضرباته .

- تأخير شفاء ونقاهاة المرضفياالمستشفيات . (14)

وغير ذلك من فقدان شهية ، وفقدان التركيز و خاصة في الأعمال السمعية ، نتيجة لتلف

الخلايا الشعرية المهجرية الناقلة للصوت من الأذن إلى الدماغ الأمر الذي يسبب انفجاراً

مفاجئاً فيها أوقد يضعف السمع ضعفاً مزمناً . (15)

من خلال الجدول (1) يتضح أن شدة الصوت والتي لا تتجاوز 50 ديسيبل هي الحد

الأعلى المسموح بها للاستماع للإنسان العادي .

جدول (1) شدة الصوت و مصادره الوحدة: (ديسيبل)

ديسيبل	أمثلة	عدد وحدات الديسيبل	نوع الضوضاء
10	الأصوات الخافتة ضربات القلب	صفر - 10	مسموعة
20	حفيف الأوراق	10 - 30	هادئة جداً
35 40 50 33	أصوات المكتبات العامة الآلات الكاتبة حركة المرور الخفيفة البيئة الريفية	30 - 50	هادئة
65 60 70 70 70 67	جهاز تكييف الهواء المحادثة العادية التلفاز آلة الكنس الكهربائي المحال التجارية و المطاعم نباح الكلب	50 - 70	متوسط الارتفاع
90 78 77 78 88 96 97 97	ضجيج الشوارع صوت البيانو السيارة (بسرعة 100 كم/ساعة) الغسالة الكهربائية الخلاط المنزلي آلة قطع الحشائش آلات الطباعة	75 - 100	مرتفعة جداً
114 103 130 60	الفرق الموسيقية الحديثة الطائرات النفاثة أصوات تسبب الألم	100 - 130	مزعجة

المصدر: محمد أحمد عبد الهادي، مصدر سابق، ص 89.

وقد استخدمت الباحثة جهازاً لقياس الضجيج في كل من مدينة الخمس والقربوللي ومدينة ترهونة ومدينة مسلاتة، في أماكن متفرقة، وتم الحصول على المعلومات كما هو مبين بالجدول الآتي:

الجدول (2) شدة الصوت في مدن بلدية المرقب

نوع الضوضاء	شدة الصوت	المدينة
مرتفعة جداً	90 ديسيبل	الخمس
مرتفعة جداً	70 ديسيبل	القربوللي
متوسطة الارتفاع	60 ديسيبل	مسلاتة
مرتفعة جداً	75 ديسيبل	ترهونة

المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد علي جهاز اى فون دراسة ميدانية 2012.

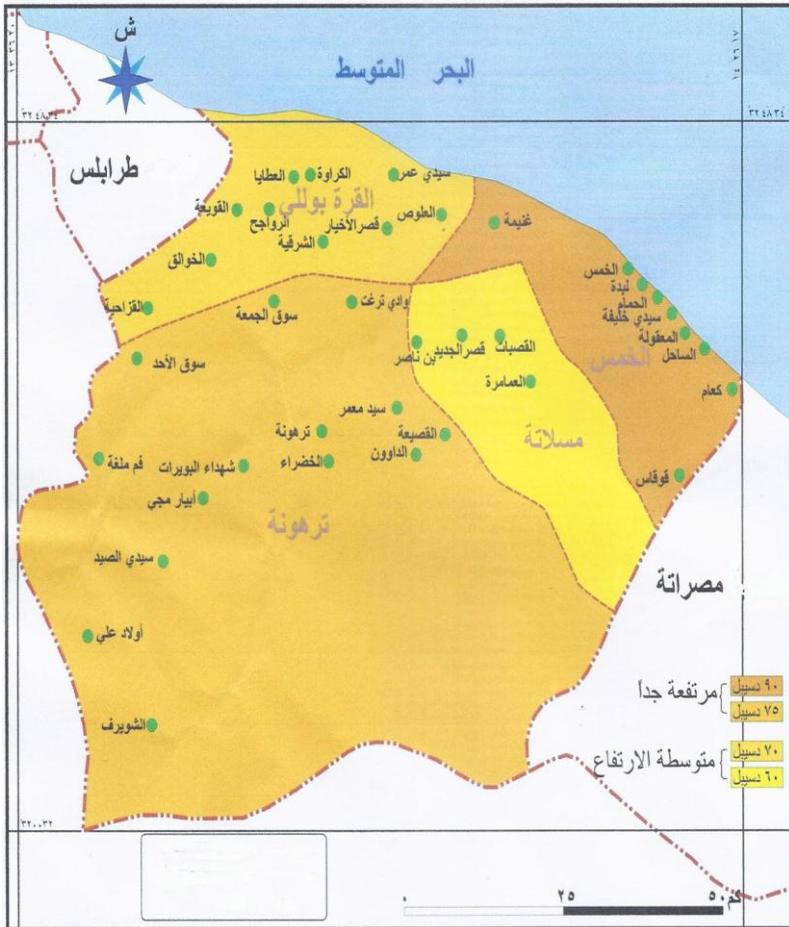
ومن خلال الجدول السابق والشكل (4) نلاحظ ارتفاع وانخفاض معدلات شدة الصوت من منطقة إلى أخرى ، متسبب بذلك نوع من الضوضاء أو الضجيج، إذ وصلت شدة الصوت والضوضاء في مدينة الخمس عند المحطة البخارية 70 ديسيبل ، في حين بلغت وسط المدينة عند ازدحام هذه المنطقة في وقت الظهيرة(والتي تكون عند الساعة 1.30 إلى الساعة 2 ظهرا) تكون 80 ديسيبل ، وهذا عند حركة المرور المزدحمة في شارع فبراير، في حين وصلت شدة الضوضاء في شارع عشرين إلى 90 ديسيبل وأكثر فترات الازدحام لهذا الشارع في الفترة المسائية ابتداء من الساعة الرابعة ظهرا حتى الساعة العاشرة ليلاً ؛ إذ تعد هذه المنطقة من المناطق المزدحمة في مدينة الخمس ، أما في حركة المرور الخفيفة فتكون شدة الضجيج في وسط المدينة 45 ديسيبل ، وعند الطريق الرئيسي الساحلي خارج المدينة وصلت شدة الضجيج 50 ديسيبل .

أما في مدينة القربوللي وسط المدينة فقد بلغت شدة الضوضاء 70 ديسيبل ، وهذا في وقت الظهيرة من الساعة 1.30 حتى 2.00 ظهراً.

كما بلغت شدة الصوت في مدينة مسلاتة في وسط المدينة 60 ديسيبل ، وأخيراً وصلت

شدة الصوت في مدينة ترهونة في وسط المدينة إلى 75 ديسيبل في وقت الظهيرة .
ومن خلال ما تقدم يتضح أن منطقة الدراسة ترتفع بها الضوضاء عن العادي والحد
المسموح بها ، والتي ينتج عنها مشاكل سمعية ، تضر بالإنسان والبيئة ، وتكون عواقبها
وخيمة.

شكل (3) شبكة الطرق ببلدية المرقب



المصدر: من عمل الباحثة استناداً على البيانات الموجودة بالجدول (2).

– الآثار البيئية لتلوث مياه البحر بمنطقة الدراسة. تلوث الشواطئ.

بما أن منطقة الدراسة تقع على شاطئ البحر، تتعرض إلى عدة أشكال من التلوث جراء الأنشطة المختلفة التي يقوم بها الإنسان، ما ينتج عنها أضرار بالغة الخطورة على الإنسان والثروة البحرية،

كما توجد في المنطقة الممتدة عند نهاية مجرى وادي زناد وينتهي بها المطاف إلى البحر بجوار القرية السياحية بمدينة الخمس، ومصيف الدرة العائلي، ووجود مستنقعات كبيرة جداً لمياه الصرف الصحي غرب سياج مدينة لبداء الأثرية بالقرب من شاطئ البحر، والتجمع الكبير لمياه الصرف الصحي⁽¹⁶⁾، كل هذه الأسباب ساهم بها الإنسان بشكل أو بآخر في تلويث البيئة.

وبما أن منطقة الدراسة تعاني من هذه المشكلة ، وذلك بتصريف مياه الصرف الصحي غير المعالجة ، والتي ينجم عنها إلحاق الضرر بالثروة السمكية ، كذلك الشعب المرجانية والتي تتخذها الأسماك سكناً وبيئة لها، إذ تتصف مياه البحر في بلدية المرقب خاصةً التي تطل عليها المناطق السكانية والصناعية بأنها غير صالحة للاستخدام البشري من حيث السباحة والصيد ، إذ تتصف مياه تلك المناطق بالريئة ، لما تحويه من مواد عضوية وغير عضوية

وتعد مياه الصرف الصحي غير المعالجة والتي تؤثر على النظام الإيكولوجي البحري، والتي تقوم بتحليل الفسفور إلى عناصر غير عضوية مثل النيتروجين غير العضوي مستخدمة في ذلك الأكسجين الذائب في المياه ، مما ينعكس على تدهور المياه البحرية و تدني كميات الأسماك، بالإضافة إلى تلوث الشواطئ وانعكاس ذلك على السياحة.

تحليه المياه من كلور ، وغيرها من المواد الأخرى التي تسبب في تلوث مياه البحر. كما ينتج من محطات التحلية عند استخدام كميات كبيرة من المياه في المبردات والمبدلات الحرارية ، وما ينتج عنها من اختلاط بالتلوث الناتج عن عمليات التبريد.

2- ماينجم عن تلوث مياه البحر ببلدية المرقب.

شاطئ البحر بمنطقة الدراسة غير صالح للاستعمال كالصيد والترفيه والسباحة وينتج عن رمي المخلفات في مياه البحر استهلاك كميات كبيرة من الأكسجين الموجود في المياه، مما يسهم في تناقص كمية الأحياء المائية، كما تعد بيئة غير صالحة للأحياء، وذلك بارتفاع نسبة المواد الكيميائية الدائبة بها، كما يتم رمي المخلفات الناجمة من الجفت⁽¹⁾، في مجاري الأنهار الموسمية والتي تصل إلى شاطئ البحر، وهي تتجم عن معاصر زيت الزيتون والتي تؤثر تأثيراً سلبياً على الأحياء البحرية .

كما توجد في منطقة الدراسة على طول الساحل مناطق زراعية متفرقة، والتي تتجمع بها الأسمدة والمبيدات الحشرية التي يكثر استعمالها في المساحات الزراعية والتي يتم نقل هذه الترسبات عن طريق السقاية ومياه الأمطار عبر الأودية التي ينتهي بها المطاف إلى البحر .

إذ يوجد بمنطقة الدراسة أنواع من الصناعات المختلفة ومن بين هذه الصناعات صناعة البلاط والرخام والذي يتم صرف مياهه والتخلص منها في الأراضي القريبة من صناعتها بحفر خزانات مخصصة لها، أو بالتخلص منها في مياه البحر بسبب الاستهلاك الدائم و التي ينجم عنها تكبير مياه البحر، فهي تساهم في حجب أشعة الشمس، والتي ينتج عنها تعطيل عملية التمثيل الضوئي لدى الطحالب البحرية، كما أن تلوث الشواطئ لا يقتصر على هذا الحد فحسب بل من العوامل التي ساهمت في تلويث شاطئ البحر مخلفات البناء والهدم .

يقوم سكان المناطق القريبة من شاطئ البحر بالتخلص من مخلفاتهم أثناء عملية الصيانة على الشاطئ بسبب قرب المسافة وارتفاع تكلفة النقل عند نقلها لمسافة بعيدة كمكب النفايات وغيرها ؛ كذلك لعدم وجود رقابة على ذلك.

(1) يقصد بالجفت بقايا مخلفات حبوب الزيتون بعد عصرها.

كما التخلص من هياكل السيارات وقطع بعض السفن التي تشمل مركب الصيد التي تم التخلي عنها بسبب تعطلها وعدم استخدامها في مياه البحر أو على الشاطئ والتي تساعد عوامل المناخ على تحللها ، كما يؤدي رمي الأجهزة الإلكترونية البالية والقديمة التي ينتج عنها إحداث تلوث كيميائي كالححاس والنيكل والرصاص وغيرها من المعادن الأخرى والتي يكون تأثيرها ساماً.

ما ينجم عن رمي مخلفات السفن والتي تكون عادة على شكل قمامة و زيوت و غيرها ؛ كذلك عند غسل خزاناتها عندما يتم تفريغ حمولتها ،أيضا مخلفات الصرف الصحي الناتجة عن طاقم السفينة وركابها والتي تشمل الصلبة والسائلة .

كما يوجد عدد من السفن التي تقوم بالتخلص من البضائع التالفة كالحبوب والسلع والخضروات والفاكهة واللحوم والأغذية وغيرها في عرض البحر بعيداً عن الناس والرقابة، وأخيراً المخلفات التي يتركها المصطافون وراءهم من المصايف والمقاهي والفنادق الموجودة على شاطئ البحر وغيره.

3- تلوث المياه الجوفية والسطحية.

يقصد بالتلوث المائي هو إحداث تلف أو إفساد لنوعية المياه ، ما يؤدي إلى حدوث خلل في نظامها الايكولوجي بصورة أو بأخرى بما يقلل من قدرتها على أداء دورها الطبيعي، حيث تصبح ضارة أو مؤذية عند استخدامها أو تفقد الكثير من قيمتها الاقتصادية (17).

كما يعد تلوث المياه الجوفية أحد مشاكل العالم ، والواقع أن كل مدن العالم الثالث لديها الكثير من مصادر تلوث المياه بسبب انخفاض خدمات مياه الصرف الصحي، فالنظم الشاملة لمياه الصرف الصحي، ومياه الأمطار، تجعل من السهل التحكم في تلوث المياه من خلال معالجتها قبل إعادة استخدامها ، أو حثي إلقائها في الأودية أو البحار. (18)

إذ تختلف أشكال ملوثات المياه في بلدية المرقب ، فمنها التلوث الكيميائي والذي يصدر عن مخلفات بعض الصناعات ، ومنها التلوث الجرثومي و الميكروبي الناتج عن مياه الصرف الصحي غير المعالج.

حيث يحدث التلوث الجوفي للمياه عندما تدخل المخلفات البشرية إلى المياه داخل جوف الأرض ومن ثم تصبح غير صحية وغير صالحة للاستعمال البشري، إذ تصل هذه الملوثات إلى المياه الجوفية عن طريق الحفر الامتصاصية حيث المياه العادمة، والمواد الكيميائية المستخدمة في الزراعة.⁽¹⁹⁾

فالمياه الجوفية الملوثة من الصعب تنظيفها أو تنقيتها، وإن حدث ذلك فتكون من العمليات المعقدة والمكلفة جداً أو تكون مستحيلة.⁽²⁰⁾

إذ تتجمع أحيانا هذه المياه و خاصةً عند هطول الأمطار على شكل برك تسبب في عرقلة المارة من السيارات، وكذلك تمنع المارة من المواطنين بالسير على الأقدام. أما المناطق البعيدة عن البحر فتكون أماكن تجميع مياهها في آبار يطلق عليها بالآبار السوداء خاصة في المناطق الهامشية وضواحي المدن الرئيسية في منطقة الدراسة والمناطق الزراعية إذ يلجأ أغلب سكان هذه المناطق لاستخدام هذه الآبار للتخلص من المخلفات السائلة منها والصلبة، خاصةً وأن هذه الخزانات الأرضية غير محصنة بجدارعازل يمنع تسرب المياه الملوثة إلى الطبقات الأرضية القريبة من المياه الجوفية، إذ تفقر هذه الخزانات إلى التصميم الجيد والصحي، والتي يصل تأثيرها إلى مياه الشرب . حيث يتم التخلص من المياه الملوثة من هذه الخزانات عن طريق شفطها للتخلص من محتواها ويتم التخلص منها إما في الأرض الفضاء، أو وسط الغابات القريبة أو على شاطئ البحر.

هناك العديد من السكان الذين يستخدمون هذه المياه الملوثة في ري الأراضي الزراعية ، بهدف الاستفادة من محتوياتها من فضلات ضناً منهم بأنها له فوائد للأرض الزراعية ، دون معرفة ما تحمله من مركبات سامة، والتي تتمثل في مواد التنظيف والفضلات الآدمية و بقايا الزيوت الناتجة عن عملية الغسيل في المطابخ وغيرها والتي يكون تأثيرها ضاراً على التربة والنبات وكذلك الإنسان.

وبما أن منطقة الدراسة تحتوي على تربة مختلطة بين طينية ورملية يساعد هذا النوع من التربة على تسرب المياه إلى الطبقات الأرضية الحاوية على المياه الجوفية والتي

تساعد على وصول المياه الملوثة لتلك الطبقات مما يغير في خواصها وتركيبتها، كما يفقدها جودتها ونقاها ما يجعلها غير صالحة للاستخدام البشري، كما تعد الأمطار المحملة بغازات ملوثة بأول أكسيد الكربون وثاني أكسيد الكربون، وعند تفاعلها مع بخار الماء الموجود في الجو تؤدي إلى تكوين حمض النيتريك وحمض الكبريت والتي ينجم عنها ما يعرف بالأمطار الحامضية، والتي بعد سقوطها على الأرض تتسرب إلى طبقات المياه الجوفية، ما تساهم في تلوثها؛ كما ينجم عن تصاعد الأبخرة التي تحمل الغازات والجسيمات من مصانع الصهر والصفائح وورش الطلاء واللحام الكهربائي.

والتي تنتشر بشكل كبير في منطقة الدراسة، إذ تتجمع هذه الأبخرة بعد سقوطها على الأرض مع مياه الأمطار لتعود مرة أخرى إلى باطن الأرض لتصل إلى المياه الجوفية. وتنتشر الورش بأعداد كبيرة في منطقة الدراسة والمتمثلة في ورش إصلاح السيارات وورش تنظيفها، والتي تلقي مخلفاتها من زيوت وشحوم مستخدمة لصيانة السيارات بالأودية والأماكن القريبة منها، والتي بدورها تتسرب إلى طبقات المياه الجوفية و تلوثها بما تحمله من مركبات تضر الإنسان والحيوان عند استخدامها، أما المخلفات الصلبة فيتم التخلص منها برميها إما بقرب من الورشة نفسها أو في أماكن تتواجد بها مخلفات أخرى، وهي عبارة عن زيوت سائلة وعلب معدنية وصناديق وغيرها، كل هذه العوامل تساهم في انتشار التلوث في منطقة الدراسة.

الخاتمة

تعد الدراسات البيئية بأشكالها المختلفة وعلاقتها بالسكان من الأمور المهمة في الدراسات الجغرافية حيث تشمل الخاتمة على أهم النتائج والتوصيات التي توصلت لها الباحثة من خلال دراسة لأهم وسائل النقل المختلفة للسكان ومدى احتياجاتهم للوسائل النقل التي تساعد في الحركة اليومية وتنقلاتهم التي يقومون بها، والتي ينجم عنها عدت مشاكل تتعلق بالبيئة يكون تأثيرها مباشر وغير مباشر على الإنسان والبيئة والكائنات الحية لما لها من تأثيرات خطيرة.

حيث حاولت الباحثة دراسة هذه الظاهرة من ناحية جغرافية للخروج بنتائج تساعد علي

الوصول إلى حلول ومقترحات لظاهرة التلوث واتخذت الباحثة بلدية المرقب لتكون موضوعاً للدراسة كما تعد الباحثة إحدى سكان هذه المنطقة وهي تعاني من مشكلة التلوث إذ لحظة بان هناك أشكال مختلفة ومتنوعة من التلوث الناجم وسائل النقل المختلفة للسكان ،

حيث جاءت البحث لتعرف على الآثار البيئية المترتبة علي وسائل النقل وما ينجم عنها من إنبعاثات ضارة و خطيرة كذلك الضوضاء وما ينتج عنها ، أيضا الآثار البيئية المرتبطة بالمياه والقمامة ومياه البحر واثر ذلك علي البيئة.

وأخيراً الخاتمة والنتائج والتوصيات التي من خلالها يمكن التوصل إلى حلول يمكن تطبيقها ، ثم قائمة المراجع العربية و الانجليزية.

النتائج

حاولت الباحثة دراسة هذه الظاهرة من ناحية جغرافية للخروج بنتائج تساعد علي الحصول إلي حلول ومقترحات تكون أحدي العوامل للوصول إلي بيئة نظيفة. حيث أوضحت بعض الآثار البيئية المترتبة علي وسائل النقل وكذلك المرتبطة بالمياه ومياه البحر وأثر ذلك البيئة .

توصلت الباحثة من خلال الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها:

1- تسهم وسائل النقل بأشكالها وأنواعها المختلفة على تلوث الهواء مسببة بذلك مضار صحية لها أثارها على الإنسان و البيئة.

رغم وجود الشكاوي المتعددة من السكان لجهات المعنية للتقليل من الانبعاثات الضارة التي تصيب الهواء البيئة من مخلفات صلبة وسائلة وغازية بسبب الأنشطة البشرية من أعمال صناعية ووسائل نقل خاصة، إلا أن الشكاوى يتم إهمالها من قبل المسؤولين. استخدام السيارات والشاحنات التي يصدر عنها أدخنة ملوثة وأصوات مزعجة لها تأثير واضح علي البيئة في منطقة الدراسة .

التوصيات

- من خلال النتائج التي توصلت إليها الدراسة والتي تظهر آثار واضحة للتلوث البيئي الناتج عن الأنشطة البشرية التي يمارسها السكان في منطقة الدراسة والتي ساعدت في ارتفاع نسبة التلوث نتيجة لذلك توصي الباحثة بمجموعة من التوصيات.
- التوصيات التي قد تساعد في التقليل من هذا التلوث وهي كما يأتي:
- 1- اتخاذ معايير للتخلص من التلوث يجب أن يكون بناء على أسس اجتماعية وقانونية لتجنب المخاطر التي يكون تأثيرها على الإنسان والبيئة.
 - 2- ضرورة إنشاء برامج إعلامية وإرشادية بوسائل الإعلام المرئية والمسموعة وتوزيع الملصقات و النشرات للتوعية المواطن بالأضرار التي تنجم عن المواطن نفسه.
 - 3- الاهتمام بالمرافق العامة لبلدية المرقب وخاصة البني التحتية والعمل على الاهتمام بشبكة الطرق و المواصلات التي تسهل عملية النقل في أرجاء منطقة الدراسة للقيام بأعمالهم وإتمام واجباتهم.
 - 4- وضع معايير دقيقة ومدروسة علمياً للملوثات من وسائل النقل التي يجب أن تلغي من الخدمة بسبب ما ينجم عنها من ملوثات تفوق الحدود المسموح بها.
 - 5- منع استخدام السيارات والشاحنات التي يصدر عنها أدخنة ملوثة وذلك بوضع رقابة مشددة وفرض مخالفات ورسوم.
 - 6- منع التخلص من نفايات المصانع السائلة في مياه البحر.
 - 7- عدم تصريف مياه الصرف الصحي في مياه البحر قبل معالجتها.
 - 8- منع التخلص من النفايات المصانع السائلة في مياه البحر والعمل على معالجتها قبل التخلص منها.
 - 9- الاهتمام بشاطئ البحر ببلدية المرقب إذ يعد من أماكن الجذب السياحي لما له من أهمية اقتصادية.

قائمة المصادر والمراجع

اول:المراجع العربية

- 1- اللجنة البلدية العامة للمواصلات والنقل ببلدية المرقب 2009.
- 2- حسن سيد حسن، مقالات و بحوث في جغرافية النقل، القاهرة ، 2001.
- 3- زين الدين عبد المقصود، البيئة والإنسان، دراسة في مشكلات الإنسان و البيئة، دار المعارف الإسكندرية الطبعة الثانية 1997.
- 4- سالم أبوزريبة المشكال، مقالات بيئية تلوث الهواء الجوي بمركبات الرصاص ، العدد السابع عشر 2003.
- 5- عبد الإله الحسين الصطوف، التلوث البيئي، مصادره آثاره، طرق الحماية ، منشورات جامعة سبها 1995.
- 6- عصام محمد عبد المجيد ، التلوث المخاطر و الحلول ، جامعة أم درمان الخرطوم ،تونس 2002.
- 7- علياء حاتوغ – بوران محمد حمدان أبو دية ، علم البيئة، دار الشروق ، القاهرة 1993.
- 8- فاروق كامل عز الدين، النقل أسس و مناهج وتطبيقات ، الطبعة الثانية ،القاهرة 2005.
- 9- فتحي محمد مصلي، محمد حمدان أبو دية، علم البيئة ، الجامعة الأردنية 1993.
- 10- قسم المرور والترخيص ، بلدية المرقب ، إحصائيات المركبات الآلية بيانات غير منشورة 2011.
- 11- مجدي عبد الحميد محمد السرسى، الثقافة البيئية ، القاهرة ، 2008.
- 12- محمد أحمد عبد الوهاب ، التلوث الضوضائي ، آثاره على صحة الطفل النفسية والجسمانية ، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع 2003.
- 13- مستوى التلوث البكتيري الناجم عن تصريف مياه الصرف الصحي غير المعالج إلى البحر بمدينتي مصراتة والخمس، مركز بحوث الأحياء البحرية ، 2007.
- 14- موري برييتسروشيرلرلند، منازل صحية فى عالم كله سموم ، إيتراك، القاهرة 2001،
- 15- نيودوربير، مكافحة الضوضاء، ترجمة نظمي لوقاء، دار المعارف ، القاهرة 1975 .

16- هاني عبد الرحمن مكرم، أساسيات البيئة، مكتبة وهبة، القاهرة 2001.

تانيا: المراجع الأجنبية

(1) Jorge E. Hardoy and others, Environmental problems in Third world- cities, (London: EARTHSCAN, 1992). p. 71.

(2) United States Environmental Protection Agency (EPA), citizen's Guide to Ground water protection, Report NO. 440/6-90-004 (USA, EPA, April 1990), p. 2.

(3) The Ground water foundation, Groundwater protection, (March: 2000), pp. 1-2. internet source: www.groundwater.org/GWBasis/protect.htm.

(4) N. Holmes, Environment and industrial societies London Hodder & Stoughton. 1976 pp 98-9.

التوجيه الإعرابي لقوله تعالى ذلك ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾⁽¹⁾

(دراسة تحليلية)

إعداد: د. علي سالم جمعة شخظور*

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد:

فإن الاهتمام بدراسة الآيات القرآنية وتحليلها لغويا والاشتغال بها من أفضل ما يتشرف به الباحث؛ لأنها من علوم القرآن الأصيلة التي حظيت باهتمام علماء اللغة، منذ نشأت قواعد اللغة، فوضعوا اللبانات الأولى لفهم كتاب الله عز وجل؛ فلم يدعوا جانباً من جوانب اللغة إلا حرروه تحريراً دقيقاً، واستخلصوا منه الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم ونظراً لما حظي به القرآن الكريم من إعراب لآياته وبأنه ذو أهمية كبيرة في الوقوف على آراء النحاة، وقع اختياري على دراسة وتحليل هذه الآية، الأمر الذي يستلزم تأصيلها، ويمكن أن أقدم الأسئلة الآتية:

هل (إن) في الآية نافية والمخبر عنه محذوف قامت صفته مقامه والتقدير: وما أحد من أهل الكتاب؟ هل الخبر هو الجملة الواقعة بعد إلا، والاستثناء مفرغ نحو "ما زيد إلا قائم" والضمير من به يرجع إلى عيسى عليه السلام، والضمير من موته راجع إلى ذلك المبتدأ المحذوف، والمعنى ما أحد من اليهود والنصارى إلا سيؤمن قبل أن يموت بأن عيسى عبد الله ورسوله؟ تساؤلات عديدة سأوضحها - إن شاء الله - في ثناياها البحث. أهمية البحث وأسباب اختياره:

1- الموضوع يتعلق بكتاب الله جل وعلا؛ إذ نحن في أمس الحاجة إلى

الوقوف على أسرار اللغوية.

1 . النساء/159.

* عضو هيئة تدريس بقسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب الخمس.

- 2- الحاجة للكتابة في مثل هذه المواضيع؛ لأنها تستدعي دراسة القواعد اللغوية والوقوف على أساليب النحاة عرضاً وتوجيهاً.
- 3- الموضوع - فيما أعلم - لم يكتب فيه أحد دراسة مستقلة، وغرضي جمع ما تفرق منه في بحث مستقل.

أهداف البحث:

- 1- إبراز قواعد اللغة وتطبيقها على الآية الكريمة وبيان موقف العلماء منها.
- 2- بيان مصطلحات العلماء واعتراضاتهم في الرد على بعضهم.
- 3- إيضاح الفرق في فهم القواعد التي يستخدمها النحاة في إعراب الآية، وبيان منهجهم في الترجيح.

الدراسات السابقة:

بحثت في هذا الموضوع فلم أجد أحداً - حسب علمي - كتب فيه بحثاً مستقلاً.

المنهج المتبع:

سأتبع بعون الله المنهج التحليلي لاكتشاف النتائج والتأكد منها، الذي يقوم على التفسير والنقد والاستنباط، وقد يكتفى ببعضها، والمعنى العام: شرح الموضوع بتحليل الآية؛ لتكشف غوامضها، وتبدو بصورة واضحة، حسب الثوابت اللغوية المقررة، ثم استنباط الآراء اللغوية وقياسها على القواعد المعتمدة، ومادة هذا البحث مبنوثة في كتب إعراب القرآن الكريم وكتب النحو المختلفة، وأرجو أن يوفقني الله في جمع شتات ما تفرق منها، ودراسته في هذا البحث. **فأقول:** يلحظ الباحث في كتب أهل اللغة أنهم شغفوا بتحليل الآيات القرآنية وأكثروا من الاستشهاد بها؛ لتقرير الأحكام والقواعد الكلية، ويوردون الآيات التي لها علاقة بالتوجيه الإعرابي الذي يتحدثون فيه، والقاعدة التي يقررونها، وهذا ما يدل على سلامة منهجهم، ولقد أوتوا رحمهم الله سعة في العلم ورجاحة في العقل في كل عمل انتهى إليه نظرهم قبولا أو رفضاً، دون التعصب لهذا المذهب أو ذاك والآية السابقة موضع الدراسة أحد القضايا الجديرة بالنقاش، وممن ساق هذه الآية ابن هشام فقال: "إن المكسورة الخفيفة ترد على أربعة أوجه:

أحدها: أن تكون شرطية... الثاني: أن تكون نافية، وتدخل على الجملة الاسمية، نحو: ﴿إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾⁽¹⁾، ﴿إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾⁽²⁾، ومن ذلك ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾⁽³⁾، أي: وما أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به، فحذف المبتدأ، وبقيت صفته⁽⁴⁾، وعلى هذا يكون الخبر هو الجملة الواقعة بعد إلا، والاستثناء مفرغ نحو "ما زيد إلا قائم" والضمير من به يرجع إلى عيسى عليه السلام، والضمير من موته راجع إلى ذلك المبتدأ المحذوف، والمعنى ما أحد من اليهود والنصارى إلا سيؤمن قبل أن يموت بأن عيسى عبد الله ورسوله... فإن قلت: ويلزم على إعراب المصنف حذف الموصوف مع كون الصفة ظرفاً، وحكم حذف موصوفه حكم حذف موصوف الجملة، في أنه مخصوص بالشعر، قلت: إنما ذاك إذا لم يكن المنعوت بعض مجرور بمن، أو في، وهو في الآية بعض مجرور بمن فجاز⁽⁵⁾.

وظاهر هذا التفسير من ابن هشام أنه بيان لإعراب الآية، وأن الصفة المبفاة هي الظرف، والموصوف مبتدأ محذوف، والخبر الجملة الواقعة بعد إلا، والتقدير: وما أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به، وابن هشام لم يوضح في تقديره أن الصفة قامت مقام الخبر، بينما ذهب أبو حيان إلى ذلك فقال: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ إن هنا نافية والمخبر عنه محذوف قامت صفته مقامه التقدير: وما أحد من أهل الكتاب⁽⁶⁾، هذا هو الظاهر⁽⁷⁾، وكذلك قدره السيرافي⁽⁸⁾ والشهاب الخفاجي فقال: والتقدير: وما أحد من أهل الكتاب إلا والله ليؤمنن به فهو كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِتَّا إِلَّا لَهُ مَمَامٌ مَعْلُومٌ﴾⁽⁹⁾ ورجح هذا

1 . الملك/20.

2 . المجادلة/2.

3 . النساء/159.

4 . مغني اللبيب/30/1.

5 . ينظر شرح الدماميني/94/1.

6 . البحر المحيط/4/129، وينظر الارتشاف/4/1939، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم/3/393.

7 . ينظر الدر المصون/2/459، واللباب/7/117.

8 . ينظر شرح أبيات سيبويه/2/217.

9 . الصافات/164.

الوجه⁽¹⁾، ويتجه على تخريجهم أن الموصوف بجملة أو ظرف لا يجوز حذفه في السعة، السعة، إلا بشرط كون المنعوت بعض ما قبله من مجرور بـ"من" أو "في" قال سيبويه: "وسمنا بعض العرب الموثوق بهم يقول: ما منهم مات حتى رأيت في حال كذا وكذا، وإنما يريد ما منهم واحد مات، ومثل ذلك قوله تعالى جده ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾، ومثل ذلك من الشعر قول النابغة (ت18ق)⁽²⁾ [من الوافر]:

كَأَنَّكَ مِنْ جِمَالِ بَنِي أَفَيْشٍ يُقَفِّعُ خَلْفَ رَجُلَيْهِ بِشَنٍّ⁽³⁾

أي: كأنك جمل من جمال بني أفيش، ومثل ذلك أيضا قوله [من الرجز]:

لَوْ قُلْتُ مَا فِي قَوْمِهَا لَمْ تَيْتُمْ يَفْضُلُهَا فِي حَسَبٍ وَمِيسَمٍ⁽⁴⁾

يريد: ما في قومها أحد، فحذفوا هذا...⁽⁵⁾.

وأقول: إن قول سيبويه: "ومثل ذلك من الشعر" يوحي بأن الحذف خاص بالضرورة، وليس حذف الموصوف خاصا بالضرورة؛ لأن النحاة ذكروا أنه لا يجوز، وليس في كلامهم ما يشعر بأن هذا من باب الضرورة، قالوا: لا يجوز حذف الموصوف بجملة أو ظرف إلا بشرط كون المنعوت بعض ما قبله من مجرور بـ"من" أو "في"، قال الرضي: اعلم أن الموصوف يحذف كثيرا، إن علم، ولم يوصف بظرف أو جملة، كقوله تعالى ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ﴾⁽⁶⁾ فإن وصف بأحدهما جاز كثيرا أيضا بالشرط المذكور بعد، لكن لا كأول في الكثرة؛ لأن القائم مقام الشيء ينبغي أن يكون مثله، والجملة مخالفة للمفرد الذي هو الموصوف، وكذا الظرف والجار، لكونهما مقدرين بالجملة على الأصح، وإنما يكثر حذف موصوفهما بشرط أن يكون الموصوف بعض ما قبله

1. حاشية الشهاب/3/392.

2. ينظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء/1/51، والشعر والشعراء/1/92.

3. ديوانه/137، وينظر الكتاب/2/345، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي/2/57.

4. ينظر الكتاب/2/345، ومعاني القرآن للفراء/1/271، والمفصل للزمخشري/118.

5. الكتاب/2/345، وينظر المسائل البصريات/2/840، والبيان في إعراب غريب القرآن/237.

6. الصافات/48.

المجرور بـ"من" أو "في"، قال تعالى: ﴿وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ﴾⁽¹⁾، وقال: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ أي: ما من ملائكتنا إلا ملك له مقام معلوم⁽²⁾، وفي تقدير سيبويه: كأنك جمل من جمال بني أقيش، حذف الموصوف بدون أن يكون بعضا من مجرور بـ"من" أو "في"، وهذا مثال لقيام الظروف مقام الموصوف لضرورة الشعر⁽³⁾، وهكذا أورده الرضي⁽⁴⁾، وابن الناظم⁽⁵⁾، الناظم⁽⁵⁾، والمرادي⁽⁶⁾، وابن عصفور⁽⁷⁾، ويرى ابن جني أن حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه على كل حال قبيح، وهو في بعض الأماكن أقبح منه في بعض، وقال: "وأما قوله: (كَأَنَّكَ مِنْ جِمَالِ بَنِي أَقِيْشٍ) فإنما جاز ذلك في ضرورة الشعر، لو جاز لنا أن نجد من في بعض المواضع قد جعلت اسما لجعلناها ههنا اسما ولم نحمل الكلام هنا على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه"⁽⁸⁾.

وقد يخرج البيت تخريجا سائعا، وبيانه: أن الموصوف هنا يقدر قبل يقع، والجملة صفة له، أي: كأنك جمل يقع، وهو بعض من المجرور بمن ويكون قوله: (مِنْ جِمَالِ بَنِي أَقِيْشٍ) حالا من ضمير يقع الرجوع إلى "جمل" المحذوف⁽⁹⁾، وقد نبه الرضي على السبب الذي يمنع من حذف موصوف الظرف أو الجار والمجرور بقوله: "لأن القائم مقام الشيء ينبغي أن يكون مثله، والجملة مخالفة للمفرد الذي هو الموصوف، وكذا الظرف والجار؛ لكونهما مقدرين بالجملة على الأصح"⁽¹⁰⁾.

1. الجن/11.

2. شرح الرضي/325.324/2، وينظر المساعد على التسهيل/421/2.

3. ينظر الخزانة/66/5.

4. ينظر شرح الرضي/326/2.

5. ينظر شرح ألفية ابن مالك/499.

6. ينظر توضيح المقاصد مج2/966/3.

7. ينظر ضرائر الشعر/135، والمقرب/304، وشرح جمل الزجاجي/168.167/1.

8. سر صناعة الإعراب/1/253، وينظر الأصول في النحو لابن السراج/462/3.

9. ينظر الخزانة/66/5.

10. شرح الرضي/325.324/2.

وما فهمته من كلام ابن السراج أن الجملة وشبهها لا تقوم مقام الموصوف، قال: "وكان الكسائي يجيز: نعم الرجل يقوم، وقام عندك، فيضمر يريد: نعم الرجل رجل عندك، ونعم الرجل رجل قام، ويقوم، ولا يجيزه مع المنصوب، لا يقول: نعم رجلا قام ويقوم، وهذا عندي لا يجوز، من قبل أن الفعل لا يجوز أن يقوم مقام الاسم، وإنما تقيم من الصفات مقام الأسماء، الصفات التي هي أسماء صفات، يدخل عليها ما يدخل على الأسماء، والفعل إذا وصفنا به فإنما هو شيء وضع في غير موضعه، يقوم مقام الصفة للكرة، وإقامتهم الصفة مقام الاسم اتساع في اللغة، وقد يستقبح ذلك في مواضع، فكيف تقيم الفعل مقام الاسم وإنما يقوم مقام الصفة، وإن جاء من هذا شيء شذ عن القياس، فلا ينبغي أن يقاس عليه"⁽¹⁾، وما قاله ابن السراج يرد عليه كثير من الآيات القرآنية والشواهد الشعرية وهذا ما نبه عليه أبو علي رحمه الله بقوله: "وهذا الذي ذكره حسن، فإن قيل: قد جاء ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾، و: ﴿مَا مِنْهُمَا مَاتَ حَتَّىٰ رَأَيْتَهُ﴾ وقول الشاعر [من الطويل]:

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا أَمُوتُ وَأُخْرَى أَبْتِغِي العَيْشَ أَكْذَحُ⁽²⁾

ونحو هذا، قيل له: إنما جاز الحذف في قوله ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾؛ لأنه مبتدأ غير موصوف، إنما هو محذوف من: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَحَدٌ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ فهذا محذوف على هذا التقدير، والمبتدأ حذفه سائغ، وكذلك ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾، حذف من: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَارِدُهَا﴾: ﴿وَمَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ ويستدل متأول هذا على أن قوله أرجح بقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾⁽³⁾، ألا ترى أن ﴿مِنْكُمْ﴾ ظرف وليس بصفة لـ ﴿أَحَدٍ﴾، فإذا كان كذلك لم يكن فيه دلالة، وما جاء من وجوده في الشعر لا يحمل الكلام عليه؛ لأنه حال سعة وليس حال ضرورة، فإن قيل: ﴿مِنْكُمْ﴾ متعلقة بـ ﴿حَاجِزِينَ﴾ ولا يصح أن يعلق ﴿مِنْكُمْ﴾ في قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ إِلَّا

1. الأصول في النحو/1/119.118، وينظر المسائل البصريات/2/838.

2. البيت لابن مقبل ينظر الديوان/38، والكتاب/2/347، وتحصيل عين الذهب/1/441.

3. الحاقة/47.

وَأَرَدَهَا، ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ بما بعد (إلا) ولا يصح أن يكون خبرا عن (أحد)؛ لأن (واردها) خبر عنه، و﴿لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ خبر عنه ولا يكونان خبرين كقولهم: (هذا حلو حامض)؛ لأن (إلا) لا تفصل بينهما؛ لأنهما بمنزلة اسم واحد في المعنى، وأيضا فإن المعنى يمنع من ذلك؛ لأنه ليس يريد أنه لا أحد منهم، فهذا يمنع من أن يكون (منكم) خبرا ويمنع من أن يكون (واردها) صفة لـ(أحد)، وكذلك ﴿لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾، ويمنع من ذلك أن (إلا) لا مدخل لها بين الاسم وصفته، فأما: (ما جاءني أحد إلا ظريف) فإنه على إقامة الصفة مقام الموصوف، كأنه قال: (إلا رجل ظريف) على البديل من الأول، وكذلك: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾، وهذا يمنع فيه من تعلق (من) بقوله (اليؤمنن) اللام مع (إلا)، وإذا كان كذلك فلا وجه لـ(من) إلا الحمل على الصفة، قيل: فـ(من) متعلقة بفعل مضمر يدل عليه قوله: (له مقام معلوم)، و(واردها) و(اليؤمنن به)، ومعناها البيان لأحد⁽¹⁾.

والذي ظهر لي من كلام أبي علي رحمه الله: (إنما جاز الحذف في قوله ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾؛ لأنه مبتدأ غير موصوف... والمبتدأ حذفه سائغ) فيه نظر!، وتقديره: أن المبتدأ المحذوف غير موصوف، وهذه علة حذفه عنده كما ذكر، ولكنه عاد فقال: ولا وجه لـ(من) إلا الحمل على الصفة، وهذا حسب رأيي مخالف لما قدره، فإنه قال: " (وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَحَدٌ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ) فهذا محذوف على هذا التقدير"، والمخالفة واقعة كذلك في تجويزه تقدم الصفة على الموصوف، قال الشمني وإنما تكون كذلك على تقدير أن يكون الجار والمجرور خبرا عن المحذوف متقدما عليه، وتكون الصفة هي الجملة الواقعة بعد إلا⁽²⁾.

وقال المرادي: "إنما يكثر حذف الموصوف وإقامة صفته مقامه بشرطين: أحدهما: أن يعلم جنس المنعوت... والآخر: أن يكون صالحا لمباشرة العمل، فلو كان جملة أو شبهها لم يقم مقامه في الاختيار؛ لكونه غير صالح لها إلا بشرط كون المنعوت بعض ما قبله من مجرور بمن، حكى سيبويه: "ما منهما مات حتى رأيته يفعل كذا"، فهذا مثال

1 . المسائل البصريات/842838/2.

2 . المنصف من الكلام/1/48.

الجملة، ومثال شبهها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾...التقدير: وإن أحد من أهل الكتاب⁽¹⁾، وفيه نظر!، فهو كما ترى مع تصريحه باشتراط التقدم، أورد الآية مثالا لما نعت فيه شبه جملة قامت مقام المنعوت، وجعل التقدير: وإن أحد من أهل الكتاب، لذا كان محل عجب من ابن الملاء الحصكفي⁽²⁾، ونقل أبو جعفر النحاس رأي سيبويه كما نقل رأي الكوفيين وخطأه فقال: "وتقدير سيبويه: وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به، وتقدير الكوفيين: وإن من أهل الكتاب إلا من ليؤمنن به، وحذف الموصول خطأ"⁽³⁾.

وقال الشاطبي: "وكذلك إذا لم يصلح النعت لمباشرة العامل لم يجز حذفه، كما إذا

كان

النعت ظرفا أو مجرورا أو جملة كقولك: "مررت برجل عندك، أو في الدار، أو برجل قام أبوه، فلا تقول: مررت بعندك، ولا بفي الدار، ولا بquam أبوه، وما جاء على خلاف ذلك فشاذا نحو قوله [من الرجز]:

(وَاللَّهِ مَا لَيْلِي بِنَامٍ صَاحِبُهُ)⁽⁴⁾

تقديره ليليل نام صاحبه...فإن قلت: من أين يفهم هذا الشرط من كلام الناظم؟ فالجواب أن مثل هذا الشرط معلوم من قوة العربية؛ لأن اللفظ لا بد يعطى حقه بعد الحذف، ألا تراهم حين فرغوا العامل لما بعد (إلا) جعلوا ما بعد (إلا) هو الفاعل أو المفعول أو غير ذلك، على حسب طلب العامل، ونحن نعلم أن الفاعل في المعنى إنما هو المحذوف، وكذلك لما حذفوا "الكائن" و "المستقر" مع الظرف والمجرور جعلوهما قائمين مقامه، متحملين لضميره، وكذلك هنا، فالمنعوت لا بد أن يكون مبتدأ، أو خبرا، أو فاعلا، أو مفعولا، أو مجرورا، أو ما يتفرع عن هذه الأشياء، فإذا حذف فاعته قائم مقامه، فلا بد أن يصلح لمباشرة العوامل، حتى يكون فاعلا أو مفعولا أو مبتدأ أو نحو ذلك، فإذا لم يصلح لوقوعه

1. توضيح المقاصد والمسالك مج2 ج3/965.

2. ينظر منتهى أمل الأريب من الكلام على مغني اللبيب/213، رسالة ماجستير، تح أ.جمعة حامد.

3. إعراب القرآن/2/469، وينظر معاني القرآن للفراء/1/294، وحاشية الأمير/2/166.

4. ينظر المقاصد الشافية/4/690، والخصائص/2/367366، والخزانة/9/390.

في هذه المواضع لم يحم مقامه، فإذا الجملة والظرف والمجرور إذا وقعت نعوتاً لا تقوم مقام المنعوت، فلا يحذف معها، فقد يمكن أن يكون ترك ذكر هذا الشرط انكالا على فهم معناه، ويمكن وجه آخر أبين من هذا: وهو أن يكون هذا الشرط مأخوذاً من شرطه المنصوص عليه، وذلك أن الظرف لا يدل على المنعوت أصلاً، لو قلت: رأيت مكانك، أو رأيت في الدار، تريد: رجلاً مكانك، ورجلاً في الدار، لم يكن ثم دليل على المنعوت ولم يعقل، وكذلك لو أقيمت الجملة مقام النعت لم يفهم المنعوت، نحو: رأيت صاحبه في الدار، وما أشبه ذلك، فمن لوازم هذه النعوت أنها لا تدل على منعوتها لو حذف فقد استقل ذلك الشرط المذكور، بحصول القصد من غير زيادة، وإذا فرض العلم به في موضع لا يلقى به محذور لفظي يجوز أن يقاس، كما إذا كان المنعوت مبتدأً نحو قولك: ما من البشر إلا ينسى والناس رجالان، منهما يعقل ما يراد به، ومنها لا يعقل ذلك، وفي القرآن الكريم ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾، التقدير: وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به... وتعيين هذا أن يكون المنعوت بعض ما قبله من مجرور بـ"من" أو "في" (1).

وذهب السلسلي (ت770هـ) (2) وناظر الجيش إلى أن الجملة قد تقام مقام المنعوت دون

"من" أو "في" كقول الشاعر [من الطويل]:

لَكُمْ مَسْجِدًا اللهُ الْمُرُورَانِ وَالْحَصَى لَكُمْ قَيْصُهُ مِنْ بَيْنِ أَثْرًا وَأَقْتَرًا (3)

وقد ذهب في هذا مذهب الزجاج فإنه قال: "وزعم النحويون أن هذا إنما يجوز مع (من) و(في)، وهو جائز إذا كان فيما بقي دليل على ما أُلقي، لو قلت: ما فيهم يقول ذلك، أو ما عندهم يقول ذلك، جازاً جميعاً جوازاً واحداً، والمعنى: ما عندهم أحد يقول ذلك" (4) وحمله

1 . المقاصد الشافية 4/690.693.

2 . اضطربت المصادر في نسبه إلى أقوال متعددة بنظر بغية الوعاة 1/205، وطبقات المفسرين 2/223، وهديّة العارفين 6/163، ومقدمة شفاء العليل في إيضاح التسهيل 1/32.19.

3 . ينظر شفاء العليل 2/761، وتمهيد القواعد 7/3371، والإتصاف 2/721، والمقاصد النحوية 4/84.

4 . معاني القرآن وإعرابه 2/58.

الأثباري(ت577هـ)⁽¹⁾ على حذف الموصول وجوزة في الضرورة والتقدير: من أثرا ومن أفترا⁽²⁾، وفيه نظر!، وتقريره كما قال العيني: "في قوله: مِنْ بَيْنِ أَثْرًا وَأَفْتْرًا، أي من بين من أثنى، ومن اسم منكور وأثرا صفة، فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه، وكذلك من أفترا، ولا يجوز أن يكون من بمعنى الذي؛ لأن حذف الموصول لا يجوز، وحذف الموصوف يجوز فافهم"⁽³⁾، و(أحد) المنعوت في الآية كما قدره ابن هشام، و(جمل) المنعوت في البيت كما قدره سيبويه، ليسا بعضا من مجرور ب(من) أو (في) قبلهما، بل هما بعض من مجرور ب(من) بعدهما، حيث جعل الجار والمجرور نعتا لهما وهو لا يتقدم على المنعوت، نعم لو كان الشرط كون المنعوت بعض مجرور ب(من)، أو (في) مطلقا لم يكن عليه غبار⁽⁴⁾.

وذهب جامع العلوم(ت542هـ)⁽⁵⁾ إلى أن الظرف المذكور في الآية صفة للمبتدأ المقدر قبله، ولعله لا يقول باشتراط تقدم المجرور على المنعوت، فقال: "وحذف أحد جاء في التنزيل وإن لم يكن موصوفا، كقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾⁽⁶⁾ التقدير: وإن من أهل الكتاب أحد، كذا: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾⁽⁶⁾ أي إن منكم أحد، وإن جعلت الظرفين في الآيتين وصفا لأحد على تقدير: وإن أحد ثابت من أهل الكتاب، وإن أحد منكم إلا واردها، كان وجهها"⁽⁷⁾ وتبعه في ذلك السعد التفتازاني في حواشي الكشف⁽⁸⁾.

1. ينظر ترجمته في بغية الوعاة/2/86، ووفيات الأعيان/3/139.

2. الإنصاف/2/721.

3. خزائن الأدب بهامشها المقاصد النحوية/4/85، وينظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج/2/58.

4. ينظر منتهى أمل الأريب/213.212، رسالة ماجستير تح/أ. جمعة حامد.

5. ينظر ترجمته في بغية الوعاة/2/160، وإنباه الرواة/2/247.

6. مريم/71.

7. جواهر القرآن ونتائج الصناعة، المعروف بإعراب القرآن المنسوب للزجاج/1/292.

8. ينظر لوحة/167، ومنتهى أمل الأريب من الكلام على مغني اللبيب/213.212، رسالة ماجستير تح/أ. جمعة حامد.

وقال الإمام الطبري (ت310هـ)⁽¹⁾ في تقدير الآية: "فتأويل الآية إذا كان الأمر على ما وصفت (وما من أهل الكتاب إلا من ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وحذف (من) بعد (إلا) لدلالة الكلام عليه، فاستغني بدلالته عن إظهاره، كسائر ما قد تقدم من أمثاله التي قد أتينا على البيان عنها"⁽²⁾، وكل ما ذكر هو الوجه الأول في تقدير الجار والمجرور ويتجه إليه أن جملة القسم إنشائية وهي لا تقع خبراً، قال الشهاب الخفاجي: "ولا يرد عليه أن القسم إنشاء؛ لأن المقصود بالخبر جوابه، وهو خبر مؤكد بالقسم، ولا ينافيه كون جواب القسم لا محل له لأنه لا محل له من حيث كونه جواباً، فلا يمتنع كونه له محل باعتبار آخر لو سلم أن الخبر ليس هو المجموع والتقدير (وما أحد من أهل الكتاب إلا والله ليؤمنن به)، فهو كقوله: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ ورجح هذا الوجه"⁽³⁾.

وأما الوجه الثاني فهو للزمخشري⁽⁴⁾، وأبو البقاء⁽⁵⁾، والإمام البيضاوي⁽⁶⁾، والإمام النسفي⁽⁷⁾، النسفي⁽⁷⁾، والمولى ابن كمال الرومي⁽⁸⁾، وأبو السعود⁽⁹⁾، ورجحه الأزنيقي⁽¹⁰⁾، قال الزمخشري: "﴿لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف، تقديره: (وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به)..."⁽¹¹⁾، أي أن جملة ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف، وهو أحد، وهو مبتدأ خبره الجار والمجرور وهو قوله: ﴿مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، ولهذا وضح البيضاوي العبارة بقوله: "والمعنى ما من اليهود والنصارى أحد إلا

1. ينظر ترجمته في طبقات المفسرين 2/118، ومرآة الجنان 2/195.

2. جامع البيان في تفسير القرآن مج4 ص5/17.

3. حاشية الشهاب 3/392، وينظر شرح التصريح 2/119، بهامشه حاشية الشيخ يس.

4. ينظر الكشاف 1/588، للباب 7/117، والدر المصون 2/459.

5. ينظر التبيان في إعراب القرآن 1/406، والدر المصون 2/459، وحاشية الشهاب 3/392.

6. ينظر تفسير البيضاوي 2/108، ومواهب الأريب شرح مغني اللبيب مخطوط، ل/29.

7. ينظر تفسير النسفي 1/381.

8. ينظر مواهب الأريب شرح مغني اللبيب مخطوط، ل/29.

9. ينظر تفسير أبي السعود 2/218، ومواهب الأريب شرح مغني اللبيب مخطوط، ل/29.

10. ينظر مواهب الأريب شرح مغني اللبيب مخطوط، ل/29.

11. الكشاف 1/588.

ليؤمنن بأن عيسى عبد الله ورسوله قبل أن يموت، ويؤيده ذلك أنه قرئ ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِمْ﴾⁽¹⁾، بضم النون؛ لأن أحدا في معنى الجمع⁽²⁾.

وتعقب الزمخشري أبو حيان كعادته، ورد الوجه الذي خرج عليه الآية وشدد العبارة معه في كثير من المواضع، مما جعل السمين الحلبي يناقش شيخه أبا حيان على نحو ما سنرى، قال أبو حيان: "وهو غلط فاحش، إذ زعم أن (ليؤمنن به) جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف إلى آخره، وصفة أحد المحذوف إنما هو الجار والمجرور وهو من أهل الكتاب، والتقدير كما ذكرناه: وإن أحد من أهل الكتاب، وأما قوله: ليؤمنن به، فليست صفة لموصوف، ولا هي جملة قسمية كما زعم، إنما هي جملة جواب القسم، والقسم محذوف، والقسم وجوابه في موضع رفع خبر المبتدأ الذي هو أحد المحذوف؛ إذ لا ينتظم من أحد والمجرور إسناد؛ لأنه لا يفيد، وإنما ينتظم الإسناد بالجملة القسمية وجوابها، فذلك هو محط الفائدة"⁽³⁾، قال السمين معقبا على كلام أبي حيان: "وهذا . كما ترى . قد أساء العبارة في حق الزمخشري بما زعم أنه غلط، وهو صحيح مستقيم، وليت شعري كيف لا ينتظم الإسناد من (أحد) الموصوف بالجملة التي بعده ومن الجار قبله؟ ونظيره أن تقول: (ما في الدار رجل إلا صالح)، فكما أن (في الدار) خبر مقدم و(رجل) مبتدأ مؤخر، و(إلا صالح) صفة، وهو كلام مفيد مستقيم، فكذلك هذا، غاية ما في الباب أن (إلا) دخلت على الصفة لتفيد الحصر، وأما رده عليه حيث قال: جملة قسمية، وإنما هي جواب القسم فلا يحتاج إلى الاعتذار عنه، ويكفيه مثل هذه الاعتراضات"⁽⁴⁾، ولعل السبب السبب في تحامل أبي حيان على الزمخشري يرجع إلى عدم معرفة أبي حيان لمراده، حيث إن الزمخشري لا يتقيد كثيرا في تعبيراته واستعمال المصطلحات، كجعله الاعتراض في آخر الكلام، والجمهور يسمونه التذليل، فيعترض عليه أبو حيان بأن الاعتراض لا

¹ . هي قراءة أبي ينظر معاني القرآن للفراء 1/295، واللباب 7/118، والتحرير والتويرم ج3/6/24

² . أنوار التنزيل وأسرار التأويل 2/108.

³ . البحر المحيط 4/129، وينظر اللباب 7/117.

⁴ . الدر المصون 2/459، وينظر اللباب 7/117.

يقع هذا الموقع ومرجعه إلى أمر لفظي ووضع اصطلاح⁽¹⁾، مما جعل ابن هشام يقول: "البيانين في الاعتراض اصطلاحات مخالفة لاصطلاح النحويين، والزمخشري يستعمل بعضها كقوله في قوله تعالى ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾⁽²⁾: يجوز أن يكون حالا من فاعل ﴿نَعْبُدُ﴾، أو من مفعوله؛ لاشتمالها على ضميريهما، وأن تكون معطوفة على ﴿نَعْبُدُ﴾، وأن تكون اعتراضية مؤكدة، أي من حالنا أنا مخلصون له التوحيد⁽³⁾ ويردّ عليه مثل ذلك من لا يعرف هذا العلم كأبي حيان⁽⁴⁾ توهمها منه أنه لا اعتراض إلا ما يقوله النحوي وهو الاعتراض بين شيئين متطالبيين"⁽⁵⁾، يقول الشيخ إبراهيم رفيده رحمه الله: "ونستبعد ما في هذا النص من تعريض بأبي حيان"⁽⁶⁾ وقد يضاف سبب آخر في تحامل أبي حيان وهو اختلاف منهجهما في ملاحظة النكات البلاغية، يقول الشيخ رفيده: "ملاحظة النكات البلاغية والإلحاح في التفتيش عنها لتقرير وجوه الإعراب وتفضيل بعضها على بعض عرفناه في منهج الزمخشري أنه يجعل ذلك في محل الصدارة، ولكن أبا حيان لا يبلغ بها هذا المبلغ، وهو ظاهري التفكير يجعل للدلالات الأولى محل الصدارة، ولهذا نراه يعترض على الزمخشري في تقدير متعلق البسمة: "بسم الله" فعلا مؤخرا للاختصاص⁽⁷⁾، فينكر عليه هذا القول، ويناقشه بأقوال سيبويه المحتملة ويرى ما يراه جمهور النحويين من تقديره مقدما⁽⁸⁾، وقد علق الشاوي (ت1096هـ)⁽⁹⁾ على هذا الاختلاف بقوله: "وما ذهب إليه

1. ينظر النحو وكتب التفسير 993/2.

2. البقرة/133.

3. ينظر الكشاف 1/194، والنحو وكتب التفسير 2/994.

4. ينظر البحر المحيط 1/643.642، والنحو وكتب التفسير 2/994.

5. مغني اللبيب 2/459، وينظر النحو وكتب التفسير 2/994.

6. النحو وكتب التفسير 2/994.

7. ينظر الكشاف 1/32.

8. ينظر البحر المحيط 1/29.

9. ينظر هدية العارفين 6/533، والأعلام 8/169.

الزمخشري مذهب البيانين لا النحويين⁽¹⁾ وهناك أسباب أخرى تعرض لها الدكتور رفيده في كتابه النحو وكتب التفسير⁽²⁾.

أما أبو البقاء فقد نص على هذه المسألة بقوله: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ إن بمعنى (ما)، والجار والمجرور في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ والمبتدأ محذوف، تقديره: وما من أهل الكتاب أحد، وقيل: المحذوف (من)، وقد مر نظيره، إلا أن تقدير من هاهنا بعيد؛ لأن الاستثناء يكون بعد تمام الاسم، ومن الموصولة والموصوفة غير تامة، ﴿لِيُؤْمَرَ﴾: جواب قسم محذوف، وقيل أكد بها في غير القسم، كما جاء في النفي والاستفهام⁽³⁾، وقال الألويسي (ت1270هـ)⁽⁴⁾: "وهو كلام مفيد، فالاعتراض على هذا هذا الوجه. بأنه لا ينتظم من أحد والجار والمجرور إسناد؛ لأنه لا يفيد. لا يفيد لحصول الفائدة بلا ريب نعم المعنى على الوجه الأول، كل رجل من أهل الكتاب يؤمن به قبل موته والظاهر أنه المقصود، وأنه أتم فائدة، والاستثناء مفرغ من أعم الأوصاف، وأهل الكوفة يقدرون موصولا بعد إلا، وأهل البصرة يمنعون حذف الموصول وإبقاء صلته⁽⁵⁾، وهو كما ترى قد رجح رأي أبي حيان، ويمكن أن يرد عليه بما رد به السمين على أبي حيان بقوله: كيف لا ينتظم الإسناد من (أحد) الموصوف بالجملة التي بعده ومن الجار قبله؟".

وعبارة أبي البقاء: "وقيل أكد بها في غير القسم، كما جاء في النفي والاستفهام" محل نظر!، قال السمين: "إنما يستقيم ذلك إذا أعدنا الخلاف إلى نون التوكيد؛ لأن نون التوكيد قد عهد التأكيد بها في الاستفهام باطراد، وفي النفي على خلاف فيه، وأما التأكيد بلام الابتداء

¹ . النحو وكتب التفسير 2/996.995.

² . ينظر 2/996.995.

³ . التبيان في إعراب القرآن 1/406، وينظر الدر المصون 2/459.

⁴ . ينظر ترجمته في هدية العارفين 6/418، والأعلام 7/176.

⁵ . روح المعاني مج3 ج3/188.

في النفي والاستفهام فلم يعهد البتة⁽¹⁾.

وقال البيضاوي: "قوله ﴿لِيُؤْمِنَ بِهِ﴾ جملة قسمية وقعت صفة لأحد، ويعود إليه الضمير الثاني"⁽²⁾، وفي عبارته مسامحة؛ لأنها جواب القسم، والجملة القسمية محذوفة، والتقدير: ليس من أهل الكتاب أحد موصوف بصفة الإيمان يقال في حقه (والله ليؤمنن به)؛ لأن الجملة القسمية إنشائية، والجملة الإنشائية لا تقع صفة إلا بالتأويل⁽³⁾، وقال ابن الملاء: "وذهب صاحب الكشاف وقاضي المفسرين إلى أن تقدير الآية: وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به، على أن ﴿لِيُؤْمِنَ بِهِ﴾ جملة قسمية، أي مقسم عليها وقعت صفة لموصوف محذوف، ولا شك في خيرية جواب القسم، فلا يبعد وقوعه صفة ولو مؤكدا بجملة القسم الإنشائية من غير تأويل، وعلى هذا فالظرف خبر مقدم، والموصوف مبتدأ محذوف قامت صفته مقامه، وقد تحقق شرط القيام... ويجوز أن يكون هذا الوجه من الإعراب مراد المصنف، فلا يتجه عليه الإشكال، وقوله: أي: (وما أحد) إلى آخره بيان للمعنى لا للإعراب"⁽⁴⁾، وفيه نظر حسب رأبي؛ لأن التأليف في إعراب القرآن نابع من التأليف في معانيه؛ لسبق التأليف فيها، وأنها كانت مزيجا من النحو . أصولا وإعرابا . وتوضيح المعاني ببيان المعنى اللغوي للكلمات⁽⁵⁾، ويربط النحاة دائما بين المعنى والإعراب كقولهم: "يُجْرَيْنَ فِي الْمَعْنَى وَالْإِعْرَابِ مَجْرَى وَاحِدًا"⁽⁶⁾.

ويتجه على الوجه الذي قال به الزمخشري وغيره: أنه لا يجوز التفريغ في الصفات ولذلك عدل عنه المصنف؛ لأنه يرى أن إجازة التفريغ في الصفة مخالف لكلام النحويين فلا يرضاه، قال: "﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْنَةٍ إِلَّا وَهَذَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾"⁽⁷⁾... ومانع الوصفية في

1. الدر المصون 2/460459.

2. أنوار التنزيل وأسرار التأويل 2/108، وينظر مواهب الأريب شرح مغني اللبيب مخطوط ل/29

3. ينظر حاشية شيخ زاده 3/447، وشرح التصريح بهامشه حاشية الشيخ يس 2/119.

4. منتهى أمل الأريب من الكلام على مغني اللبيب/213، رسالة ماجستير، تح. أجمعة حامد.

5. ينظر الإعراب والاحتجاج للقراءات في تفسير القرطبي/152.

6. الكتاب 1/423، وينظر الباب 41/2، وحاشية الصبان 1/157.

7. الحجر/4.

هذه الآية أمران: أحدهما خاص بها، وهو اقتتران الجملة بإلا؛ إذ لا يجوز التفرغ في الصفات، لا تقول: (ما مررت بأحد إلا قائم)⁽¹⁾.

وقال الأخفش: "لا تفصل إلا بين الموصوف وصفته، فإن قلت: ما جاءني رجل إلا راكب، فالتقدير: إلا رجل راكب، يعني أن راكبا صفة لبدل محذوف وفيه قبح، لجعلك الصفة كالاسم، يعني في إيلائك إياها العامل"⁽²⁾، كما نص على ذلك أبو علي في كتابه المسائل البصريا⁽³⁾، وجزم به ابن مالك، قال: "وقد صرح أبو الحسن وأبو علي بأن (إلا) لا تفصل بين موصوف وصفته، وما ذهبا إليه هو الصحيح؛ لأن الموصوف والصفة كشيء واحد، وشيئان هنا كشيء واحد لا يختلفان بنفي الحكم عن أحدهما وإثباته للآخر، كالتوسط بينهما (إلا)، ولأن الصفة توضح موصوفها كما توضح الصلة الموصول، وكما يوضح المضاف إليه المضاف، فكما لا يقع (إلا) بين الموصول والصلة، ولا بين المضاف والمضاف إليه، كذا لا تقع بين الموصوف والصفة، ولأن (إلا) وما بعدها في حكم جملة مستأنفة، والصفة لا تستأنف فلا تكون في حكم مستأنف"⁽⁴⁾، ويمكن دفعه بما نقل أيضا عن الزمخشري بجواز التفرغ في الصفات، وتبعه غير واحد من المفسرين والمعربين كأبي البقاء⁽⁵⁾، وابن الأنباري (ت577هـ)⁽⁶⁾(7)، والبيضاوي⁽⁸⁾ وصاحب البديع (ت421هـ)⁽⁹⁾، ومكي القيسي (ت437هـ)⁽¹⁰⁾(11)، وابن هشام الخضراوي (ت646هـ)⁽¹⁾(2).

¹ . مغني اللبيب 420/2.

² . ينظر مغني اللبيب 497/2، وشرح التسهيل 301/2. 302، والمساعد على التسهيل 581/1.

³ . ينظر 841/2، وشرح التسهيل 301/2. 302.

⁴ . شرح التسهيل 302/301.

⁵ . ينظر التبيان 777/2، ومغني اللبيب 497/2.

⁶ . ينظر ترجمته في وفيات الأعيان 139/3، وبغية الوعاة 86/2.

⁷ . ينظر البيان في إعراب غريب القرآن 53/2.

⁸ . ينظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل 206/3.

⁹ . ينظر ترجمته في بغية الوعاة 245/1.

¹⁰ . ينظر ترجمته في غاية النهاية في طبقات القراء 310/309، وإنباه الرواة 313/3.

¹¹ . ينظر مشكل إعراب القرآن 410/1.

وناظر الجيش⁽³⁾، قال الزمخشري: ﴿وَمَا كِتَابٌ﴾ جملة واقعة صفة لقريبة، والقياس ألا يتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾⁽⁴⁾، وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف، كما يقال في الحال: جاءني زيد عليه ثوب، وجاءني وعليه ثوب⁽⁵⁾، وهذه المرة لم يعترض عليه أبوحيان وحده بل سبقه ابن مالك وحكم بفساد مذهبه من خمسة أوجه:

أحدها: أنه قاس في ذلك الصفة على الحال، وبين الصفة والحال فروق كثيرة كجواز تقدمها على صاحبها، وجواز تخالفهما بالإعراب، وجواز تخالفهما بالتعريف والتنكير، وجواز إغناء الواو عن الضمير في الجملة الحالية، وامتناع ذلك في الواقع نعتاً، فكما ثبت مخالفة الحال الصفة في هذه الأشياء ثبت مخالفتها إياها بمقارنة الواو الجملة الحالية، وامتناع ذلك في الجملة النعتية⁽⁶⁾.

الثاني: أن مذهبه في هذه المسألة مذهب لا يعرف من البصريين والكوفيين معول عليه، فوجب ألا يلتفت إليه.

الثالث: أنه معلل بما لا يناسب، وذلك أن الواو تدل على الجمع بين ما قبلها وما بعدها، وذلك مستلزم لتغايرهما، وهو ضد لما يراد من التوكيد، فلا يصح أن يقال العاطف مؤكّد.

الرابع: أن الواو فصلت الأول من الثاني، ولولا هي لتلاصقا، فكيف يقال إنها أكدت لصوقهما؟.

الخامس: أن الواو لو صلحت لتوكيد لصوق الموصوف بالصفة لكان أولى المواضع بها موضع لا يصلح للحال، نحو (إن رجلاً رأيه سديد لسعيد)، فرأيه سديد جملة نعت بها، ولا يجوز اقترانها بالواو؛ لعدم صلاحيتها للحال، خلاف ﴿وَمَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ فإنها جملة يصلح

¹ . ينظر ترجمته في بغية الوعاة/267/1.

² . ينظر شرح التصريح/587/1، والمساعد على التسهيل/581/1.

³ . ينظر تمهيد القواعد شرح تسهيل الفوائد/2129/5.

⁴ . الشعراء/208.

⁵ . الكشف/570/2، وينظر مغني اللبيب/497/2، وكتاب عروس الأفراح/499/1.

⁶ . ينظر شرح التسهيل/302/2، ومنتهى أمل الأريب/467، رسالة ماجستير، تح. أ. محمد أبو سطات.

في موضعها الحال؛ لأنها بعد نفي، والمنفي صالح لأن يجعل صاحب حال، كما هو صالح أن يجعل مبتدأ، وإنما جاز أن يجعل صاحب الحال نكرة بعد النهي لشبهه بالنفي كقول قطري (ت78هـ)⁽¹⁾ [من الكامل]:

لَا يَرْكَنُ أَحَدٌ إِلَى الْإِحْجَامِ يَوْمَ الْوَعَى مُتَخَوِّفًا لِجِمَامِ⁽²⁾

فليجز ذلك بعد النفي فهو أولى وأحرى؛ لأن النهي لا يصحب المبتدأ، ويصحبه النفي⁽³⁾ وانتصر النجم السعدي⁽⁴⁾ في شرح الحاجبية لجار الله، فأجاب عن الوجه الأول: بأن جار الله أعرف باللغة، مع أنه لا يلزم من عدم العرفان بالمعول عليه عدم المعول عليه⁽⁵⁾، وعن الثاني: بأن تغاير الشئيين لا ينافي تلاصقهما، والجملة التي هي صفة لها التصاق بالموصوف، والواو أكدت الالتصاق باعتبار أنها كانت في الأصل للجمع المناسب للإلصاق، وإن لم تبق عاطفة، وعن الثالث: بأن ليس المراد بالالتصاق اللفظي كما فهمه، بل المعنوي وبالواو تؤكد الثاني دون الأول⁽⁶⁾.

وقول أبي حيان: "وهذا الذي قاله الزمخشري وتبعه فيه أبو البقاء لا نعلم أحدا قاله من النحويين"⁽⁷⁾ اعترض عليه السمين الحلبي بقوله: "وفي محفوطي أن ابن جني سبقهما إلى ذلك"⁽⁸⁾، ولعل أبا حيان رحمه الله لم يقف على أقوال النحاة في هذه المسألة، ثم عقب السمين رحمه الله بعد ذلك بقوله: "قول الزمخشري قوي من حيث القياس، فإن الصفة كالحال في المعنى، وإن كان بينهما فرق من بعض الوجوه، فكما أن الواو تدخل على الجملة الواقعة حالا، كذلك يدخل عليها واقعة صفة، ويقويه أيضا ما نصره به من الآية

¹ . ينظر ترجمته في وفيات الأعيان 93/4، والأعلام 200/5، ومعجم الشعراء المحدثين/215.

² . ينظر شرح التسهيل 303/2، وشرح التصريح 587/1، وشرح الألفية لابن الناظم/320.

³ . ينظر شرح التسهيل 303/2، وشرح التصريح 587/1، وتعليق الفرائد 187/6.

⁴ . ينظر ترجمته في بغية الوعاة 591/1، وكشف الظنون 1371/2.

⁵ . ينظر المنصف من الكلام للشمني 111/2، وتعليق الفرائد 188/6.

⁶ . ينظر تعليق الفرائد 188/6.

⁷ . البحر المحيط 466/6، وينظر اللباب 428/11.

⁸ . الدر المصون 287/4، وينظر اللباب 428/11.

الأخرى في قوله: ﴿وَمَا أَمْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا مَا مُنْذَرُونَهَا﴾، ويقوّيه أيضا قراءة ابن أبي عبله (ت152هـ)⁽¹⁾ ﴿إِلَّا مَا﴾ بإسقاط الواو⁽²⁾، والزيادة ليست بالسهلة⁽³⁾، وكان الرضي أجاز أجاز هذا الرأي. بإعراب ما بعد إلا صفة. فإنه بعد ما ذكره أخذ يعلل له، ولم يشر إلى ضعفه إلا بقوله: (وقيل) التي يمكن أن تكون للتفصيل لا للتضعيف فقال: "ونحو قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَمَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾، الواو فيه للحال؛ لأن صاحب الحال عام، وقيل: الجملة صفة للنكرة، وأتوا بالواو لحصول الفصل بين الموصوف وصفته التي هي جملة بإلا، فحصل للصفة انفصال من الموصوف بوجهين: بكونها جملة، وبإلا فجاء بالواو رابطة"⁽⁴⁾ وجوز ناظر الجيش التفرغ في الصفات بقوله: "وقد قلت: إن المصنف منع ذلك؛ لأن (إلا) لا تعترض بين الصفة والموصوف، للعلة التي تقدمت على الخلاف لذلك، وما منعه المصنف فيه نظر! فإنه قد تقدم عنه الكلام على الاستثناء المفرغ أن التفرغ يكون باعتبار الصفات كما يكون باعتبار غيرها، وإن من ذلك: ما مررت بأحد إلا زيد خير منه، وكذا: ما جاءني من أحد إلا قائم؛ لأن الوصف يكون مفردا، ويكون جملة، وحكما في الصحة واحد، وإذا قصد التفرغ باعتبار الوصف تعين دخول (إلا)؛ لأن المعنى المقصود بالتفرغ. وهو قصر الموصوف على الصفة في مثل: ما جاءني رجل إلا راكب. يفوت لو لم يأت بها، وقد أوضح هذا المعنى سيبويه حيث قال في قولك: ما مررت بأحد إلا زيد خير منه، كأنك قلت: مررت بقوم زيد خير منهم إلا أنك أدخلت (إلا) لتجعل (زيدا) خبرا من جميع من مررت به، ولو قلت: مررت بناس زيد خير منهم، لجاز أن يكون قد مر بناس آخرين هم خير من زيد، وإنما قال: ما مررت بأحد إلا زيد خير منه، ليخبر أنه لم يمر بأحد يفضل زيدا⁽⁵⁾، والظاهر منه أن الجملة الواقعة بعد (إلا) في قولك: ما مررت مررت بأحد إلا زيد خير منه، صفة لـ(أحد)، وأن (إلا) دخلت بين الموصوف والصفة؛

¹. ينظر ترجمته في غاية النهاية 19/1، وشذرات الذهب 1/380.

². ينظر القراءة في البحر المحيط 6/466، وحاشية الشهاب 5/497، وروح المعاني 7/258.

³. الدر المصون 4/288.287، وينظر اللباب 11/428.

⁴. شرح الرضي 2/102.

⁵. ينظر الكتاب 2/342.

لتقيد المعنى الذي أشار إليه، فهي ملغاة لفظاً، معتبرة معنى وإذا تقرر هذا بعد المنع الذي أشار إليه المصنف إلا أن يمنع التفريغ باعتبار الصفات، ولما منع المصنف كون الجملة المشار إليها وصفاً، جعلها حالية كما تقدم، وجعلها حالاً لا يمتنع، ويكون ما قبل (إلا) مفرغاً لما بعدها باعتبار الأحوال نحو ﴿وَمَنْ يُؤْمَرْ بِرُؤْيُومٍ مِنْ دُونِهَا فَلْيَنْزِلْ﴾⁽¹⁾، ولعل ابن السراج قصد المعنى نفسه في قوله: "في قولك: ما مررت بأحد إلا زيد خير منه، لا يجوز أن تقول: ما مررت بأحد غير زيد خير منه، وأنت تريد ذلك المعنى، وإنما أدخلوا فيها معنى الاستثناء في كل موضع يصلح أن يكون صفة، وكذلك (إلا) أقاموها مقام غير، إذا كانت صفة، كما أقاموا غير مقام (إلا) إذا كانت استثناء، وأصل غير في هذا الباب أن تكون صفة، والاستثناء عارض فيها، وأصل (إلا) الاستثناء والصفة عارضة فيها"⁽³⁾، ولعل الزمخشري يقصد بالتفريغ في الصفات أن تكون (إلا) ملغاة فنص على ذلك بقوله: "وإذا قلت: ما مررت بأحد إلا زيدُ خير منه، كان ما بعد إلا جملة ابتدائية واقعة صفة لأحد، وإلا لغو في اللفظ، معطية في المعنى فأندتها جاعلة زيدا خيراً من جميع من مررت بهم"⁽⁴⁾، ويؤكد ابن الحاجب (ت646هـ)⁽⁵⁾ ذلك بقوله: "وتقول: ما مررت بأحد إلا زيدُ خير منه، هذا الفصل ينعطف على القسم الخامس من المستثنيات، وهو الذي يسميه النحويون الاستثناء المفرغ، وقد تقدم أنه جار في كل ما يصح أن يكون معمولاً لما قبله فجرى في الأحوال والصفات، وكما أن الصفة يصح أن تقع مفردة وجملة في غير هذا الموضع فكذلك ههنا، فلذلك جاز: ما مررت بأحد إلا زيدُ خير منه، كما جاز: ما مررت بأحد إلا عالم، فما بعد إلا واقع صفة لأحد، وإلا لغو في اللفظ لأنها وقعت في الاستثناء المفرغ، معطية في المعنى فأندتها"⁽⁶⁾ ولكنه اعترض على عبارة الزمخشري بقوله:

¹ . الأنفال/16.

² . تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد 2197/5:2198.

³ . الأصول في النحو 1/285.

⁴ . المفصل في علم العربية/72.

⁵ . ينظر ترجمته في بغية الوعاة 2/134-135، وغاية النهاية في طبقات القراء 1/508.

⁶ . كتاب أمالي ابن الحاجب 1/379.

وقوله: (جاعلة زيدا خيرا من جميع من مررت بهم)، غير مستقيم؛ لأن كون زيد ههنا خيرا من جميع من مررت بهم مفهوم من خبره، وهو قوله: خير منه، لا من (إلا)، فلم يصح قوله: إن فائدة (إلا) أنها جعلت زيدا خيرا من جميع الممرور بهم، ووجه الإلباس في ذلك: أن الصفات والأحوال الواقعة في الاستثناء المفرغ لم تجر على ذوق المستثنيات، وبيان ذلك: أنك إذا قلت: ما ضربت إلا زيدا، فقد نفيت الضرب عن كل أحد، وأثبتته للمذكور بعد (إلا)، وفي الصفة والأحوال ليس كذلك، ألا ترى أنك إذا قلت: ما جاءني رجل إلا عالم، لم يستقم أن تقدر نفي جميع الصفات عن رجل وإثبات صفة العلم خاصة لأن ذلك باطل، فإنه لا ينفك عن صفات سوى العلم، وكذلك في الأحوال، فلما كانت الصفات والأحوال بهذه المثابة توهم أن الذي أفادته (إلا) هو ما ذكره وليس بصحيح، فإن قيل: فما الذي تفيد (إلا) في الصفات والأحوال مع استحالة نفي الأجناس فيها؟ قلنا: لما استعملت الصفات والأحوال في الاستثناء المفرغ وتعذر من حيث الوجود نفي أجناسها جعل المنفي إما الأنواع المضادة للمذكور بعدها وغما الجنس على سبيل المبالغة... فعلى هذا لا تكون (إلا) أفادت إلا أحد أمرين إما نفي جميع الصفات على طريق المبالغة، كأن قائلًا قال: ليس زيد خيرا ممن مررت بهم، فقلت: ما مررت بأحد إلا زيد خير منهم، وإما نفي ما يضاد كونه خيرا منهم على ما تقدم⁽¹⁾ ونص ابن يعيش صراحة على دخول (إلا) بين الصفة والموصوف فقال: "اعلم أن (إلا) تدخل بين المبتدأ وخبره وبين الصفة وموصوفها، وبين الحال وصاحبها،... ومثال دخولها بين الصفة والموصوف قولك: ما مررت بأحد إلا كريم، وما رأيت فيها أحدا إلا عالما، أفدت بـ(إلا) إثبات مرورك بقوم كرام وانتفاء المرور بغير من هذه صفتهم، وكذلك أثبتت رؤية قوم علماء ونفيت رؤية غيرهم"⁽²⁾، والقياس أن لا يتوسط العاطف بين الصفة والموصوف لشدة اتصالها به، لكن لما كانت الصفة كالحال في المعنى وغن كان بينهما فرق من بعض الوجوه، وجاز أن الواو تدخل على الجملة الواقعة حالا، كذلك جاز أن تدخل على الجملة الواقعة صفة، فكما أن معنى

¹ . المصدر السابق/1/380379.

² . شرح المفصل/1/93.

الحالية لا يتغير بدخول الواو عليها نحو: جاعني عمرو عليه ثوب، وجاعني وعليه ثوب، كذلك معنى الوصفية لا يتغير بدخول الواو عليها وعدم دخولها، وكما أن الواو الداخلة على الحال إنما تدخلها لمجرد الربط كذلك الواو الداخلة على الصفة، وذلك أن الأصل في الجملة الواقعة موقع الحال أن لا تدخلها الواو لفوات المغايرة؛ لأن حكم الواو مع صاحبها حكم الخبر مع المخبر عنه، والخبر ليس موضعاً لدخول الواو، فكذا الحال، وإنما يدخلها لمجرد الربط، لا سيما إذا كانت جملة اسمية، فإنها أشد اقتضاء للربط، فكذا حكم الوصف؛ لأن الصفة مرتبطة بالموصوف، فتكون الواو لتأكيد ذلك الارتباط⁽¹⁾.

ونقل عن منذر بن سعيد (ت349هـ)⁽²⁾ أن هذه الواو هي التي تعطي أن الحالة التي بعدها في اللفظ هي في الزمن قبل الحالة التي قبل الواو⁽³⁾ ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾⁽⁴⁾، ولعلماء المعاني كلمتهم في هذا السياق قال السكاكي: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾، فالوجه عندي هو أن ﴿وَمَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ حال لقريّة، لكونها في حكم الموصوفة، نازلة منزلة: وما أهلكنا قرية من القرى، لا وصف، وحمله على الوصف سهو لا خطأ، ولا عيب في السهو للإنسان، والسهو ما ينتبه صاحبه بأدنى تنبيه، والخطأ ما لا ينتبه صاحبه، أو ينتبه لكن بعد إتعاب⁽⁵⁾، واعتذار السكاكي عن الزمخشري ظاهر بأن ذلك سهو ولا عيب فيه، قال الألويسي: "ولم يرض بذلك صاحب الكشف، وانتصر للزمخشري، فقال: قد تكرر هذا المعنى منهم، في هذا الكتاب، فلا سهو كما اعتذر صاحب المفتاح، وإذا ثبت إقحام الواو كما عليه الكوفيون، والقياس لا يدفعه لثبوته في الحال، وفيما أضمر بعده الجار في نحو: بعث الشاء شاة ودرهما، وكم وكم، وهذه تدل على أن الاستعارة شائعة في الواو نوعية بل جنسية، فلا نعتبر النقل الخصوصي ولا يكون من إثبات اللغة بالقياس لثبوت النقل عن نحارير الكوفة، واعتضاده

¹ . ينظر حاشية شيخ زاده 194/5.

² . ينظر ترجمته في بغية الوعاة 301/2، ونفح الطيب 1/350.

³ . ينظر روح المعاني 7/258.

⁴ . الزمر/71.

⁵ . مفتاح العلوم/359، وينظر روح المعاني 7/258، وكتاب عروس الأفراح 1/499.

بالقياس، والمعنى ولا يبعد من صاحب المعاني ترجيح المذهب الكوفي، إذا اقتضاه المقام، كما رجحوا المذهب التميمي على الحجازي في باب الاستثناء⁽¹⁾ عنده، ولا خفاء أن المعنى على الوصف أبلغ، وأن هذا الوصف ألصق بالموصوف منه في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾؛ لأنه لازم عقلي، وذلك عادي جرى عليه سنة الله تعالى، وفي الدر المصون أنه قد سبق الزمخشري إلى ما قاله ابن جنبي وناهيك به من مقتدى⁽²⁾، وهذا يؤيد ما قاله الشيخ رفيده من أن الزمخشري كثير التفتيش عن النكات البلاغية ويجعلها في محل الصدارة، وتركزت أغراض الاستشهاد عنده في عدة أغراض في مقدمتها الاستشهاد البلاغي لبيان جمال التعبير وصوره البيانية وأساليبه العالية، وكذلك الاستشهاد للمعاني وتوضيحها وتحليلها في قالب أدبي رفيع حتى قال ابن المنير (ت683هـ)⁽³⁾ وهو عنيف عليه في أخطائه: "وهذا الفصل من كلامه يستحق على علماء البيان أن يكتبوه بذوب التبر لا بالحبر"⁽⁴⁾.

فإن قيل: لما كان قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ صفة لقرية، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ فما الفرق بينهما حتى أكد لصوق الصفة بالموصوف في إحداهما ولم يؤكد في الأخرى؟ قال شيخ زاده: "الجواب أن الوصف المذكور في هذه الآية غير الوصف المذكور في قوله: ﴿إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾؛ لأن الوصف فيما نحن فيه لازم عقلي، وفي تلك لازم عادي، جرت عليه سنة الله تعالى، فإن وجود الحوادث في أي وقت كان على سبيل الاتفاق، لا يقتضيه العقل والحكمة، بل هما يقتضيان أن يكون لكل حادث وقت مقدر، وكتاب معلوم لا يتقدم عليه ولا يتأخر، بخلاف لزوم سبق وجود المنذر على الإهلاك، فإن لزومه له بمجرد جري عادة الله تعالى على ذلك"⁽⁵⁾، ورجح كثير من النحاة عدم صحة دخول الواو بين الموصوف وصفته بينما

¹ . ينظر روح المعاني 10/221.220.

² . المصدر السابق 7/258، وينظر حاشية الشهاب 5/497.

³ . ينظر ترجمته في فوات الوفيات 1/150.149، والنجوم الزاهرة 7/361.

⁴ . ينظر النحو وكتب التفسير 1/744.

⁵ . حاشية محي الدين شيخ زادة 5/194.

جوزوا دخولها على الجملة الحالية؛ لأن الحال يخالف الصفة بتقدمها على صاحبها، ومخالفتها له في الإعراب، وتخالفتها بالتعريف والتكثير غالباً، وأيضاً فإن الواو إنما دخلت بين الحال وصاحبها؛ لأن الحال في معنى الجملة، فإن معنى: جاء زيد راكباً، جاء وهو راكب، بخلاف: جاء زيد الراكب⁽¹⁾، وقد صرح ابن الحاجب في الأمالي بما ذكر من عطف الصفة على الموصوف⁽²⁾

قال السبكي: "واختار الطيبي (ت743هـ)⁽³⁾ صحة قول الزمخشري في دخول الواو بين الصفة والموصوف، وزعم أنها سلبت معنى التغاير وصارت للربط فقط، فتكون بمعنى الباء"⁽⁴⁾، وقال العكبري (ت616هـ)⁽⁵⁾: "الواو تقع على وجوه: أحدها العطف المطلق... والسادس: أن تكون بمعنى (الباء) كقولك: بعث النشاء شاة ودرهم أي: بدرهم"⁽⁶⁾ قال السبكي: "ووجهه: أن الواو للجمع والاشترار، والباء للإصاق، والجمع والإصاق من واد واحد،..."⁽⁷⁾، وجوز السعد في مطوله وقوع التفرغ في الصفات فقال ما نصه: "وأما النعت فكالجملة الواقعة صفة للنكرة، فإنها قد تصدر بالواو لتوكيد لصوق الصفة بالموصوف، والدلالة على أن اتصافه بها أمر مستقر كقوله تعالى: ﴿سَبْعَةٌ وَآمَنُ مِنْهُمْ كَلْبُهُمْ﴾⁽⁸⁾، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَمَّْا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾، ونحو ذلك، قلت: أمثال ذلك مما ورد على خلاف الأصل تشبيهاً بالحال"⁽⁹⁾، ونقل الشمني عن السعد في شرح المفتاح في بحث الجملة الحالية، لا خلاف في جريان الاستثناء المفرغ في الصفة مثل: ما جاءني رجل إلا كريم⁽¹⁰⁾، وفيه

¹ . ينظر كتاب عروس الأفرح 500/1، ودلائل الإعجاز في علم المعاني/165.

² . ينظر كتاب أمالي ابن الحاجب 249/1، وكتاب عروس الأفرح 500/1.

³ . ينظر ترجمته في طبقات المفسرين 146/1، والبدر الطالع/241 .

⁴ . كتاب عروس الأفرح 500/1.

⁵ . ينظر ترجمته في إنباه الرواة 118:116، سير أعلام النبلاء 22/93:91.

⁶ . اللباب في علل البناء والإعراب 419/1، وينظر شرح الرضي 2/19، والمغني 2/725.

⁷ . كتاب عروس الأفرح 500/1.

⁸ . الكهف/22.

⁹ . المطول/465.

¹⁰ . ينظر المنصف من الكلام 48/1، ومواهب الأريب شرح مغني اللبيب مخطوط ل/29.

نظر!، لشيوع الخلاف فيه، ولا أقل من أن يكون مقتضاه الجواز قطعاً، هذا أظهر الأمرين، ويقويه منع أبي حيان ومن معه⁽¹⁾، ولم يفهم الخلاف من كلام الرضي حيث قال: "وأما الاستثناء في التوابع، ففي البديل نحو... والوصف نحو: (ما جاعني أحد إلا ظريف، وما لقيت أحداً إلا أنت خير منه...)"⁽²⁾.

الخاتمة

بعد عرض الآية موضع الدراسة وتحليلها؛ تبين أن القرآن الكريم هو الميدان الذي توصل به القاعدة النحوية، عن طريق التطبيق العملي؛ لذا اخترت الآية موضع الدراسة؛ لتكون الميدان الفسيح للتأصيل، فجمعت مادتها العلمية، وانتهى بي الحال - بتوفيق الله - إلى النتائج الآتية:

- 1- الكشف عن تباين مظاهر القواعد النحوية في هذا التركيب القرآني، مما يدفع شبهة أخذ النحو العربي من غير العربية.
- 2- أهمية الدراسة النحوية في ظل الأسلوب القرآني، ففيه حسم لبعض القضايا النحوية، والدعوة للنظر والتأمل المستمرين.
- 3- ظهر لي أصالة القواعد التي قعدها النحاة، أثبتتها الأسلوب القرآني، وهذا يعطينا حرية القياس عليه والنسيج على منواله.
- 4- احتوت الآية موضع الدراسة على موصوف محذوف، وذلك استقام مع البناء القرآني لأن هذا المحذوف قد أوحى به السياق ودلت عليه الفرائن.
- 5- أظهر البحث تنوع التخريجات النحوية حول الآية موضع الدراسة، وكلها تحمل معان تختلف عن الأخرى.
- 6- يتجه على تخريج النحاة للتركيب القرآني موضع الدراسة أن الموصوف بجملة أو ظرف لا يجوز حذفه في السعة، إلا بشرط كون المنعوت بعض ما قبله من مجرور بـ"من" أو "في".

¹ . ينظر منتهى أمل الأريب/214، رسالة ماجستير، تح. أ. جمعة حامد.

² . شرح الرضي/105/2، وينظر مواهب الأريب شرح مغني اللبيب مخطوط ل/29.

- 7- ويلزم على إعراب بعض النحاة حذف الموصوف مع كون الصفة ظرفاً، وحكم حذف موصوفه حكم حذف موصوف الجملة، في أنه مخصوص بالشعر.
- 8- يتجه على تخريج النحاة أن الموصوف بجملة أو ظرف لا يجوز حذفه في السعة، إلا بشرط كون المنعوت بعض ما قبله من مجرور بـ"من" أو "في".
- 9- كثير من النحاة يستشهد برأي سيبويه في مواضع الخلاف؛ لما يحظى به رأيه من فصل في كثير من القضايا النحوية.
- 10- ذكر النحاة أنه لا يجوز حذف الموصوف بجملة أو ظرف إلا بشرط كون المنعوت بعض ما قبله من مجرور بـ"من" أو "في".
- 11- يرى ابن جني أن حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه على كل حال قبيح، وهو في بعض الأماكن أقبح منه في بعض.
- 12- أن الجملة وشبهها لا تقوم مقام الموصوف.
- يرى بعض المعربين أن الحذف في قوله ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَ بِهِ﴾؛ لأنه مبتدأ غير موصوف، والمبتدأ حذفه سائغ.
- 13- يكثر حذف الموصوف وإقامة صفة مقامه بشرطين: أحدهما: أن يعلم جنس المنعوت...والآخر: أن يكون صالحاً لمباشرة العمل، فلو كان جملة أو شبهها لم يقدّم مقامه في الاختيار؛ لكونه غير صالح لها إلا بشرط كون المنعوت بعض ما قبله من مجرور بمن، وتقدير سيبويه: وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به، وتقدير الكوفيين: وإن من أهل الكتاب إلا من ليؤمنن به، وحذف الموصول خطأ.
- 14- زعم بعض المعربين أن (ليؤمنن به) جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف إلى آخره، وصفة أحد المحذوف إنما هو الجار والمجرور وهو من أهل الكتاب.
- 15- رجح كثير من النحاة عدم صحة دخول الواو بين الموصوف وصفته بينما جوزوا دخولها على الجملة الحالية؛ لأن الحال يخالف الصفة بتقدمها على صاحبها، ومخالفتها له في الإعراب، ولتخالفهما بالتعريف والتتكير غالباً، وأيضاً فإن الواو إنما دخلت بين الحال وصاحبها؛ لأن الحال في معنى الجملة، فإن معنى: جاء زيد راكباً، جاء وهو راكب، بخلاف: جاء زيد راكباً.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1. ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق/د. رجب عثمان محمد، مراجعة/د. رمضان عبد التواب الناشر مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الأولى 1998 ف.
2. الأصول في النحو لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، المتوفى سنة 316هـ، تحقيق: الدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1408هـ-1988م.
3. إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، النحاس ت 338هـ تحقيق/الدكتور زهير غازي زاهد، مكتبة الثقافة الدينية، 526 شارع بور سعيد/الظاهر - القاهرة.
4. الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان الطبعة الحادية عشرة 1995 ف.
5. إنباه الرواة على أنباه النحاة، لجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى 1986 ف.
6. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، تأليف/ الشيخ الإمام كمال الدين أبي البركات الأنباري، دار إحياء التراث العربي.
7. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف بتفسير البيضاوي، تأليف/ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي، إعداد وتقديم/محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى 1998 ف.

8. البحر المحيط في التفسير، لمحمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، دار الفكر، بيروت - لبنان 1992ف.
9. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني، تحقيق/ حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر - دمشق، دار الفكر المعاصر - بيروت، الطبعة الثانية 1993ف.
10. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثانية 1979ف.
11. البيان في إعراب غريب القرآن، تأليف/الإمام أبي البركات عبد الرحمن بن الأنباري، ضبطه وعلق عليه/ بركات يوسف هبود، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت - لبنان.
12. التبيان في إعراب القرآن، تأليف/أبي البقاء عبد الله بن حسين العكبري، تحقيق/علي محمد الجاوي، دار الشام للتراث - بيروت - لبنان.
13. تحصيل عين الذهب في علم مجازات العرب لمؤلفه يوسف بن سليمان الشنتمري منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة 1990ف.
14. تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، للقاضي أبي السعود، محمد بن محمد بن مصطفى الحنفي، وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان الطبعة الأولى 1419هـ - 1999م.
15. تفسير التحرير والتنوير، تأليف/ سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس.
16. تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، لمحب الدين محمد بن يوسف بن أحمد المعروف بناظر الجيش تحقيق/أ.د.علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر. القاهرة، الطبعة الأولى 2007ف.

17. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادي، شرح وتحقيق الأستاذ الدكتور عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى 1422هـ 2001م.
18. جامع البيان في تفسير القرآن، تأليف/أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة - بيروت - لبنان.
19. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
20. حاشية الشهاب، المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي، للقاضي شهاب الدين أحمد الخفاجي، على تفسير البيضاوي، ضبطه الشيخ عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان.
21. حاشية محي الدين شيخ زادة، محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي على تفسير القاضي البيضاوي، ضبطه وصححه وخرج آياته محمد عبد القادر شاهين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان الطبعة الأولى 1999م.
22. خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر البغدادي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه/ محمد نبيل طريقي، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى 1998ف.
23. الخصائص صنعة أبي التتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار.
24. الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون تأليف/الإمام شهاب الدين بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق/ الشيخ علي معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الولى 1994ف
25. دراسات لأسلوب القرآن الكريم، تأليف/محمد عبد الخالق عزيمة، دار الحديث . القاهرة.

26. ديوان ابن مقبل، عني بتحقيقه الدكتور عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت - لبنان، 1416هـ - 1995م.
27. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، طبعة جديدة مصححة ومنقحة 1983ف، دار الفكر. بيروت.
28. سر صناعة الإعراب، تأليف/إمام العربية أبي الفتح عثمان بن جني، قدم له د/فتحي عبد الرحمن حجازي، حققه وعلق عليه/أحمد فريد أحمد، المكتبة التوفيقية، أمام الباب الأخضر. سيدنا الحسين.
29. سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقوسي مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة التاسعة 1413هـ.
30. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف الإمام شهاب الدين ابن العماد الحنبلي دراسة وتحقيق/مصطفى عبد القادر عطا، دار القلم. بيروت. لبنان.
31. شرح أبيات سيبويه، لأبي محمد يوسف بن المرزبان السيرافي، تحقيق/الدكتور محمد الريح هاشم، دار الجيل. بيروت، الطبعة الأولى 1996 ف.
32. شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق/ عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون هجر للطباعة الطبعة الأولى 1990م.
33. شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
34. شرح الدماميني على مغني اللبيب للإمام محمد بن أبي بكر الدماميني صححه وعلق عليه أحمد عزو عناية، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت. لبنان. الطبعة الأولى 2007ف.
35. شرح الرضي على الكافية، من عمل يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس 1978م.

36. شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم، حققه وضبطه: الدكتور عبد الحميد السيد عبد الحميد، دار الجيل - بيروت، 1419هـ - 1998م.
37. شرح جمل الزجاجي لابن عصفور، قدم له/فواز الشعار، إشراف/إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان. الطبعة الأولى 1998 ف.
38. الشعر والشعراء، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الدار العربية للكتاب الطبعة الثانية 1983 ف.
39. شفاء العليل في إيضاح التسهيل لأبي عبد الله السلسيلي، ت/الشريف عبد الله البركاتي. المكتبة الفيصلية. الطبعة الأولى 1986ف.
40. ضرائر الشعر، تأليف/ أبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي المعروف بابن عصفور، وضع حواشيه/ خليل عمران المنصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى 1999ف.
41. طبقات المفسرين، تصنيف الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1983ف.
42. طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي، شرح محمود شاكر، الناشر دار المدني. جدة.
43. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، لبهاء الدين السبكي، (شروح التلخيص) دار الإرشاد الإسلامي - بيروت.
44. غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري، عني بنشره ج.برجستراسر، دار الكتب العلمية. بيروت، الطبعة الثالثة 1982ف.
45. فوات الوفيات والذيل عليها لمحمد بن شاكر الكتبي، تح/ الدكتور إحسان عباس دار صادر، بيروت.

46. كتاب أمالي ابن الحاجب لأبي عمرو عثمان بن الحاجب، دراسة وتحقيق الدكتور فخر صالح سليمان قدارة، دار الجيل - بيروت، دار عمار - عمان، 1409هـ 1989م.
47. كتاب سيبويه لأبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر، ت/عبد السلام محمد هارون، دار الجيل . بيروت الطبعة الأولى.
48. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام محمود بن عمر الزمخشري، رتبه وضبطه وصححه مصطفى حسين أحمد . دار الكتاب العربي.
49. اللباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء محمد بن حسين العكبري، تح/الدكتور عبد الإله نبهان، دار الفكر المعاصر - بيروت - لبنان، دار الفكر - دمشق سورية، الطبعة الأولى 1995
50. اللباب في علوم الكتاب، تأليف/ الإمام المفسر أبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق وتعليق/ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، منشورات/ محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت . لبنان، الطبعة الأولى 1998 م.
51. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تأليف/ الإمام أبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي وضع حواشيه/ خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان الطبعة الأولى 1997ف.
52. المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل، ت/محمد كامل بركات، جامعة أم القرى، الطبعة الثانية 2001ف.
53. المسائل البصريات لأبي علي الفارسي، تحقيق ودراسة الدكتور/ محمد الشاطر أحمد، الطبعة الأولى 1985م.
54. مشكل إعراب القرآن لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تح/الدكتور حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثالثة 1987ف.

55. المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تأليف/ العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ، تحقيق/ الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2001م.
56. معاني القرآن للفراء، دار السرور، بيروت.
57. معاني القرآن لأبي جعفر النحاس، تحقيق د/ يحيى مراد، دار الحديث القاهرة، سنة الطبع 1425هـ - 2004م.
58. معاني القرآن وإعرابه، تحقيق/ د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب بيروت، ط الأولى 1988م.
59. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تأليف الإمام ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية. صيدا بيروت، 1992 ف.
60. مفتاح العلوم، تأليف/أبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي تحقيق/الدكتور عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية . بيروت لبنان . الطبعة الأولى 2000 ف.
61. المفصل في علم العربية، أبو القاسم الزمخشري، دار الجيل بيروت.
62. المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية للإمام أبي إسحاق إبراهيم ابن موسى الشاطبي، تحقيق/ د. عبد المجيد قطامش، جامعة أم القرى . مكة المكرمة، الطبعة الأولى 2007ف
63. المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـ «شرح الشواهد الكبرى» المؤلف: بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني (المتوفى 855 هـ) تحقيق: أ. د. علي مزحم فخر، أ. د. أحمد محمد توفيق السوداني، د. عبد العزيز محمد فخر الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - جمهورية مصر العربية الطبعة: الأولى، 1431 هـ - 2010 م

64. المقرب تأليف/علي بن مؤمن، المعروف بابن عصفور، تح/أحمد عبد الستار الجواري . علي الجبوري، الطبعة الأولى 1971.
65. منتهى أمل الأريب من الكلام على مغني اللبيب، لأحمد بن محمد الحصكفي المعروف بابن الملاء، رسالة ماجستير، من أول الكتاب إلى نهاية مبحث "إن تحقيق أ/ جمعة حامد بشر، إشراف أ.د. محمد عبد السلام ابشيش، جامعة المرقب، كلية الآداب والعلوم/الخمس، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، العام الجامعي 2005/2004 م.
66. المنصف من الكلام على مغني ابن هشام، تأليف/ الإمام تقي الدين أحمد ابن محمد الشمي، المطبعة البهية، مصر.
67. مواهب الأريب شرح مغني اللبيب لمحمد بن أحمد الأرنؤقي(مخطوط) مكتبة جامعة استنبول (A . 3035)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامي، عمادة شؤون المكتبات المكتبة المركزية، قسم المخطوطات، الرقم(2692).
68. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغرى بردي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة.
69. النحو وكتب التفسير، الدكتور إبراهيم عبد الله رفيده، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الجماهيرية العربية الاشتراكية، الطبعة الأولى 1982م الطبعة الثانية 1984م.
70. النحو وكتب التفسير، الدكتور/ إبراهيم عبد الله رفيده، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية الطبعة الثانية 1984م.
71. نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب، تأليف الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، شرحه وضبطه وعلق عليه/الدكتورة مريم قاسم طويل، والدكتور يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1995ف.

72. هدية العارفين، أسماء المؤلفين و آثار المصنفين من كشف الظنون، لإسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان 1992ف.
73. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق/الدكتور إحسان عباس، دار صادر - بيروت 1978ف.

الدور العربي تجاه القضية الليبية 1945-1952م

"دراسة في دور مصر والعراق وجامعة الدول العربية"

إعداد: د. د. مفتاح بلعيد غويطة*

كانت القضية/ المسألة الليبية منذ ظهورها على مسرح الأحداث بعيد الحرب العالمية الثانية الشغل الشاغل للكيانات السياسية العربية ذات الثقل المحلي والمعترف بها في هيئة الأمم المتحدة، والدراسة التي بين أيدينا تحاول كشف النقاب عن الدور العربي تجاه القضية الليبية من خلال استعراض ثلاثة نماذج عربية فاعلة، وهي مصر والعراق وأخيراً الجامعة العربية، كمؤسسة ظهرت للوجود متزامنة مع انتهاء الحرب العالمية الثانية سنة 1945م. تنتهج الدراسة أسلوب التحليل لدراسة تاريخ الفترة، ولتحقيق هذه الغاية فإنها تطرح إشكالية ما الدور الذي لعبته النماذج المعنية تجاه القضية الليبية 1945-1952م؟، وما النتائج المباشرة وغير المباشرة المترتبة علي القضية الليبية من ورائه؟.

أولاً: خلفيات الدور العربي تجاه القضية الليبية:

يرى بعض الباحثين أن القضية الليبية ظهرت إلى الوجود على الساحة الدولية بعيد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وذلك عندما عقد وزراء خارجية الدول الكبرى اجتماعاً في لندن 11 سبتمبر 1945م لبحث مصير المستعمرات الإيطالية والتي تشكل ليبيا إحداها؛ الأمر الذي دفع العرب ومصر بشكل خاص للاهتمام بذات القضية؛ فأخذت تعد العدة، بالتعاون مع الجامعة العربية الوليدة لإيصال وجهة نظرها لمؤتمر لندن المذكور⁽¹⁾.

ويرى البعض الآخر أن اهتمام مصر بالقضية الليبية ظهر عندما بدأ النظر في إبرام الصلح مع إيطاليا ودول المحور الأخرى، حيث بذلت مصر قصارى جهدها للاشتراك في

* أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المشارك قسم التاريخ كلية الآداب الخمس جامعة المرقب.

(1) سامي حكيم، استقلال ليبيا بين جامعة الدول العربية وهيئة الأمم المتحدة، دار الكتاب الجديد، القاهرة، 1965، ص 9؛ أيضاً: محمود الشنيطي، قضية ليبيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951، ص 247، 195.

أية تسوية تخدم مصالحها الحيوية⁽¹⁾. وكانت بريطانيا ضماناً منها لاستمرار العرب ومصر خاصة في الوقوف إلى جانبها حتى انتهاء الحرب أن أظهرت حسن النوايا للمصريين والليبيين بشكل خاص وللغرب بشكل عام، لذا نجد أن انطوني إيدن وزير الخارجية البريطاني قد أصدر بتاريخ مارس 1940م تصريحاً اقترح فيه إنشاء جامعة للدول العربية، ثم استمر داعماً للفكرة حتى أصبحت الجامعة العربية واقعاً ملموساً⁽²⁾.

وعند إعلان إيطاليا الحرب على الحلفاء وبالتالي قطع العلاقات المصرية الإيطالية 10 يونيو 1940م أعلن السفير الإنجليزي في القاهرة لمبسون 16 نوفمبر 1942م بأن مصر لها الحق في الدفاع عن مصالحها في مؤتمر الصلح بعد توقف الحرب⁽³⁾. وبالتالي كانت مصر تمنى النفس بهزيمة دول المحور للاستفادة من نتائج الحرب، وإعادة رسم خريطة حدودها الغربية مع ليبيا.

جعلت هزيمة المحور في ليبيا يناير 1943م الأحلام المصرية ممكنة التحقيق، كما أن اختيار مصر لتكون مركزاً الجامعة العربية أسهم في تعزيز الرغبات المصرية بالخصوص. لقد أعلن عن قيام الجامعة وفقاً لبروتوكول الإسكندرية 1944م إبان الحرب العالمية الثانية، بحيث شكلت مصر والعراق إضافة إلى العربية السعودية وسوريا ولبنان والأردن نواتها الأولى، وبدأت أولى اجتماعاتها رسمياً في 22 مارس من العام التالي⁽⁴⁾. كان من حسن حظ القضية الليبية أن اختير السياسي المصري عبد الرحمن عزام أميناً للجامعة العربية، نظراً للعلاقات القوية التي تربطه بليبيا وزعماء الحركة الوطنية، وخاصة

(1) محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، القاهرة، مطبعة الاعتماد، 1957، ص 28.

(2) عبد الرحمن عزام، صفحات من المذكرات السرية لأول أمين عام للجامعة العربية، جمع: جميل عارف، المكتب المصري الحديث، القاهرة. الإسكندرية، ج/1، 1977، ص 260-263.

(3) دار الوثائق المصرية، وثائق وزارة الخارجية، المحفوظة رقم 495، الكود الأرشيفي 0078-011708.

Speech Made by the Rt: Hon. Winston Churchill to the Italian People. Monday, 23rd Dec, 1940.. ص 28. أيضاً: الأهرام 1945/9/17؛ أيضاً: شكري، ميلاد... ص 28.

(4) عبد الرحمن عزام، مصدر سابق، ص 263-270؛ أيضاً: أحمد محمود جمعة، إنشاء جامعة الدول العربية مقدماتها وتطورها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2006، ج/3، ص 25-523.

من كانوا قاطني مصر بعيد الحرب مثل: الأمير محمد إدريس السنوسي وبشير السعداوي، وهي علاقات استثمرت إلى حد كبير فيما بعد لصالح القضية الليبية⁽¹⁾.

لقد وجد العرب أنفسهم بعد انتهاء الحرب أمام معضلة قانونية صرفة وهي أن ليبيا تحولت من مستعمرة إيطالية إلى مستعمرة فرنسية إنجليزية، فعندما وضعت الحرب العالمية أوزارها كان من بين القضايا المثارة تصفية قضية المستعمرات التابعة لدول المحور، وإبرام صلح مع الحكومة الإيطالية، وبناء على مخرجات مؤتمر القمة الثلاثي الروسي البريطاني الأمريكي بمدينة بوتسدام الألمانية بتاريخ 17 يوليو 1945م كلف مجلس وزراء خارجية هذه الدول بدعوة وزيرى خارجية فرنسا والصين لمناقشة هذه القضايا⁽²⁾. لكنه رغم هذا لم يتفق وزراء خارجية تلك الدول في جلساتهم التي عقدها خلال الفترة سبتمبر 1945-يونيو 1946م على حل توافقي يرضي كل الأطراف⁽³⁾.

كان على الجميع انتظار ما تؤول إليه مباحثات الصلح بباريس التي انتهت في 10 فبراير 1947م بتوقيع معاهدة الصلح وقبول إيطاليا بما جاء فيها، بما في ذلك التنازل عن ليبيا كمستعمرة سابقة، كما أن الدول الكبرى اتفقت على ضرورة ارسال لجنة تحقيق للمستعمرات الإيطالية للنظر في رغبات سكانها وأحوالهم، وفي حالة عدم حصول الاتفاق يحال الأمر للجمعية العامة للأمم المتحدة للنظر فيه واتخاذ ما تراه مناسباً⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ للمزيد عن دور عزام تجاه القضية الليبية انظر: عزام، مصدر سابق، ص 83-250.

⁽²⁾ إبراهيم عبد العزيز صهد، معركة الاستقلال صراع من أجل الحرية والوحدة والسيادة ضمن الرابط:

<http://www.libya-watanona.com>, Monday, 24 December, 2007. أيضاً:

عمر بن محمد المجذوب، دور العراق فى استقلال ليبيا، ضمن الرابط:(موقع العرب أونلاين 19/06/2008) <http://archive.libya-al-mostakbal.org>

⁽³⁾ إبراهيم صهد، نفس الرابط السابق.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه؛ أيضاً: عمر المجذوب، نفس الرابط السابق.

اتفقت الدول الكبرى الأربعة بريطانيا وأمريكا وفرنسا وروسيا على إرسال لجنة التحقيق إلى ليبيا، فوصلت اللجنة هذه ليبيا في 6 مارس 1948م، وقضت فيها شهرين ونصف تقريباً، وقدمت تقريرها إلى وزراء الخارجية في آخر يوليو من السنة نفسها، ومن أهم ما جاء فيه أن جل الليبيين ينشدون الحرية والاستقلال والانضمام للجامعة العربية، ولا يقبلون الحكم الأجنبي، وأن الأقاليم الليبية مكملة لبعضها البعض، بمعنى أنه لا يستطيع أي إقليم منها الاستقلال بذاته⁽¹⁾.

ولما لم تتفق الدول الكبرى على ما ورد في تقرير لجنة التحقيق تقرر إحالة القضية الليبية إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة صيف سنة 1948م، فأصدرت الأخيرة في 21 نوفمبر 1949م القرار رقم 289-4 بمنح ليبيا الاستقلال في مدة لا تتعدى الأول من يناير 1952م، وتدار خلال المرحلة الانتقالية بمجلس استشاري تعينه الأمم المتحدة، لمساعدتها على تأسيس الحكم الدستوري وبناء مؤسسات الدولة⁽²⁾. فأتاح هذا للعرب متسعاً من الوقت للاتصال بالدول الكبرى، وبلورة موقف موحد إزاء القضية الليبية.

ثانياً: الدور العربي ومباحثات وزراء خارجية الدول الكبرى 1945-1948م:

وجد العرب أنفسهم في هذه المرحلة في مواجهة الدول الكبرى حول مستقبل ليبيا بين مطرقة المطالب الليبية والمصرية وبين سندان المصالح الدولية المتشابكة، ففي 14 فبراير 1945م عقد وزراء الخارجية العرب مؤتمراً بالقاهرة استعرضوا من ضمن أشغاله الطلبات المقدمة من بعض الشخصيات الليبية لانضمام بلادهم للجامعة العربية، وإرسال

(1) سامي حكيم، مصدر سابق، ص 43-49؛ أيضاً: مجيد خدوري، ليبيا الحديثة دراسة في تطورها السياسي، ترجمة: نقولا زيادة، مراجعة: ناصر الدين الأسد، دار الثقافة، بيروت، 1966، ص 143-147.

(2) الأهرام 1948/11/29؛ أيضاً: حكيم، مصدر سابق، ص 110-118؛ أيضاً: محمد عثمان الصيد، محطات من تاريخ ليبيا، أعدها للنشر: طلحة جبريل، الرباط، ط/1، 1996، ص 302-303.

مذكرة إلى مجلس وزراء خارجية الدول الكبرى لشرح ما يتمناه الليبيون وهو الحرية والاستقلال، وعدم البقاء تحت رقة الاحتلال الأجنبي⁽¹⁾.

وعلى هذا الأساس أرسل عبد الرحمن عزام الأمين العام للجامعة العربية مذكرة إلى الدول الأعضاء في الجامعة العربية (لبنان وسوريا والسعودية ومصر واليمن والعراق والأردن)، شدد فيها على ضرورة بلورة موقف عربي يضمن استقلال البلاد الليبية وعدم تفتيتها أو وضعها تحت الوصاية الأجنبية⁽²⁾، كما شدد على ضرورة قيام العرب بإقناع الدول الكبرى أن تمنح ليبيا استقلالها وفق استفتاء أو تسمح لها بالاتحاد مع مصر⁽³⁾.

أراد عزام أن يحقق نجاحاً دبلوماسيته في الأوساط العربية، فشد الرحال إلى بعض العواصم العربية؛ لإقناع المسؤولين العرب بالموقف المصري من القضية الليبية ونجح في ذلك، بحيث قفل عزام عائداً إلى القاهرة، وبعد لقاءات مكثفة أجراها مع كبار مسؤولي الخارجية المصرية قرر السفر إلى لندن؛ لعرض وجهة النظر المصرية ووجهة نظر الجامعة العربية على وزراء خارجية الدول الكبرى المجتمعين فيها سبتمبر 1945م⁽⁴⁾.

نجح عزام خلال وجوده في لندن في إجراء مباحثات مع مسئولين في الخارجية البريطانية، والسفير الفرنسي بلندن، حيث حاول شرح وجهة نظر الجامعة العربية للقضية الليبية، وحال وجوده بلندن أُبلغ عزام بأن الحكومة الأمريكية قد استملت مذكرة الجامعة بخصوص ليبيا، وهي قيد الدراسة، كما علم عزام أيضاً أن بعض مندوبي وسفراء الدول

(1) الشنيطي، مصدر سابق، ص 263، 269؛ أيضاً، محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، مراجعة: يوسف المجريسي، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، ط/1، 2005، ص 598-600؛ أيضاً: مفتاح السيد الشريف، ليبيا نشأة الأحزاب ونضالاتها، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، ط/1، 2010، ص 290-291.

(2) حكيم، مصدر سابق، ص 10-15؛ أيضاً: عزام، مصدر سابق، ص 273-277؛ أيضاً: شكري، ميلاد...، ص 48-53؛ أيضاً: عبد الرحيم عبد الهادي أبو طالب، الجامعة العربية و قضية استقلال ليبيا، دار نهضة الشرق، القاهرة، 1997، ص 74-77.

(3) خدوري، مصدر سابق، ص 141؛ أيضاً: عزام، مصدر سابق، ص 277.

(4) سامي حكيم، مصدر سابق، ص 18-19؛ أيضاً: الأهرام 1945/9/21، 1945/9/23.

العربية وعلى رأسهم العراق قد بعثوا إلى وزراء خارجية الدول الكبرى بقرقيات طالبوا فيها بحل القضية الليبية وفق رغبات أهاليها ورغبة الجامعة العربية بالخصوص⁽¹⁾.

لذا فقد استفاد عزام من هذا الموقف كثيراً؛ فأقنع سفراء العرب المعنيين بضرورة تقديم مذكرة باسم الجامعة العربية لمؤتمر لندن في 28 سبتمبر 1945م، أكدت على أن الليبيين يرغبون الاستقلال أو تفويض دولة عربية أو الجامعة العربية بإرشادهم لنيل هذا الاستقلال، وأن الدول العربية قد كلفت الأمين العام للجامعة بمتابعة ذلك⁽²⁾.

وفيما يخص مصر فإنها تلقت مذكرة أمين الجامعة بكل شغف، فكلف مجلس الوزراء الدكتور عبد الحميد بدوي لإعداد مذكرة بخصوص وجهة النظر المصرية تجاه القضية الليبية، وقد فرغ من إعدادها في 4 سبتمبر 1945م، أكد فيها أهمية ليبيا لمصر، وذكر بالمطالب المصرية الحدودية ونحوها، وأوصي بضرورة أخذ أمانى الليبيين بعين الاعتبار بما في ذلك الانضمام إلى مصر، أو قيام الأخيرة وفقاً لمواثيق الأمم المتحدة بالوصاية على ليبيا، إذا ما تقرر ذلك⁽³⁾.

لقد قدمت مصر مذكرتها الأولى إلى وزراء خارجية الدول الكبرى المجتمعين في لندن بتاريخ 12 سبتمبر 1945م⁽⁴⁾، مشتملة على ما جاء في ما طرحه الدكتور بدوي السالفة الذكر. وفي الوقت الذي كان فيه دبلوماسيو مصر يبذلون قصارى جهدهم لإقناع حكومات الدول الكبرى والدول العربية بوجهة النظر المصرية كانت مصر تشهد حراكاً سياسياً وإعلامياً لتعزيز المطالب المصرية، حيث رأى الكثير من المصريين أن الوقت قد حان لإلغاء أو تعديل اتفاقية الحدود مع إيطاليا الموقعة في 25 ديسمبر 1925م. لقد اتخذ ذلك الحراك صوراً عدة، فإعلامياً امتلأت الصحف المصرية بالمقالات التي تؤيد حق

(1) سامي حكيم، مصدر سابق، ص 19-23؛ أيضاً: أبو طالب، مرجع سابق، ص 93-94.

(2) عزام، مصدر سابق، ص 279-280.

(3) وثائق عابدين، المحفظة رقم 124 ليبيا تقارير، الكود الأرشيفي: 002576-0069، مذكرة الدكتور عبد الحميد بدوي المرسله لمجلس خارجية الدول الكبرى؛ أيضاً: شكري، ميلاد...، ص 29-35.

(4) خدوري، مصدر سابق، ص 139-140.

مصر في الجغوب وأراضٍ ليبية أخرى، مستغربة تجاهل الدول الكبرى لهذه المطالب⁽¹⁾. وأما رسمياً فقد ناقش مجلس النواب المصري المطالب المصرية في أكثر من جلسة، وشدد بعض النواب على ضرورة مراعاة المصلحة المصرية، وناشدوا الجامعة العربية للعمل من أجل نيل ليبيا استقلالها⁽²⁾.

شكلت الخارجية المصرية من جانبها لجنة عرفت باسم لجنة ليبيا والحدود الإيطالية، برئاسة وكيل وزارة الخارجية السيد محمد كامل عبد الرحيم، عنيت هذه اللجنة بإعداد المذكرات والتقارير والدراسات لتعزيز وجهة النظر المصرية إزاء القضية الليبية، وإزاء الحدود الغربية لمصر، وتقديمها من قبل الخارجية المصرية إلى مؤتمر مجلس وزراء الخارجية للدول الكبرى، تلك المذكرات استعرضت تاريخ ليبيا منذ القدم وركزت على تاريخ ليبيا خلال الاستعمار الإيطالي وعلاقة مصر بليبيا خلال الفترة، وأثبتت أن إيطاليا خلال استعمارها لليبيا اقتطعت أراضٍ مصرية، وأبانت المذكرات مطالب مصر القومية لتعديل الحدود وأهمية ما تطالب به، وسأقت الحجج والبراهين الجغرافية والتاريخية والقانونية والأمنية لتعزيز المطالب المصرية في تعديل الحدود الغربية، فضلاً عن اتخاذ القرارات التي تخدم الأمن القومي المصري وتمنع عودة الاستعمار إلى ليبيا⁽³⁾.

هناك من يرى بأن مصر قد أبلغت الدول الكبرى أنها إذا كانت عاجزة عن منح ليبيا استقلالها على الفور، فإن مصر تطلب أن يعهد إليها بإدارتها، وطلبت مصر منح الليبيين خيار الانضمام إلى المملكة المصرية، وخصت بالذكر منطقة برقة، إلا أن مصر لم تنظر بأي من مطالبها رغم تبني الجامعة العربية لبعض تلك المطالب⁽⁴⁾.

(1) الأهرام 1945/9/21، 1945/10/14؛ أيضاً: خدوري، مصدر سابق، ص88. وبخصوص هذه الاتفاقية انظر: Francesco Meriano, La Questione Di Giarabub, Nicola Zanichelli Editore, Bologna, 1925, pp136-202.

(2) أبو طالب، مرجع سابق، ص92، 116.

(3) وثائق وزارة الخارجية المصرية، الكود الأرشيفي: 0078-035975، المحفوظة رقم 1395؛ أيضاً: شكري، ميلاد...، ص70-201.

(4) إبراهيم صهد، نفس الرابط السابق.

وأما فيما يخص العراق فإنه كان سباقاً لمطالبة الدول الكبرى بضرورة منح ليبيا استقلالها، داعياً في ذات الوقت جامعة الدول العربية لتبني موقفه ومساندته، مقروناً باتصالات مكثفة مع الدول الكبرى لإقناعها بشرعية وقانونية استقلال ليبيا المستعمرة الإيطالية السابقة⁽¹⁾. وطلبت الحكومة العراقية من أمين الجامعة العربية ضرورة مفاتحة بريطانيا التي هي عضو في مجلس الأمن الدولي لذات الغرض، واغتنم السفير العراقي فرصة لقائه الوزير الروسي المفوض بالقاهرة سبتمبر 1945م ليطلب منه مناقشة القضية الليبية مع حكومة بلاده بعد أن طلب منه تأييدها⁽²⁾.

على صعيد آخر وجه العراق مذكرة لمؤتمر وزراء خارجية الدول الكبرى في أواخر سبتمبر 1945م، أكد فيها موقفه المؤيد لليبيا وحرصه على أن تنال استقلالها وفق ميثاق الأمم المتحدة، مشدداً على أن حكومة العراق ترفض عودة إيطاليا لحكم هذه البلاد، وتأمل إجراء استفتاء عام يقرر الليبيون من خلاله نظام الحكم الذي يرتضونه⁽³⁾.

كان لا بد بعيد انتهاء الجولة الأولى من المباحثات الرباعية في لندن من إعادة تقييم ما أنجزه العرب حتى اللحظة، ففي الجلسة الثانية لمجلس الجامعة في القاهرة 5 نوفمبر 1945م تلى الأمين العام على الأعضاء تقريراً عن زيارته لإنجلترا وفرنسا⁽⁴⁾. وعند افتتاح الجلسة الثالثة لمجلس الجامعة المنعقد بتاريخ 7 نوفمبر 1945م تحدث تحسين العسكري الوزير العراقي المفوض في مصر، مشدداً على أن قضية ليبيا لا تقل شأنًا عن قضية فلسطين، ويجب أن تقوم الجامعة بدور هام لنصرتها⁽⁵⁾.

(1) تقرير المفوضية العراقية في القاهرة بتاريخ 1945/9/23م، الأرشيف العراقي ببغداد، الملف رقم 724، الوثيقة رقم 87 ص 318 نقلاً عن: علي عظم محمد، العراق وقضية استقلال ليبيا (دراسة وثائقية أولية)، Journal of Kufa Studies Center, Vol 1, No 1 (2004)، ص 217.

(2) المصدر نفسه.

(3) وثائق الخارجية المصرية، اجتماعات الجامعة العربية، الميكروفيلم رقم 297، الكود الأرشيفي: 0078-040225؛ أيضاً: أبو طالب، مرجع سابق، ص 95-96.

(4) أدار الوثائق المصرية، وثائق الخارجية المصرية، اجتماعات الجامعة العربية، مصدر سابق.

(5) المصدر نفسه.

وفي الاجتماع العادي لمجلس الجامعة بتاريخ 4 ديسمبر 1945م وضعت القضية الليبية لأول مرة على جدول الأعمال، واتخذ قرار بقبول كل المقترحات العربية لتأييد استقلال ليبيا أو وضعها تحت وصاية عربية، وكلف مجلس الجامعة الأمين العام بالاتصال ببريطانيا وإفهامها بسخط العرب والليبيين من حكمها العسكري في ليبيا⁽¹⁾.

أبلغ عبد الرحمن عزام مجلس الجامعة في الجلسة الثامنة من الاجتماع العادي الثالث بتاريخ 6 أبريل 1946م أن الدول الكبرى فرنسا وروسيا وبريطانيا وأمريكا تتنافس حول الظفر بالوصاية على ليبيا، وبناء على ما أفاد به عزام اقترح محمود فهمي النقراشي رئيس الوفد المصري أن ترسل أمانة الجامعة مذكرة إلى الدول المشاركة في مؤتمر الصلح، تؤكد على منح ليبيا الاستقلال موحدة، وترك حرية اختيار أهلها نظام الحكم الذي يرتضونه، وقد وافق المجلس على اقتراح النقراشي بالإجماع⁽²⁾.

وزع عبد الرحمن عزام بعيد الاجتماع السابق منشوراً دعا فيه الدول الأعضاء للاستمرار في تأييد القضية الليبية، واستغل فرصة إقامة حفل بالقااهرة لتكريم وفود الجامعة العربية، فألقى كلمة في الحاضرين والذين كان من بينهم الأمير إدريس السنوسي، أثنى فيها على السنوسية وجهادها ضد الاستعمار الأجنبي⁽³⁾.

وفيما يخص الدور العربي تجاه مفاوضات الصلح، والتي تزامنت مع اجتماعات مجلس خارجية الدول الكبار فإن القطرين العربيين مصر والعراق قد دعيا رسمياً للمشاركة في جلساتها الأخيرة، وعلى الرغم من أن الجامعة العربية لم تدع كموسسة للغرض ذاته لكنها لم تكن بمعزل عن متابعة القضية، فبتاريخ 18 أبريل 1946م أرسلت الجامعة العربية مذكرة إلى الدول المجتمعة ببائيس باسم الجامعة العربية، أكدت فيها على القرار الذي اتخذته الجامعة بشأن استقلال ليبيا ووحدتها واستفتاء أهلها في شكل نظام الحكم، وأن

(1) وثائق الخارجية المصرية، اجتماعات الجامعة...، مصدر سابق؛ أيضاً: شكري، ميلاد...، ص 55.

(2) وثائق الخارجية المصرية، اجتماعات الجامعة...، مصدر سابق.

(3) شكري، السنوسية...، ص 599؛ أيضاً: خدوري، مصدر سابق، ص 142

يكون هذا الاستفتاء تحت إشراف الجامعة العربية، وفي حالة تطبيق نظام الوصاية فالجامعة هي المخولة بالقيام بذلك⁽¹⁾.

لقد طال أمد مفاوضات الصلح وأصبحت الآراء تثرى بشأن إرسال لجنة تحقيق دولية إلى المستعمرات الإيطالية السابقة، ومن ثم لم تجد الدول الكبرى بدأً من دعوة بعض الأطراف الدولية لحضور الجلسات؛ كانت مصر والجامعة العربية تمنيان النفس في أن يكونا الأوفر حظاً في الاشتراك في لجنة التحقيق الدولية؛ لذا فمن خلال التنسيق المصري مع الجامعة العربية عقدت القمة العربية الأولى ببلدة أنشاص شمالي القاهرة يومي 28-29 مايو 1946م، وجاءت القمة تلبية لدعوة الملك فاروق لملوك ورؤساء الدول العربية، وفي الوقت الذي اتفق فيه المجتمعون على ضرورة استقلال ليبيا، وأن يعهد لمصر برعاية أي حكومة تقوم في ليبيا ومعاونتها أديباً ومادياً فإنهم أيدوا ما تقوم به مصر من خطوات، ليكون لها كلمة في تحديد مستقبل ليبيا⁽²⁾.

بعد مضي عشرة أيام فقط على القمة العربية في أنشاص عقد مجلس الجامعة العربية جلسته ببلودان السورية، حيث أبلغ عبد الرحمن عزام المندوبين العرب بنية الدول الكبرى إرسال لجنة تحقيق دولية إلى ليبيا، لمعرفة رغبات سكانها، ودراسة الأوضاع عن كثب، فتقدمت مصر تؤيدها العراق باقتراح لأن يكون للجامعة العربية مندوب في هذه اللجنة، أو على الأقل يقوم أمين الجامعة بواسطة ممثلين خاصين بمراقبة سير التحقيق⁽³⁾.

وبناء على هذا الاجتماع أرسلت الأمانة العامة للجامعة برقية من بلودان بتاريخ 10 يونيو 1946م إلى الدول العظمى أكدت فيها على أنه للجامعة الحق في الاشتراك في أي لجنة تنشأ للتحقيق في المطالب الليبية، وأن تحاط الجامعة بمواعيد سفر اللجنة وبالإجراءات التي ستعتمدها خلال التحقيق، وفي 2 ديسمبر 1946م قرر مجلس الجامعة

(1) عزام، مصدر سابق، ص 284-286؛ أيضاً: شكري، ميلاد...، ص 57-59.

(2) سامي حكيم، مصدر سابق، ص 31-33؛ أيضاً: شكري، ميلاد...، ص 59-62.

(3) حكيم، مصدر سابق، ص 31-33؛ أيضاً: شكري، السنوسية...، ص 600-601.

أنه إذا أرسلت لجنة التحقيق إلى ليبيا ودعيت الجامعة فيخول الأمين العام بإرسال من يمثله فيها، وإذا كان خلاف ذلك فعليه أن يتابع سير التحقيق⁽¹⁾.

كما أسلفنا القول فإنه كان من بين المدعويين لحضور جلسات مؤتمر الصلح في مراحلها المتقدمة مصر والعراق، لذا فإن الجامعة العربية كلفت وفديهما بنقل وجهة النظر العربية للمجتمعين بباريس، حيث أديا تحمساً لذلك، كما ظهر في الجلسات المنعقدة في أغسطس - سبتمبر 1946م⁽²⁾. وإذا كان العراق قد دعي للمشاركة في المفاوضات باقتراح إنجليزي فإن مصر قد بذلت مساع كثيرة لذلك، بهدف إيصال وجهة نظرها للمجتمعين في مؤتمر الصلح حيال القضية الليبية، لكنه لما اقتصر النقاش بين الدول الكبرى فقط روسيا وبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية والصين في مباحثات الصلح فإن مصر تقدمت في يناير 1946م بمذكرة ثانية لمجلس خارجية الدول الكبرى، طالبت فيها أن تمثل في مؤتمر الصلح، ليتمكن ممثلوها من تقديم وجهة النظر المصرية على اعتبار أن مصر تعد طرفاً ذا مصلحة⁽³⁾.

وعلى أية حال فقد سمح لمصر يوم 12 أغسطس 1946م بحضور جلسات مؤتمر الصلح، فتقدم مندوب مصر ببيان شفوي لمؤتمر الصلح في جلسته ليومي 21 و23 أغسطس 1946م، ثم قدمه خطياً في 30 أغسطس 1946م، متضمناً وجهة النظر المصرية بخصوص القضية الليبية، حيث دافع عن حق ليبيا في الوحدة والاستقلال⁽⁴⁾. وفي 11 سبتمبر 1946م قدمت مصر مذكرة أخرى لمؤتمر الصلح، طالبت فيها الحصول على واحة الجغبوب وهضبة السلوم، وفيما يخص القضية الليبية شددت مصر على ضرورة استفتاء الشعب الليبي في تقرير مصيره، وأن مصر يجب أن يؤخذ

(1) شكري، السنوسية...، ص 89، 102، 601.

(2) آمال السبكي، استقلال ليبيا بين الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية 1943-1952، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، ص 32.

(3) الأهرام 19/9/1945؛ أيضاً: شكري، ميلاد...، ص 35.

(4) المصدر نفسه، ص 36-42؛ أيضاً: أبو طالب، مرجع سابق، ص 91.

رأيها في أية تسوية للقضية الليبية، وفي حالة وضع ليبيا تحت الوصاية فيجب أن تكون مصر هي الدول الوصية عليها؛ نظراً للروابط التي تجمع الليبيين والمصريين⁽¹⁾.

اتضح من خلال الموقف المصري في جلسات مؤتمر الصلح أن مبدأ الوصاية المصرية على ليبيا أو إسناد ذات المهمة للجامعة العربية لم يعد ذا أهمية للمسئولين المصريين وممثلهم في الاجتماعات الدولية التي عنيت واستعرضت ضمن برامجها القضية الليبية، مقارنة بذلك فإن تعديل الحدود كان أبرز النقاط التي أصرت عليها مصر في مذكراتها اللاحقة المرسلة إلى الدول الكبرى⁽²⁾.

وأما العراق فقد مثله في مؤتمر الصلح محمد فاضل الجمالي وزير الخارجية، حيث أوضح في كلمته أمام المجتمعين أهمية ليبيا في نيل الحرية والاستقلال التام؛ نظراً للتضحيات الجسام التي قدمها الشعب الليبي إبان حقبة الاستعمار⁽³⁾. واستغل الوزير العراقي العلاقة الحميمة التي كانت تربطه بالقيادات الليبية التي كانت حاضرة في باريس للتقريب بين وجهات نظرها، والعمل سوياً من أجل استقلال ليبيا، وتعهد الوزير بدعم العراق القضية الليبية مادياً ومعنوياً⁽⁴⁾.

كان هناك بالتزامن مع مفاوضات الصلح تحركات إيطالية لإقامة علاقات دبلوماسية بين إيطاليا والدول العربية؛ رغبة من إيطاليا في الوصول إلى حل مع الجانب العربي، ومن ثم الليبي ورغبة من بعض العرب إبعاد شبح الوصاية الدولية عن ليبيا، والذي كانت تطرحه الدول الكبرى كحل للمسألة الليبية، أو تجزئة البلاد تنفيذاً لتعهدت سابقة لبعض الزعماء الليبيين، كالتعهد البريطاني للسنوسيين باستقلال برقة⁽⁵⁾.

(1) أبو طالب، مرجع سابق، ص 91-92.

(2) خدوري، مصدر سابق، ص 140-141.

(3) عمر المجذوب، نفس الرابط السابق.

(4) المصدر نفسه.

(5) Adrian Pelt, *Libyan Independence and the United Nations*, New Haven and London, Yale University Press, 1970, P40;

وعندما طرح موضوع استئناف العلاقات مع إيطاليا في الجامعة العربية أيد المندوب المصري بالجامعة محمد كامل عبد الرحيم فكرة إقامة علاقات دبلوماسية مع إيطاليا، ليكون للعرب عين على ما يجري من دسائس في روما تجاه القضية الليبية⁽¹⁾. أما مندوب العراق تحسين العسكري فعارض المقترح، وقدم بتاريخ 12 ديسمبر 1946م مذكرة شدد فيها على أن إيطاليا يجب أن تعترف باستقلال ليبيا كشرط لإقامة علاقات دبلوماسية مع أي دولة عربية، وأن يكون لمجلس الوزراء العرب دور في الإشراف على هذه العلاقات، وعلل هذا بالإجراءات التي نفذتها إيطاليا وتحركاتها الأخيرة بخصوص القضية الليبية بما في ذلك تشجيع الهجرة والرغبة في العودة لاستعمار ليبيا من جديد⁽²⁾.

وعندما اعترض بعض الخبراء القانونيين في الجامعة على ما ذكره المندوب العراقي، نظراً لأن إيطاليا تنازلت عن مستعمراتها بما في ذلك ليبيا، تدخل عبد الرحمن عزام وعرض على مجلس الجامعة تبني قرار يسمح للدول الأعضاء بالجامعة بإقامة علاقات دبلوماسية مع الدولة الإيطالية باستثناء العراق⁽³⁾.

لقد كانت القضايا المعروضة على مؤتمر الصلح الدولي كثيرة ومتشعبة، يكتنفها خلافات وتضارب المصالح، وبالتالي استمرت اجتماعاته المتقطعة قرابة سنة ونيف تقريباً يناير 1946-فبراير 1947م، ولم يخصص للقضية الليبية مساحة زمنية كبيرة، لكن الجدل كان منصباً حول مصير المستعمرات الإيطالية بعد إبرام الصلح مع إيطاليا، وتنازل الأخيرة عن ممتلكاتها بما فيها ليبيا، وفقاً لمعاهدة الصلح 10 فبراير 1947م.

كان العرب بشكل عام والليبيون بشكل خاص يأملون أن تتغير معطيات القضية الليبية بعد معاهدة الصلح، وكان من الضروري توحيد الصف الليبي عند قدوم لجنة التحقيق؛ لذا

أيضاً: وثائق عابدين المحفوظة رقم 124 ليبيا تقارير، الكود الأرشيفي: 002576-0069 تقرير عن وجهة النظر الإنجليزية بتاريخ 25 أغسطس 1948م في مسألة إمارة السيد إدريس السنوسي والمتضمن عدم موافقة بريطانيا حسب وعد ايدن 8 يناير 1942م إعادة برقة للإيطاليين.

(1) سامي حكيم، مصدر سابق، ص 38-40.

(2) المصدر نفسه، ص 35-38؛ أيضاً: عزام، مصدر سابق، ص 288-290.

(3) عزام، مصدر سابق، ص 290-291؛ أيضاً: شكري، ميلاد...، ص 62.

فقد عملت مصر وجامعة الدول العربية على إنشاء هيئة تحرير ليبيا مارس 1947م، برئاسة بشير السعداوي، وكانت الأهداف التي وضعتها الجامعة العربية من وراء تأليف هيئة تحرير ليبيا إزالة الخلاف بين الأحزاب السياسية الليبية، وحصر مطالبها في الوحدة والاستقلال أمام لجنة التحقيق الدولية عند زيارتها لليبيا⁽¹⁾.

ولتجد الهيئة دعماً من العرب أبلغ عزام مجلس الجامعة في اجتماعه مارس 1947م بأنه تلقى رسائل من شخصيات ليبية تطالب بدعم هيئة تحرير ليبيا والقضية الليبية بشكل عام، فأكدت الدول العربية على مقترحاتها السابقة بشأن ليبيا مؤكدة على ضرورة أن يكون للجامعة دور في تحديد مستقبل البلاد وفق رأي سكانها، ومتابعة لجنة التحقيق في عملها، واتخاذ ما يلزم وفق النتائج المترتبة عند استكمال التحقيق⁽²⁾.

كانت مصر سباقة لدعم هيئة تحرير ليبيا، كما أنها كانت حريصة على جعل الجبهة الوطنية في ليبيا متماسكة، وبناء على تقارير قنصلها ببنغازي نجحت في حمل هيئة تحرير ليبيا والهيئات السياسية بطرابلس على مبايعة الأمير إدريس السنوسي بالإمارة على كامل التراب الليبي⁽³⁾، وحال الإعلان الرسمي عن ذلك كلف محمود فهمي النقراشي رئيس الوزراء المصري الدكتور محمد فؤاد شكري بتاريخ 21 أغسطس 1948م بحمل خطاب التهئة للأمير وإعادة التأكيد المصري بدعم القضية الليبية⁽⁴⁾.

وفي دورة 15 أكتوبر 1947م ببيروت التأم مجلس الجامعة للنظر في آخر تطورات القضية الليبية، وخاصة بعدما عرف العرب بأن إيطاليا قد طالبت بضرورة إرجاع

(1) عزام، مصدر سابق، ص 301-303؛ أيضاً: شكري، ميلاد...، ص 63-64، 268-383؛ أيضاً: الشنيطي، مصدر سابق، ص 251، 271-273؛ أيضاً: حكيم، مصدر سابق، ص 49-64، 112.

(2) عزام، مصدر سابق، ص 292-293؛ أيضاً: سامي حكيم، مصدر سابق، ص 38-40.

(3) وثائق وزارة الخارجية الميكروفيلم رقم 29 أرشيف البلدان ليبيا، مذكرة القنصل المصري ببنغازي إلى وزارة الخارجية المصرية يونيو 1947م بشأن اقناع إدريس السنوسي بالتعاون مع الجبهة الوطنية.

(4) وثائق عابدين المحفظة رقم 124 ليبيا تقارير، الكود الأرشيفي: 002576-0069، نص مبايعة رؤساء الهيئات السياسية في طرابلس للأمير إدريس السنوسي بتاريخ 8 أغسطس 1948م؛ أيضاً: رسالة محمود فهمي النقراشي إلى الأمير إدريس السنوسي بتاريخ 21 أغسطس 1948.

المستعمرات السابقة إليها، لأنها الأقدر على حل مشاكلها بحكم الخبرة. وفي هذه الدورة أطلع عبد الرحمن عزام المجلس على فشله في إقناع أمريكا بإشراك العرب في لجنة التحقيق حال زيارته لها في شهر سبتمبر من العام ذاته⁽¹⁾. وأما الوفد المصري فقد عرض للجوء إلى الحل العسكري لحل القضية الليبية؛ لتحقيق الأمانى الليبية، وعندما رفض العراق والأردن عدل الاقتراح المصري لينص ضمناً على تشجيع أية مقاومة مسلحة في ليبيا، إذا تأخر حل القضية الليبية أو جاء الحل خلاف توقعات الليبيين⁽²⁾.

أما رئيس الوفد العراقي فأشار في كلمته أمام مجلس الجامعة إلى أن حكومة بلاده قدمت طلباً لبريطانيا يوجب أخذ وجهة النظر العراقية، والتي تنص على منح ليبيا الاستقلال الفوري، وفعلت الشيء ذاته مع سكرتارية المؤتمر العام للصلح⁽³⁾، وبسبب تمسك العراق باستقلال ليبيا اتفق الحاضرون في بيانهم الختامي على تأجيل مسألة الوصاية العربية إلى حين البث فيها أو طرحها على طاولة النقاش الدولي⁽⁴⁾.

وفي غضون ما كان يدور في الجامعة من تحركات ليكون للعرب دور في لجنة التحقيق أو مراقبة عملها فإن الدبلوماسية المصرية كانت في تحركات واتصالات سرية مع الدول الكبرى قبيل إرسال لجنة التحقيق، فالخارجية المصرية كلفت السفير المصري بلندن السيد عبد الفتاح عمرو أن يعد رفقة لجنة رفيدة المستوى بمبنى السفارة المصرية بلندن مذكرة لعرضها على مجلس خارجية الدول الكبرى يوم 21 نوفمبر 1947م، وقد تضمنت المذكرة شروحات وافية عن مطالب مصر الحدودية (واحات اركنو والعوينات ومعطن سارة والجغبوب والسلموم)، وموقفها إزاء المستعمرات الإيطالية وإزاء وحدة واستقلال ليبيا، وقد استرشدت المذكرة التي قدمها الوفد المصري وأعادت التذكير بما قدمه الجانب المصري من قبل للدول الكبرى أو ما ألقى من خطب وبيانات وتصريحات، وما تم إعداده من

(1) شكري، ميلاد...، ص 64-67؛ أيضاً: الشنيطي، مصدر سابق، ص 248-250.

(2) عزام، مصدر سابق، ص 293-294.

(3) وثائق الخارجية المصرية، اجتماعات الجامعة العربية...، مصدر سابق.

(4) شكري، ميلاد...، ص 65-66.

مذكرات من قبل الخارجية المصرية منذ أن وضعت الحرب العالمية أوزارها، وأُرفق بالمذكرة خريطة للتعديل الحدودي مع ليبيا الذي تطالب به مصر، واستعرضت مذكرة الوفد المصري التاريخ الليبي وعلاقة إيطاليا به وسياستها العقيمة السابقة في هذا البلد، ومساهمة الليبيين في المجهود الحربي للحلفاء، مما يوجب منح ليبيا الوحدة والاستقلال، بناء على رغبات الشعب الليبي والجامعة العربية، وما قدم من مذكرات بالخصوص في وقت سابق من قبل دول عربية ومن الليبيين إلى مجلس وزراء خارجية الدول الكبرى⁽¹⁾.

لم يوافق مجلس وزراء خارجية الدول الكبرى بلندن على إشراك أي دولة عربية أو الجامعة العربية في لجنة التحقيق، وعلى هذا الأساس أخذت مصر وجامعة الدول العربية في تهيئة وفد هيئة تحرير ليبيا؛ لاستقبال لجنة التحقيق الدولية حال زيارتها لليبيا، وقد انظم إليها المتحدث باسم الهيئة الدكتور محمد فؤاد شكري حال وصوله من لندن⁽²⁾.

ولما كانت لجنة التحقيق قد تقرر سفرها في مارس 1948م كما أسلفنا القول فإن الجامعة العربية عقدت اجتماعاً في 22 فبراير 1948م للتشاور فيما ينبغي عمله، وقد تقرر إرسال مذكرة إلى اللجنة الرباعية الخاصة بالتحقيق، هذه المذكرة تألفت من تسع نقاط استعرضت تاريخ ليبيا وكفاحها ضد الاستعمار وأحققتها في الاستقلال، وإبعاد شبح الوصاية الأجنبية عنها، مؤكدة على التضامن العربي مع الليبيين في هذا الظرف العصيب، وإحداث تجاوب دولي مع مضمونها طلبت الجامعة من الممثلين العرب إرسال نسخ من المذكرة إلى حكومات الدول ذات العضوية في لجنة التحقيق⁽³⁾.

لم يكن للموقف العربي أثر فعال يذكر على سير عمل لجنة التحقيق، ومن حسن الحظ أن التوصيات التي أقرتها اللجنة كانت محل خلاف بين الدول الكبرى، ولما كان الأمر على هذا المنوال فقد احتكم الكبار للحل الآخر، والمتضمن إحالة القضية للجمعية

(1) شكري، ميلاد...، ص 204-242.

(2) المصدر نفسه، ص 243.

(3) عزام، مصدر سابق، ص 293-298؛ أيضاً: سامي حكيم، مصدر سابق، ص 43-49.

العامّة للأمم المتحدّة؛ لذا قرر مجلس وزراء خارجيّة الدول الكبرى إحالة الموضوع إلى الجمعيّة العامّة للأمم المتحدّة بتاريخ 15 سبتمبر 1948⁽¹⁾.

ثالثاً: الدور العربي والقضية الليبية في أروقة الأمم المتحدّة :

دخلت القضية الليبية مرحلة جديدة بدخولها إلى ساحة النقاش في الجمعيّة العامّة للأمم المتحدّة، حيث ظهر التباين في المواقف واضحاً بين الدول الأعضاء، وكان مفرد الوصاية حاضرًا في رأي الكثير من ممثلي الدول الكبرى، وفي هذه الفترة جاھرت هذه بأطماعها في ليبيا وأهمية الأخيرة لاستراتيجياتها في منطقة البحر المتوسط. وعلى أية حال عرضت القضية الليبية لأول مرة في اجتماع الجمعيّة العامّة في الدورة الثالثة بباريس 21 سبتمبر 1948م، والتي استمرت حتى 11 ديسمبر من ذات العام، ولما لم تستكمل المناقشات فقد تقرر في اجتماعات الجمعيّة بليك ساكسيس بالولايات المتحدّة 5 أبريل - 18 مايو 1949م، إحالة المسألة إلى اللجنة السياسيّة والأمنيّة؛ ليتاح لكل الأعضاء مناقشتها، وتقرر تشكيل لجنة من إحدى عشرة دولة للنظر في الموضوع⁽²⁾.

فيما يخص الدور العربي إزاء مستجدات القضية الليبية فإن وزير خارجيّة مصر أحمد خشبة ورئيس وفدھا أكد في اجتماعات الجمعيّة بباريس دورة سبتمبر - ديسمبر 1948م أكد على أن مصر لا تريد لليبيا إلا الاستقلال والحرية⁽³⁾. وفي اجتماعات الجمعيّة أبريل - مايو 1949م أرسلت الجامعة العربيّة وفدًا من هيئة تحرير ليبيا لحضورها، حيث نقل الوفد رغبات الجامعة القاضيّة بأنه إذا استحال منح ليبيا حاليًا الاستقلال فإنھا توضع تحت وصاية الجامعة العربيّة أو أي دولة عربيّة حتى بلوغ ليبيا الاستقلال التام⁽⁴⁾. وفي هذه الدورة ألقى بتاريخ 19 أبريل 1949م أحمد خشبة وزير الخارجيّة المصري كلمة أوصى

(1) الأهرام 1948/12/7.

(2) سامي حكيم، مصدر سابق، ص 75-83؛ أيضًا: مفتاح السيد الشريف، مسيرة الحركة الوطنيّة الليبية الصراع من أجل الاستقلال، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، ط/1، 2011، ص 26.

(3) الأهرام 1948/12/12.

(4) الصيد، مصدر سابق، ص 75؛ أيضًا: السبكي، مرجع سابق، ص 39.

فيها بالمحافظة على وحدة أراضي ليبيا، ومنحها الاستقلال، وفي حالة تقرر وضع ليبيا تحت الوصاية فيجب أن تكون قصيرة زمنياً وأن يوكل لمصر ذلك، وأن الأخيرة لا مطامع لها في ليبيا سوى تعزيز الأمن وإرجاع واحة الجغبوب⁽¹⁾.

يلاحظ من خلال كلمة الوزير المصري الأخيرة تغير في المطالب المصرية، فأقليمياً اقتضت المطالب على الجغبوب، وسياسياً جعل الوصاية على ليبيا لمصر دون غيرها، وعلى هذا الأساس اتصل وزير الخارجية المصرية بمندوبي الدول الكبرى لإفهامهم بأن مصر شريك أساسي في حل القضية الليبية، وأنه في حالة فرض وصاية متعددة الأطراف على ليبيا فيجب أن تكون مصر من بينها⁽²⁾.

كان المسئولون في الحكومة المصرية يطلعون عن كتب على الجهود التي كان يبذلها وزير الخارجية أحمد خشبة في الأمم المتحدة؛ وعلى هذا الأساس استقبل القنصل المصري العام بينغازي أحمد بهجت الوفد الطرابلسي المؤلف من المفتي محمد أبو الأسعد العالم ومحمود المنتصر وعلي بن تامر والذي كان في مهمة عند الأمير إدريس السنوسي، ولمس منهم الرغبة في إصلاح ذات البين وتوطيد العلاقات مع إخوانهم في برقة، بل وموافقتهم على أن يكون الأمير إدريس أميراً على كامل البلاد الليبية⁽³⁾.

أما العراق فقد أيد بقوة في هيئة الأمم المتحدة استقلال ليبيا، ولمواجهة التحركات الإيطالية في الأمم المتحدة بوضع ليبيا تحت الوصاية الإيطالية هاجمت الحكومة العراقية تصريحات وزير الخارجية الإيطالي التي نشرت في بعض الصحف العربية حول موضوع الوصاية، وطلبت عبر الممثل العراقي من الجامعة العربية إبلاغ الدول العربية بوجوب مقاطعة إيطاليا دبلوماسياً، وعدم قبول فكرة الوصاية شكلاً ومضموناً، وإبلاغ سفراء الدول الكبرى في الأمم المتحدة وخاصة روسيا وبريطانيا بأن مصالحها في خطر حال اتخاذها

(1) حكيم، مصدر سابق، ص 83-86؛ أيضاً: الشنيطي، مصدر سابق، ص 217-218.

(2) سامي حكيم، مصدر سابق، ص 86-92.

(3) وثائق عابدين المحفوظة رقم 124 ليبيا تقارير، الكود الأشفي 002571-0069، تقرير القنصل

المصري العام أحمد بهجت في بنغازي لحكومته ديسمبر 1948م.

قرارات ضد المصلحة الليبية، وحث أولئك السفراء على ضرورة إشراك إحدى الدول العربية المستقلة في اللجنة الأممية المقترحة لإيجاد حل للمشكلة الليبية⁽¹⁾.

نظراً لتعدد مشاريع القرارات المقدمة لحل المشكلة شكّلت لجنة مكونة من خمسة عشرة دولة، وأوكل إلى هذه اللجنة مهمة إيجاد صيغة توافقية بين مشاريع القرارات المطروحة أمام اللجنة السياسية التابعة للأمم المتحدة⁽²⁾. وفي غضون ما كانت المناقشات جارية في أروقة الجمعية العامة، وكان العرب منشغلين بالقضية الليبية أعلنت بريطانيا وإيطاليا عن مشروع بيفن سفورزا لحل المشكل الليبي، والمشروع في شكله اتفاق إنجليزي إيطالي بتاريخ 8 مايو 1949م بلندن، وفي مضمونه تقسيم ليبيا إلى إدارات ثلاث، إدارة بريطانية في برقة، وأخرى إيطالية في طرابلس، وإدارة فرنسية في فزان، واقترح المشروع تشكيل مجلس وصاية يضم إلى جانب الدول الثلاث ممثلاً عن أمريكا ودولة عربية حتى تكون ليبيا جاهزة لمنحها الاستقلال في مدة لا تتجاوز نهاية سنة 1951م⁽³⁾.

في يوم 9 مايو 1949م واصلت اللجنة السياسية الأولى بالأمم المتحدة مناقشة القضية الليبية، واحتدم النقاش حول مشروع بيفن سفورزا؛ فهاجمته بعثة العراق التي اتهمت اللجنة المشكلة من الجمعية العامة بتجاهل كافة مشاريع القرارات الأخرى، وشدد السيد ممتاز مندوب العراق على حق ليبيا في الاستقلال ووحدة أراضيها، ومذكراً بمجهود الليبيين الحربي في نصرة الحلفاء على المحور خلال الحرب، وطالب بضرورة اتخاذ قرار بشأن ليبيا يضمن الاستقلال ولا يفقد الليبيين الثقة في الأمم المتحدة⁽⁴⁾.

وأمام إصرار مندوب العراق على موقفه تؤيده مصر وجامعة الدول العربية، وبسبب الاتصالات التي أجراها الأمين العام للجامعة عبد الرحمن عزام داخل أروقة الأمم المتحدة مع الكثير من أطراف القضية طالبت معظم الدول الأعضاء برفض المشروع ومنح ليبيا

(1) تقرير مفوضية العراق بالقاهرة 1949/5/3م نقلًا عن علي محمد، مرجع سابق، ص 217-219.

(2) إبراهيم صهد، نفس الرابط السابق.

(3) سامي حكيم، مصدر سابق، ص 92-97؛ أيضاً: السبكي، مرجع سابق، ص 44-45.

(4) الشريف، مسيرة الحركة الوطنية...، ص 83-84؛ أيضاً: إبراهيم صهد، نفس الرابط السابق.

الاستقلال، وعدم تمكين إيطاليا من العودة مجدداً، في حين بادر الوفد العراقي بتقديم مشروع قرار يقضي بمنح ليبيا استقلالها فوراً، لكنه رفض من قبل بقية الأعضاء في اللجنة المشكلة للنظر في القضية الليبية⁽¹⁾.

اضطرت الأمم المتحدة لعقد جلسة للتصويت على المشروع بتاريخ 17 مايو 1949م بسبب المطالب الإيطالية والإنجليزية، ولكنه لم يحز على الأصوات المطلوبة لإقراره فأصبح ملغياً⁽²⁾. وبالرغم من أن فشل مشروع بيفن سفورزا قد عد نجاحاً للدبلوماسية العربية في الأمم المتحدة إلا أن الإيطاليين والإنجليز لم يهدأ لهم بال حيال ذلك، فطلبت بريطانيا من الأمير إدريس السنوسي زيارة لندن للتشاور؛ لذا فقد شد الأمير إدريس الرحال إلى لندن، وفي لندن جرى الاتفاق على شكل الحكم والدستور الخاص ببرقة، وفي أثناء المباحثات أبلغته الحكومة الإنجليزية من جهتها بأن فكرة الوصاية أصبحت غير واردة، وأن بريطانيا ستعترف باستقلال إقليم برقة وبه أميراً عليها حال قيامه بالإعلان عن ذلك في بنغازي عاصمة الإقليم⁽³⁾. فأعلن الأمير إدريس في الأول من يونيو 1949م استقلال برقة، فاعترفت به بريطانيا على الفور؛ الأمر الذي شجع الأمير إدريس على مخاطبة حكومات الدول العربية والإسلامية يدعوهم إلى الاعتراف باستقلال برقة⁽⁴⁾.

تختلف المصار التي بين أيدينا في موقف مصر من إعلان استقلال برقة، فمنها من يذكر بأن مصر رفضت الموافقة على الإجراء البريطاني السالف الذكر، واتهمت بريطانيا بأنها لا تقدر إلا مصلحتها في البلاد الليبية⁽⁵⁾. ومن تلك المصادر من يذكر بأنه لم يصدر بيان رسمي من الحكومة المصرية على إعلان استقلال برقة، مكتفية بما أكده

(1) سامي حكيم، مصدر سابق، ص 92-97؛ أيضاً: الشنيطي، مصدر سابق، ص 226-227.

(2) سامي حكيم، مصدر سابق، ص 97.

(3) المصدر نفسه، ص 98-104؛ أيضاً: خدوري، مصدر سابق، ص 90-91.

(4) وثائق عابدين، المحفوظة رقم 124 ليبيا تقارير، الكود الأرشيفي 002571-0069، رسالة الأمير محمد إدريس السنوسي إلى الملك فاروق بتاريخ 5 يونيو 1949م يطلب الاعتراف باستقلال برقة.

(5) سامي حكيم، مصدر سابق، ص 104؛ أيضاً: الشنيطي، مصدر سابق، ص 285-286.

مندوبها في الأمم المتحدة في بداية يونيو 1949م على أن مصر تنظر إلى الحقائق وميثاق الأمم المتحدة عند معالجة القضية الليبية⁽¹⁾.

يفسر صمت الحكومة المصرية هذا لأنها كانت على علم مسبق بالاتفاق البريطاني السنوسي في لندن، وعلى هذا الأساس عقد اجتماع للحكومة المصرية مساء 31 مايو 1949م، أي ليلة الإعلان عن استقلال برقة، وكان من أبرز الحاضرين للاجتماع محمود فهمي النقراشي رئيس الوزراء ووزير الخارجية، وعبد الخالق حسونة وكيل وزارة الخارجية، وأحمد بك بهجت قنصل مصر ببينغازي⁽²⁾. وفيما يبدو أنهم قد أثروا عدم التعليق المبكر على الحدث، لكن هذا لا يعني أن ما أقدمت عليه بريطانيا قد قوبل بالصمت من الرأي العام المصري، فعلى إثر إذاعة الإعلان هاجمته الصحف المصرية، واعتبرته تنفيذاً لمشروع بيفن سفورزا، بل واتهمت الأمير إدريس بأنه تحول إلى دمية في أيدي الإنجليز يحركونها كيفما شاءوا، وهذا النقد وصل ذروته إلى الحد الذي قدمت بشأنه احتجاجات من حاشية الأمير إدريس إلى قنصل مصر ببينغازي، فما كان من الأخير إلا أن أبلغ وزارة الخارجية المصرية بذلك، التي أفادت بعدم قدرتها على اتخاذ أي إجراء رادع ضد الصحف انطلاقاً من حرية الصحافة في مصر⁽³⁾.

لم يدم الصمت المصري كثيراً فمستجدات الأمور قد فرضت علي مصر اتخاذ بعض الإجراءات الأخرى لتغيير سياستها تجاه القضية الليبية بما في ذلك توثيق العلاقات مع الأطراف الليبية الأكثر تقبلاً للتعاون مع الجانب المصري وجامعة الدول العربية؛ خاصة بعد تدهور العلاقات مع السنوسيين بعد اغتيال محمود فهمي النقراشي وفرار ثلاثة من الإخوان المسلمين كانوا متهمين بقتله إلى برقة، حيث وافق الأمير إدريس السنوسي على استضافتهم رغم مطالبة الحكومة المصرية بهم؛ لذا أوقفت مصر المساعدة المادية لهيئة

(1) الشنيطي، مصدر سابق، ص 286؛ أيضاً: الشريف، مسيرة الحركة الوطنية...، ص 107.

(2) الشريف، مسيرة الحركة الوطنية...، ص 110.

(3) المرجع نفسه، ص 107-108، 126.

تحرير ليبيا، وأدلى عزام بتصريحات صحفية تهجم فيها على الأمير إدريس السنوسي، وعلى ما أقدم عليه متهماً إياه بالعمالة لبريطانيا ومشاريعها في المنطقة⁽¹⁾.

كان عبد الرحمن عزام يراقب ما يدور في الأمم المتحدة وفي ذات الوقت كان على اتصال بالجانب الإيطالي الذي يمقته السنوسيون، كان عزام تؤيده في هذا شخصيات ليبية ذات علاقة مع الإيطاليين له اتصالات مباشرة مع إيطاليا والفاثيكان قبيل صدور مشروع بيفن سفورزا، لكن هذه الاتصالات جمدت بسبب ذلك المشروع، وعندما فشلت إيطاليا وبريطانيا في تمريره أعاد عزام الاتصالات بالجانب الإيطالي، واتخذت تلك الاتصالات طابع الجدية بعد إعلان الأمير محمد إدريس السنوسي استقلال برقة 1 يونيو 1949م، ففي العاشر من ذات شهر كشف عزام عن تجدد الاتصالات مع الجانب الإيطالي به على المستوى الشخصي وبصفته أميناً للجامعة العربية، وخلال هذه الفترة اتصل به رئيس تحرير جريدة التنبؤ (الزمان) الإيطالية، وأجرى معه حواراً مطولاً حول القضية الليبية، نشرته الجريدة في عددها الصادر بتاريخ 10 يونيو 1949م، وعليه لمس وزير الخارجية سفورزا رغبة عزام في حصول تعاون عربي إيطالي بخصوص ليبيا، فكلف السفير الإيطالي بالقاهرة بالاتصال بعزام للغاية ذاتها⁽²⁾.

اتهم عبد الرحمن عزام بأنه يريد إرجاع ليبيا تحت الحكم الإيطالي، لذا قدم عزام إلى مجلس الجامعة العربية مذكرة في 14 سبتمبر 1949م شرح فيها أن الاتصالات مع الجانب الإيطالي بدأت منذ سنتين مضت، مبرزاً رغبة إيطاليا في العمل مع حكومة طرابلسية تراعي مصالح إيطاليا في البلاد، وتقدم لها إيطاليا المساعدات الممكنة يتم هذا برعاية لجنة دولية تضم ممثلين من مصر وإيطاليا، وتجري انتخابات لإنشاء حكومة وطنية تبرم

⁽¹⁾ وثائق عابدين، المحفظة رقم 124 ليبيا تقارير، الكود الأرشيفي 002576-0069، تقرير عبد الرحمن عزام عن مسألة الإمارة السنوسية بركة القاهرة 25 أغسطس 1948؛ أيضاً: الكود الأرشيفي 002571-0069 رسالة احتجاج رابطة شباب برقة بينغازي بتاريخ 17 يونيو 1949م؛ أيضاً: الشريف، مسيرة الحركة الوطنية...، ص 108-122.

⁽²⁾ عزام، مصدر سابق، ص 304-313؛ أيضاً: الشريف، مسيرة الحركة الوطنية...، ص 182-189.

معاهدة مع إيطاليا لحل القضايا العالقة بين البلدين، فاتخذ مندوبو الدول العربية بالجامعة قراراً بتأييد هذه الخطوة والموافقة عليها⁽¹⁾.

استغل عبد الرحمن عزام دعوة الأمم المتحدة مصر لحضور جلسات الجمعية العامة للأمم المتحدة 30 سبتمبر 1949م للعمل على إيفاد وفد من ممثلي الشعب الليبي وهيئة تحرير ليبيا إلى الأمم المتحدة، فشرع في تهيئة الوفود الليبية لتقول كلمتها في الجمعية العامة، تم ذلك بالتنسيق مع وزارة الخارجية المصرية التي أشرفت على تأليف الوفد المشارك وقدمت له الدعم والمساعدة المالية والاستشارية اللازمة⁽²⁾.

وخلال اجتماعات الدورة الرابعة للجمعية العامة التي استمرت حتى نوفمبر 1949م دعت الدول الكبرى مجدداً لفرض الوصاية على ليبيا، فعارض ذلك مندوبا العراق ومصر وطالبا باسم الجامعة العربية بمنح البلاد الليبية الاستقلال⁽³⁾. وإذا كان الوفد المصري في هذه الدورة قد طالب بتعديل الحدود الغربية، بإرجاع هضبة السلوم وواحة الجغبوب واركنو والعيونات وآبار سامرة للدولة المصرية فإن مندوب العراق شدد على ضرورة دعوة ممثلي الشعب الليبي لحضور جلسات الجمعية العامة واستماع الأخيرة لوجهة نظره، وختم حديثه بمطالبة العراق بمنح ليبيا الاستقلال فوراً، وترك الحرية للشعب الليبي؛ لكي يقرر شكل النظام السياسي، وأن الفترة الانتقالية المقترحة بإشراف الأمم المتحدة على إتمام الانتقال

(1) سامي حكيم، مصدر سابق، ص 105-110؛ أيضاً: الشنيطي، مصدر سابق، ص 250-251.

(2) عزام، مصدر سابق، ص 305، 314؛ أيضاً: الشريف، مسيرة الحركة ...، ص 28-31، 108. يذكر أن وفد هيئة تحرير ليبيا عندما وصل إلى مقر انعقاد جلسات الأمم المتحدة بليك ساكيس وجد أن هناك وفدين ليبيين أحدهما من طرابلس والآخر من برقة قد سبقاه، مما استرعى تدخل محمد فاضل الجمالي مندوب العراق بالأمم المتحدة، الذي أقنع الوفود الثلاثة بتوقيع مذكرة واحدة باسم الوفد الليبي أنظر: تقرير مفوضية العراق بالقاهرة 1949/9/22م، نقلاً عن علي محمد، مرجع سابق، ص 217.

(3) حكيم، مصدر سابق، ص 110-118؛ أيضاً: الشنيطي، مصدر سابق، ص 242-246، 298-300؛ أيضاً: الصيد، مصدر سابق، ص 302-303؛ أيضاً: السبكي، مرجع سابق، ص 57-61.

السياسي يجب أن تكون قصيرة جداً، وأن تترك لليبيبا حرية إقامة العلاقات مع الدول الأخرى⁽¹⁾.

لقد تم التصويت مساء يوم 21 نوفمبر 1949م على القرار رقم 289 - 4، الذي منحت ليبيا بمقتضاه استقلالاً تحت إشراف الأمم المتحدة خلال فترة انتقالية، حدد لنهايتها الأول من يناير 1952م، وعلى إثر صدور القرار امتدحه مندوبا العراق ومصر، واعتبراه إنجازاً للأمم المتحدة مؤملين من المندوب الأممي في ليبيا أن يساعد شعب ليبيا على تحقيق الاستقلال والوحدة باستشارة المجلس المشكل وفق القرار⁽²⁾.

رغبت مصر في طي صفحة الماضي مع السنوسيين، وخاصة بعد أن رأت أن القرار الأممي ضمن إبعاد النفود البريطاني المباشر عن ليبيا، ونظراً لاحتجاج الوفد البرقاوي على أن يكون لمصر دور في مجلس الوصاية الأممي لليبيا فإن كامل عبد الرحيم السفير المصري في واشنطن التقى عمر فائق شنيب رئيس الوفد البرقاوي وأبلغه بعدم إثارة مصر مجدداً لقضية تعديل الحدود بعد صدور قرار استقلال ليبيا، وأن يترك لحكومة البلدين فرصة حل الإشكاليات بالخصوص⁽³⁾.

رابعاً: الدور العربي تجاه ليبيا في الفترة الانتقالية نوفمبر 1949 - يناير 1952م:

لقد نص القرار الأممي بشأن ليبيا 21 نوفمبر 1949م على تكوين مجلس استشاري من الأمم المتحدة، يتألف من عشرة أعضاء ستة منهم ممثلون لدول وهي مصر وباكستان وإيطاليا وفرنسا وبريطانيا وأمريكا والأربعة الباقون ممثلون للسكان المحليين والأقليات في ليبيا، وكان هدف المجلس الاستشاري مساعدة ليبيا حتى بلوغها مرحلة الاستقلال النهائي مثل: وضع الدستور واختيار شكل الحكم، وتوطيد أركان الدولة⁽⁴⁾. وقد رشح عن طريق

⁽¹⁾ الشريف، مسيرة الحركة...، ص 198-209. ويذكر الشنيطي في كتابه المشار إليه الصفحات 236-239 أن العراق تقدم بتاريخ 3 أكتوبر 1949 بمشروع يقضي بأن تعلن الأمم المتحدة تأليف حكومة ليبية موحدة ذات سيادة تنقل إليها بريطانيا السلطات في أقرب فرصة.

⁽²⁾ الأهرام 1949/11/23؛ انظر نص القرار عند الشريف، مسيرة الحركة...، ص 298-300.

⁽³⁾ الشريف، مسيرة الحركة الوطنية...، ص 302-305.

⁽⁴⁾ الأهرام 1948/11/29؛ أيضاً: سامي حكيم، استقلال ليبيا...، ص 110-118.

التصويت بالأمم المتحدة في 10 ديسمبر 1949م الهولندي المستر ادريان بلت لرئاسة المجلس، وبصفته مندوب الأمم المتحدة في ليبيا كان عليه تقديم تقارير سنوية عن الحالة في ليبيا للجمعية العامة للأمم المتحدة⁽¹⁾.

كانت مصر هي الدولة العربية الوحيدة التي اختير منها ممثلاً في مجلس الأمم المتحدة في ليبيا، ففي الحادي عشر من ديسمبر 1949م عين محمد كامل سليم ممثلاً لمصر في المجلس الأممي؛ فلقى هذا ترحيباً من المستر بلت الذي أثني على علمه وسعة ثقافته وخبرته الدبلوماسية والقانونية السابقة في وزارة الخارجية المصرية ومعرفته الجيدة باللغات الفرنسية والإنجليزية⁽²⁾.

عرفت الجامعة العربية أن الليبيين راضون عن القرار الأممي، خاصة وأن مصر والباكستان سيكونان عضوين في المجلس الاستشاري، لذا أصدر أمين الجامعة بياناً في 12 ديسمبر 1949م هنا فيه الليبيين بالنصر ودعاهم للبدء في بناء دولتهم الجديدة⁽³⁾.

وصل أدريان بلت طرابلس في 21 يناير 1950م، حيث التقى مع بعض أعضاء الهيئات والأحزاب السياسية في البلاد، ثم سافر إلى القاهرة، وهناك اجتمع مع بعض المسؤولين بالجامعة العربية والخارجية المصرية ولقيهم من زعماء المهاجرين الليبيين في مصر⁽⁴⁾. وقبل عودته إلى طرابلس زار في مارس 1950م مدينة بنغازي، وبعد أن عقد سلسلة اجتماعات مع كبار الشخصيات الليبية في المدينة، اجتمع بمقر القنصلية المصرية في المدينة بمصطفى بن عامر رئيس الجمعية الوطنية⁽⁵⁾.

(1) Present at the creation of modern Libya: The story of UN Commissioner Adrian Pelt <http://netherlandsmission.org>.

(2) Adrian Pelt, Op Cit, P205.

(3) عزام، مصدر سابق، ص 316-317؛ أيضاً: سامي حكيم، مصدر سابق، ص 118-121.

(4) الشنيطي، مصدر سابق، ص 300.

(5) الشريف، مسيرة الحركة الوطنية...، ص 388-389.

اتخذت البعثة الأممية برئاسة بلت في طرابلس من الفندق الكبير مقراً لها، وفي يوم 25 أبريل 1950م عقدت اجتماعها الأول، وتقرر فيه تشكيل خمس لجان فرعية للبحث في الجوانب الرئيسية للمسألة الليبية، وعلى ضوء ما تقرر في هذا الاجتماع قدم بلت في 4مايو 1950م برنامجاً للمجلس خلال الفترة الانتقالية⁽¹⁾.

جاءت أول ردود الفعل العربية على برنامج بلت من محمد كامل سليم ممثل مصر، فقد رحب بالبرنامج واعتبره مهماً، واقترح أن تتزامن الانتخابات في طرابلس وفزان مع برقة في وقت واحد، بخلاف الجامعة العربية ومصر اللتين رفضتا البرنامج جملة وتفصيلاً⁽²⁾.

وعلى هذا الأساس رفض محمد كامل سليم الممثل المصري بالمجلس فكرة الانتخاب التي كان من أبرز مؤيديها، وأصر على تعيين لجنة الواحد والعشرين، على اعتبار أن أقاليم ليبيا الثلاثة غير متساوية من حيث الكثافة السكانية، وفي 17 يونيو 1950م وجه الممثل المصري بمجلس الأمم المتحدة يؤيده ممثل باكستان برقية للأمير إدريس السنوسي يطلبان منه عدم إجراء انتخابات في طرابلس⁽³⁾.

نجح الممثل المصري في ذلك فقد تم تعيين أعضاء لجنة الواحد والعشرين ولم يتم انتخابهم، فاختر بلت ممثلي طرابلس واختار الأمير إدريس السنوسي ممثلي برقة، واختار أحمد سيف النصر رئيس إقليم فزان ممثلي الإقليم في اللجنة التي عقدت أول اجتماع لها برئاسة المفتي محمد أبو الأسعاد العالم في يوليو 1950م⁽⁴⁾.

ورغم النجاحات المبدئية للممثل المصري إلا أن الدول الكبرى لم تترك للمصريين فرصة الظفر بتوجيه السياسة في ليبيا خلال هذه الفترة، لذا أبدى الممثل المصري تخوفه بأن الدولتين القائمتين على الإدارة الفعلية في ليبيا بريطانيا فرنسا تسعيان لتجزئة البلاد

(1) Adrian Pelt, PP215-217.

(2) الشريف، مسيرة الحركة الوطنية...، ص 413-414، 506-507.

(3) Adrian Pelt, Op Cit, PP263-265.

انظر أيضاً: نص الرسالة ضمن تقرير مفصل عن جهود ومهمة وفد الهيئة التأسيسية الليبية لدى رؤساء وفود الدول العربية يناير - فبراير 1951م القاهرة، مطبعة التقدم القاهرة (د.ت).

(4) عبد الغني، مرجع سابق، ص 98.

إلى ثلاثة أقاليم، مشدداً على ضرورة استشارة أهالي البلاد فيما يخص قضية بلادهم، وقد أيدته الممثل الباكستاني في ذلك، بل واعتراضاً على عدم استشارة بلت لمجلس الأمم في كل ما يتعلق بالشئون الليبية، وفقاً لقرار الأمم المتحدة بالخصوص⁽¹⁾.

على صعيد آخر حاول الممثل المصري أن يستغل فرصة وجوده في ليبيا لخدمة مصالح بلاده، فطالب بتعديل الحدود، لكن الأمير إدريس السنوسي احتج لدى بلت على ما يطلبه الممثل المصري، متهماً إياه بتجاوز الصلاحيات الممنوحة له من قبل البعثة الأممية في ليبيا⁽²⁾. كانت الاحتجاجات السنوسية على تصريحات الممثل المصري في مجلس الوصاية الأممي قد تزامنت مع جهود إنجليزية أمريكية بذلت لاستبعاده من ليبيا للمرة، لذا حاولت الدولتان منعه من حضور جلسات الأمم المتحدة، فلم يتمكن من السفر إلى أمريكا إلا بعد أن ضمته مصر إلى وفدائها المشارك في أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة، بحيث تمكن من حضور الاجتماعات والمشاركة فيها⁽³⁾.

انتقدت مصر والجامعة العربية الموقف الغربي وبطء مجلس الأمم المتحدة في إيصال ليبيا إلى الاستقلال خلال اجتماع اللجنة السياسية التابعة للأمم المتحدة حول ليبيا 9 أكتوبر 1950م⁽⁴⁾. ومن جهة أخرى انتقد محمد كامل سليم الجمعية الوطنية الليبية، واعتبر أنها لا تمثل بدقة كل الشعب الليبي على أساس أن إقليم طرابلس الأكثر سكاناً من إقليمي فزان وبرقة، كما أنه شدد على أنه اتباعاً لمبادئ الديمقراطية فيجب أن تكون عضوية الجمعية بالانتخاب من قبل السكان مباشرة وليس بالاختيار والتعيين، وأن تراعى الكثافة السكانية في هذا الشأن⁽⁵⁾.

(1) سامي حكيم، مصدر سابق، ص 126-153.

(2) وثائق عابدين المحفظة رقم 124 ليبيا تقارير، الكود الأرشيفي 002571-0069، رسالة الأمير إدريس بتاريخ 3 سبتمبر 1950م إلى وزير الخارجية المصري محمد صلاح الدين يبلغه احتجاجه على الطلب الذي تقدمت به مصر في الأمم المتحدة بتعديل الحدود.

(3) عبد الغني، مرجع سابق، ص 100.

(4) سامي حكيم، مصدر سابق، ص 154-155.

(5) عبد الغني، مرجع سابق، ص 100-101.

لقد تمخضت المناقشات في الجمعية العامة على التصويت لصالح قرار جديد حول ليبيا بتاريخ 17 نوفمبر 1950م، شدد على انتهاء الفترة الانتقالية في يناير 1952م. وقد تعهد اديان بلت من جانبه بإنهاء المرحلة الانتقالية في الوقت المحدد لها، لكن بعض أعضاء الوفد المصري فسروا القرار بما يتماشى مع المصلحة المصرية، فأكدوا على أن القرار الأممي لا ينص صراحة على إقامة نظام فيدرالي وإنما الهدف الرئيسي له حصول ليبيا على استقلالها في الوقت المحدد⁽¹⁾.

اعتبر هذا التفسير دليلاً على تغيير في السياسة المصرية وتصديقاً في الجبهة التي كان يقودها عبد الرحمن عزام ضد الأمير إدريس السنوسي وأنصاره، فعبد الرحمن عزام غادر أمريكا في الأول من يناير 1951م غاضباً من مستجدات القضية الليبية، وحط الرحال في روما، ويعد أن أجرى عدة لقاءات مع المسؤولين في الخارجية الإيطالية أدلى بتصريح لجريدة التيمبو نشرته في عددها الصادر بتاريخ 5 يناير 1951م، حيث أبدى موقفاً معادياً للجمعية التأسيسية الليبية، وهدد أن الجامعة العربية لن تعترف بها كممثل للشعب الليبي، عارضاً على الإيطاليين فكرة التعاون البناء في ليبيا⁽²⁾.

بينت تحركات عزام في الأمم المتحدة والجامعة العربية وإيطاليا أن الجامعة العربية ومصر لن تعترف بالهيئة التأسيسية الليبية؛ مما اضطر الجمعية لإرسال وفد إلى القاهرة لإفهام الوفود العربية بالجامعة والمسؤولين المصريين ناهيك عن الصحف والرأي العام في مصر بشكل خاص والرأي العام العربي بشكل عام بحقيقة الجهود التي تبذلها الجمعية، وخلال الفترة 22 يناير - 12 فبراير 1951م التي مكثها الوفد شرح القضية الليبية بإسهاب وأقنع الكثير من الشخصيات المصرية والعربية والصحف بنوايا الجمعية وأهدافها⁽³⁾.

(1) الشريف، مسيرة الحركة الوطنية...، ص 510-521؛ أيضاً: عبد الغني، مرجع سابق، ص 102.

(2) الشريف، مسيرة الحركة الوطنية...، ص 563-565، ص 639-640.

(3) تقرير مفصل عن جهود ومهمة...، مصدر سابق؛ أيضاً: الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية، مجموعة

محاضر الجمعية لعامي 1950-1951م (د.ن) (د.ت) ص 33-35.

لم تؤت تحركات وفد الجمعية التأسيسية في القاهرة أكلها فبالرغم من اللقاءات التي أجريت في مصر فإنه فشل في إيقاف عبد الرحمن عزام أمين الجامعة عن مساعيه وإصراره على إشراك الإيطاليين في البرلمان الليبي⁽¹⁾، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فبالنظر إلى أن مصر هي الدولة العربية الوحيدة التي كان لها ممثل في المجلس الاستشاري فإن الجامعة العربية في الدورة الثالثة عشر أصدرت قراراً بالإجماع بتاريخ 2 فبراير 1951م أعطت بموجبه مصر تفويضاً للتحدث باسم الجامعة، ومناقشة الدول الكبرى فيما يخص القضية الليبية، على الرغم من أن وفد الجمعية التأسيسية كان موجوداً في القاهرة يجري مباحثاته مع ذوي الاختصاص⁽²⁾.

لقد أعطى هذا التفويض دافعاً لعبد الرحمن عزام ومصر في هذه المرحلة لإبداء معارضة أشد للجمعية التأسيسية الليبية وأنصارها، فعندما بايعت الجمعية التأسيسية الأمير محمد إدريس السنوسي ملكاً على ليبيا شن عبد الرحمن عزام عليها هجوماً في الصحف المصرية والصحف الأجنبية، واصفاً الجمعية بأنها لا تمثل كل الشعب الليبي، وأن الجامعة لن تعترف بدولة ليبيا على هذا النحو، وقد أبلغ بعض الحكومات الغربية بهذا القرار مما نتج عنه أن تبدلت مواقف بعض ممثلي الدول في المجلس الأممي في ليبيا لصالح وجهة النظر المصرية، بالإشارة إلى أن الجمعية كان من المفترض أن تقوم على الانتخاب وليس التكليف والاختيار⁽³⁾.

كان موقف عبد الرحمن عزام ومواقف بعض ممثلي المجلس مشجعاً للممثل المصري بمجلس الأمم المتحدة في ليبيا، فقد تهاجم في الجلسة التي عقدت أوائل مارس 1951م على الجمعية التأسيسية لمبايعتها الأمير إدريس السنوسي ملكاً على البلاد، ورضاها

(1) الشريف، مسيرة الحركة...، ص 573-579؛ أيضاً: أبو طالب، مرجع سابق، ص 223-229.

(2) تقرير مفصل عن جهود...، مصدر سابق؛ أيضاً: الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية، مصدر سابق، ص 34؛ أيضاً: عبد الغني، مرجع سابق، ص 102؛ أيضاً: السبكي، مرجع سابق، ص 173.

(3) الشريف، مسيرة الحركة الوطنية...، ص 450.

بالنظام الفيدرالي شكلاً للحكم⁽¹⁾. ولم يكتف الممثل المصري كامل سليم بهذا، ففي الوقت الذي أخذ فيه يحشد بعض الشخصيات الوطنية في شرق البلاد وغربها لإسقاط الجمعية والنظام الفيدرالي بدعم وتوجيه من قبل عزام نفسه فإنه كان من أشد المعارضين لإقامة حفل لتهنئة الجمعية التأسيسية في مجلس الأمم المتحدة بطرابلس، لأنها في نظره ليست منتخبة من الشعب، وأن الدستور مجرد مشروع دستور وليس نهائياً⁽²⁾.

لقد اعتبر أعضاء الجمعية أن تصريحات الممثل المصري وما مارسه من نشاطات تدخلت سافراً في الشأن الليبي وإهانة لهم وللمك إدريس السنوسي بشكل خاص والليبيين بشكل عام⁽³⁾؛ لذا احتج نواب برقة على الممثل المصري، وقد أيدهم في الظاهر القنصل المصري بينغازي الذي انتقد تصرفات الممثل المصري، ورأى أنها تضر بالسياسة المصرية أكثر من أن تنفعها، وأن الانتقاد يجب أن يصب على المبعوث الأممي وليس إلى شخص إدريس السنوسي أو المؤسسات الدستورية الليبية، لكن الحكومة المصرية أيدت ممثلها في المجلس الاستشاري، وعللت تصرفاته بأنها ما جاءت إلا من واقع غيرته على مصلحة ليبيا وليس العكس، الأمر الذي جعل القنصل المصري بينغازي يجتمع بالأمير إدريس السنوسي 17 مارس 1951م وينقل له تعليل الحكومة المصرية، ويعمل معه على وقف الحملة العدائية ضد مصر وعبد الرحمن عزام، الذي اتهم من قبل بعض رجال الإعلام بأنه يطمح في حكم ليبيا، وأن الحكومة المصرية قد اتفقت مع السعداوي لتأجيل إعلان الاستقلال عاماً آخر، وحاولت القنصلية المصرية أن تهدي الوضع وتكذب مثل هذه الشائعات حيال موقف مصر من القضية الليبية⁽⁴⁾.

(1) الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية، مصدر سابق، ص 49-50؛ أيضاً: الشريف، مسيرة الحركة الوطنية...، ص 586-587؛ أيضاً: عبد الغني، مرجع سابق، ص 102-106.

(2) الصيد، مصدر سابق، ص 67-69، 76.

(3) الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية، مصدر سابق، ص 50.

(4) بتوسع انظر: عبد الغني، مرجع سابق، ص 103-114.

استعان الأمير إدريس السنوسي بالقوى العظمى لتحديد موقف مصر بالمرّة وتحديد موقف عزام، فبادر الملك إدريس السنوسي بإدارة ظهره للمساعدة المصرية مستعيضاً عنها بالاستعانة بالمساعدة الغربية، ففي معرض رده على سؤال بإمكانية الاستفادة من الدعم المصري أو الاتحاد مع مصر شدد على أن برقة بحاجة إلى معاهدة مع دول كبرى تحميها لا مع دولة لا تملك وسائل الدفاع عن نفسها⁽¹⁾.

أثمرت التحركات الليبية المعادية لمصر ولشخص عزام فبفعل السياسة الغربية تأججت المنافسة العربية لمصر، فاحتج العراق احتجت على مصر وأمين عام الجامعة العربية في انتقادها للجمعية التأسيسية الليبية وجهودها في رسم صورة النظام السياسي الليبي أثناء وبعد الفترة الانتقالية؛ معللاً ذلك بالتأكيد بأن المشكلة الدستورية الليبية هي مسألة داخلية لا يحق لجامعة الدول العربية أن تتدخل فيها⁽²⁾. وعلى الصعيد نفسه فإن الأمير إدريس السنوسي بالاستعانة ببريطانيا نجح في إقناع الباكستان بإلزام ممثلها في المجلس الاستشاري بالبقاء على الحياد وعدم دعم الممثل المصري⁽³⁾.

لقد أعلن الملك إدريس السنوسي استقلال ليبيا في 24 ديسمبر عام 1951م وانتهاء المرحلة الانتقالية التي عاشتها البلاد الليبية تحت إشراف الأمم المتحدة⁽⁴⁾، فجاء الرد سريعاً من قبل الأمين العام للجامعة العربية، الذي كان وقتئذ في زيارة لباريس، فعقد جلسة مع السفراء العرب فيها آخر ديسمبر 1951م للتشاور حول ما يجب عمله إزاء إعلان استقلال ليبيا بوضعها السياسي وقتئذ، لكن الاجتماع لم يسفر عن ما كان يريه عبد الرحمن عزام فقد لمس من السفراء العرب رغبة بلدانهم في التوقف عن معادة الغرب وأمريكا ومشاريعها في ليبيا⁽⁵⁾.

(1) خدوري، مصدر سابق، ص 74.

(2) عزام، مصدر سابق، ص 319-337؛ أيضاً: إبراهيم صهد، نفس الرابط السابق.

(3) عبد الغني، مرجع سابق، ص 114-117.

(4) عن احتفالات الليبيين بالاستقلال انظر: الصيد، مصدر سابق، ص 78-79.

(5) سامي حكيم، استقلال ليبيا...، ص 245-259.

وختاماً نقول إن الدور العربي تجاه القضية الليبية كان مبنياً في معظمه على المصالح الخاصة ببعض الدول العربية، وحتى الجامعة العربية تحولت من مؤسسة كان من المفترض أن تكون سياستها داعمة لقضايا البلدان العربية لكنها غلبت عليها النزعات الشخصية؛ فانحازت إلى فريق دون آخر من الشخصيات الليبية الفاعلة. بل إنها بسبب علاقات ثنائية مصرية إيطالية أصبحت حريصة على صداقة إيطاليا الدولة الأوروبية المحتلة لليبيا في وقت سابق، بل وداعية إياها للعودة لاستعمار ليبيا بثوب جديد.

كان إصرار مصر على لعب دور خاص في ليبيا لتأمين الحدود الغربية المصرية وإبعاد الدول الاستعمارية بريطانية وفرنسية عن التفكير في احتلال مصر في أي وقت في حال السيطرة على ليبيا، وحاولت مصر الاستفادة من الظروف الدولية خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها للحصول على مكاسب اقليمية على حساب الأراضي الليبية بانتزاع واحات وأراض استراتيجية ليبية. من حسن الحظ أن المشكلة الليبية كانت دولية بامتياز، فحزمت مصر وغيرها من دول الجوار في تحقيق المآرب في الأراضي الليبية.

وإذا كانت في الكثير من الأحيان سياسات أمين الجامعة ومصر وجهين لعملة واحدة فإن بقية الأعضاء بالجامعة كانوا حريصين على معارضة مصر وتوجهاتها الإقليمية والأمنية بخصوص القضية الليبية، وحتى العراق كان يبني سياسته على العلاقات التي تجمعها ببريطانيا وروسيا، ولكن الدبلوماسية المصرية كانت الأكثر نجاحاً في أروقة الجامعة والأمم المتحدة من الدبلوماسية العراقية، وبالتالي اختيرت مصر ليكون لها ممثلين في المجلس الأممي في ليبيا، ولم تختار العراق. وإذا كان الأخير قد عارض بقوة عودة إيطاليا لليبيا فإن مصر والأمين العام للجامعة فضلاً عن إيطاليا على أي دولة أوروبية أخرى، نظرا للعلاقات الطيبة بين إيطاليا ومصر ليس خلال فترة الاحتلال الإيطالي لليبيا وإنما منذ قيام دولة مصر الحديثة على يد محمد علي الألباني بداية القرن التاسع عشر الميلادي.

لقد تبين عند استعراض الدور العربي تجاه القضية الليبية وجود أربعة أوجه لذلك الدور متداخلة مع بعضها البعض، الأول منها كان دور العراق والثاني دور مصر والثالث دور

الجامعة العربية والرابع دور عبد الرحمن عزام الأمين العام للجامعة الشخصي، الذي كان يحاول من خلاله خدمة مصالح بلاده مصر وسياساتها، وأن يجعل من الجامعة العربية أداة لتنفيذ السياسات المصرية بالدرجة الأولى، ومن ثم يلاحظ كل متمعن في هذه الدراسة أن دور مصر والدور الذي لعبه عبد الرحمن عزام كانا وجهين لعملة واحدة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق غير المنشورة: (دار الوثائق القومية القاهرة)

أ- وثائق وزارة الخارجية المصرية:

(المحفظة رقم 495، ورقم 1395، ميكروفيلم رقم 29 وميكروفيلم رقم 297).

ب- وثائق عابدين: (المحفظة رقم 124 لبيبا تقارير).

ثانياً: الوثائق المنشورة:

- تقرير مفصل عن جهود ومهمة وفد الهيئة التأسيسية الليبية لدى رؤساء وفود الدول العربية يناير- فبراير 1951م القاهرة، مطبعة التقدم القاهرة (د.ت).

- الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية، مجموعة محاضر الجمعية لعامي 1950-1951م، (دن، د.ت).

- تقارير المفوضية العراقية في القاهرة، منشورة عند: علي عظم محمد، العراق وقضية استقلال ليبيا (دراسة وثائقية أولية)، (2004) Vol 1, No 1 Journal of Kufa Studies Center .

ثالثاً: الجرائد: (الأهرام/1945م/1948م/1949م).

رابعاً: الكتب:

- جمعة، أحمد محمود، إنشاء جامعة الدول العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2006.

- حكيم، سامي، استقلال ليبيا، دار الكتاب الجديد، القاهرة، 1965.

- خدوري، مجيد، ليبيا الحديثة دراسة في تطورها السياسي، ترجمة: نقولا زيادة، مراجعة: ناصر الدين الأسد، دار الثقافة، بيروت، 1966.

- السبكي، آمال، استقلال ليبيا بين الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية 1943-1952، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991.

- الشريف، مفتاح السيد، ليبيا نشأة الأحزاب ونضالاتها، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، ط/1، 2010.

- الشريف، مفتاح السيد، مسيرة الحركة الوطنية الليبية الصراع من أجل الاستقلال، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، ط/1، 2011.

- شكري، محمد فؤاد، السنوسية دين ودولة، مراجعة: يوسف المجريسي، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، ط/1، 2005.

- شكري، محمد فؤاد، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، القاهرة، مطبعة الاعتماد، 1957.

- الشنيطي، محمود، قضية ليبيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951.
- الصيد، محمد عثمان، محطات من تاريخ ليبيا، نشر: طلحة جبريل، الرباط، ط/1، 1996.
- أبو طالب، عبد الرحيم عبد الهادي، الجامعة العربية وقضية استقلال ليبيا، دار نهضة الشرق، القاهرة، 1997.
- عزام، عبد الرحمن، صفحات من المذكرات السرية لأول أمين عام للجامعة العربية، جمع: جميل عارف، المكتب المصري الحديث، القاهرة. الإسكندرية، ج/1، 1977.

خامسا: الكتب الأجنبية والأترنت:

- Meriano Francesco, La Questione Di Giarabub, Nicola Zanichelli Editore, Bologna, 1925.
- Pelt Adrian, Libyan Independence and the United Nations, New Haven and London, Yale University Press, 1970.
- <http://www.libya-watanona.com>, Monday, 24 December, 2007.
- <http://archive.libya-al-mostakbal.org>.
- <http://netherlandsmission.org>.

منهج ابن الملا واختياراته النحوية في كتابه منتهى أمل الأريب

من حل شواهد مغني اللبيب

إعداد: د. إمام علي سليمان أبوسطاش

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد الصادق الأمين، المبعوث رحمة للناس كافة بشيراً ونذيراً، وهادياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

أما بعد، فهذه ورقة تلقي الضوء على أحد أعلام النحو، وهو أبو العباس أحمد شهاب الدين، المعروف بابن الملا (1003 هـ)، وتكشف اللثام عن منهجه واختياراته النحوية في كتابه الموسوم: منتهى أمل الأريب من حل شواهد مغني اللبيب.

مشكلة البحث: يحاول الباحث في هذه الورقة إجابة السؤالين الآتيين:

- ما منهجه العلمي الذي اتبعه في كتابه؟

- ما أهم اختياراته النحوية فيه؟

حدود البحث: اقتصرت هذه الورقة على الجوانب الآتية: الشواهد القرآنية، والأحاديث الشريفة، والأمثال، ولغات العرب وأقوالهم، والشواهد الشعرية.

أهداف البحث: تهدف هذه الورقة إلى ما يأتي:

- معرفة منهجه العلمي الذي اتبعه في كتابه.

- معرفة اختياراته النحوية فيه.

أهمية البحث: تهدف هذه الورقة إلى ما يأتي:

- كشف النقاب عن إبراز نتائج علم من أعلام النحو.

- بيان طريقته في شرح الشواهد.

المنهج المتبع: سيتبع الباحث المنهج الوصفي الاستقرائي لمعرفة منهج ابن الملا وطريقته في شرح الشواهد.

وتنقسم هذه الورقة على هذه المقدمة، ثم خاتمة تتضمن أهم النتائج، ومبحثين هما:

المبحث الأول: منهج ابن الملا الذي اتبعه في كتابه منتهى أمل الأريب من حل شواهد مغني اللبيب في الجوانب الآتية:

- الاستشهاد بالقرآن الكريم.
- الاستشهاد بالأحاديث الشريفة والآثار.
- الاستشهاد بالأمثال.
- الاستشهاد بلغات العرب وأقوالهم.
- الاستشهاد بالشواهد الشعرية.

المبحث الثاني: اختياراته النحوية.

الخاتمة، وثبت المصادر والمراجع.

المبحث الأول: منهج ابن الملا الذي اتبعه في كتابه منتهى أمل الأريب من حل شواهد مغني اللبيب.

1- الاستشهاد بالقرآن الكريم:

ما من شك في أن الاحتجاج بالقرآن الكريم هو المقدم لإثبات القواعد النحوية؛ لأنه وحي منزل من عند الله عز وجل، على أفصح من نطق بالضاد، محمد ﷺ محفوظ بحفظ الله له من التحريف أو التبديل، متعبد بتلاوته، بقراءته المتعددة، ولو كانت شاذة؛ إذ إن القراءة حجة على اللغة، وليست اللغة حجة على القراءة، فكل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها»⁽¹⁾.

وقد انعقد الإجماع على الاحتجاج به في اللغة والنحو، إذ هو حجة لا تضاهيها حجة، ولو كانت القراءة شاذة - كما مر - لأنها أقوى سنداً، وأصح رواية ونقلًا من كل ما عدها من نصوص احتج بها العلماء على مر العصور، «وقد أطبق الناس على الاحتجاج

(1) النشر في القراءات العشر 9/1.

بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياساً معلوماً، بل ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه»⁽¹⁾.

وعلى هذا جرى ابن الملا في شرحه، فقد بلغ عدد الآيات التي استشهد بها ما زاد عن مئتي آية بقليل، فلا يكاد تخلو مسألة لغوية أو نحوية إلا وتتلوها آية من كتاب الله أو قراءة لها.

ومن نماذج استشهاده بالقراءة الشاذة استشهاده على بقاء الاسم مجروراً بعد حذف عامله في قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾⁽²⁾ بجر لفظ "الآخرة" في قراءة سليمان بن جمار المدني (170هـ)، وذكر ذلك في معرض بيان محل الشاهد من قول الفرزدق⁽³⁾ (110هـ):

إِذَا قِيلَ أَيُّ النَّاسِ شَرُّ قَبِيلًا

أَشَارَتْ كُلَّيْبٍ بِبِئْسَ الْأَكْفُفِ الْأَصَابِعُ

قال: «الشاهد في قوله "كُلَيْبٍ" بالجرّ، إذ بقي بعد حذف عامله وهو "إلى" مجروراً، وهو شاذٌّ انقافاً، ومثله ما قرئ في الشواذ⁽⁴⁾: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾⁽⁵⁾ بالجرّ، أي: عرض الآخرة، على المشاكلة، أو ثواب الآخرة، إلا أنّ الجارّ ها هنا اسم»⁽⁶⁾.

(1) الاقتراح ص 68.

(2) الأنفال: 67.

(3) من الضرب الثاني من الطويل، في شرح ديوانه 73/2.

(4) وهي قراءة سليمان بن جمار المدني. انظر: المحتسب 281/1، والكشاف 237/2، وإعراب القراءات

الشواذ للعكبري 314/1، والبحر المحيط في التفسير 353/5.

(5) الأنفال: 67.

(6) حل شواهد مغني اللبيب ص 24.

ومن ذلك استشهاده على أن أصل الفعل "تَكُ" "تكون" اختص بحذف النون والواو، ولا يجوز هذا في نظائره، حيث قال: «وأصل تَكُ تكون، حذفت حركة التُّون للجازم، أعني حرف الشَّرط، ثمَّ الواو لالتقاء الساكنين، ثمَّ التُّون، جوازًا مطَّردًا، إلاَّ إذا وليها ساكن، قال تعالى: ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾⁽¹⁾، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽²⁾، وقال تعالى: ﴿لَوْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ الآية⁽³⁾، وذلك لكثرة الاستعمال، فمن ثمَّ لم يجز في نظائرها⁽⁴⁾.

ومنها استشهاده على حذف المنادى بقراءة الكسائي(189هـ) وأبي جعفر(130هـ) ورويس(238هـ) عن يعقوب(205هـ) بتخفيف "ألا" وبتشديدها عند باقي القراء من قوله تعالى ﴿أَلَا يَا سَاجِدُوا﴾⁽⁵⁾، ثم قال: «أي: ألا يا قوم اسجدوا»⁽⁶⁾.

ومنها استشهاده على أن لفظ الفداء أصله المد، وقصره للضرورة، بقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾⁽⁷⁾، واستشهاده بقوله تعالى ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ﴾⁽⁸⁾ بِنَصْبِ الْيَوْمِ فِي قِرَاءَةِ نَافِعٍ⁽⁹⁾(169هـ) على جواز إضافة الظرف إلى الجملة بعده، مع جواز أن يكون مبنياً⁽¹⁰⁾، مبنياً⁽¹⁰⁾، وكذلك استشهاده⁽¹⁾ بقوله تعالى ﴿وَمَا يُسْعِرُكُمْ﴾⁽²⁾ بتسكين الرَّاء في قراءة أبي عمرو⁽³⁾(154هـ) على أن السكون للتخفيف، وذلك في معرض الحديث عن الشاهد⁽⁴⁾:

(1) الأعراف: 2.

(2) النحل: 120.

(3) البينة: 1.

(4) حل شواهد مغني اللبيب ص 55.

(5) النمل: 25.

(6) حل شواهد مغني اللبيب ص 78.

(7) محمد: 4.

(8) المائدة: 119.

(9) انظر: كتاب السبعة في القراءات ص190، وإعراب القراءات السبع وعللها 150/1، والتيسير في

القراءات السبع ص48، والإقناع في القراءات السبع ص394، والنشر في القراءات العشر 256/2.

(10) حل شواهد مغني اللبيب ص 417.

فَأَنْتِ طَلَّاقٌ وَالطَّلَاقُ عَزِيمَةٌ

ثَلَاثٌ وَمَنْ يَخْرُقُ أَعْرَقُ وَأَظْلَمُ

وكذلك استشهاده⁽⁵⁾ بقوله تعالى ﴿إِيَّاكَ يُعَبِّدُ﴾⁽⁶⁾ بالبناء للمفعول، في قراءة الحسن (110هـ) وأبي مجلز (106هـ) وأبي المتوكل (108هـ)، عند الحديث عن بيت لبيد⁽⁷⁾ (41هـ):

وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا سَيَعْلَمُ سَعِيَهُ

إِذَا حُصِّبَتْ عَنْكَ دَ الْإِلَاحِ الْمَخَاصِرُ

ومنها استشهاده بقراءة عاصم⁽¹⁾ (127هـ) ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾⁽²⁾ بالنَّصْبِ، ومنها استشهاده⁽³⁾ بقراءة أبي عمرو⁽⁴⁾ (154هـ) لقوله تعالى ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾⁽⁵⁾، على أن السكون السكون للإدغام وليس للجازم، في قول الشاعر⁽⁶⁾:

(1) حل شواهد مغني اللبيب ص 433.

(2) الأنعام: 109.

(3) أو اختلاس حركتها، انظر قراءة أبي عمرو في: كتاب السبعة في القراءات ص 201، وغيث النفع في القراءات السبع 586/2، والنشر في القراءات العشر 213، 261/2.

(4) من الضرب الثاني من الطويل، وهو أحد ثلاثة أبيات تناقلها النحاة والفقهاء، ولم ينسبها أحد منهم لقاتل.

(5) حل شواهد مغني اللبيب ص 375.

(6) الفاتحة: 5.

(7) من الضرب الثاني من الطويل، في ديوانه ص 85.

أَحَاذِرُ أَنْ تَعْلَمَ بِهِمَا فَتَرُدَّهُمَا

فَتَتَرَكُهُمَا تَوَالِيًا كَمَا هِيَ

حيث قال: «الشاهد في قوله: أن تعلم بها، حيث وقع الجزم فيه بـ"أن" المفتوحة، وردَّ بأنَّه لا دليل في ذلك؛ لأنَّ عطف "فتردها" و "تتركها" على "تعلم" قاصر بأنَّ تسكينه للضرورة⁽⁷⁾، وخرجه بعضهم⁽⁸⁾ بأنَّ سكونه للإدغام، على حدِّ قراءة أبي عمرو: ﴿يَحْكُم بَيْنَهُمْ﴾⁽⁹⁾ (10).

(1) انظر هذه القراءة في: كتاب السبعة في القراءات ص481، وإعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص319-320، وإعراب القراءات السبع وعلها 542/2، والإقناع في القراءات السبع ص487، وغيث النفع في القراءات السبع 1351/3.

(2) المسد: 4.

(3) حل شواهد مغني اللبيب ص229.

(4) انظر قراءته في: رواية أبي عمرو لابن الأبرازي ص95، 149، 175، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص190.

(5) البقرة: 113، والحج: 56، والزمر: 3.

(6) من الضرب الثاني من الطويل، قيل: إنه لجميل بن معمر، المشهور بجميل بثينة، وليس في ديوانه.

(7) وهذا الرد لبدر الدين بن مالك، ذكره في شرح التسهيل 14/4، قال بعد أن أورد هذا البيت: «ولا حجة في ذلك؛ لجواز كونه سكون وقف للضرورة، لا سكون إعراب»، ونقل البغدادي في شرح أبيات مغني اللبيب 131/1 قول ابن الناظم، وعقب قائلاً: «وما ذكره من أنه لا حجة في الاستدلال بهذا البيت صحيح؛ للاحتمال الذي ذكره، لكنه يبعد أن يكون مستند الرؤاسي في ذلك هذا البيت، لأنه قال: ودونهم قوم يجزمون بها، فهذه حكاية لغة قوم، لا استنباط من بيت شعر».

(8) انظر هذا التخريج في: شرح شواهد المغني 98/1.

(9) البقرة: 113، والحج: 56، والزمر: 3.

(10) حل شواهد مغني اللبيب ص239.

ومنها استشهاده بالقراءة الشاذة «فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ»⁽¹⁾، عند شرحه لفظي السالف والسلف⁽²⁾، واستشهاده⁽³⁾ بالقراءة الشاذة الأخرى «مَثَلًا مَابَعُوضَةَ»⁽⁴⁾، برفع "بعوضة"، وهي قراءة الضحاك (105هـ)، وإبراهيم بن أبي عبلة (152هـ)، ورؤية بن العجاج (145هـ)، وقطرب⁽⁵⁾ (206هـ).

هذه بعض النماذج التي استشهد بها ابن الملا من القرآن الكريم، بقراءاته المتواترة والشاذة، أيد بها حججه، ولم ينتقد فيها القراء ولا القراءات على نحو ما وقع من بعضهم، فأولئك «توقف نفر منهم إزاء أحرف قليلة في القراءات، لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة، وجدوها لا تطرد مع قواعدهم، بينما تطرد معها قراءات أخرى آثروها، وتوسع في وصف ذلك بعض المعاصرين، فقالوا: إنهم كانوا يردون بعض القراءات ويضعفونها، كأن ذلك كان ظاهرة عامة عند نحاة البصرة مع أنه لا يوجد في كتاب سيبويه نصوص صريحة مختلفة تشهد لهذه التهمة الكبيرة، وسنرى الأخفش الأوسط يسبق الكوفيين المتأخرين إلى التمسك بشواذ القراءات والاستدلال عليها من كلام العرب وأشعارهم، وفي الحق، إن بصريي القرن الثالث هم الذين طعنوا في بعض القراءات، وهي أمثلة قليلة لا يصح أن تتخذ منها ظاهرة ... وقد كانوا يصفونها بالشذوذ ويؤولونها ما وجدوا إلى التأويل سييلا»⁽⁶⁾.

2- الاستشهاد بالأحاديث النبوية الشريفة والآثار:

الحديث النبوي مرادف للسنة التي هي «في اصطلاح المحدثين أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقاريراته، وصفاته الخلقية والخلقية، وزاد بعضهم: وأقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم... ويرى بعض العلماء أن الحديث خاص بقوله وفعله، والسنة تشمل الأقوال والأفعال

(1) الزخرف: 56.

(2) حل شواهد مغني اللبيب ص186.

(3) حل شواهد مغني اللبيب ص555.

(4) البقرة: 26.

(5) انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ص4، والمحتسب 64/1، والبحر المحيط 198/1.

(6) المدارس النحوية ص19.

والتقريرات، والصفات والسكنات والحركات في اليقظة والنمام والهيم، وعلى هذا فالسنة أعم من الحديث⁽¹⁾.

والمقصود المهم هنا قول النبي ﷺ إذ لا يعني النحاة في باب الاحتجاج غيره، والخلاف بينهم مشهور في قضية الاحتجاج به على قواعد اللغة والنحو، ومن الباحثين من أفرده بمؤلفات خاصة⁽²⁾.

والعلماء في هذه القضية على قسمين: مجيز، ومانع، وقسم آخر يجمع بينهما، فمن المجيزين ابن السكيت (ت244هـ) وابن الطراوة (ت528هـ) والسهيلي (ت541هـ) وابن خروف (ت609هـ) وابن مالك (ت672هـ) والرضي (ت586هـ) وابن هشام (ت761هـ) والدماميني (ت828هـ) والبغدادي (ت1093هـ)، ومن أشهر المعترضين أبو الحسن بن الضائع (ت680هـ) وأبو حيان الأندلسي (ت745هـ) وتابعهما السيوطي (ت911هـ)؛ وعلّة منعهم الاحتجاج بالحديث سيبان: الأول أن الرواة جوزوا النقل بالمعنى، والآخر: وقوع اللحن في كثير مما روي عن النبي ﷺ لأن كثيراً من الرواة كانوا غير عرب، قال السيوطي: «إن غالب الأحاديث مروى بالمعنى، وقد تداولتها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها، فرووها بما أدت إليه عبارتهم فزادوا ونقصوا، وقدموا وأخروا، وأبدلوا ألفاظاً بألفاظ، ولهذا ترى الحديث الواحد في القصة الواحدة مروياً على أوجه شتى بعبارات مختلفة، ومن ثم أنكر على ابن مالك إثباته القواعد النحوية بالألفاظ الواردة في الحديث⁽³⁾، ورد هذا الكلام بأن الأصل الرواية باللفظ، وعلى فرض وقوع رواية بعض الأحاديث بالمعنى

(1) الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، ص16.

(2) من هذه المؤلفات: الحديث النبوي في النحو العربي، د. محمود فجال، والسير الحثيث إلى الاستشهاد بالحديث، له أيضاً، والنحاة والحديث النبوي، د. حسن موسى الشاعر، وموقف النحاة من الاحتجاج بالحديث، د. خديجة الحديثي، والحديث النبوي وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، د. محمد ضاري حمادي، وعصور الاحتجاج في النحو العربي، د. محمد إبراهيم عبادة، والاستشهاد والاحتجاج باللغة، د. محمد عيد، وموقف النحاة من القراءات القرآنية، د. شعبان صلاح. انظر: الجهود النحوية لبدن الدين الزركشي، ص65.

(3) الاقتراح في أصول النحو ص43.

فالراوي عربي فصيح محتج بكلامه⁽¹⁾، وبأن المحدثين تشددوا في نقل حديث رسول الله ﷺ وشرطوا على الراوي ألا يحدث إلا على اللفظ الذي سمعه من غير تغيير⁽²⁾.

أما ابن الملا فقد استشهد بالحديث الشريف في شرحه في واحد وعشرين موضعاً، منها: استشهاده⁽³⁾ على أن القلب أخص من الفؤاد بحديث: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَرْقُ قُلُوبًا، وَاللَّيْنُ أَفْنَدَةٌ، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ»⁽⁴⁾.

ومنها استشهاده⁽⁵⁾ في شرح لفظ "الحمى" بحديث: «أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي الْأَرْضِ مَحَارِمُهُ»⁽⁶⁾، واستشهاده⁽⁷⁾ في شرح لفظ "شعث" بحديث «رُبَّ أَشْعَثَ أَعْبَرَ»⁽⁸⁾.

ومنها استشهاده⁽⁹⁾ على وقوع "أم" حرف تعريف في لغة طيء وحمير بحديث: «لَيْسَ مِنْ أَمِيرٍ أَمْصِيَامٍ فِي أَمْسَفِرٍ»⁽¹⁾، وكذلك استشهاده⁽²⁾ بحديث «هَلْ تَرَوَّجَتَ بِكْرًا أَمْ نَبِيًّا؟»⁽³⁾ على أن "هل" تقع موقع الهمزة فتستدعي المعادل.

(1) انظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب 14/1، وفي أصول النحو ص50-51.

(2) انظر: مقدمة ابن الصلاح ص322.

(3) حل شواهد مغني اللبيب ص69.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: قدوم الأشعريين وأهل اليمن، برقم 4388، ص790، ولفظه: «أتاكم أهل اليمن، هم أرق أفئدة، وألين قلوباً، الإيمان يمان، والحكمة يمانية...».

(5) حل شواهد مغني اللبيب ص751.

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، برقم 52، ص25-26، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، برقم 1599، ص620.

(7) حل شواهد مغني اللبيب ص325.

(8) أخرجه البزار في مسنده، برقم 6459، 97/13، والبيهقي في شعب الإيمان، برقم 10000، 89/13، والترمذي في سننه، باب مناقب البراء بن مالك ﷺ برقم 3854، ص2047، ولفظه: «كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَعْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ، مِنْهُمْ الْبِرَاءُ بِنُ مَالِكٍ» وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ».

(9) حل شواهد مغني اللبيب ص388-389.

هذا ويظهر استشهاد ابن الملا بالحديث الشريف في عدة قضايا، تتمثل في شرح بعض المفردات اللغوية، وبعض المسائل البيانية، وبعض المسائل النحوية، ويمكن حصرها مجتمعة على النحو الآتي:

- القلب أخص من الفؤاد.
- شرح لفظ الحمى.
- شرح لفظ أعجم.
- شرح لفظ الدهر.
- أفصح اللغات في إصبع.
- شرح لفظ الطيرة.
- شرح جملة حمي التنور.
- شرح لفظ الشكر.
- شرح لفظ الشعث.
- القلب خالص كل شيء.
- ترشيح المجاز، وهو ما قرن بما يلائم المعنى الحقيقي.
- حذف جواب "إن" الأولى وحذف "إن" الثانية وحذف الفاء من جوابها.
- هل نفي "لا عدوى" باق على عمومته؟
- وقوع "أم" حرف تعريف في لغة طيء وحمير.
- وقوع "هل" موقع الهمزة.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ لمن ظلال عليه واشتد الحر: «ليس من البر الصوم في السفر» برقم 1946، ص 352، ومصابيح الجامع 368/4.

(2) حل شواهد مغني اللبيب ص 81.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: استئذان الرجل الإمام، برقم 2967، ص 545.

3- الاستشهاد بالأمثال:

اتفق النحاة على الاستشهاد بالمنثور من كلام العرب، لا سيما الأمثال، ويشترطون في ذلك ثبوت فصاحة من يروى عنه، قال السيوطي (911هـ): «وأما كلام العرب فيحتج منه بما ثبت عن الفصحاء الموثوق بعربيتهم»⁽¹⁾.

وابن الملا لم يشذ عن هؤلاء وإن كان مقلداً في ذلك - فقد ورد استشهاده بالأمثال في كتابه هذا في ستة مواضع، منها: استشهاده⁽²⁾ بالمثل القائل: «الْيَوْمَ خَمْرٌ وَغَدًا أَمْرٌ»⁽³⁾، على أن اسم الزمان لا يقع خبراً عن اسم العين إلا في مواضع، منها هذا الموضع، وهو أن يعلم إضافة معنى إليه تقديرًا، أي: شرب خمر.

ومنها استشهاده⁽⁴⁾ على حذف جواب "لو" الامتناعية بالمثل القائل: «لَوْ دَأْتُ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي»⁽⁵⁾، قال: «و"لو" امتناعية، وجوابها محذوف، أي: لكان خيرًا»، واستشهد في موضع آخر⁽⁶⁾ على أن أدوات الشرط "إن" و"لو" و"إذا" لا تقتضي فعلاً مذكوراً بعدها بالفعل.

(1) الاقتراح في أصول النحو 90.

(2) حل شواهد مغني اللبيب ص728.

(3) هذا مثل، معناه: اليوم استرسال ولهو، وغداً الجد والتشمير، زعموا أن امرأ القيس لما بلغه أن بني أسد قتلوا حُجْرًا والده، وكان ذلك اليوم يشرب، قال: اليوم خمرٌ وغداً أمرٌ، فأرسلها مثلاً. انظر: أمثال العرب للزبيبي ص127، وجمهرة الأمثال 2/218، 334، 432، ومجمع الأمثال 2/417، 421.

(4) حل شواهد مغني اللبيب ص313.

(5) يضرب للكريم يظلمه نبيء فلا يقدر على احتمال ظلمه، وأصله أن امرأةً لطمت رجلاً فنظر إليها، فإذا هي رثة الهيئة عاطل، فقال: لَوْ دَأْتُ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي، أي: لو كانت ذات غنى وهياً لكانت بلبتي أخف. انظر: المستقصى 2/297، وجمهرة الأمثال 2/160، 193، ومجمع الأمثال 2/174، 202.

(6) حل شواهد مغني اللبيب ص477-478.

ومن ذلك استشهاده بالمثل القائل: «شَأَلْتُ نَعَامَتَهُمْ»⁽¹⁾ في تفسير لفظ "شالت" وأن ذلك كناية عن الموت.

4- الاستشهاد بلغات العرب وأقوالهم:

يعد استشهاد ابن الملا بلغات العرب وأقوالهم أكثر من استشهاده بأمثالهم، فقد وردت في كتابه هذا في ثمانية عشر موضعاً، منها ذكره لغة بني أسد في فتح الهمزة من إخال وأن لغة جميع العرب كسرهما⁽²⁾.

ومنها استشهاده⁽³⁾ على مخاطبة الواحد مخاطبة الاثنين، بقول امرئ القيس (80 ق هـ):⁽⁴⁾ «فَقَا نَبِّكَ...»، بقريئة قوله⁽⁵⁾: «أَصَاح تَرَى بَرْقًا...».

ومنها استشهاده ببيت عمر بن ربيعة المخزومي⁽⁶⁾ (93هـ):

إِذَا اسْوَدَّ جُنْحُ اللَّيْلِ قُلَّتْ
وَلَمَّا خَطَاكَ خِفَافًا إِنَّ حُرَّاسَنَا أَسَدًا
وَلَمَّا تَكُنْ

حيث أعرب "أسداً" على لغة من ينصب بـ"إنَّ" الجزأين، ثم قال: «وخرَّجه القوم على أنْ "أُسْدًا" نصب على الحاليَّة، وذو الحال وفعله مقدَّر، أي: تلقاهم أسداً»⁽¹⁾.

(1) والنعامه: جماعة القوم، وقولهم: شالت نعامتهم: تفرقت كلمتهم وذهب عزهم، وقيل: تحولوا عن دارهم بجلاء أو موت، واختار النعامه لأنها موصوفة بالخفة وسرعة الهرب. انظر: جمهرة الأمثال 319/1، والمستقصى في أمثال العرب 125/2.

(2) حل شواهد مغني اللبيب ص773.

(3) حل شواهد مغني اللبيب ص235.

(4) جزء بيت، من الضرب الثاني من الطويل، في ديوانه ص25، وهو مطلع معلقته المشهورة، وتاماه:

فَقَا نَبِّكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ
بِسَقَطِ اللَّوِيِّ بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْلٍ

(5) جزء بيت، من الضرب الثاني من الطويل، لامرئ القيس، في ديوانه ص51، وهو من المعلقته المشهورة التي مطلعها البيت السابق، وتاماه:

أَصَاح تَرَى بَرْقًا أَرِيكَ وَمِیْضَهُ
كَلَمْعِ الْيَدَيْنِ فِي حَيِّ مَكَلِّ

(6) من الضرب الأول من الطويل، وينسبه كثيرون له، ومنهم ابن الملا، وليس في ديوانه.

ومنها استشهاده بقول أبي النجم العجلي (2) (125هـ):

إِنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا

على لغة القصر، حيث قال: «وجملة "إِنَّ أَبَاهَا" استثنائية، و"أَبَا أَبَاهَا" عطف على اسم "إِنَّ"، و"أَبَاهَا" مضاف إليه، وهو شاهد لغة القصر، أي: قصر الأب على الألف في الأعراب الثلاثة» (3).

ومن اللغات التي ذكرها في كتابه هذا:

- إجراء المثني بالألف في الحالات الثلاث، وهي لغة بلحارث بن كعب، ونسب الكسائي (189هـ) هذه اللغة إلى بلحارث وزبيد وخنعم وهمدان، ونسبها أبو الخطاب (177هـ) إلى بلعنبر وبلجهم وبطون من ربيعة.
- ليلاه لغة في ليلة.
- "ذو" موصول بمعنى "الذي" وهو لغة طائية.
- وقوع "أم" حرف تعريف، وذاك منقول عن طيء وحمير.
- العمر، بفتح العين، لغة في العمر، بضمها.
- نأت الدار، وناءت لغة فيه.
- الملك لغة في الملك.
- يقلاه لغة طيء.
- "هويي" أصله "هويي" قلبت ألفه ياء وأدغمت، وهي لغة هذلية.

5- الاستشهاد بالشواهد الشعرية:

تأتي الشواهد الشعرية في المرتبة الثانية في الاحتجاج بها، بعد القرآن الكريم، وتأتي من حيث الكم في المرتبة الأولى عند ابن الملا في كتابه هذا؛ حيث بلغ عدد قوافي الأبيات عنده 516، من غير الأبيات الشواهد التي أوردها ابن هشام في مغني اللبيب البالغة

(1) حل شواهد مغني اللبيب ص302.

(2) من مجزوء الرجز، في ديوانه ص450.

(3) حل شواهد مغني اللبيب ص302.

124 بيتًا هنا من أصل 879، وهي المادة الرئيسية التي يقوم عليها هذا الشرح، وسبب كثرة هذه الأبيات أنه يورد البيت أو الأبيات السابقة للبيت الشاهد أو اللاحقة له.

وقد سار على منهج واحد في شرحه لشواهد المغني؛ إذ إنه يتناولها من ستة جوانب هي: العروض والقافية، والقائل، واللغة، والمعنى، والإعراب، ووجه الاستشهاد، والحديث هنا ليس عن هذه الجوانب جميعًا، بل إنه في جوانب اللغة والإعراب ووجه الاستشهاد قد يأتي بشواهد أخرى يستشهد بها على مسائل لغوية، أو نحوية، أو بلاغية، أو عروضية، تعرض له يدلل بها على اختلاف بحر بيت، أو نكتة، أو وجه إعراب، أو شرح لفظ، وبلغت في هذا الجانب 64 شاهدًا، واستقصاء هذه المسائل لا تفي به هذه العجالة، بل يحتاج إلى إفراده ببحث مستقل، وإنما يورد الباحث هنا بعضها على النحو الآتي:

- زيادة الباء في فاعل حب المفرد عن "ذا"، استشهد⁽¹⁾ على ذلك بقول الأخطل⁽²⁾ (90هـ):

فَقُلْتُ اقْتُلُوهُمَا عَنِّي كُمْ بِمِرَاجِهِمَا

وَحُوبٌ بِهِمَا مَقْتُولَةٌ حِينَ نُقَتُّ لُ

- استشهاده على قلب الألف نونًا لقطع الترتم، بقول جرير⁽³⁾ (110هـ):

وَقَوْلِي إِنَّ أَصَابْتُ لَقَدْ أَصَابِنُ

حيث قال: «فإن هذه النون المسماة بتتوين الترتم عوض عن ألف الإطلاق المنقلبة هي إليها»⁽⁴⁾.

(1) حل شواهد مغني اللبيب ص35.

(2) من الضرب الثاني من الطويل، في ديوانه ص155، برواية: «... فَأَطِيبُ بِهَا مَقْتُولَةً...».

(3) عجز بيت، من الضرب الأول من الوافر، في ديوانه ص813/3.

(4) حل شواهد مغني اللبيب ص57.

- استشهاده⁽¹⁾ على عيب التضمين الذي يعد من عيوب القافية بقول النابغة⁽²⁾ (18) ق هـ):

وَهُمْ وَرَدُوا الْحِفَارَ عَلَى تَمِيمٍ

وَهُمْ أَصْحَابُ يَوْمِ عَكَاظٍ إِنِّي

شَاهِدْتُ لَهُمْ مَوَاطِنَ صَادِقَاتٍ

شَاهِدْنَ لَهُمْ بِصِدْقِ الْوُدِّ مِئِي

- استشهاده⁽³⁾ على أن النسيم الريح تنتسم وتستشوق بقول امرئ القيس⁽⁴⁾ (80) ق هـ):

نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرِيَا الْقَرْفُلِ

- استشهاده⁽⁵⁾ على إبدال فعل من فعل بقول عبيد الله الجعفي⁽⁶⁾ (68هـ):

(1) حل شواهد مغني اللبيب ص73-74.

(2) من الضرب الأول من الوافر، في ديوانه ص199، ورواية البيت الثاني فيه: «... مَوَاطِنَ صَادِقَاتٍ أَتَيْتَهُمْ بِنُصْحِ الصَّدْرِ مِئِي».

(3) حل شواهد مغني اللبيب ص135.

(4) عجز بيت من الضرب الثاني من الطويل، في يوانه ص28، وصدرة: «إِذَا قَامَتَا تَصَوَّعَ الْمِسْكُ مِنْهُمَا».

(5) حل شواهد مغني اللبيب ص140.

(6) صدر بيت من الضرب الأول من الطويل، وعجزه:

تَجِدُ حَطْبًا جَزْلاً وَنَارًا تَأَجَّجَا

مَتَى تَأْتِيَا تُلْمَمُ بِنَا فِي دِيَارِنَا

وهذا رصد لبعض المسائل التي استشهد لها بشواهد شعرية:

- ارتفاع الفعل المضارع بعد حذف اللام.
- حذف اللام وهم يريدونها في قولهم: عَلَمَاءِ بنو فلان.
- وجوب التخفيف بحذف التتوين من "ابن" بشرطين إلا في ضرورة الشعر.
- لا تفيد الفاء الترتيب في البقاع ولا في الأقطار.
- الجزم بـ"أَنْ" المفتوحة.
- إهمال "أَنْ" حملاً على "ما".
- مخاطبة الاثنين بخطاب الواحد.
- مجيء "مِنْ" بدلية.
- مجيء "ذو" موصولاً بمعنى الذي على لغة طيء.
- المواعد جمع موعد بمعنى الوعد.
- العطف التفسيري.
- توهم كون الجملة الإنشائية صفة أو خبراً.
- الإخبار بالموصول عن الضمير وعود الضمير إليه على المعنى.
- "أمس" و"الأمس" ودالتهما الزمانية.
- مجيء اسم التفضيل بمعنى اسم الفاعل.
- مجيء "أضحى" تامة.
- مجيء خبر "كان" و"أضحى" ماضياً بلا "قد".
- مجيء ظرف الزمان خبراً عن اسم ذات.

والبيت في: الإنصاف 476/2، والكتاب 86/3، والمفصل ص336، والمقتضب 63/2، وسر صناعة الإعراب 678/2، وشرح أبيات سيبويه 77/2، وشرح الرضي على الكافية 120/4، وشرح المفصل لابن يعيش 282/4، 367/5.

- "أظفور" واحد لا جمع.
- استعمال فعل من "ويح".
- توحيد الضمير ومرجعه مثنى.
- مجيء خبر "أن" المخففة جملة.
- قلب الياء من "أبي" ألفاً في الإضافة.

هذا وإذا كان العلماء قد أجمعوا على أنه لا يحتج في اللغة بكلام المولدين والمحدثين، وأنهم جعلوا لذلك ضابطاً زمانياً ومكانياً، ونقل ثعلب عن الأصمعي قال: ختم الشعر بإبراهيم بن هرمة، وهو آخر الحجج⁽¹⁾ فإن ابن الملا انخرم عنده هذا الضابط في موضع واحد، وهو استشهاده على مجيء الحال من المبتدأ ببيت لابن الرومي (283هـ) وهو قوله⁽²⁾:

هَذَا أَبُو الصَّفْرِ فَرْدًا

أما في غير اللغة فقد استشهد ببيت للمتنبى (354هـ) وهو قوله⁽³⁾:

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّأَى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ

(1) الاقتراح في أصول النحو ص59.

(2) من الضرب الأول من البسيط، في ديوانه 354/3، وتمتمته:

هَذَا أَبُو الصَّفْرِ فَرْدٌ فِي كِتَابَتِهِ وَهُوَ ابْنُ شَيْبَانَ بَيْنَ الطَّلْحِ وَالسَّلْمِ

وأورد الشارح (فرداً) بالنصب على المدح أو الحال، والمعنى: هذا المشار إليه صاحب الاسم المشهور إذا ذكر رجلاً فرداً في محاسنه وفضائله، من نسل شيبان وأولاد هذه القبيلة المقيمين بالبادية، والإقامة بها ممّا تتمدح به العرب لأن فقد العز في الحضر. وانظر: مفتاح العلوم ص183، وديوان المعاني 42/1، وعروس الأفراح 174/1، والإيضاح في علوم البلاغة ص43، ومعاهد التنصيص 107/1.

(3) من الضرب الأول من البسيط، في شرح ديوانه 366/4.

تَجْرِي الرَّيَّاحُ بِمَا لَا تَشْتَأِي السُّفُنُ

وبيت لعبد الله الخوافي (480هـ)، وهو قوله⁽¹⁾:

فَأَمَّا وَالنَّوْزَى وَبَسَطْتُ عُذْرِي

وَأَمَّا وَالنُّزْرَى وَالْمَعَالِي

وبيت البوصيري (696هـ) في برده⁽²⁾:

وَالنَّفْسُ كَالطَّفْلِ إِنْ تُهْمِلُهُ شَبَّ عَلَى

حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَقْطُمُهُ يَنْفَطِمِ

المبحث الثاني: اختياراته النحوية.

من خلال ما سبق عرضه، وتتبع ما أورده ابن الملا في كتابه منتهى أمل الأريب من حل شواهد معني اللبيب، تلاحظ اختياراته وأراؤه، كغيره من العلماء، وهو في ذلك إما أن يكون موافقاً للبصريين، أو الكوفيين، أو المتأخرين، أو لعلم معين، فيرجح رأياً وي طرح آخر، وهذا إيجاز من اختياراته:

- اختار جزم الفعل المضارع في جواب الأمر.
- اختار مذهب سيبويه (180هـ) في قول الشاعر⁽¹⁾: إِنْ قَتَلْتَ لِمَسْلَمًا، فِي أَنْ اللَّامِ لَامِ الْإِبْتِدَاءِ أَفَادَتْ مَعَ إِفَادَتِهَا لِتَوْكِيدِ النِّسْبَةِ الْفَرْقَ بَيْنَ "إِنْ" الْمَخْفِةِ وَالْخَفِيفَةِ النَّافِيةِ.

(1) من الضرب الأول من الوافر، في دمية القصر وعصرة أهل العصر 1196/2.

(2) ص 5، 24، والبيت من الضرب الأول من البسيط.

- اختار رأي الكوفيين في أن "إِنْ" بمعنى "إِذْ".
- اختار رأي البصريين في إهمال "أَنَّ" حملاً على "ما" في قول الشاعر⁽²⁾: أن تقرأن.
- اختار رأي الكوفيين في أن "أما" المفتوحة شرطية كالمكسورة.
- اختار رأي البصريين في إعمال الثاني في باب التنازع.
- اختار رأي الكوفيين في دخول "أم" على الاستفهام.
- اختار رأي الكوفيين في مجيء "أو" للجمع المطلق كالواو.
- خالف الكوفيين في مجيء "أو" بمعنى الواو.
- اختار رأي الكوفيين في مجيء "أو" بمعنى "بل".
- اختار وقوع الظرف خبراً عن اسم المعنى مطلقاً.

الخاتمة: يخلص الباحث في هذه الورقة إلى النتائج والتوصيات الآتية:

أولاً- النتائج:

- لا ينتمي ابن الملا إلى مدرسة نحوية بعينها، وإنما يدور حيث يدور الدليل.
- يعد شرحه هذا من الشروح المطولة للشواهد، رغم اقتصاره على 124 شاهداً من أصل 869 أوردها ابن هشام في مغني اللبيب.

(1) من الضرب الأول، من الكامل، وتمامه:

شَـأَنْتَ يَمِينُكَ إِنْ قَاتَلْتُ لَمْسُ لِمَا

حَآءُ نَتَّ عَلَيَّ إِيكَ عَفْوَرُ شُهُ الْمُتَعَمِّ دِ

وقائلته: عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل (40هـ).

(2) من الضرب الأول من البسيط، مجهول القائل، وتمامه:

أَنْ تَقْرَأَنَّ عَلَيَّ أَسْمَاءَ وَيَحْكُمَا

مِنْ السَّيِّئِ لَمْ وَأَنْ لَا تُشْفَا عِزًّا أَحَدًا

- اعتمد ابن الملا على القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وأقوال العرب وأمثالها، ولغاتهم، وشعرهم.
- لم يغفل الأدلة العقلية في شرحه، إلا أن هذه الورقة لم تعن بها، كما نبه الباحث في المقدمة.
- بروز شخصية ابن الملا من خلال عرضه ومناقشته للآراء.
- سعة أفق ابن الملا الذي كان يجمع بين مختلف العلوم: اللغة، والأدب، والقراءات، والتفسير، والبلاغة، والعروض والقافية، والأنساب، والتاريخ، والفلك.
- يؤخذ على ابن الملا استشهاده في اللغة بشعر ابن الرومي، وهو خارج فترة الاحتجاج في اللغة التي اتفق عليها العلماء، وكان منه ذلك في موضع واحد.
- **ثانياً- التوصيات:** في نهاية هذه الورقة يوصي الباحث بما يأتي:
 - لفت اهتمام الجامعات والمراكز العلمية في بلادنا إلى نشر كتب التراث المحققة، ومنها هذا الكتاب، خدمة لتراثنا ولغتنا لغة القرآن الكريم.
 - دراسة المسائل النحوية في هذا الشرح دراسة تحليلية وأقية.
 - دراسة الأدلة العقلية التي اعتمد عليها ابن الملا في شرحه هذا.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم الكوفي.

- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي، شهاب الدين الشهير بالبناء، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 2006م.
- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ابن خالويه، دراسة وتحقيق: د. فتح الله أحمد سليمان، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2008.
- إعراب القراءات السبع وعللها، ابن خالويه، حققه وقدم له: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1992م.
- إعراب القراءات الشواذ، أبو البقاء العكبري، حققه وضبطه: د. عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، 2003م.
- الاقتراح في أصول النحو، جلال الدين السيوطي، قرأه وعلق عليه: محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006م.
- الإقناع في القراءات السبع، أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري، حققه وعلق عليه: الشيخ أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1999م.
- أمثال العرب، المفضل بن محمد الضبي، قدم له وعلق عليه: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، الطبعة، الثانية، 1983م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف، كمال الدين أبو البركات الأنباري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، 1961م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين الخطيب القزويني، اعتنى به وراجعته: عماد بسيوني زغلول، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، 1995م.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، طبعة جديدة بعناية: الشيخ عرفات العشا حسونة ومراجعة: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، إعادة طبع، 1992م.
- البردة المسماة الكواكب الدرية في شرح خير البرية ﷺ، الإمام البوصيري،

- ضبطها: أحمد علي حسن، وعلق بهامشها مختصر شرح شيخ الأزهر: الشيخ إبراهيم الباجوري، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2006م.
- التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، عني بتصحيحه: أوتو يرتزل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1996م.
 - جمهرة الأمثال، أبو هلال الحسن عبد الله العسكري، ضبطه وكتب هوامشه: د. أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1988م.
 - الجهود النحوية لبدر الدين الزركشي، د. عادل فتحي رياض، دار البصائر، القاهرة، 2006م.
 - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: د. محمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م.
 - ديوان الأخطل، شرح: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1994م.
 - ديوان ابن الرومي، شرح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1994م.
 - ديوان أبي النجم العجلي، جمعه وشرحه وحققه: د. محمد أديب عبد الواحد جبران، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 2006م.
 - ديوان المعاني، أبو هلال العسكري، حققه وعلق عليه: د. النبوي عبد الواحد شعلان، مؤسسة العلياء، القاهرة، الطبعة الأولى، 2008م.
 - ديوان النابغة الذبياني صنعة ابن السكيت، تحقيق: د. شكري فيصل، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1990م.
 - ديوان امرئ القيس، حققه وبوبه وشرحه: حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1989م.
 - ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.

- ديوان جميل بثينة، دار بيروت لطباعة والنشر، بيروت، 1982م.
- ديوان لبيد بن ربيعة، اعتنى به: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 2004م.
- رواية أبي عمرو، جمع ابن الأبازي، دراسة وتحقيق: د. سر الختم الحسن عمر، دار عمار، عمّان، الطبعة الأولى، 2001م.
- سر صناعة الإعراب، ابن جني، حققه وعلق عليه: أحمد فريح أحمد، المكتبة التوفيقية.
- سنن الترمذي، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة: صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن أبي داود، جامع الترمذي، سنن النسائي الصغرى، سنن ابن ماجه، إشراف ومراجعة: الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الرابعة، 2008م.
- شرح أبيات سيبويه، أبو محمد يوسف بن المرزبان السيرافي، تحقيق: د. محمد الريح هاشم، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1996م.
- شرح أبيات مغني اللبيب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق، مكتبة دار البيان، دمشق، الطبعة الأولى، 1973م.
- شرح التسهيل، ابن مالك، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد ود. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، المهندسين، الجيزة، الطبعة الأولى، 1990م.
- شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الثانية، 1996م.
- شرح المفصل، ابن يعيش، عالم الكتب، بيروت.
- شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، شرحه وقدم له: عبداً. علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1992م.
- شرح ديوان الفرزدق، ضبط معانيه وشروحه واكملها: إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، الطبعة الأولى، 1983م.
- شرح ديوان المتنبي، وضعه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت،

الطبعة الثانية، 1986م.

- شرح شواهد المغني، الإمام جلال الدين السيوطي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
- شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، 2003 م.
- صحيح البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ضبط النص: محمود محمد محمود حسن نصار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، الشيخ بهاء الدين السبكي، تحقيق: د. عبد الحميد هندواوي، المكتبة العصرية، صيدا، الطبعة الأولى، 2003م.
- غيث النفع في القراءات السبع، أبواب الحسن الصفاقسي، دراسة وتحقيق: سالم بن غرم الله الزهراني، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، 1426هـ.
- في أصول النحو، سعيد الأفغاني، مطبعة جامعة دمشق، الطبعة الثالثة، 1964م.
- كتاب السبعة في القراءات، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباسي بن مجاهد، تحقيق: الشيخ جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا، الطبعة الأولى، 2007م.
- الكتاب كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1988م.
- الكشاف، الزمخشري، رتبه وضبطه وصححه: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي.
- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، 1992م.
- المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1999م.

- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، ابن خالويه، عني بنشره: ج. براجشتراسر، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، طبعة جديدة، 2009م.
- المدارس النحوية، شوقي ضيف، دار المعارف.
- المستقصى، الزمخشري، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى، 1962م.
- مسند البزار، المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خالد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرين، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م).
- مصابيح الجامع وهو شرح الجامع الصحيح للإمام البخاري المشتمل على بيان تراجمه وأبوابه وغريبه وإعرابه، الإمام القاضي بدر الدين الدماميني، اعتنى به تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً: نور الدين الطالب بالتعاون مع لجنة مختصة من المحققين، دار النوادر، دمشق- بيروت، الطبعة الثانية، 2010م.
- معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص وبهامشه كتاب بدائع البدائه، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي.
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1987م.
- المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دراسة وتحقيق: د. فخر صالح قدارة، دار عمار، عمّان، الطبعة الأولى، 2004م.
- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد الميرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، 2010م.
- مقدمة ابن الصلاح = معرفة أنواع علوم الحديث، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح، تحقيق: عبد اللطيف الهميم وماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2002م.
- منتهى أمل الأريب من حل شواهد مغني اللبيب، أحمد بن محمد بن علي بن أحمد، الشهير بابن الملا، تحقيق وتعليق: د. محمد إمام أبو راس، و د. إمام

على أبوسطاش، تحت النشر.

- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، محمد بن احمد أبو شهبة، دار الفكر العربي.

نقد المتن عند السيدة عائشة رضي الله عنها

مرويات أبي هريرة أنموذجاً دراسة نظرية تطبيقية

إعداد: أ.وفاء محمد العاتي

الحمد لله الذي أنشأ وبرا، وخلق الماء والثرى، وأبدع كل شيء ذرا، لا يغيب عن بصره دبيب النمل في الليل إذا سرى، ولا يعزب عن علمه ما عنَّ وما طرا، اصطفى سيدنا محمداً ﷺ فاخصه بفضله على كل من سبق، وخصه بجوامع الكلم فكان رحمة لكل من لحق، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن نهجه سلك ما دار نجم في فلك.

أما بعد:

فما لاشك فيه أن السنة النبوية كانت محط اهتمام صحابة رسول الله ﷺ؛ لما تمتَّه من قيمة كبيرة في نفوسهم؛ ذلك أنها المصدر الثاني للتشريع، والمبينة والشارحة للمصدر الأول منه.

ولما كانت هذه هي مكانتها في نفوسهم، تجلّت للعيان وسائل عنايتهم بها، حفظا في الصدور والسطور، بل تجلّى حرصهم عليها بفحصهم لكل ما يُروى عن النبي ﷺ وفق معايير وضوابط عُرفوا بها، فلم يألوا جهدا في ذلك سواء أكان من خلال نقدهم الخارجي للرواية وهو ما يعرف بنقد السند أم بنقدهم الداخلي وهو المعروف بنقد المتن.

ولا يخفى على كل ذي لب ما تعرضت له السنة النبوية وتعرض له من طعون؛ بُغية إبعاد المسلمين عنها، بتشكيكهم في صحتها، بيد أن الله هياً لها ثلّة صادقة حفظوها من عبث العابثين، وردوا عنها افتراءات وشبهات المستشرقين وأذئابهم، والتي منها دعوى تقصير المحدثين في نقد المتن.

وفي هذا البحث المعنون بـ(نقد المتن عند السيدة عائشة مرويات أبي هريرة أنموذجاً) نسلط الضوء على نقدها لنماذج من مرويات أبي هريرة، وهو ما يدحض إدعاءاتهم لاسيما

عند النظر في نشأة هذا الفن، إذ رافق الرواية منذ البداية، ناهيك عن جهود العلماء قديماً وحديثاً في سبيل تطويره وتقنيته.

أسباب اختيار هذا الموضوع:

هناك جملة من الأسباب التي دعت لاختيار هذا البحث والتي منها:

- أهمية دراسة هذا النوع من الموضوعات؛ كونه يعد مجالاً خصباً للدراسة، لاختصاصه بالنقد الداخلي للرواية " نقد المتن".
- أهمية الوقوف على منهج السيدة عائشة في نقدها لمرويات أبي هريرة، ما يتيح الفرصة لاستنباط المعايير والضوابط التي استخدمتها.

أهداف البحث:

- إظهار جهود المسلمين في علم نقد المتن، والوقوف على أبرز مراحلها، والأسباب والدوافع لنشأته.
- المساهمة في دحض مزاعم وادعاءات المستشرقين ومن على شاكلتهم؛ بدراسة تطبيقية لنموذج يعدّ مبكراً، يُعنى بعلم نقد المتن.
- إبراز دور المرأة في المحافظة على السنة النبوية.
- الكشف عن منهج السيدة عائشة في نقدها للمتن، وبيان المعايير والضوابط التي سارت عليها.

المنهج والمنهجية:

اقتضت طبيعة هذا البحث اتباع المنهج التاريخي، والوصفي، والتحليلي، والاستنباطي وفق المنهجية الآتية:

- عزو الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأقوال إلى مصادرها الأصلية قدر الإمكان.
- عدم ترجمة الأعلام الواردين في البحث؛ لكنرتهم مما سيثقل الهامش بما لا يخدم البحث.

ضمن خطة اقتضت طبيعة البحث فيها أن تقسم بعد المقدمة إلى مبحثين وخاتمة

المبحث الأول: ماهية نقد المتن ونشأته

المطلب الأول: ماهية نقد المتن:

الفرع الأول: تعريف النقد لغة واصطلاحاً.

أولاً: تعريف النقد لغة:

هو تمييز جيد النقود من رديئها، وهو مصدر نقدته دراهمه، أي: أعطيته إياها، فانقدها أي: قبضها، ونقد الدراهم وانتقادها تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها، وناقده ناقشه في الأمر⁽¹⁾.

قال ابن فارس: "النون والقاف والداد أصلٌ صحيح يدلُّ على إبراز شيءٍ وبروزه، من ذلك: النَّقْدُ في الحافر، وهو تَفْشُرُهُ، والنَّقْدُ في الضَّرْسِ: تَكْسُرُهُ، وذلك يكون بتكشُّفِ لِبَطْنِهِ عنه، ونَقْدُ الدَّرْهِمِ، بأن يُكشَفَ عن حالِهِ في جَوْدَتِهِ أو غير ذلك"⁽²⁾.

¹ . ينظر أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي ت 370هـ، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م، ج9، ص50، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي ت 666هـ، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت، 1420هـ - 1999م، ج1، ص317، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي ت 711هـ، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ج3، ص425.

² - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت 395هـ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، د.ط، دار الفكر، 1399هـ، 1979م ج5، ص467.

كان أصل النقد لغة تمييزُ الجَيِّد من الرديء من الدراهم، ثم توسعوا في استعماله، فأصبح يعرف لغة بتمييز الجيد من الرديء من كل شيء.

ثانياً: تعريف النقد اصطلاحاً:

بما أن علم الحديث قائم على ركيزتين هما: دراسة **السند** و**المتن**، فإن تعريف النقد عند أهله يشمل **نقد السند**، وهو ما يعرف بالنقد الخارجي أو النقد الإسنادي، و**نقد المتن** وهو ما يعرف بالنقد الداخلي أو بالنقد المتني، ووفقاً لهذا التقسيم فإنه يُعرّف عندهم بعدة تعريفات منها:

- **نقد السند:** "النقد الخارجي" هو الحكم على الرواة تجريحا أو تعديلا وفق مقاييس دقيقة، بألفاظ مخصوصة ذات دلائل مخصوصة اصطلح عليها أهل الحديث⁽¹⁾، أي: هو إخضاع سلسلة السند إلى الفحص بإمرارها على جملة من الضوابط والمعايير الدقيقة؛ بُغية الحكم على رجالها بالجرح أو التعديل بألفاظ دقيقة تكشف عن درجات متفاوتة حسب حالة كل منهم.
 - **نقد المتن:** "النقد الداخلي" هو معرفة حقيقة الرواية، وتمييز الأحاديث الصحيحة من السقيمة، وذلك من خلال النظر في متونها التي صح سندها لتصحيحها أو تضعيفها، ولرفع الإشكال عما بدا مشكلا من صحيحها، ودفع ما بدا بينها من تعارض، وبيان عللها بألفاظ مخصوصة، ذات دلائل مخصوصة عند أهل الفن⁽²⁾.
- العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي:**

¹ . ينظر صلاح الدين بن أحمد الأدلبي، **منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي**، ط1، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1403هـ، 1983م ص31، إبراهيم بن محمد السعوي، **نقد المتن عند المحدثين دراسة نظرية تطبيقية**، إشراف بندر بن نافع العبدلي، ص6..

² . ينظر الأدلبي، **منهج النقد عند علماء الحديث**، ص 32، السعوي، **نقد المتن عند المحدثين** ص7.

الناظر في المعنى الاصطلاحي للنقد يجد أنه لا يخرج عن معناه اللغوي، بل يعدّ نوعاً منه؛ لأن المعنى اللغوي كما تبين لا يخرج في جميع استعمالاته عن كونه كشافاً عن الشيء وفحصه.

الفرع الثاني: تعريف المتن لغة واصطلاحاً:

أولاً: تعريف المتن لغة:

هو ما صلب ظهره وارتفع من الأرض أو من غيرها، يذكر ويؤنث، وجمعه متون، والمثنى والمثنته لغتان، والممتان: مكتفا الصلب من العصب واللحم، ومثنته مثنأً بالثاء لا بالياء مأخوذ من الشيء المتين، وهو القوي الشديد، والمماتنة في السير، ويقال: ماتت فلان فلانا إذا عارضه في جدل أو خصومة⁽¹⁾.

ثانياً: تعريف المتن اصطلاحاً:

قال ابن جماعة: هو ما ينتهي إليه غاية السند من الكلام⁽²⁾، وبه قال ابن حجر⁽³⁾. وقال الطيبي: وأما المتن فهو ألفاظ الحديث التي تنقوم بها المعاني⁽⁴⁾.

وقال السيوطي:

¹ . ينظر الأزهرى، تهذيب اللغة ج14، ص217، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ت 395هـ، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ، 1986م، ج1، ص822، لسان العرب ج13، ص398.

² . محمد بن إبراهيم بن جماعة، المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن، ط2، دار الفكر، دمشق، 1406، ج1، ص29 - 30.

³ . أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت852هـ، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ط1، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير بالرياض، 1422هـ، ج1، ص130.

⁴ . الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي ت743هـ، الخلاصة في معرفة الحديث، ط1، تحقيق: أبو عاصم الشوامي الأثري، المكتبة الإسلامية، 1430هـ، 2009م، ج1، ص27.

وَالْمَتْنُ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ السَّنَدُ * * * مِنَ الْكَلَامِ وَالْحَدِيثِ قَيَّدُوا⁽¹⁾

إذا فالمتن هو غاية ما ينتهي إليه الإسناد من الكلام الذي يراد به الإخبار عن الأقوال أو الأفعال أو الأوصاف أو غيرها، فهو الخبر الذي سبق السند من أجله.

العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي:

المتن كما سبق " مأخوذ إما من المماثلة وهي المباحدة في الغاية؛ لأن المتن غاية السند، أو من منتت الكبش إذا شققت جلدة بيضته واستخرجتها، وكأن المسند استخراج المتن بسنده، أو من المتن وهو ما صلب وارتفع من الأرض؛ لأن المسند يقويه بالسند ويرفعه إلى قائله، أو من تمتين القوس بالعصب وهو شدها به وإصلاحها"⁽²⁾.
وبهذا فإن المعنى الاصطلاحي يكاد لا يخرج عن عدد من المعاني اللغوية لكلمة المتن.

وبالمجمل فإن نقد الحديث عند المحدثين هو:

الحكم على الرواة بالجرح أو التعديل، وعلى الرواية بالقبول أو الرد، وفق ميزان دقيق تصاغ أحكامه بألفاظ دقيقة معلومة عندهم، وبعبارة أخرى هو دراسة الرواة والمرويات؛ لتمييز جيدها من رديئها.

أسباب ظهور علم نقد المتن(3):

سبق أن تبين أن هذا الفن نشأ وتدرج، وتطور وفقاً للحاجة الداعية إليه (الأسباب والدوافع) والتي منها:

¹ . عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ألفية السيوطي في علم الحديث، د.ط، د.ت، ص1.

² . ابن جماعة، المنهل الروي، ج1، ص29.

³ . ينظر السعودي، نقد المتن عند المحدثين، ص15 . 20.

❖ امتثالاً لأمر الله تعالى في التثبت وذلك في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ بُنْيَا فَنَبِّئُوا﴾ (1)

❖ استجابة لتحذير المصطفى ﷺ من الكذب عليه، وذلك بأخذهم لأعلى درجات الحيطة والحذر.

❖ خدمة السنة النبوية كونها المصدر الثاني للتشريع، وصونها عن كل تحريف.

❖ انتشار ظاهرة الوضع نتيجة لكثرة الفتن.

❖ انتشار ظاهرة الوهم.

المطلب الثاني: نشأته (2):

المنتبع لأثر هذا الفن (نقد المتن) يجد أنه مر بمرحلتين هما: مرحلة الظهور، ومرحلة التطور: والتي تنقسم بدورها إلى مرحلتين هما: مرحلة ما قبل التدوين، ومرحلة التدوين.

وقبل التوغل عبر مراحل الزمنية، تجدر الإشارة إلى أن كل مرحلة منها، كانت نتاجاً لضرورة فرضها الواقع حينها، وانتجت الحاجة الماسة، وهي ما تعرف بالأسباب والدوافع.

المرحلة الأولى: مرحلة الظهور:

بدأت هذه المرحلة زمن وجود الحبيب ﷺ بين ظهرائي المسلمين، حيث ظهرت خلالها بوادر هذا الفن، عبر تحذيره الشديد ﷺ من التجرؤ على الكذب عليه، بيد أنها لا تعدو أن تكون إشارات هنا وهناك، القصد منها تحذير الأجيال المتلاحقة، وردعهم بهذا الوعيد

¹ . الحجرات: 6

² . ينظر طاهر الجزائري الدمشقي، توجيه النظر إلى أصول الأثر، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط1، مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب، 1416هـ - 1995م، ج1، 57 . 77، السعوي، نقد المتن عند المحدثين، ص 9 . 15.

الشديد، والذي جاء بأشد العبارات وأقساها على النفس؛ لئلا ينزلقوا في متاهات الكذب قال ﷺ: (من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار)⁽¹⁾

ولما لم تكن الحاجة ملحة لأكثر من ذلك؛ لوجوده ﷺ بينهم من جهة؛ ولشدة تمسكهم بالسنة وحرصهم الصادق على الحفاظ عليها وتورعهم عن الخطأ من جهة أخرى، ناهيك عن الوقوع في الكذب حاشاهم، من أجل ذلك كله، بقيت هذه المرحلة على ما هي عليه، فيصدق عليها أن تسمى مرحلة زرع بذور التثبث والتحري من خلال تحذيره، إذ التحذير من الشيء مظنة وقوعه كما هو معلوم، وإن لم يكن في حينه، وقد وفق المصطفى ﷺ في ذلك إذ تولّد عن هذا التحذير حرص جيل من الصحابة الكرام ﷺ، على التثبث والحذر عند سماعهم أو إسماعهم لحديث رسول الله ﷺ مدفوعين بحبهم لسنته ﷺ، وحرصهم على المحافظة عليها، وعند هذا الأمر تنتهي هذه المرحلة.

المرحلة الثانية: مرحلة التطور، وتنقسم إلى قسمين:

• **القسم الأول: مرحلة ما قبل التدوين:**

تبدأ هذه المرحلة من وفاته ﷺ وتنتهي بمجرد البدء في التدوين، تعد هذه المرحلة نتاجاً للمرحلة السابقة، التزم الصحابة خلالها أعلى درجات الحيطة والحذر سواء أكان في نقلهم للحديث أم عند سماعهم له من غيرهم، نكتفي بذكر أربع صور هي:

** طلب الشاهد من الراوي كفعل أبي بكر ﷺ (ومسألة ميراث الجدة):

عن قَبِيصَةَ بن ذُوَيْبٍ أنه قال: جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها، فقال لها أبو بكر: ما لك في كتاب الله شيء وما علمت لك في سنة رسول الله ﷺ شيئاً فارجعي حتى أسأل الناس فسأل الناس فقال المغيرة بن شعبه: حضرت رسول الله ﷺ

¹ . أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ ج1، ص33، ق107 أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ.

أعطاهما السدس. فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقام محمد بن مسلمة فقال: مثل ما قال المغيرة فأنفذه لها أبو بكر الصديق⁽¹⁾

مما سبق يتضح المنهج الدقيق الذي التزمه وسار عليه أبو بكر الصديق ﷺ عند سماع الرواية وقبولها وهو طلب الشاهد من الرواي.

** طلب البينة، والنهي عن كثرة الرواية كفعل عمر ﷺ (مسألة الاستئذان):

سار عمر على منهج أبي بكر الصديق رضي الله عنهما في التثبت من الرواية؛ فكان يتوقف عند خبر الواحد إذا ارتاب، ويطلب منه البينة.

فعن بسر بن سعيد قال سمعت أبا سعيد الخدري يقول: كنت جالسا بالمدينة في مجلس الأنصار فأتانا أبو موسى فزعا أو مذعورا قلنا ما شأنك؟ قال: إن عمر أرسل إلي أن آتبه فأتيت بابه فسلمت ثلاثا فلم يرد علي فرجعت فقال: ما منعك أن تأتينا؟ فقلت: إني أتيت فسلمت على بابك ثلاثا فلم يردوا علي فرجعت، وقد قال رسول الله ﷺ: (إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع) فقال عمر: أقم عليه البينة وإلا أوجعتك⁽²⁾، بالإضافة إلى نهيه الشديد، بل منعه للصحابة الثقات المتقين من كثرة الرواية؛ لا تهمة في عدالتهم وإنما سدّ للطريق على من سيأتي بعدهم.

¹ . أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الفرائض، باب ميراث الجدة ج2، ص513، ق1076 مالك بن أنس الأصبحي، موطأ الإمام مالك، رواية يحيى الليثي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، دار إحياء التراث العربي، مصر، د.ت. وينحوه أخرجه الترمذي، كتاب أبواب الفرائض، باب ما جاء في ميراث الجدة ج4، ص420، ق2101. محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى ت279هـ، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي وغيره، ط2، مصطفى البابي الحلبي، مصر 1395هـ، 1975م.

² . أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الآداب، باب الاستئذان ج3، ص1694، ق2153. مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

** الاستحلاف كفعل علي ﷺ :

من الوسائل المتبعة في زمن الصحابة أيضاً (الاستحلاف)، وهو منهج علي ﷺ في التثبت من الروايات، فعن أسماء بن الحكم الفزاري، قال: سمعت علياً ﷺ يقول: كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعتني الله منه بما شاء أن ينفعتني، وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدقته⁽¹⁾

** التوقف عن التحديث خشية الوقوع في الخطأ:

وهو أيضاً من الوسائل المستخدمة عند صحابة رسول الله ﷺ؛ حرصاً منهم على السنة المطهرة، كما هو الحال مع الزبير فعن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: قلت: للزبير إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله ﷺ كما يحدث فلان وفلان قال: أما إني لم أفارقه، ولكن سمعته يقول: من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار⁽²⁾ ومن جهود الصحابة ومن جاء بعدهم في ذلك أيضاً:

* ما عرفت به السيدة عائشة رضي الله عنها من اهتمامها الكبير، وتميزها بالدقة والتثبت، فقد عرفت بكثرة استدراكاتها على كثير من الصحابة، والتي سيتم الحديث عنها في المبحث الثاني من خلال الدراسة التطبيقية لاستدراكاتها على عدد من مرويات أبي هريرة ﷺ. * أن الصحابة ومن جاء بعدهم لم يقفوا عند هذا الحد في التثبت من الرواية، وإنما برز حرصهم، وتنوعت وسائلهم ومناهجهم على حسب ما يفرضه الواقع، فها هو حالهم حينما وقعت الفتنة، إذ أصبحوا يتشددون في الإسناد، ولا يلتفتون لمن ليس له إسناد، بل يدققون

¹ . أخرجه أبو داود باب تفريع أبواب الوتر، باب في الاستغفار ج 2، ص 86، ق 1521. أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني ت 275هـ، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د. ط، المكتبة العصرية، بيروت، د. ت.

² . أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ ج 1، ص 33،

في الروايات ولا يقبلونها إلا بضوابط، قال ابن عباس رضي الله عنه: إنا كنا نحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن يكذب عليه فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه⁽¹⁾ * ومن الأقوال المؤكدة لاهتمامهم بنقد المتن قول الربيع بن خثيم: "إن من الحديث حديثاً له ضوء كضوء النهار نعرفه به، وإن من الحديث حديثاً له ظلمة كظلمة الليل نعرفه بها"⁽²⁾.

* ظهور العديد من العلماء المهتمين بنقد المتن أمثال: الزهري، والشعبي ومن جاء بعدهم كمالك، وسفيان بن عيينة، والثوري وغيرهم حيث قعدوا لنقد المتن قواعده، فساروا عليها هم ومن جاء بعدهم⁽³⁾.

• القسم الثاني: مرحلة التدوين:

ظل علم نقد المتن يتدرج في التطور منذ ظهوره مشافهة، حيث رافق الرواية منذ البداية، إلى أن تبلورت ملامحه فأصبح علماً مستقلاً ضمن مؤلفات خاصة به، وفي سبيل ذلك مر بثلاث مراحل هي:

المرحلة الأولى: مرحلة الظهور والنشأة:

ظهر خلالها هذا العلم في صورة استدراقات وتصويبات ميثوثة، كانت تُدون بهوامش المرويات، والتي كانت نواة للمسانيد المعللة فيما بعد، إلا أنها لم تتجاوز ذلك⁽⁴⁾.

المرحلة الثانية: مرحلة وجوده ضمن كتب نقد السند:

¹ . أخرج مسلم في مقدمة صحيحه باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها ج1، ص12، ق7.

² . أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث، تحقيق: السيد معظم حسين ط2، 1397هـ، 1977م، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص106.

³ . ينظر السعودي، نقد المتن عند المحدثين، ص14.13.

⁴ . السعودي، نقد المتن عند المحدثين، ص14 .

أبرز ما تميزت به هذه المرحلة هي التلازم في المؤلفات بين نقد الرجال والكلام ومن ذلك كتب اختلاف الحديث وعلله، كمؤلفات ابن معين، وأحمد، وابن المديني، والعقيلي وكتابه الضعفاء، وابن حبان البستي وكتابه المجروحين، وابن عدي وكتابه الكامل، والخطيب البغدادي وكتابه تاريخ بغداد وغيرهم، وقد شهدت هذه المرحلة في بعض الأحيان انفصال مادة العلل عن مادة نقد الرجال، كمؤلفات ابن أبي حاتم، غير أن الغالب عليها كان التلازم.

المرحلة الثالثة: استقلاله في مصنفات خاصة به:

في هذه المرحلة عمد النقاد إلى حذف الأسانيد والاكتفاء بالمادة النقدية ذاتها، كمؤلفات المزني والذهبي وابن حجر، إلا أنها سبقت بمؤلفات يصدق عليها العناية بالمتن ومن ذلك:

❖ مؤلفات جاءت تطبيقاً لنقد المتن وإن لم تسم بذلك:

كالكتب الستة حيث طبق فيها أصحابها معايير نقد المتن، وإن لم يسموها بذلك، فها هو البخاري ينتقي أحاديث صحيحه من بين الآلاف من المتون الأخرى، وكذا باقي أصحاب الكتب الستة وهم (مسلم، الترمذي، النسائي، أبو داود، ابن ماجه).

❖ مؤلفات عُنت بجانب من جوانب نقد المتن:

أمثال كتب مختلف الحديث والتي تُعنى بالمتون التي ظاهرها التعارض، ككتاب اختلاف الحديث للشافعي، وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، ومشكل الآثار للطحاوي وغيرها.

❖ مؤلفات في نقد المتون:

ككتاب التمييز للإمام مسلم، والذي يعد من أقدم المصنفات التي تعنى بنقد المتن، وكتب العلل التي تُعنى ببيان علل المتن مع صحة أسانيدها، وهو من أدق علوم الحديث.

❖ ومن ذلك أيضا الكتب التي تعنى بالأحاديث الموضوعية:

أمثال كتاب (الموضوعات) لابن الجوزي، (الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعية) للشوكاني، وكتابي (المنار المنيف في الصحيح والضعيف، فوائد حديثية)

لابن القيم، وكتاب (الإجابة فيما استدرسته عائشة على الصحابة) للزركشي.

❖ وقد حظي "نقد المتن الحديثي":

لاهتمام بالغ من العلماء في العصر الحديث؛ ولعل ذلك كان لكثرة الكلام حوله من قبل المستشرقين وغيرهم، مما أدى ببعض الباحثين أن يخصوه ببحوث مستقلة، ومن أولئك:

- المعلمي وكتابه " الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة " وله أيضاً: "الاستبصار في نقد الأخبار".
- عبد الله بن ضيف الله الرحيلي "حوار حول منهج المحدثين في نقد الروايات سندا ومنتنا"
- صلاح الدين بن أحمد الإدلبي كتابه: " منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي".
- محمد طاهر الجوابي كتابه: "جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف"، وغيرهم الكثير.

معاييره وضوابطه(1):

وقد انكشف عن هذه المراحل عدة معايير ومقاييس وضوابط تبلورت وتطورت عبر الزمن فكانت على النحو الآتي:

معايير ضابطة لمعانيه:

- ✓ مخالفة المتن لصريح القرآن الكريم.
 - ✓ مخالفته لصحيح السنة النبوية.
 - ✓ مخالفته للإجماع .
 - ✓ احتواء المتن على منكر أو مستحيل.
- معايير ضابطة لألفاظه:

¹. ينظر المصدر السابق، ص 42 . 49.

✓ ركافة ألفاظه.

✓ بعد هذه الألفاظ عن كلام الأنبياء.

✓ انفراد غير الثقة بروايته مع توفر الأسباب لعدم تفرده.

المبحث الثاني:

نقد السيدة عائشة لمرويات أبي هريرة رضي الله عنهما:

مما لا شك فيه أن الصحابة رضي الله عنهم، قد أولوا السنة النبوية حقها، ورفعوا مكانتها، فلم يدخروا جهداً في صونها وحمايتها، والذود عنها ورعايتها، ومن مظاهر اهتمامهم بها، حرصهم على التثبت والتحري سواء أكان ذلك في السند أم المتن، ومن أولئك السيدة عائشة رضي الله عنها الصديقة بنت الصديق، زوج رسول الله ﷺ، إذ تجسدت في شخصيتها كافة صفات الناقد المحترف الماهر، ذلك أنها حظيت بصحبته، وعاشت حياتها في كنفه، فتشربت روحها وجوارحها من عقبه، فكانت من أعلم الصحابة وأكثرهم رواية لحديثه ﷺ، وأشدهم حرصاً وتطبيقاً لهذا العلم (علم نقد المتن) وذلك باستخدامها لمقاييس ومعايير دقيقة ومتنوعة، استدركت من خلالها على كبار الصحابة، الكثير من الأحاديث، الأمر الذي أدى بالزركشي أن يفرد لها كتاباً أسماه (الإجابة لإيراد ما استدرسته عائشة على الصحابة).

تجدر الإشارة إلي:

* أن السيدة عائشة رضي الله عنها قد انتقدت بصورة عامة طريقة سرد أبي هريرة رضي الله عنه للحديث النبوي، حيث قالت: لعروة بن الزبير: «ألا يعجبك أبو فلان، جاء فجلس إلى جانب حجرتي، يحدث عن رسول الله ﷺ، يسمعي ذلك وكنت أسبح فقام قبل أن أقضي سبحتي، ولو أدركته لرددت عليه، إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسرديكم»⁽¹⁾، وقد عرف عن أبي هريرة أنه كان يذكر الأحاديث الكثيرة في المجلس الواحد.

¹ . أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب باب صفة النبي ﷺ ج4، ص190، ق3568.

* أن استدركااتها على مروياته تأتي أحيانا نتيجة لمخالفتها لمقياس واحد، وأحيانا تجتمع في الرواية الواحدة أكثر من مخالفة.

وفي هذا المبحث سنسلط الضوء على عدد من استدركااتها على مرويات أبي هريرة رضي الله عنه؛ لضيق المقام عن حصرها كلها، آخذين في الاعتبار المقاييس التي استخدمتها.

المطلب الأول: نقدها لرواياته المخالفة للقرآن الكريم:

من أهم المقاييس والضوابط التي استخدمتها السيدة عائشة رضي الله عنها في نقدها للمرويات، عرضها على مقياس القرآن الكريم والسنة النبوية، إذ لا يتصور بأي حال من الأحوال أن يتعارض نص شرعي ثابت، مع نص شرعي ثابت آخر من جميع الوجوه بحيث يتعذر الجمع بينهما؛ ولأن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت عالمة بذلك؛ لذا نجدها ترد أي رواية تتعارض مع ظاهر القرآن الكريم، أو السنة أو غير ذلك من الضوابط والمقاييس المعتمدة لديها والتي سنذكرها في هذا المبحث، ولم ينكر عليها أي من الصحابة ذلك، بل نجد أن راوي الحديث المنتقد يرجع إلى الحق متى ما تبين له ذلك دون تردد أو حرج؛ لأن هدفهم الأسمى هو سماع ما صح عنه ونقله وتطبيقه رضي الله عنه.

أولاً: (ذكر ما جاء عنه في شر الثلاثة، وعذاب الميت ببكاء الحي عليه)

○ نص رواية أبي هريرة رضي الله عنه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ولد الزنا شر الثلاثة» وقال: «لأن أمتع بسوط في سبيل الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي من أن أعتق ولد زنيّة»⁽¹⁾، « وإن الميت يعذب ببكاء الحي»⁽¹⁾.

¹ . أخرجه أبو داود في سننه كتاب العتق، باب في عتق ولد الزنا، ج4، ص29، ق3963 .

○ استندراكها:

عن عروة بن الزبير قال بلغ عائشة رضي الله عنها قول أبي هريرة ؓ فقالت: رحم الله أبا هريرة أساء سمعا فأساء إجابة، ثم شرعت في ذكر الصواب فقالت:

أما قوله: «لأن أمتع بسوط في سبيل الله، أحب إلي من أن أعتق ولد الزنا» أنها لما نزلت: ﴿فلا اقتحم العقبة، وما أدراك ما العقبة﴾ (البلد: 12) قيل: يا رسول الله، ما عندنا ما نعتق إلا أن أحدنا له جارية سوداء تخدمه، وتسعى عليه، فلو أمرناهن فزنين، فجنن بالأولاد فأعتقناهم، فقال رسول الله ﷺ: «لأن أمتع بسوط في سبيل الله أحب إلي من أن أمر بالزنا، ثم أعتق الولد».

وأما قوله: «ولد الزنا شر الثلاثة» فلم يكن الحديث على هذا، إنما كان رجل من المنافقين، يؤدي رسول الله ﷺ فقال: «من يعذرني من فلان؟» قيل: يا رسول الله، مع ما به ولد زنا، فقال رسول الله ﷺ: «هو شر الثلاثة» والله ﷻ يقول: ﴿ولا تهرموا زنا وهرم ولا تهرموا زنا وهرم﴾ (الأنعام: 164).

وأما قوله: «إن الميت ليعذب ببكاء الحي» ، فلم يكن الحديث على هذا، ولكن رسول الله ﷺ مر بدار رجل من اليهود قد مات، وأهله يبكون عليه، فقال: «إنهم يبكون عليه، وإنه ليعذب»، والله عز وجل يقول: ﴿لا يكف الله نفسا إلا وسعها﴾ (البقرة: 286) (2)

حينما نستعرض استندراك السيدة عائشة رضي الله عنها لهذه الرواية نلاحظ الآتي:

1 . أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب العتق، وأما حديث وائلة، ج2، ص234، ق2855 أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم النيسابوري المعروف ت 405هـ، المستدرک علی الصحیحین، تحقیق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ، 1990م. قال الحاكم «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، وقال الذهبي في التلخيص: سلمة لم يحتج به مسلم وقد وثق وضعفه ابن راهويه.

2 . المصدر والصفحة نفسها.

- عرضت الروايات على مقياس القرآن الكريم فوجدتها تتعارض، فبينت ذلك التعارض فقوله: (لأن أمتع بسوط في سبيل...)، يتعارض مع قول الله ﷻ: ﴿ ولا تهرموا نهره و نهر أخرى ﴾ وقوله: (إن الميت ليعذب ببكاء بياء الحي) يتعارض مع قوله تعالى: ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ وهذا ما لا يقبله العقل إذ كيف يصدر عنه ﷻ قول يتعارض مع القرآن الكريم؟
- ثم بينت الرواية الصحيحة وذكرت سبب ورودها.
- وأصدرت حكماً عليه وعلى الحديث.
- سبب مخالفته:

لم تكتف السيدة عائشة رضي الله عنها في كثير من الأحيان بعرض الرواية وتصويبها، وإنما كانت تحاول أن تشخص الحالة التي أدت به لهذا الخطأ بعبارات واضحة صريحة، كقولها هنا رحم الله أبا هريرة أساء سمعا فأساء إجابة، أي أنه لو سمع قول الرسول ﷺ كاملاً في الحالات الثلاث، لما وقع منه هذا الخطأ.

ثانياً: (ذكر ما جاء عنه في حديث الطيرة)

○ نص رواية أبي هريرة ﷺ:

عن قتادة عن أبي حسان قال دخل رجلان من بنى عامر على عائشة رضي الله عنها فأخبرها أن أبا هريرة ﷺ يحدث عن النبي ﷺ أنه قال: الطيرة من الدار والمرأة والفرس" (1)

○ استدراكها:

حينما أخبرت السيدة عائشة رضي الله عنها بهذا "غضبت فطارت شقة منها في السماء وشقة" (1) في الأرض وقالت: والذي أنزل الفرقان على محمد ما قالها رسول الله ﷺ قط إنما قال كان أهل الجاهلية يتطيرون من ذلك" (2).

1 . أخرجه أحمد في مسنده، باقي مسند الأنصار، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، ج6، ص240، ق26073. أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، د.ط، مؤسسة قرطبة، القاهرة، د.ت.

وقد جاء في المستدرک⁽³⁾ عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول: " كان أهل الجاهلية يقولون إنما الطيرة في المرأة والدابة والدار ثم قرأت: ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ﴾ (الحديد: 22)

وفي رواية أخرى قبلَ لها: إن أبا هريرة ؓ، يقول: قال رسول الله ﷺ: الشؤم في ثلاثة: في الدار والمرأة والفرس، فقالت عائشة رضي الله عنها: لم يحفظ أبو هريرة؛ لأنه دخل ورسول الله ﷺ، يقول: قاتل الله اليهود، يقولون إن الشؤم في ثلاثة: في الدار والمرأة والفرس، فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله⁽⁴⁾.

- هنا استخدمت أيضاً الاستدلال بالقرآن الكريم في رد هذه الرواية، حيث استدلت على عدم صحتها بقوله تعالى: ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ﴾.
- وقد غضبت غضباً شديداً، جراء هذا القول، وأقسمت بالله على أن النبي ﷺ لم يقل ذلك قط.

¹ - هو مبالغة في الغضب والغيط، يقال فلان انشق من الغضب والغيط، كأنه امتلاً باطنه منه حتى انشق، أي: كأنها تفرقت وتقطعت إلى قطع من شدة الغضب. مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير ت 606هـ، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، د.ط، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ - 1979م، ج 2 ص 491.

² . المصدر والصفحة نفسها.

³ . أخرجه الحاكم كتاب التفسير، تفسير سورة الحديد ج2، ص521، ق3788، قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص صحيح.

⁴ . أخرجه الطيالسي في مسنده مسند عائشة، الأفراد عن عائشة ج3، ص124، ق1641. أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري ت 204هـ، مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر، مصر، 1419هـ، 1999م.

■ ثم بينت الصواب في ذلك، وذكرت أن النبي ﷺ كان في معرض الإخبار عن أهل الجاهلية، أو عن اليهود كما في الرواية الأخرى، مبينا ما كانوا عليه من التشاؤم بهذه الثلاثة، ولم يكن ألبته مقراً لهم.

■ حكمت عليه في هذه الرواية بعدم الحفظ فقالت: لم يحفظ أبو هريرة.
○ سبب مخالفته:

علت السيدة عائشة رضي الله عنها سبب مخالفته بأنه دخل والرسول ﷺ يحدث فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله، فوقع منه هذا الخطأ.

المطلب الثاني: نقدها لرواياته لمخالفتها السنة النبوية والعقل :

الفرع الأول: مخالفة مروياته للسنة النبوية

من الضوابط التي استخدمتها السيدة عائشة رضي الله عنها في نقد المتن، عرضه على صحيح السنة المطهرة، قولاً كان أو فعلاً، أو تقريراً.

أولاً: مخالفته لقول النبي ﷺ (ذكر ما جاء عنه فيمن ترك الوتر)

○ نص رواية أبي هريرة ﷺ:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من لم يوتر فليس منا⁽¹⁾
○ استدرأها:

بلغ ذلك السيدة عائشة رضي الله عنها ، فقالت: من سمع هذا من أبي القاسم ﷺ والله ما بعد العهد، وما نسيت، إنما قال أبو القاسم ﷺ: «من جاء بصلوات الخمس يوم القيامة، قد حافظ على وضوئها، ومواقيتها وركوعها، وسجودها، لم ينقص منها شيئاً، جاء وله عند

¹ . أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة ج2، ص443، ق9715 .

الله عهد أن لا يعذبه، ومن جاء وقد انتقص منهن شيئاً، فليس له عند الله عهد، إن شاء رحمه وإن شاء عذبه»⁽¹⁾.

- هنا استخدمت مقياساً آخر حيث قابلت رواية أبي هريرة بقول للنبي ﷺ لا بآية قرآنية.
- أنكرت قوله وتعجبت منه فقالت: من سمع هذا من أبي القاسم؟ ثم أقسمت بالله فقالت: والله ما بعد العهد وما نسيت، إذ لو قالها لما تأتي لها نسيانها لعظم شأنها، فليس بهيّن قوله (من لم يوتر فليس منا) حتى تغفل عنه.
- سبب مخالفته:

لم يرد عنها ذكر لسبب مخالفته في هذه الرواية، ولعله روى الحديث بالمعنى فوق في الوهم على حسب قول بعض نقاد المتون⁽²⁾ ثانياً: مخالفته لفعل النبي ﷺ (ذكر ما جاء عنه بمن تقطع الصلاة)

ولأنها رضي الله عنها كانت شاهدة على الكثير من أفعاله ﷺ؛ لوجودها معه، استخدمت مقياساً آخر في نقدها وهو عرض الرواية على (فعله ﷺ).

- نص رواية أبي هريرة ﷺ:
- عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: « يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب، ويبقي ذلك مثل مؤخرة الرجل»⁽³⁾

○ استدراكها:

جاء عن عروة بن الزبير قال: قالت عائشة: ما يقطع الصلاة؟ قال فقلنا المرأة والحمار فقالت:

¹ . أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط باب العين، من اسمه علي ج4، ص215 . سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني ت360هـ، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله، عبد المحسن الحسيني، د.ط، دار الحرمين، القاهرة، د.ت.

² . ينظر الأدلبي، منهج نقد المتن عند علماء الحديث، ص117

³ . أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة، باب قدر ما يستر المصلي ج1، ص365، ق511.

إن المرأة لدابة سوء لقد رأيتني بين يدي رسول الله ﷺ معترضة كاعتراض الجنابة وهو يصلي (1)

وعن الأسود عنها أيضاً قالت: عدلتمونا بالكلاب والحرمر لقد رأيتني مضطجة على السرير فيجيء رسول الله ﷺ فيتوسط السرير فيصلني فأكره أن أسنحه فأنسل من قبل رجلي السرير حتى أنسل من لحافي (2)، وفي رواية أخرى قالت: قد شبهتمونا بالحمير والكلاب.

■ أنكرت عليه هذه الرواية إنكاراً شديداً، وتعجبت من جعل المرأة ضمن الدواب التي تقطع بهم الصلاة، إذ لا يليق بسماحة الإسلام، أن تهان المرأة وتساوى بالكلاب والحرمر.

■ استدلت على ذلك بفعله ﷺ، حيث كان يصلي وهي مضطجة أمامه، فإن كانت ممن تقطع بهم الصلاة، لأعاد صلاته، أو لأمرها بتغيير مكانها، أو لانتقل هو إلى مكان آخر، وكل ذلك لم يحصل، فهل كانت صلاة المصطفى ﷺ باطلة حاش وكلا.

■ استخدمت عبارات دالة على شدة إنكارها وهي: (إن المرأة لدابة سوء، عدلتمونا بالكلاب والحرمر، قد شبهتمونا بالحمير والكلاب).

○ سبب مخالفته:

لم تذكر سبباً لمخالفته في هذه الرواية.

ثالثاً: مخالفته لتقريره ﷺ (ذكر ما جاء عنه في التنفير من الشعر)

ومن المقاييس التي استخدمتها أيضاً في نقدها للروايات، مقابلتها لإقراره، فإذا خالفت الرواية إقراره ﷺ ردتها.

○ نص رواية أبي هريرة ؓ:

¹ أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة، باب الاعتراض بين يدي المصلي، ج1، ص366،

ق512.

² المصدر والصفحة نفسها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يمتلئ جوف رجل قبحاً يريه خير من أن يمتلئ شعراً»⁽¹⁾

○ استدرأها: قالت: رضي الله عنها لم يحفظ الحديث إنما قال رسول الله ﷺ لأن يمتلئ جوف أحدكم قبحاً ودما خير له من أن يمتلئ شعراً هجيت به⁽²⁾.

- هنا ردت السيدة عائشة رضي الله عنها هذه الرواية لتعارضها مع إقراره ﷺ واستحسانه لشعر حسان بن ثابت وغيره.
 - بينت السيدة عائشة رضي الله عنها موضع الخطأ في هذه الرواية وذكرت سببه، فقالت: " إنما قال رسول الله ﷺ لأن يمتلئ جوف أحدكم قبحاً ودما خير له من أن يمتلئ شعراً هجيت به"، بزيادة " هجيت به " على ما جاء في رواية أبي هريرة.
 - سبب مخالفته: عللت سبب مخالفته بعدم الحفظ، فقالت: لم يحفظ الحديث.
- الفرع الثاني: مخالفة مروياته للعقل:**

من الضوابط المعلومة عند أهل العلم أن الرواية إذا خالفت المعقول أو موجباته، فإنها ترد لبطلانها؛ لأن الشرع الحكيم لا يأتي بما يستحيله العقل السليم، ولقد فهمت السيدة

¹. أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الآداب، باب باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر، حتى يصدده عن ذكر الله والعلم والقرآن ج8، ص37، ق6155. ومسلم في صحيحه كتاب الشعر ج4، ص1769، ق2257.

². أخرجه أبو يعلى في مسنده، تابع مسند جابر ج4، ص47، ق2056. أحمد بن علي بن المنثى أبو يعلى الموصلي التميمي، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، ط1، دار المأمون للتراث، دمشق، 1404، =1984. أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي ت794هـ، الإجابة لما استدركت عائشة على الصحابة، تحقيق: رفعت فوزي، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1421 هـ، 2001 م ص115، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، دار المعرفة، بيروت، 1379، ج10، ص549.

عائشة رضي الله عنها ذلك فاستخدمت العقل مقياساً تقيس به الروايات فما جاء مخالفاً له ردتته.

(ذكر ما جاء عنه في الموضوع من الجنابة)

○ نص رواية أبي هريرة رضي الله عنه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من غسل الميت فليغتسل، ومن حملة فليتوضأ»⁽¹⁾

○ استدراكها: بلغ ذلك عائشة رضي الله عنها فقالت: أو نجس موتى المسلمين وما على رجل لو حمل عوداً⁽²⁾ فاستخدمت هنا ضابط العقل، فرأت أن الاغتسال من غسل الميت مقبول عقلاً، لما قد يصيبه عند التغسيل، فلم تعترض عليه، ولكنها لم تستغ إيجاب الوضوء على من حمل نعش الميت؛ لعدم الحاجة إليه إذ ما مسوغ الوضوء من حمل العود؟ وتساءلت قائلة: «أو نجس موتى المسلمين وما على رجل لو حمل عوداً»، ولم يعترض عليها أي من الصحابة، وهو ما يدل على صحة استدلالها.

○ سبب مخالفته: وهنا ردت روايته دون بيان منها لسبب مخالفته.

¹ - أخرجه أبو داود في سننه كتاب الجنائز، باب في الغسل من غسل الميت ج3، ص201، ق3161.

² . الزركشي، الإجابة لما استدركت عائشة على الصحابة ص113.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتيسر المهمات، فبتوفيق منه وفضل اكتمل هذا البحث الموسوم بـ **(نقد المتن عند السيدة عائشة رضي الله عنها)** "مرويات أبي هريرة رضي الله عنه" **أمونجاً**

دراسة نظرية تطبيقية

وقد تمخض عن هذا البحث جملة من النتائج أهمها:

- ❖ ظهور هذا العلم كان نتيجة لحرص الصحابة على سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم بالثبوت والتحري، الذي تولد لديهم نتيجة لما زرعه في نفوسهم من خلال تحذيره الشديد لمن يكذب عليه متعمداً.
- ❖ بدأ الاهتمام بنقد المتن مبكراً، حيث رافق الرواية منذ البداية، وقد مر خلالها بمرحلتين هما: مرحلة الظهور، مرحلة التطور: والتي انقسمت بدورها إلى مرحلتين هما: مرحلة ما قبل التدوين، مرحلة التدوين.
- ❖ بطلان ادعاء المستشرقين القائل بتقصير المحدثين في نقد المتن، حيث بدأ اهتمامهم بالمتن مبكراً، بل وما كان اهتمامهم بالسند إلا بغية الوصول إلى المتن الصحيح، وبالتالي فكل الدراسات التي تعنى بالسند هدفها واحد هو الوصول إلى المتن الصحيح، فعلم نقد السند يخدم المتن، وعلم نقد المتن يخدم المتن أيضاً.
- ❖ ظهر دور المرأة مبكراً جداً في هذا الفن، فلم تكن المرأة ضيقة الفكر، أو محدودة القدرة، وإنما تميزت بالدقة والأمانة العلمية، ولا أصدق على هذا من نقد السيدة عائشة للمتن.
- ❖ كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تحكم على الحديث والرواي وتذكر سبب مخالفته مستخدمة في ذلك عدة عبارات، وأحياناً تكتفي بإيراد الصواب دون تعليل.
- ❖ التزم العلماء الأمانة العلمية والنزاهة، بوضعهم المعايير الدقيقة مبتعدي عن الرأي والهوى.

- ❖ كان هدفهم من نقد المتن الوصول إلى الحق، فلم يكن التعصب للرأي هدفهم وهو ما لمسناه في رجوع أبي هريرة رضي الله عنه عن مروياته بمجرد ظهور الحق له دون معاندة ولا مكابرة.
- ❖ وضوح منهج السيدة عائشة رضي الله عنها في نقد المرويات باعتمادها معايير وضوابط دقيقة لا تخرج عن غيرها من النقاد.
- ❖ أن هذا العلم دقيق لا يتأتى لكل مدعٍ.

قائمة المصادر والمراجع

1. إبراهيم بن محمد السعوي، نقد المتن عند المحدثين دراسة نظرية تطبيقية، إشراف بندر بن نافع العبدلي.
2. أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، د.ط، مؤسسة قرطبة، القاهرة، د.ت.
3. أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، ط1، دار المأمون للتراث، دمشق، 1404، 1984.
4. أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، دار المعرفة، بيروت، 1379.
5. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت852هـ، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ط1، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير بالرياض 1422هـ،
6. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت395هـ، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406 هـ - 1986 م.
7. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، د.ط، دار الفكر، 1399هـ - 1979م
8. الحسين بن محمد شرف الدين الطيبي ت743 هـ، الخلاصة في معرفة الحديث، ط1، تحقيق: أبو عاصم الشوامي الأثري، المكتبة الإسلامية، الرواد، 1430هـ ، 2009 م.
9. أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني ت275هـ، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.
10. أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري ت204هـ، مسند أبي

- داود الطيالسي، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر، مصر، 1419 هـ، 1999 م.
11. سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني ت360هـ، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله، عبد المحسن الحسيني، د.ط، دار الحرمين، القاهرة، د.ت.
12. صلاح الدين بن أحمد الأدلبي، منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي، ط1، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1403 هـ . 1983م.
13. طاهر الجزائري الدمشقي، توجيه النظر إلى أصول الأثر، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط1، مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب، 1416 هـ - 1995م.
14. عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ألفية السيوطي في علم الحديث، د.ط، د.ت.
15. أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم النيسابوري المعروف ت 405هـ، المستدرک علی الصحیحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411 هـ، 1990م.
16. أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي ت794هـ، الإجابة لما استدرکت عائشة علی الصحابة، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1421 هـ - 2001 م.
17. أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي ت 666هـ، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، 1420 هـ - 1999م.
18. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422 هـ.
19. أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث، تحقيق:

- السيد معظم حسين ط2، 1397هـ، 1977م، دار الكتب العلمية، بيروت.
20. أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي ت711هـ، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414 هـ.
21. مالك بن أنس الأصبحي، موطأ الإمام مالك، رواية يحيى الليثي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، دار إحياء التراث العربي، مصر، د.ت.
22. مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير ت 606هـ النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، د.ط، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ، 1979م،
23. محمد بن إبراهيم بن جماعة، المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن، ط2، دار الفكر، دمشق، 1406
24. محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى ت279هـ، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي وغيره، ط2، مصطفى البابي الحلبي، مصر 1395هـ، 1975م.
25. مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
26. منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي ت 370هـ ، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م.

صناعة الحديد والصلب في مصراته

إعداد: د. إبتسام عبدالسلام كشيب*

المقدمة :

مدينة مصراته من المدن الموعلة في التقدم، فقد شهدت أرجاؤها استقراراً سكانياً متتابعاً، وعرفت البناء والعمران منذ فترة ما قبل التاريخ حتى العصر الحاضر. وقد لعبت العوامل الطبيعية والبشرية دوراً مهماً في نشأة ونمو هذه المدينة العريقة، ومن بين هذه العوامل اعتدال مناخها، وخصوبة أراضيها، وإطلالتها على البحر المتوسط بشاطئين، وهذه الواجهة البحرية تميزها عن بقية شقيقاتها المدن الليبية الأخرى، حتى أنها باتت تعرف بذات الشاطئين بعد أن كانت تشتهر بلقب (ذات الرمال) نظراً لكثرة كثبانها الرملية الرائعة التي تحيط بها من جهتي الشمال والغرب، بيد أن هذه الكثبان تكاد تختفي حالياً بسبب التوسع العمراني الأفقي، وبسبب استعمال رمالها في عمليات البناء والتشييد. (1)

تتمحور مشكلة الدراسة في التساؤلات الآتية:

1- ما مدى مساهمة صناعة الحديد والصلب في التنمية الاقتصادية داخل منطقة مصراته؟

2- هل حقق المصنع الإنتاج المستهدف الذي أنشئ من أجله؟

أهداف البحث:

أسهم مصنع الحديد والصلب بمصراته في نمو المدينة بشكل سريع حيث تعد هذه الصناعة من الصناعات الإستراتيجية، الأمر الذي أدى إلى تطوير المدينة ونهضتها العمرانية، ومن هنا برزت بعض الأهداف من أهمها:

* عضو هيئة تدريس بجامعة المرقب.

(1) ونيس عبدالقادر الشركسي وآخرون - جغرافيا مصراته، دار ومكتبة الشعب للطباعة والنشر والتوزيع - مصراتة - ليبيا - الطبعة الأولى، 2010م.

- 1- توضيح دور الصناعات الإستراتيجية ودورها في تنمية المدينة.
- 2- معرفة المشكلات التي تواجه الصناعة في مصراته لمحاولة إيجاد الحلول المناسبة لها.

فرضيات البحث:

- 1- يمكن أن يساهم قطاع الصناعة بمصراته في إجمالي الصادرات الصناعية بكفاءة عالية إذا ما تم تدعيم قدرته التنافسية، عن طريق التغلب على نقاط الضعف الموجودة على مستوى الصناعة.
- 2- وجود علاقة بين تطور الفعاليات الصناعية ومستوى استقطاب السكان في مصراته المتأثرة بهذه الفعاليات ووجود علاقة طردية بين الصناعة والتنمية العمرانية في منطقة الدراسة.

مجالات البحث:

أولاً: المجال المكاني:

المجال المكاني هو ذلك الحيز الذي يقع عليه المصنع وهو مدينة مصراته والتي تقع عند التقاء دائرة عرض 23 ° - 32 شمالاً وخط طول 6 ° 15 شرقاً، ويحدها البحر المتوسط من الشمال والشرق، ومن الجنوب الحدود الإدارية لبني وليد، ومن الغرب الحدود الإدارية لمنطقة المرقب. (1)

ثانياً: المجال الزمني:

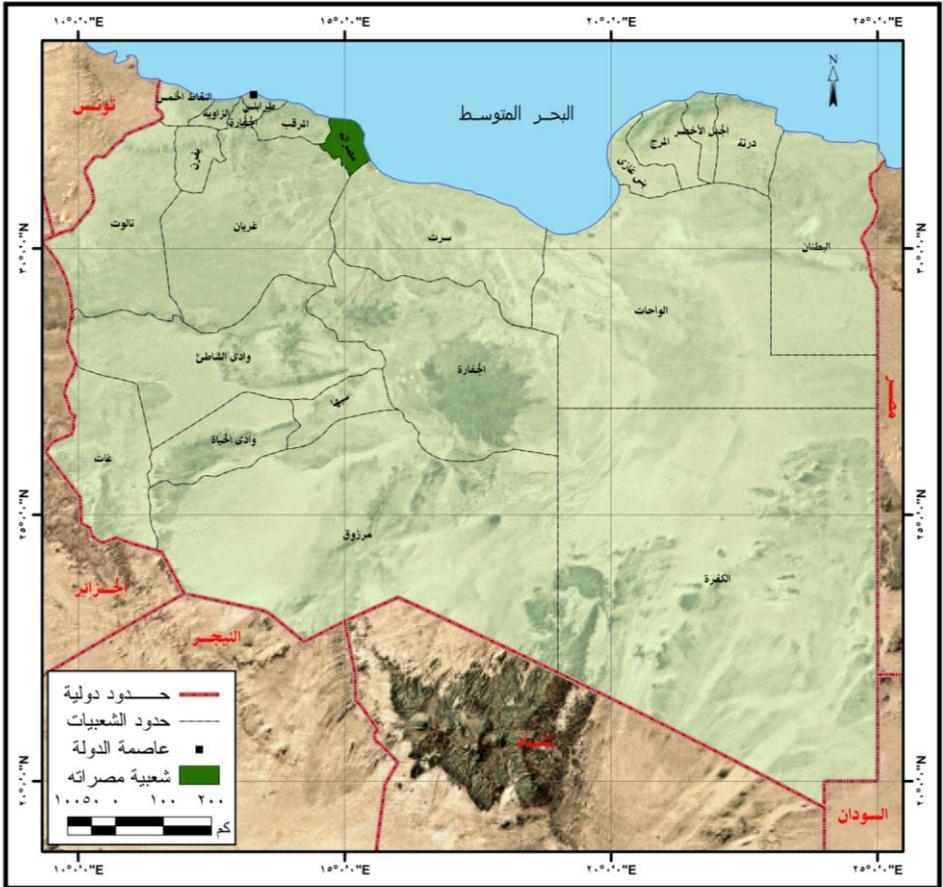
يتمثل المجال الزمني في الفترة الزمنية التي أجرى فيها البحث حول صناعة الحديد والصلب في مصراته لعام 2015م.

ثالثاً: المجال البشري:

ويشمل عدد العمالة في مصنع الحديد والصلب للوقوف والتعرف على حجم الصناعة والطاقة الإنتاجية للمصنع.

(1) أمانة التخطيط، مصلحة الإحصاء والتعداد، طرابلس، التعداد النهائي لسكان ليبيا 2006.

شكل (1) الموقع الفلكي والجغرافي لشعبية مصراته بالنسبة لدولة ليبيا



- صناعة الحديد والصلب :

تعد صناعة الحديد والصلب الركيزة الأساسية لتوفير كل متطلبات الصناعات الأخرى والشركة الليبية للحديد والصلب من أكبر الشركات الصناعية في ليبيا، ويقع مجمع الحديد والصلب في محلة قصر أحمد، على ساحل البحر المتوسط. أقيم مجمع الحديد والصلب على مساحة 1200 هكتار في مدينة مصراته، على بعد 210 كم إلى الشرق من مدينة طرابلس، وتبلغ الطاقة التصميمية للشركة 1.324.000

طن من الصلب السائل سنوياً باستخدام الغاز الطبيعي المحلي.

وتم افتتاح المصنع في 1989/9/9م، بهدف التنمية المكانية للمنطقة، بالإضافة إلى توفر مقومات الصناعة في هذا المكان.⁽¹⁾

ووفرت الشركة فرص العمالة الصناعية بالمدينة، إضافة إلى فرص العمل غير المباشرة في الأنشطة المقامة على منتجات الشركة، وما يترتب عليها من إنعاش للحركة التجارية في المناطق المحيطة بمجمع الشركة.⁽²⁾

وقد بلغ عدد العمالة التي تأتي من خارج مصراته 3920 عامل بنسبة 60%، ويقوم مصنع الحديد والصلب بتوفير أماكن للسكن، ومتمثلة في المخيمات والشقق، ومنازل مكونة من طابقين، أما بالنسبة لوسائل نقل العمالة فإنهم يستقلون سياراتهم الخاصة للوصول إل المصنع.⁽³⁾

وتتراوح أجور العمالة بين 450 دينار لبيي للفنيين والإداريين إلى 900 و 1500 للعمالة المهرة والمهندسين.⁽⁴⁾

ويعتمد مجمع الحديد والصلب حالياً على الحديد المستورد، فتلثي الخام يتم استيراده من البرازيل، والتلث يستورد من السويد، وقد كانت متطلبات الظروف المحلية موضع العناية والاعتبار في مختلف مراحل المشروع، كما تم وضع تدابير فعالة للحد من تلوث البيئة وتأمين سلامة وتوفير ظروف العمل المناسبة.⁽⁵⁾

(1) ج. ع. ل. ش. أ. ع الشركة العربية للحديد والصلب، مجلة الحديد والصلب، العدد 7، ص7.

(2) مساهمات الشركة الليبية للحديد والصلب في النمو الصناعي والاقتصادي في ليبيا، الأوراق البحثية لمؤتمر الصناعة بليبيا في الفترة من 14-15 سبتمبر 2005م، مجمع ذات العماد، طرابلس، ص416.

(3) من نتائج الدراسة الميدانية.

(4) مقابلة شخصية مع كتب العمالة بمجمع الحديد والصلب.

(5) محمد إبراهيم الأسطى، العلاقات المكانية لمجمع صناعة الحديد والصلب بالتطور

الحضري لمدينة مصراته، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المرقب، كلية الآداب،

زليتن - 2006، ص55.

والجدول التالي يوضح الوحدات الإنتاجية بمجمع الحديد والصلب لشعبية مصراته.

جدول (1) الوحدات الإنتاجية بمجمع الحديد والصلب لعام 2014. (*)

الوحدات الإنتاجية	تاريخ الإنشاء	عدد العمال	%	الإنتاج / طن (**)	%
مصنع درفلة القطاعات	1989	797	11.3	3.346	3.36
مصنع الجلفنة والطلاء	1989	688	9.7	3.887	3.90
مصنع الدرفلة على الساخن	1990	1011	14.3	30.228	30.4
مصنع الإختزال المباشر	1990	962	13.6	11.110	11.2
مصنع الدرملة على البارد	1990	860	12.1	3.884	6.91
مصنع الصلب رقم (1)	1990	610	8.6	962	0.96
مصنع الصلب رقم (2)	1991	678	9.5	668	0.67
مصنع درفة القضبان والأسياخ	1998	1479	20.9	42.441	42.6
الإجمالي		7086	100	99.526	100

(*) المصدر: الشركة الليبية للحديد والصلب، ملخص نشاط الشركة خلال عام 1998، إعداد إدارة البحث والتطوير، ص 312.

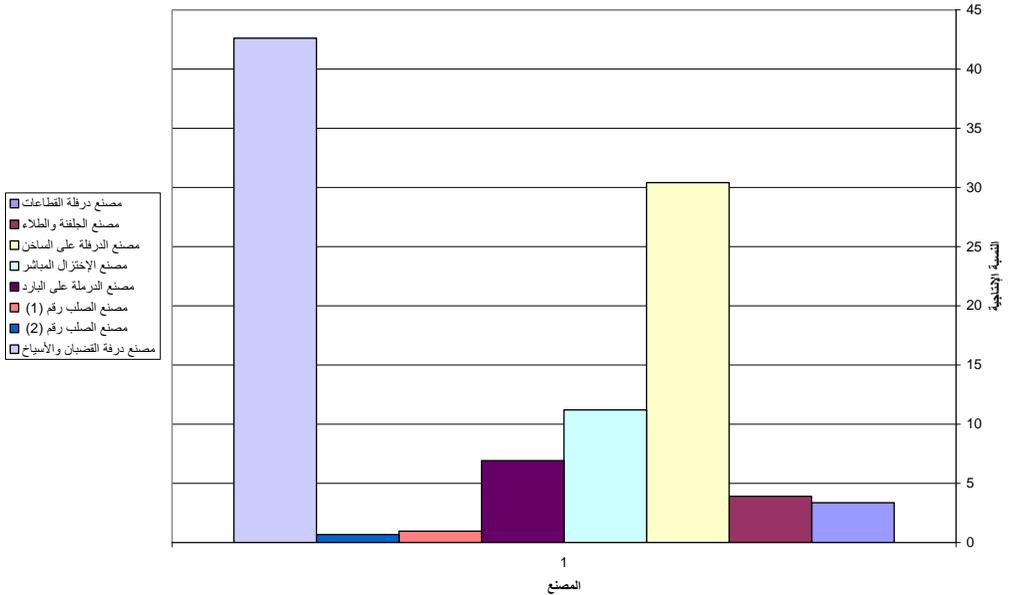
(**) المصدر: اللجنة الشعبية العامة للصناعة والاقتصاد والتجارة تقرير عن نشاط الشركة الليبية للحديد والصلب، 2014م، إعداد مكتب المتابعة، ص 1.

من خلال الجدول السابق والشكل (1) يتضح ما يلي:

- بلغ إنتاج مجمع الحديد والصلب من مختلف المنتجات لعام 2014، نحو 99.526 ألف طن حيث بلغ أعلى إنتاج لمجمع الحديد والصلب هو 42.6% لمصنعة درفلة القضبان والأسياخ، ويرجع هذا المعدل العالي إلى زيادة الطلب على هذه المنتجات

- لأنها داخلة في صناعة أخرى، مصّل صناعة المباني، وصناعة مواد البناء.
- يليه مصنع الدرفلة على الساخن بنسبة 30.3% من جملة المنتجات النهائية للمجمع، حيث يقوم هذا المصنع بإنتاج لفات على الساخن وصفائح على الساخن.
 - وتأتي في المرتبة الثالثة لفات معالجة كيميائياً، بنسبة 11.1% من جملة إنتاج مجمع الحديد والصلب، ثم يليه مصنع الدرفلة على البارد بنسبة 6.91% والذي يقوم بإنتاج لفات على البارد، ولفات غير معالجة حريرياً.
 - ويأتي في نهاية القائمة مصنع الجلفنة والطلاء، ودرفلة القطاعات، والصلب رقم (1) والصلب رقم (2) بنسبة 3.90%، 3.36%، 0.96%، 0.67% على التوالي.

شكل (1) نسبة الوحدات الإنتاجية لمصنع الحديد والصلب لعام 2015



(*) المصدر: من إعداد الباحثة استناداً إلى بيانات الجدول رقم (1)

هذا ويضم المصنع بعض المرافق الأساسية والوحدات المساعدة مثل (1):-

1- الميناء وساحة تخزين المكورات:

(1) ج. ع. ل. ش. أ. ع. الشركة العربية للحديد والصلب، مجلة الحديد والصلب، العدد 5، ص 18

ميناء المجمع معد لاستقبال مليوني طن من المواد الخام سنوياً، يتم نقلها إلى ساحة تخزين المكورات عن طريق السيور الناقلة، ويصل متوسط عمق حوضه إلى 415م، وهو مجهز لاستقبال المكورات وتخزينها.

2- محطة الكهرباء وتحتية المياه:

تتكون محطة الكهرباء وتحتية المياه من 6 مولدات توربينية تعمل بالبخر، طاقة كل منها 84 ميغاوات لتغطية احتياجات المصنع من الطاقة الكهربائية، وثلاث وحدات للتحتية سعة كل منها 10.500م3 يومياً، لتغذية وحدات المجمع بالمياه الخالية من الأملاح لاستعمالها في عمليات الإنتاج وتبريد المعدات.

3- محجر السدادة ومصنع الجير:

يقع محجر السدادة على بعد حوالي 100كم من مدينة مصراته، ويقوم بتزويد المصنع بحاجته من الجير والدولوميت، وتبلغ طاقته الإنتاجية من الحجر الجيري حوالي 162.000 طن سنوياً، ومن الدولوميت حوالي 33.000 طن سنوياً.

* ويحتوي المحجر على محطة للتكسير والغربة وعلى مرافق وخدمات مثل الورش ومحطة الكهرباء والمياه ومكتب الإسعافات الأولية، والقرية السكنية، أما مصنع الجير فصمم لإنتاج 66.000 طن سنوياً من الجير المحروق، ووحدة لتخزين وتنقية ومناولة الخامات والمنتجات.

4- مصنع الأكسجين والهواء المضغوط:

يحتوي هذا المصنع على ثلاث وحدات، الأولى لإنتاج الهواء المضغوط الأكسجين بطاقة قدرها 2000م3 في الساعة، الثانية لإنتاج الهواء المضغوط بطاقة قدرها 16.000م3 في الساعة، والثالثة لإنتاج النيتروجين بطاقة قدرها 2000م3 في الساعة.

5- معامل مراقبة الجودة:

تحتوي مصانع الشركة على معالم فرعية في الوحدات الإنتاجية، كما يوجد مختبر مركزي للمجمع، وتقوم جميعها بمراقبة جودة الإنتاج في مختلف مراحلها، بإجراء العديد من الاختبارات الميكانيكية والميثالوجية، لضبط جودة المنتج وتحسينها في مختلف

مراحله، كما تقام اختبارات على الطوب الحراري المستخدم في أفران الصهر وإعادة التسخين واختبارات أخرى للكشف عن القوى السطحية والباطنية واستعمال الموجات فوق السمعية للكشف عن العيوب في المنتجات النهائية.

الإنتاج:

بلغ إنتاج مجمع الحديد والصلب عام 2015م، نحو 228، 683 طن بنسبة زيادة وقدرها 87.4% عن عام 1998، وترجع أسباب هذه الزيادة في الإنتاج إلى زيادة رأس المال المستثمر، وزيادة خطوط الإنتاج والتوسعات التي شهدها المجمع، وبتفاوت إنتاج المجمع خلال الفترة المذكورة وهذا ما يوضحه الجدول التالي:

جدول (2) (*) تطور إنتاج الحديد والصلب خلال الفترة 1998 - 1015 (**)

السنة	الكمية / طن	النسبة %
1998	781.703	100
2000	730.730	93.5
2002	751.097	96.1
2004	957.366	122.5
2006	249.786	31.9
2008	320.318	40.9
2010	510.644	65.3
2014	980.698	125.5
2015	683.228	87.4

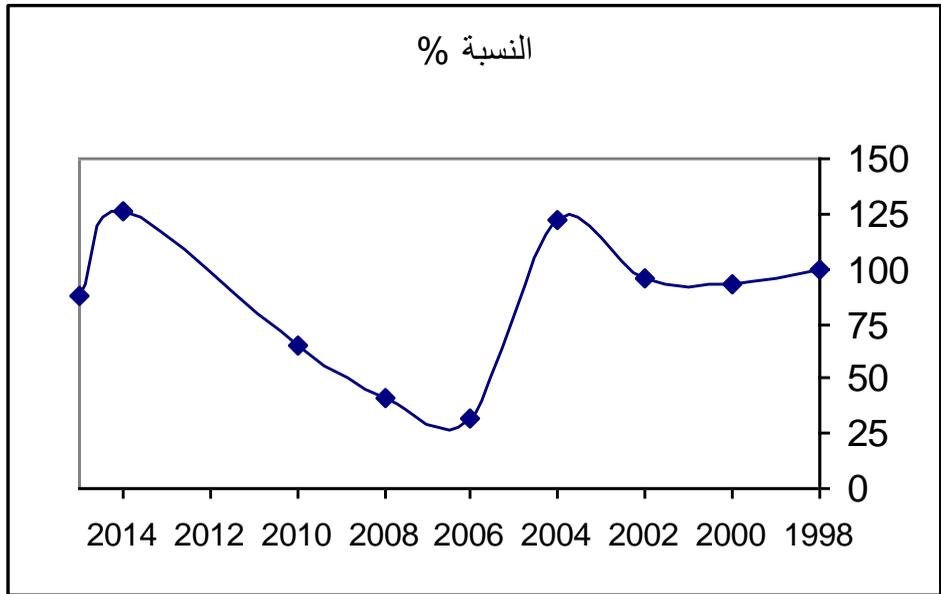
(*) المصدر: ج.ع.ل. ش.أ.ع الشركة العربية للحديد والصلب، مجلة الحديد والصلب، العدد 5، ص8.

(**) تم إلغاء سنة 2011، 2012، 2013 وذلك لعدم توفر المعلومات الكافية نظراً لظروف الحرب التي مرت بها المدينة آنذاك.

من خلال الجدول (2) والشكل يتضح أن مجمع الحديد و الصلب تتراوح فيه

كميات الإنتاج من سنة لأخرى، فنجد أن سنة 2004 تزيد بنسبة 122.5% عن عام 1998، وكذلك هو الحال لسنة 2014 كانت نسبة الزيادة 125.5% عن عام 1998، أما سنة 2006 فكانت نسبة الزيادة قليلة 31.9% ويرجع السبب إلى بعض الأعطال الفنية، وانتهاء العمر الافتراضي لبعض المكائن. (1)

شكل (2) تطور إنتاج مجمع الحديد والصلب خلال الفترة 1998-2015^(*)



(*) من إعداد الباحثة استناداً للجدول (2)

اقتصاديات مجمع الحديد والصلب:

يوضح الجدول التالي المبيعات المحلية والمبيعات الخارجية، والقيمة المضافة

لمجمع الحديد والصلب.

(1) مقابلة شخصية مع مدير إدارة الصيانة.

جدول (3) اقتصاديات مجمع الحديد والصلب في الفترة من 2002-2015(*)

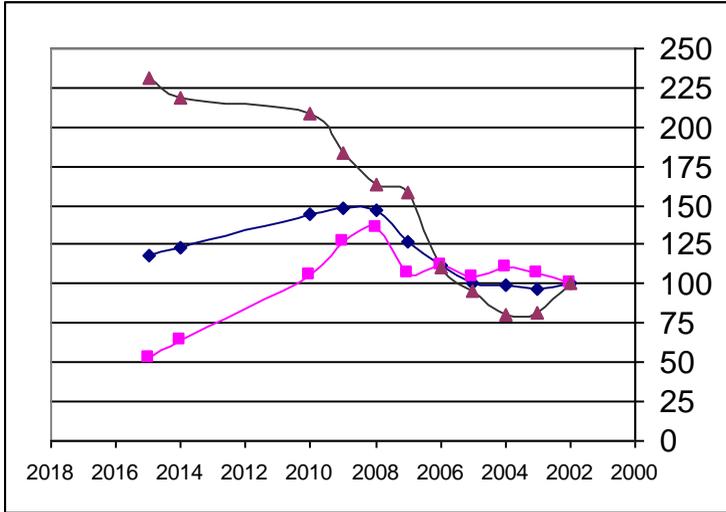
السنة	إجمالي المبيعات (طن)	% من عام 2002	المبيعات الخارجية (طن)	% من عام 2002	المبيعات المحلية (طن)	% من عام 2002	القيمة المضافة بالدينار الليبي
2002	1.270.000	100	789.000	100	481.000	100	73830
2003	1.236.000	97.3	842.000	106.7	394.000	81.9	116.436
2004	1.267.000	99.7	877.000	111.1	390.000	81.0	126.773
2005	1.280.000	100.7	819.000	103.8	461.000	95.8	165.447
2006	1.415.000	111.4	881.000	111.6	534.000	111.0	210.006.18
2007	1.607.000	126.5	844.000	106.9	763.000	158.6	322.388.34
2008	1.862.000	146.6	1.076.000	136.3	786.000	163.4	381.867
2009	1.896.000	148.8	1.005.000	127.3	884.000	183.7	359938
2010	1.836.000	144.5	832.000	105.4	1.004.000	208.7	553934
2014	1.558.138	122.6	504.507	63.9	1.053.00	219.0	528513
2015	1.502.000	118	412.320	52.2	1.110.000	230.7	624530

(*) المصدر: الزيارة الميدانية للمجمع.

يتضح من بيانات الجدول السابق والشكل (3) ما يلي:

- بلغ إجمالي المبيعات 1.502.000 طن عام 2015م، وتشكل المبيعات الداخلية ثلثي المبيعات وتتصرف النسبة المتبقية (32.4%) للمبيعات الخارجية.
- زادت المبيعات بنسبة 22.7% بنسبة زيادة مستوى قدرها 205% خلال
- سجلت المبيعات الخارجية تناقصاً بنسبة 36.1% سنوياً قدره 4% من جملة المبيعات الخارجية.
- زادت المبيعات الداخلية بنسبة 119% زيادة سنوية قدرها 13.2% من جملة المبيعات الداخلية.

شكل (3) اقتصاديات إنتاج مجمع الحديد والصلب في
الفترة ما بين 2002-2015(*)



(*) من عمل الباحثة استناداً إلى بيانات الجدول (3)

النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج:

إن صناعة الحديد والصلب من الصناعات المهمة في البلاد، حيث أسهمت إلى حد كبير في تلبية السوق المحلية من منتجات هذه الصناعة، إضافة إلى تلبيةه لمستلزمات التطور، نتيجة لعلاقته التكنولوجية الواسعة بالعديد من الصناعات التي تزوده بالمدخلات والصناعات الأخرى المعتمدة على مخرجات هذه الصناعة.

أسهم مجمع الحديد والصلب في زيادة الدخل القومي، وموارد الخزنة العامة للدولة:

أ- بلغ إجمالي المبالغ المدفوعة من مجمع الحديد والصلب لخزنة المجتمع خلال الفترة من 1992/3/31م، وحتى 2000/12/31م، مبلغ 222.6 مليون دينار ليبي.

ب- بلغت إجمالي المبالغ التي دفعت لخزنة المجتمع على شكل رسوم ضريبية، وضرائب عن الإنتاج، وضرائب جمركية وحصّة من فائض نشاط الشركة خلال عام 2000 حوالي 18 مليون دينار ليبي.

ج- بلغت قيمة المبالغ المدفوعة لصندوق الضمان الاجتماعي خلال عام 2000 حوالي 6.7 مليون دينار ليبي، وخلال الفترة من 1992/3/31م، وحتى 2002/12/31م، وصلت قيمة المبالغ التي دفعها لصندوق الضمان الاجتماعي 55 مليون دينار ليبي(1) التوصيات والمقترحات:

1- لا بد من إنباء الشعور بروح الجماعة، من خلال علاقات العمل لتجسيد التعاون خاصة بين العمال المهرة، ليظهر الحرص أكثر بالعمل، وأكثر إحساساً بقيمته المعنوية والمادية.

2- يتطلب الابتعاد قدر الإمكان بالوحدات الصناعية عن أماكن التجمعات السكنية، لأن في ذلك حماية لهذه المساكن من التلوث أياً كان مصدره.

3- إصدار قرار بفتح حساب لمكتب جهاز مجمع الحديد والصلب بالخارج تودع فيه حصيلة مبيعات المجمع بالعملة الصعبة وكذلك المبالغ المعتمدة كموازنة استيرادية للمجتمع لاستعمالها في مداركة مستلزمات التشغيل وقطع الغيار وغيرها من المستلزمات.

4- إصدار قرار من وزارة المواصلات والنقل البحرين ينص على تخصيص رصيف خاص لتصدير منتجات المجمع يكون تحت تصرف الجهاز مع السماح بالعمل به على مدي 24 ساعة بما في ذلك أيام الجمعة والعطلات.

5- تسهيل إجراءات إصدار تأشيرات الدخول سواء لمستوردي منتجات المجمع أ، لموردي المواد الخام، ومستلزمات التشغيل الأخرى، وذلك بتقويض مكتب جوازات المجمع بمخ تلك التأشيرات بناء على طلب الجهاز وفقاً لمتطلبات العمل سواء عن طريق السفارات بالخارج أو بالمطار.

6- إصدار قرار من خزينة الدولة ينص على إلزام السلطات الجمركية بالإفراج المؤقت على جميع واردات المجمع فور وصولها دمن المطالبة بتقديم أي ضمانات مالية.

7- إنشاء مراكز بحوث وتوثيق خاصة بقطاع الصناعة تتوفر فيها جميع الإمكانيات المادية والمعنوية التي تنهض بالنشاط الصناعي.

(1) محمد المهدي الأسطى (العلاقات المكانية) مرجع سبق ذكره، ص 289.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب:

- 1- ونيس عبدالقادر الشركسي وآخرون، جغرافية مصراته، دار ومكتبة الشعب للطباعة والنشر والتوزيع - مصراته - ليبيا، الطبعة الأولى، 2010.
- ثانياً: الدوريات والتقارير:
- 1- الأطلس الوطني، أمانة التخطيط، مصلحة المساحة، 2010، خريطة التقسيم الإداري لدولة ليبيا.
- 2- الشركة الليبية للحديد والصلب، ملخص نشاط الشركة خلال عام 1998م، إعداد إدارة البحث والتطوير.
- 3- اللجنة الشعبية العامة للصناعة والاقتصاد والتجارة، تقرير عن نشاط الشركة الليبية للحديد والصلب، 2014، إعداد مكتب المتابعة.
- 4- أمانة التخطيط، مصلحة الإحصاء والتعداد، طرابلس، التعداد النهائي لسكان ليبيا 2006.
- 5- د. ع. ل. ش. أ. ع الشركة العربية للحديد والصلب، مجلة الحديد والصلب، لعدد 5.
- 6- د. ع. ل. ش. أ. ع الشركة العربية للحديد والصلب، مجلة الحديد والصلب، لعدد 7.
- 7- مساهمات الشركة الليبية للحديد والصلب في النمو الصناعي والاقتصادي في ليبيا، الأوراق البحثية لمؤتمر الصناعة بليبيا في الفترة من 14-15 سبتمبر 2005م، مجمع ذات العماد، طرابلس.

ثالثاً: الرسائل العلمية:-

- 1- محمد إبراهيم الأسطى، العلاقات المكانية لمجمع صناعة الحديد والصلب، بالتطوير الحضري لمدينة مصراته، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المرقب، كلية الآداب، زليتن، 2006.

رابعاً: المقابلات الشخصية:

- 1- مقابلة مع مدير إدارة الصيانة.
- 2- مقابلة شخصية مع مدير مكتب العمالة بمجمع الحديد والصلب.

العلاقات الإسرائيلية الأفريقية من عام 1955 م-1984م

إعداد: د. عبد السلام عمر عرقوب

تمهيد :-

يبدو إن القارة الإفريقية لم تكن بعيدة عن المخطط الصهيوني قبل وجود الصهاينة في فلسطين في 15 مايو عام 1948م، إذ وضعوا القارة الإفريقية من ضمن مخططهم لإقامة وطن قومي لهم. وكانت أوغندا، وكينيا، وموزنبيق، وبرقه في ليبيا، من ضمن المناطق في إفريقيا المقترحة لقيام الدولة اليهودية، إلا إن هذه المناطق لم تجد التأييد والموافقة من قبل الصهاينة في اجتماعهم السابع الذي عقد في بازل بسويسرا عام 1905م، إذ قرروا الهجرة إلى فلسطين باعتبارها أرض الميعاد كما يدعون .

وعندما قامت دولتهم في فلسطين عام 1948م، بدأوا يهتمون بالقارة الإفريقية حيث وجدوا إفريقيا مفتوحة أمامهم ولم يجدوا من ينافسهم، إذ كانت الأقطار العربية في ذلك الحين مهتمة بقضية الحرية والصراع الداخلي.

إن اهتمام إسرائيل بإفريقيا بدأ بالفعل بعد مؤتمر باندونج عام 1955م، والتي كانت عازمة للمشاركة في أعماله، إلا أن أقطاب المؤتمر ومنهم جمال عبد الناصر، نجحوا في عزل إسرائيل ومنعها من المشاركة في أعماله، الأمر الذي جعلها تراجع سياستها الخارجية وبالتالي أصبحت القارة الإفريقية محط أنظارها و نجحت من إقامة علاقات دبلوماسية، واقتصادية، وعسكرية مع بعض الدول الإفريقية وقد استغلت إسرائيل الضائقة المالية لعدد من الدول الإفريقية، حيث قدمت المساعدات والقروض المالية، كما ساهم الخبراء الإسرائيليين في مساعدة الكوادر الإفريقية، في مختلف التخصصات .

ونتيجة لتطور العلاقات الإسرائيلية الأفريقية ، بادر العرب إلى إفساد تلك العلاقات بشتى الطرق والوسائل وكانت مصر ، في مقدمة الدول العربية التي عملت على عرقلة تلك العلاقات ، مما أدى في النهاية إلى تغيير الصورة عند الأفريقيين كون أن إسرائيل دولة صغيرة لا تريد التوسع في القارة الأفريقية .

أهداف البحث : يهدف البحث إلى:

1- معرفة الوسائل التي اتبعتها إسرائيل في تغلغلها في القارة الأفريقية.

2- معرفة العلاقات التي كانت بين إسرائيل وبعض الدول الأفريقية.

3- الدور التي قامت به مصر لعرقلة تلك التي قامت بين الدول الأفريقية وإسرائيل.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث بان بعض الدول الأفريقية وخصوصاً دولة غينيا كونا كرى وزعيمها احمد سيكوتورى بأنها أول دولة افريقية قطعت علاقاتها مع إسرائيل وكان موقف الزعيم الغيني احمد سيكوتورى موقفاً مشرفاً وكان لدوره هذا ان حذت حذوه الكثير من الدول الأفريقية وقطعت علاقاتها مع إسرائيل.

تساؤلات البحث:

س1- ما الهدف من تغلغل إسرائيل في القارة الأفريقية؟

س2- ما الوسائل التي استعملتها إسرائيل في تغلغلها في القارة الأفريقية؟

س3- ما ابرز الدول الأفريقية التي أقامت علاقات مع إسرائيل؟

س4- ما هو الدور الذي كانت مصر العربية في إعاقه هذه العلاقات .

هذه الأسئلة وغيرها سوف يجيب عنها هذا البحث.

الأهداف الإستراتيجية من التوجه الإسرائيلي نحو القارة الإفريقية:

إن من أهداف الإستراتيجية الإسرائيلية التوجه نحو القارة الافريقيه هو في حقيقة الأمر البحث عن الأمن القومي الإسرائيلي ،وفي هذا الشأن يقول ديفيد جور يون-"إن مسألة الأمن يجب أن تكون النقطة المحورية لأية سياسة إسرائيلية ...".¹

¹ - Ben gurion, david: years of challenge, holt new York, 1963.p.61

ويرى ديفيد جور يون ،إن مفهوم الأمن يتميز بأنه متسع وشامل ،وقد أعرب عن رؤيته بقوله:"يقصد بأمن إسرائيل الهجرة إليهاويقصد بالأمن إعادة الاستيطانويقصد بالأمن احتلال البحر والبر والجو ...والأمن هو تطوير البحث العلمي، والقوة العلمية في كافة المجالات ، والأمن هو الإعداد المهني المتقدم للشباب في الزراعة والأعمال ،والصناعة والإنشاءات والبناء.....وإسرائيل يتعلق بمسألة البقاء المادي،كما انه عبارة عن قضية ممتدة تضم الكيان نفسه 1.

كما أن القارة الإفريقية ،أصبح لها وزن سياسي واقتصادي في الميدان الدولي أرادت إسرائيل أن تستفيد منه،وان يكون لها أصدقاء في أفريقيا وآسيا ،وفي هذا الشأن يقول بن جور يون : "أن أكثر أصدقائنا في أفريقيا وآسيا سيحملون الدول العربية في النهاية على الصلح معنا 2".

كما أرادت إسرائيل التخلص من العزلة التي فرضها العرب عليها وتحطيم هذا الحصار ،والبحث عن متنفس خصوصا في أفريقيا وآسيا يساعدها على تطويق البلاد العربية بالموالين لها، وقد قال بن جور يون أمام الكنيست الإسرائيلي في أكتوبر 1960م : "إن عطف الأمم القريبة والبعيدة وصادقتها لهما العاملان اللذان يمكننا مع الزمن من أن نخترق صورة الحقد والمقاطعة التي تحيط بنا... 3".

1- مروى ممدوح سالم :إسرائيل وأفريقيا ،ط2، الدولية الأفريقية لنشر و التوزيع القاهرة 2012م ص8

2- حمد سليمان المشوخي : التغلغل الاقتصادي الإسرائيلي في أفريقيا ،دار الجامعة المصرية الإسكندرية 1972م ،ص247

3- المهدي بن بركة وآخرون : المعركة بين العرب وإسرائيل ، وزارة الثقافة المصرية ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، دت ،ص129

كما أن إسرائيل تحاول الحصول على الشرعية السياسية والمقصود بها تأمين وضمان وجود دولة إسرائيل في إطار المجتمع الدولي، والتواصل إلى الاعتراف العربي القانوني والواقعي بوجود إسرائيل ، وأمنها في قلب المنطقة العربية¹.

وتسعى إسرائيل بعد تحقيق الأهداف السابقة إلى الهيمنة الإقليمية، وممارسة نفوذها وان تكون مستعدة لان تستخدم موارد قوتها حتى يعترف بها بل ويقبلها جيرانها بصفتها زعيم إقليمي². لقد شعرت إسرائيل بأنها محاصرة من قبل العرب ، وخاصة مصر ،ولهذا أرادت أن تكون أفريقيا هي مستقبل نشاطها، وأشارت إلى أن مستقبلها مرتبط بنشاطها في القارة الأفريقية وفي هذا الصدد يقول ليفي اشكول³: "إن مستقبل الأجيال المقبلة في إسرائيل مرتبط إلى حد كبير بنشاطها في القارة الأفريقية"⁴. إن لجوء إسرائيل إلى القارة الأفريقية لكي تستطيع تأمين وجودها خصوصا في المناطق المطلة على البحر الأحمر ،وكانت إسرائيل قد وجدت التشجيع من قبل فرنسا، ففي عام 1956م، عقدت إسرائيل مع فرنسا اتفاقا تحصلت بموجبه على عدة امتيازات في ميناء جيبوتي والساحل الشرقي لأفريقيا ،كما تم لها السماح بإنشاء مجموعة من المصانع في المنطقة⁵.

¹ - مروى ممدوح سالم : إسرائيل وأفريقيا ، مرجع سابق ، ص8

² - نفس المرجع السابق ص9

³ - سياسي ولد في أوكرانيا ، وهاجر إلى فلسطين عام 1914م تقلد عدة مناصب منها رئاسة الوزراء عام 1963م.

⁴ - المهدي بن بركة : إسرائيل وأفريقيا ، مجلة الطليعة ، العدد 5، السنة الثانية ، القاهرة 1966م ص66.

⁵ - محمد المعتصم سيد : إسرائيل وأفريقيا ، مجلة نهضة إفريقيا ، العدد 67، السنة السادسة ،

الجمهورية العربية المتحدة، يونيو 1963م ، ص27

العوامل التي ساعدت إسرائيل على التغلغل في أفريقيا:

وجدت إسرائيل نفسها أمام عدة عوامل أفسحت لها المجال للتغلغل داخل القارة الأفريقية منها:

أولاً: السياسة التي رسمتها لنفسها في أفريقيا حيث اعتبرت نفسها نموذجاً يمكن أن يحتذى به وهي تقديم الخبرات ، التي تحتاجها الدول الأفريقية ، إذ قالت جولدا مائير¹ أمام الكنيست الإسرائيلي لتبرير السياسة الإسرائيلية في أفريقيا : "إننا دولة ديمقراطية صغيرة ليست لها مطامع توسعية، تتمتع بالخصال التي تلفت نظر الأفارقة فنحن مثلهم دولة جديدة واجهت وما تزال تواجه مشاكل متشابهه ، وقد اكتسبت بعض الخبرات الفريدة وأساليب الرواد التي قد تفيد هذه الدول في مناهج التنمية"² .

ثانياً: كما أن إسرائيل بادرت بالاعتراف باستقلال الدول الأفريقية ، عارضة عليها مساعداتها المالية ، مانحة لها القروض، وقد نجحت في ذلك حيث تمكنت من إقامة علاقات مع غانا خلال الفترة مابين عام 1957م-1959م وكانت جولدا مائير قد أشارت عندما قامت برحلة إلى أفريقيا بالإنجازات التي تم تحقيقها على المستوى الدبلوماسي خصوصاً مع غانا وليبيريا، ونجاحها في فتح قنصلية في السنغال، وسفارة في غينيا كوناكري³.

ثالثاً: لعبت الجاليات اليهودية المتواجدة في أفريقيا دوراً في دعم الهدف السياسي لإسرائيل، حيث بلغ عدد الجاليات اليهودية في أفريقيا عام 1956م حوالي 205 آلاف نسمة⁴.

¹ - جولدا مائير تقلدت عدة مناصب في إسرائيل منها وزيرة الخارجية ثم رئيسة وزراء إسرائيل

² - المهدي بن بركة: إسرائيل وأفريقيا، مجلة الطليعة مرجع سابق، ص99.

³ - عواطف عبد الرحمن: إسرائيل وأفريقيا 1948-1973م، سلسلة كتب فلسطينية، مركز

الأبحاث الفلسطينية، 1974م، ص33.

⁴ - حمد سليمان المشوخي: التغلغل الاقتصادي الإسرائيلي في أفريقيا ، مرجع سابق ص292.

وعن طريق هؤلاء المهاجرين تعرفت إسرائيل على مشاكل القارة الأفريقية، وعلى المسالك التي يمكن أن تسلكها للتوغل داخل القارة الأفريقية 1. وبالتالي أصبحت الجاليات اليهودية عاملا مساعدا لإسرائيل، حيث عملت تلك الجاليات على كسب الرأي العام في الدول التي تقيم فيها لصالح إسرائيل 2.

مساعادات إسرائيل للدول الأفريقية :

أشرنا فيما سبق إلى أن إسرائيل كانت تعترف باستقلال الدول الأفريقية بعد مجرد حصولها على استقلالها مقدمة الدعم لها للمساهمة في عملية التنمية، مشجعة شركاتها للعمل في الدول الأفريقية، لتنفيذ العديد من المشاريع، حيث قامت شركة سوليل الإسرائيلية بتنفيذ الكثير من المشاريع بملايين الدولارات خاصة في الفترة من عام 1957 إلى عام 1970م.

- محبات إمام الشرابي : الوجود الإسرائيلي والعربي في أفريقيا ، دار المعارف المصرية ،

القاهرة ، 1982م، ص20. ¹

2- بيتر هيليد : إسرائيل وجنوب إفريقيا وتحالف العنصريين ، المؤتمر الفكري حول الصهيونية والعنصرية ، بغداد ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت لبنان 1976م ، ص85

ويوضح الجدول الآتي المشاريع التي نفذتها شركة سوليل مقدرة بملايين الدولارات

الجدول رقم (1)

البلد	المشاريع المنفذة من عام 1957-1970م	سنوات العمل	معدل الإنتاج	الأعمال في قيد التنفيذ حتى 1\1\1970م
غانا	17.50	4	4.375	-
سيراليون	13.25	8	1.65	-
ساحل العاج	20.00	6	3.42	2.550
إثيوبيا	19.40	7	2.77	-
تنزانيا	12.20	7	1.74	7.10
جيبوتي	5.50	7	0.785	1.30
كينيا	9.50	4	1.825	-
زامبيا	7.30	3	3.170	1.90
أوغندا	0.27	1	0.270	9.53

كما قدمت إسرائيل القروض إلى مختلف الدول الأفريقية لتمويل مشروعات البناء ، والطرق، والمشاريع الزراعية ،والفنادق وقد شملت القروض الدول التالية :غانا -نيجيريا - ليبيريا- ساحل العاج- غينيا - كينيا- سيراليون - تنزانيا - مالي - مدغشقر .
والجدول التالي يبين قيمة القروض التي قدمتها إسرائيل إلى الدول الأفريقية في الفترة من عام 1958-1966م مقدرة بملايين الدولارات.

1- عبدالسلام عبدالله سويسي : التغلغل الإسرائيلي في افريقيا 1973م / 1978م رسالة ماجستير غير

منشورة، قسم التاريخ ،كلية الآداب الزاوية 2002م، 196.

الجدول رقم (2)

طبيعة القرض وشروطه	تاريخ القرض	قيمة القرض	البلد
50% انتمان تجاري, 50% لتنفيذ مشاريع التنمية ومدة الائتمان من 5 إلى 6 سنوات	1958\4\17م_1965\6م	20	غانا
تنفيذ مشاريع مختلفة وإقامة مباني	1960\3\17م	8.40	نيجيريا
-	1959م	13	ليبيريا
بناء فندق وشراء مستلزمات البناء	1963م	1.50	ساحل العاج
لتمويل مشروعات بناء المساكن والمشاريع الزراعية والصناعية	1964م	2	غينيا
-	1965م	2.80	كينيا
تنفيذ مختلف المشاريع	1963م	3.33	سيراليون
لشراء مستلزمات البناء والائتمان التجاري وتنفيذ المشاريع الزراعية	1965-64-63م	5.8	تنزانيا
تمويل مصنع لتجديد إطارات السيارات	1966م	0.70	مالي
قرض بخصوص البناء	1964م	0.20	مدغشقر

1

كما استطاعت إسرائيل في الفترة من عام 1960م إلى عام 1965م، أن تعقد مع الدول الأفريقية أكثر من ستين اتفاقية في مختلف المجالات الاقتصادية والثقافية والفنية².

1- حمد سليمان المشوخي: مرجع سابق ص ص 282، 283

2- أمير كمال دسوقي : إبعاد التعاون الإسرائيلي - الإفريقي و مستقبل العلاقات الدبلوماسية ، مجلة السياسة الدولية ، مركز الأهرام ، العدد 91، القاهرة ، 1988م ، ص 231.

كما نجحت إسرائيل في جذب الأفارقة إلى زيارتها، ففي شهر نوفمبر عام 1959م وصلت بعثة من نقابات عمال غينيا لدراسة الحركة التعاونية والاقتصادية، ثم أعقبها بعثة نقابية أخرى في منحة دراسية لمدة 6 ستة أشهر 1. قامت إسرائيل بإرسال عدد من الفنيين والخبراء الإسرائيليين إلى الدول الأفريقية، واستقبال المتدربين الأفارقة في إسرائيل ابتداء من عام 1957- إلى عام 1966م 2.

والجدول رقم (3) التالي يوضح عدد البعثات الإسرائيلية في أفريقيا من عام 1958م-1966م.

السنة	عدد البعثات في أفريقيا
1958م	25 بعثة
1959م	51 بعثة
1960م	122 بعثة
1961م	211 بعثة
1962م	265 بعثة
1963م	424 بعثة
1964م	528 بعثة
1965م	453 بعثة
1966م	406 بعثة

- 1- محبات إمام أشرابي : الوجود الاسرائيلي والعربي في أفريقيا مرجع سابق ، ص57.
- 2- رجاء إبراهيم سليم : التبادل الطلابي في العلاقات الدولية مجلة السياسة الدولية مركز الأهرام ، العدد 91 ، القاهرة يناير 1989 م ، ص 41 ص 42 .

والجدول رقم (4) التالي يبين عدد الأفارقة الذين تدرّبوا في إسرائيل من عام 1958

من أفريقيا	مجال التدريب
805 متدرب	في مجال الزراعة
664 متدرب	في مجال النقابات
285 متدرب	في مجال إدارة الشباب
463 متدرب	في مجال التنمية
211 متدرب	في مجال الطب والصحة العامة
37 متدرب	في مجال التجارة والنقل والمال والصناعة
537 متدرب	في مجالات البعثات وحلقات الدراسة
103 متدرب	في مجالات الدراسات الجامعية

في مجال البعثات الدراسية إلى إسرائيل:

فقد بلغ عدد الطلاب الأفارقة الدارسين في إسرائيل خلال الفترة من عام 1973م إلى عام 1984م، حوالي 3401 دارس، منهم 1296 طالبا تلقوا دورات تدريبية في أفريقيا و2105 طالبا تلقوا تدريبهم في إسرائيل بمساعدة المؤسسات الإسرائيلية، والخبراء الإسرائيليين ولوحظ انخفاض عدد الطلاب الأفارقة بالمقارنة بين عام 1958م إلى عام 1984م والذين بلغ عددهم 9166 دارسا أفريقيا، ومما يجدر ذكره أنه رغم قطع العلاقات الدبلوماسية بين إسرائيل والعديد من الدول الأفريقية إلا أن مجال الخبراء والطلاب استمر دون انقطاع¹.

1- رجاء ابراهيم سليم: مرجع سابق، ص ص 41/42.

كما لعب المعهد الأفريقي -الآسيوي للدراسات والتعاون الذي تم افتتاحه في تل أبيب عام 1960م، دورا مهما من حيث تقديم البرامج التدريبية الشاملة للقادة النقبين حيث استطاع هذا المعهد أن يدرب حوالي ستة آلاف طالب أفريقي قبل عام 1973م من 30 دولة أفريقية ومنذ عام 1973م وحتى عام 1984م استقبل المعهد نحو 900 دارس أفريقي. وبذلك استطاعت إسرائيل أن تتغلغل في القارة الأفريقية¹.

مما سبق يتضح لنا أن إسرائيل قد نجحت في مخططها الرامي إلى الوصول إلى القارة الأفريقية وإكسابها إلى جانبها خاصة في الفترة من عام 1957م إلى غاية عام 1972م حيث استعملت إسرائيل كافة الإغراءات لكسب الدول الأفريقية، فقد نجحت الشركات الإسرائيلية من تنفيذ الكثير من المشاريع في اغلب الدول الأفريقية، كما أن إسرائيل استغلت الضائقة المالية لبعض الدول الأفريقية، حيث أسرع بتقديم القروض المالية التي كانت الدول الأفريقية في أمس الحاجة إليها، كما استطاعت إسرائيل أن تبعث بالمدرسين الإسرائيليين إلى الدول الأفريقية وجذب الطلبة والمتدربين الأفارقة إليها بحجة تقديم التدريب الراقي لهم وتقديم الخبرات المتقدمة لهم في كافة المجالات الفنية .

المساعدات العسكرية:

تعتبر المساعدات الإسرائيلية إلى أفريقيا، إحدى الوسائل التي استخدمتها للتغلغل داخل القارة الأفريقية بعدة أشكال وصور نذكر منها علي سبيل المثال :-

1 - قامت إسرائيل بتوفير التدريب المباشر للعسكريين و قوات الشرطة الأفريقية مثل أثيوبيا - غانا - سيراليون - أوغندا - زائير 2 .

ب- كما قامت إسرائيل بإرسال عدد من المستشارين العسكريين إلى الدول الأفريقية ، فقد وصل عدد المبعوثين العسكريين الإسرائيليين الذين عملوا في أفريقيا بين عامي 1958م

1- مروى ممدوح سالم : مرجع سابق ص17

2- نفس المرجع السابق ص 17

إلى عام 1972م إلى 1300 منهم في أثيوبيا وحدها حوالي 100 مستشار عسكري وعدد آخر في أوغندا 1 .

ج- قامت إسرائيل بإنشاء قواعد عسكرية خاصة في منطقة شرق أفريقيا والقرن الأفريقي وبالتحديد في أوغندا ، حيث استخدمت هذه القاعدة في عدوانها ضد مصر ، واستخدمت أيضا في تدريب ودعم قوات المتمردين في جنوب السودان أنايا نايا ،ردا على الموقف العدائي للرئيس نميري نحوها وتأييده لمصر 2.

د- قامت إسرائيل ببيع الأسلحة للدول الأفريقية مثل مدافع الهاون 120مم وبعض الطائرات إلى أوغندا ، كما قامت ببيع عدة أجهزة إلكترونية وأجهزة اتصالات ورادارات إلى كل من كينيا وأثيوبيا وجنوب أفريقيا 3.

العلاقات الاقتصادية بين إسرائيل وأفريقيا:

رأت إسرائيل إن للعامل الاقتصادي دورا مهما في نجاح علاقاتها وتواجدها في القارة الأفريقية و ركزت نشاطها على قطاعين هما الزراعة ، ومبيعات الأسلحة .إن القطاع الزراعي الإسرائيلي يدعم نشاطها الاقتصادي في أفريقيا وخاصة في دول حوض النيل ، حيث إنها تعمل على مشروعات استصلاح الأراضي والري وكذلك بناء السدود . وتحتل أفريقيا المركز السابع في قائمة شركاء التجارة الإسرائيلية كما تحتل جنوب أفريقيا المركز الأول بين الدول الأفريقية التي لها علاقات تجارية مع إسرائيل ، تليها كينيا ،وتعتبر

1- نفس المرجع ونفس الصفحة

2- حلمي عبد الكريم الزعبي : مخاطر التغلغل الصهيوني في أفريقيا ، الطبقة الأولى ، شركة كاظمة للنشر والتوزيع الجامعة للدراسات والنشر ، الكويت 1985م ص9-ص17.

3- مروى ممدوح سالم : مرجع سابق ، ص37-ص38.

الجابون مصدرا للواردات الإسرائيلية فقط، بينما تمثل موريتانيا ،وتنزانيا سوقا مفتوحة للصادرات الإسرائيلية دون القيام بأية واردات⁽¹⁾.

وتعتبر تجارة السلاح والماس من أهم التجارة مع مختلف الدول الأفريقية ، حيث إن الأسلحة الإسرائيلية انتشرت في كل مكان من أفريقيا خاصة في منطقة البحيرات العظمى ، والسودان كما أن الجماعات المتمردة كانت لها علاقات واتصالات مباشرة مع المخابرات الإسرائيلية (الموساد)². وقد قامت علاقات قوية ومباشرة بين تجارة الأسلحة الإسرائيلية في أفريقيا وتجارة الماس ، يقوم بها رجال الأعمال الإسرائيليين الذين يقومون بتهرب الماس من بعض الدول الأفريقية ،مثل الكونغو ، سيراليون ، وانجولا إلى مراكز التصنيع في أوروبا وأمريكا وإسرائيل والهند³.

إن أفريقيا تعتبر المصدر المهم بالنسبة لإسرائيل في الحصول على المواد الخام التي تعد إسرائيل في أمس الحاجة إليها في صناعاتها ، خاصة خام الماس الذي أصبح مادة رئيسية في الصناعة الإسرائيلية ،فضلا عن ذلك فإن بعض المشروعات الاقتصادية المشتركة بين إسرائيل وبعض الدول الأفريقية تزود الاقتصاد الإسرائيلي ببعض المواد الأولية التي تتحصل عليها بأرخص الأسعار ومما يجب الإشارة إليه إن معظم الصادرات الإسرائيلية تتجه إلى الدول الأفريقية التي تقاطع إسرائيل دبلوماسيا ،أكثر من الدول التي مازالت علاقاتها الدبلوماسية قائمة مع إسرائيل منها مالوي ،وسوازيلاند ، ليسوتو إن صادرات إسرائيل تضاعفت أكثر من مرتين عام 1975م وإن من يتابع النشاط الإسرائيلي في الستينيات حتى أوائل السبعينيات سوف يلاحظ الفرق الكبير في تعاملات إسرائيل مع

1- نفس المرجع السابق ، ص38.

2- نفس المرجع السابق ، ص38.

3- نفس المرجع السابق ، ص38-ص39

أفريقيا في كافة المجالات وكأن قطع العلاقات الدبلوماسية معها لم يحد من نشاطها في أفريقيا⁽¹⁾.

وفي مجال التبادل التجاري بالذات بين إسرائيل وأفريقيا تبين الإحصاءات في أعوام 1970م ، 1975م ، 1980م ، قبل قطع العلاقات الدبلوماسية وبعدها .

والجدول (5) يبين قيمة التبادل التجاري بين إسرائيل وأفريقيا

التعامل التجاري الواردات بملايين الدولارات			التعامل التجاري الصادرات بملايين الدولارات			الدولة
السنة 1980م	السنة 1975م	السنة 1970م	السنة 1980م	السنة 1975م	السنة 1970م	
1.8	5.6	2.0	11.2	4.4	4.4	أثيوبيا
5.1	4.8	1.6	0.6	1.2	_	الجابون
_	0.4	0.6	2	2	2.1	غانا
117.1	40.2	10.2	79.2	34.7	10.7	جنوب أفريقيا
4.8	1.8	0.9	7	4.2	1.2	ساحل العاج
1.4	1.9	0.1	8.6	1.9	1.9	تنزانيا
_	2.3	1.2	0.3	2.9	0.1	ليبيريا
0.1	_	_	44.3	13.4	3.6	نيجيريا

1- مجدي حماد : إسرائيل وإفريقيا ، دراسة في إدارة الصراع الدولي، دار المستقبل العربي، القاهرة

4.7	2.9	1.2	15.2	3.8	3.6	كينيا
0.7	8.8	12.3	22.5	5.3	13.9	دول أخرى
135.7	67.7	30.1	190.9	73.5	41	الإجمالي

(1)

يتضح من الجدول السابق إن التبادل التجاري بين إسرائيل وأفريقيا استمر رغم قطع العلاقات الدبلوماسية بينهما ويلاحظ أيضا إن التبادل التجاري كان مرتفعا بدرجة كبيرة مع جنوب أفريقيا حيث توضح الأرقام بجلاء إن إسرائيل تولي اهتماما كبيرا للنظام الاستيطاني في جنوب أفريقيا كما يلاحظ الباحث إن إسرائيل تحاول استمرار العلاقات مع الدول الأفريقية رغم قطعها لأنها في أمس الحاجة إلى إيجاد أسواق خارج أرضها واستمرار تدفق المواد الخام إليها، كما أن بعض الدول الأفريقية في حاجة إلى المساعدات الإسرائيلية .

العلاقات الدبلوماسية:

لم يكن لإسرائيل أي نشاط يذكر في أفريقيا ، قبل انعقاد مؤتمر باندونج بإندونيسيا عام 1955م وقد كانت إسرائيل عازمة حضور المؤتمر، لكن لم يتم دعوتها لحضور المؤتمر، وقد أدى الرئيس جمال عبد الناصر دورا حاسما في عدم مشاركتها في أعمال المؤتمر وقدمت الاشتراك في أعماله ، حيث قام موشي شاريت رئيس حكومتها ووزير خارجيتها بإرسال برقية إلى رئيس المؤتمر يطلب فيها عدم البحث في الشؤون الإسرائيلية مادامت إسرائيل غير ممثلة فيه2

1- حلمي شعراوي: العرب والأفريقيون وجها لوجه ، دارالتقافة الجديدة ، القاهرة 1984م ص288.

2- دار الوثائق القومية : وزارة الخارجية ، محفظة رقم 1438 ، ملف رقم 25\142\40\3ج مذكرة من الأمانة العامة للجامعة الدول العربية إلى وزارة الخارجية المصرية بشأن موقف إسرائيل من مؤتمر باندونج وأصداء هذا المؤتمر بتاريخ 1955\5\4م .

وقد عبرت الصحف الإسرائيلية عن خيبة أملها في عدم حضور المؤتمر وأشارت إلى أن خيبة أمل إسرائيل في أن تصبح دولة أوربية عادلته خيبتها من أن تصبح دولة آسيوية ، وأكدت الصحف الإسرائيلية إن نبذ إسرائيل من مؤتمر باندونج قد جاء بالدليل على أن الدول الأفرو آسيوية قد رأت في معادتنا الوسيلة لجمع تسع وعشرين دولة أفرو آسيوية تمثل نصف سكان البشر في ذلك الحين¹

وبذلك يمكن القول إن مؤتمر باندونج كان الخطوة الأولى لاتجاه إسرائيل نحو القارة الأفريقية التي شهدت تغلغلا دبلوماسيا نشطا كبيرا ، حيث يرى الكثير من الباحثين إن عام 1957م ، يعد بمثابة البداية الحقيقية لوجود إسرائيل بشكل رسمي في أفريقيا ، فقد كان لها قبل هذا التاريخ علاقات محدودة جدا مع بعض الدول الأفريقية مثل ليبيريا ، أثيوبيا إلا أن إسرائيل بعد هذا التاريخ استطاعت تحديث القنصلية الإسرائيلية في غانا لتصبح سفارة كاملة .

ونتيجة حركة الاستقلال التي شهدتها الدول الأفريقية، بادرت إسرائيل إلى الاعتراف بالدول الأفريقية التي تحصلت على استقلالها، وأقامت علاقات دبلوماسية معها.

ومنذ عام 1962م إلي عام 1967م استطاعت إسرائيل أن تقيم علاقات دبلوماسية مع 32 دولة افريقية ؛ وأن تقيم شبكه من العلاقات السياسية مع أكثر من 80 دولة من الدول النامية²

ومن هنا نلاحظ إن العلاقات الإسرائيلية . الأفريقية قد بلغت ذروتها في عام 1967م

1- نفس المصدر السابق

2 - مجدي حماد : مرجع سابق، ص 89

وهكذا استطاعت إسرائيل بفضل سياستها الخارجية في أفريقيا أن تحصل على تأييد الدول الأفريقية بوجه عام نتيجة دعمها للدول الأفريقية وبالتالي خروجها من العزلة السياسية، وظهورها في الميدان الدولي.

قطع العلاقات بين الدول الأفريقية وإسرائيل:

اشرنا فيما سبق إلى أن العلاقات الأفريقية _ الإسرائيلية وصلت إلى قمت الصداقة والتعاون عام 1967م ،إلى درجة أن الدول الأفريقية لم تتخذ موقفا مؤيدا للدول العربية في أعقاب حرب 1967م، ماعدا بعض الدول الأفريقية مثل غينيا كوناكري وزعيمها الرئيس أحمد سيكوتوري 1 الذي تغيرت عنده الصورة التي رسمتها إسرائيل في ذهن الأفارقة عندما شنت حربا ضد العرب عام 1967م يقول الرئيس الغيني أحمد سيكوتوري عندما وقع العدوان على الأراضي العربية في 5/6/1967م، دعوت جميع اليهود لمغادرة غينيا خلال 24 ساعة ، وأضاف إن غينيا كانت تتلقى أكبر عون من إسرائيل نظرا لأن السيدة جولدا مائير كانت نقابية في إسرائيل أيام كنت أتولى قيادة الحركة النقابية الأفريقية، ويقول إنها قبل أن تصبح رئيسة الوزراء دافعت عن قضية غينيا في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تقاطعها ، وقدمت لنا مبالغ ضخمة من المال ، كما قدمت لنا تقنية تكنولوجية ثمينة جدا دون الإعلان عنها ودون توقيع اتفاقية معها أيضا2.

1- ولد الرئيس احمد سيكوتوري عام 1922م في قرية فارانا بغينيا ويرجع نسبه الي سلالة الإمام ساموري وقد مارس عدة وظائف منها قيادة الحركة الوطنية في غينيا، وفي عام 1954م ترأس اول نقابة للعمال في غينيا ،ثم أصبح سكرتيرا عاما لاتحاد نقابات غينيا عام1946م ويفضل جهود احمد سيكوتوري تحصلت غينيا علي استقلالها في شهر أكتوبر عام1958م من الاستعمار الفرنسي وكان سيكوتوري اول رئيس لها بعد استقلالها .

2- احمد سيكو توري : من اجل عودة مصر إلى القمة الإسلامية ، ترجمة محمد البخاري ، اجتماع القمة الرابعة المنظمة المؤتمر الإسلامي ، الدار البيضاء يناير 1984م ، ص 19.

لقد كانت غينيا بقيادة أحمد سيكوتوري أول من أدرك حقيقة إسرائيل، وأول من قام بقطع العلاقات معها ومنذ ذلك الوقت بدأ موقف إسرائيل يتدهور في أفريقيا ، وأصبح الأفارقة ينظرون إلى إسرائيل على أنها دولة معتدية تريد التوسع على حساب الدول العربية ، وما أن اندلعت حرب أكتوبر عام 1973م حتى قطعت أغلبية الدول الأفريقية علاقاتها مع إسرائيل تعاطفا مع العرب ومصر بالذات لكونها دولة أفريقية وقع عليها الاعتداء من قبل إسرائيل .

ونتيجة قيام الحرب بين العرب و إسرائيل عام 1973م قطعت 20 دولة أفريقية علاقاتها مع إسرائيل وهي: بنين - راو ندا - الكامبيون - غينيا الاستوائية - فولتا العليا (بوركينافاسو-حاليا) - تنزانيا - ملاجاش - أفريقيا الوسطى- سيراليون - أثيوبيا- نيجيريا_ زامبيا - غانا - غامبيا - السنغال - الغابون - كينيا - ليبيريا - ساحل العاج- بوتسوانا1.

وبقيت 4 دول أفريقية فقط على علاقاتها مع إسرائيل وهي ليوستو - مالايو - وجزر موريشيوس- سوزيلاندا2. وقد اعتبر العرب هذا الموقف من قبل الأفارقة خطوة فريدة من نوعها .

موقف العرب من التواجد الإسرائيلي في القارة الأفريقية:-

تعد جمهورية مصر العربية في مقدمة الدول العربية التي أدركت مخاطر إسرائيل وتغلغلها في القارة الأفريقية منذ انعقاد مؤتمر باندونج عام 1955م وكما اشرنا فيما سبق إلى نجاح جمال عبد الناصر وغيره من قادة أفريقيا في عزلة إسرائيل ومنع مشاركتها في أعمال

1- عبد السلام عبد الله سويسي : مرجع سابق، ص106

2- عبد الملك عودة ومحمد على العويني : حرب أكتوبر والمتغيرات في الموقف الدولي ، الندوة الدولية لحرب أكتوبر 1973 م ، المجلد السياسي المجلد 8 ، إدارة المطبوعات والنشر بالقوات المسلحة ، ص 224 .

المؤتمر كما أن مصر اشتركت في أغلبية المؤتمرات الأفريقية ومنها مؤتمر الدار البيضاء عام 1961م حيث وصف عبد الناصر إسرائيل بأنها أداة من أدوات الاستعمار خاصة بعد ما أصبحت لها علاقات مع غانا و مالي غينيا كوناكري وقد استطاع عبد الناصر أن يلفت نظر قادة تلك الدول إلى أخذ الحيطة و الحذر والى ضرورة قطع العلاقات معها 1

كما حرضت مصر الدول الأفريقية إلى عدم قبول المساعدات التكنولوجية أو النصائح العلمية وقد استطاعت مصر أن تنجح في استصدار قرار داخل المنظمة الوحدة الأفريقية بخصوص عدم قبول المساعدات الإسرائيلية 2

وتؤكد الوثائق البريطانية بأن مصر كانت تعمل من أجل تحرير القارة الأفريقية ومن أجل طرد إسرائيل من القارة وعرقلة العلاقات التي كانت إسرائيل تحاول إقامتها مع الدول الأفريقية 3

الوسائل التي استخدمتها مصر والدول العربية عموماً ضد العلاقات الإسرائيلية - الأفريقية فهي:-

أ- الاتصال الشخصي :

قام الرئيس جمال عبد الناصر بعدة زيارات إلى الدول الأفريقية خاصة غينيا غانا و مالي وغيرها من الدول الأفريقية نتج عنها توقيع اتفاقيات بين مصر وتلك الدول في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية وقد ساهمت الدول العربية الأفريقية إلى جانب

1- حمد سليمان المشوخي . مرجع سابق ، ص 457

مصر ليبيا والجزائر بالنصيب الأكبر في تلك المجالات الأمر الذي أدى إلى اقتناع الدول الأفريقية انه لا جدوى من استمرار العلاقات مع إسرائيل .

أرادت الدول العربية أن تعرقل العلاقات بين إسرائيل و الدول الأفريقية وان تسعى بكل ثقلها إلى تنمية نشاطها الاقتصادي وتدعيم تعاونها مع الدول الأفريقية كضرورة لمواجهة العلاقات بين إسرائيل والدول الأفريقية نتج عن

ذلك إن صادرات و واردات الدول الأفريقية بدأت في الانخفاض وارتفعت مع الدول الأفريقية 1

وفي هذا الشأن قامت مصر بجهود كبيرة لمنافسة إسرائيل في تقديم السلع والخدمات وطلبت من سفارتها مراقبة المشتريات و البضائع القادمة من إسرائيل وكذلك عرض مثل هذه البضائع في الأسواق الأفريقية بأسعار اقل بالنسبة للدول الأفريقية كما قامت مصر بإرسال بعثة اقتصادية بدأت من شرق أفريقيا إلى غربها كان الغرض منها العمل على مقاومة التعاون والعلاقات بين إسرائيل والدول الأفريقية كما سيرت خطين ملاحيين من ميناءي الإسكندرية والسويس لربطهما بموانئ غرب أفريقيا وشرقها 2 . كما أن مصر قامت بفتح العديد من الفروع لشركة النصر للتصدير والاستيراد في الكثير من العواصم الأفريقية من اجل منافسة الشركات الإسرائيلية التي أصبح لها نفوذ في أفريقيا 3

ب- في مجال التمويل :-

فقد ساهمت بعض الدول العربية إلى جانب مصر مثل الكويت، حيث ساهمت كل منهما بثلث رأس مال البنك العربي الأفريقي كما أن الكويت قامت بتأسيس شركة كويتية -

1- مجدي حماد . إسرائيل وأفريقيا ، مرجع سابق ، ص151 .

Cairo Eyes On African Trade ، Dally Telegraph ، 2 - F.O371 /158798-88073
March 1961.،Threat To west 21

3 - مجدي حماد . إسرائيل وأفريقيا ، مرجع سابق ، ص151

نيجيرية للاستثمارات وشركة أخرى للمقاولات، للقيام بنشاط اقتصادي مع الدول الأفريقية، وقد عمل العرب على فتح فروع للبنوك العربية في نيجيريا، و تنزانيا، و منروfia و أبيدجان، كل هذه المحاولات التي قام بها العرب هي في الحقيقة الهدف منها عرقلة النشاط الإسرائيلي في القارة الأفريقية، وإفساد العلاقات بشتى الطرق والوسائل¹

ج- فيما يخص تقديم القروض :-

فقد بدأت مصر في تقديم القروض للحكومات الأفريقية ، لتمويل التنمية الصناعية فيها إذ منحت الصومال قرضا بقيمة خمسة ملايين جنيه مصري عام 1960م ، وفي عام 1961م منحت قرضا لكل من غينيا ، وتشاد ، ومالي ، وكانت هذه القروض طويلة الأجل ، و بقيمة ستة ملايين جنيه مصري ، وفي عام 1962م منحت مصر حكومة نيجيريا قرضا بقيمة ثلاثة ملايين جنيه ، إضافة إلى ذلك قامت بإرسال مئات من الفنيين المصريين ، إلى أنحاء عدة من القارة الأفريقية².

الخلاصة

مما سبق يتضح لنا أن إسرائيل استطاعت أن تخترق القارة الأفريقية، وأن تتوغل فيها، حيث نجحت في إقامة علاقات دبلوماسية مع أغلب دول القارة الأفريقية، إذ كانت تعترف باستقلال الدول الأفريقية ، وتقدم إليها المنح والقروض لأعمال البناء والتشييد، كما استطاعت أن تعقد مع الدول الأفريقية العديد من الاتفاقيات في كافة المجالات الاقتصادية والفنية والثقافية والعسكرية، كما أن الشركات الإسرائيلية تمكنت من الدخول إلى أفريقيا واستطاعت أن تقوم بتنفيذ العديد من المشروعات في البناء والتشييد وبذلك استطاعت إسرائيل أن تكسر الطوق العربي المفروض عليها كما أن الدول الأفريقية

1 - - El khawas ,mohamed.A: Africa and the middle Eastern Crisis Issue

.Agournal of Opinion Vol -5-no1(spring1975) p.35

2 - مروى ممدوح سالم : مرجع سابق ، ص37-ص38

المستقلة حديثا ، قد انتهجت في بداية أمرها سياسة صداقة مع كل الشعوب والحكومات لتحصل على الاعتراف بها ، كما أنها لا ترغب في إثارة المشاكل والخلافات وهي مازالت في حاجة إلى الدعم والمساعدة ، وبذلك وجدت إسرائيل الدول الأفريقية محتاجة إليها الأمر الذي مكنها من إقامة علاقات دبلوماسية مع أغلب الدول الأفريقية حتى إن بعض الدول الأفريقية أيدت إسرائيل في حربها ضد العرب عام 1967م، ماعدا غينيا كونا كيري وزعيمها أحمد سيكوتوري الذي استنكر حرب إسرائيل ضد العرب، وقام بقطع العلاقات الدبلوماسية معها .

استمرت بعض الدول الأفريقية على علاقاتها مع إسرائيل حتى حرب أكتوبر عام 1973م وفي هذه الحرب تغيرت الصورة التي كانت عالقة في ذهن الأفارقة، وأيقنوا إن إسرائيل دولة معتدية تريد التوسع على حساب العرب ، وبذلك كان موقف الأفارقة في تلك الحرب مؤيدا للقضية العربية، وقاموا بقطع العلاقات الدبلوماسية معها .

كما إن الدول العربية وعلى رأسها مصر لم تقف موقفا متفرجا، بل عملت على إفساد تلك العلاقات بشتى الطرق والوسائل

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

1. دار الوثائق القومية : وزارة الخارجية ، محفظة رقم 1438 ، ملف رقم 40\142\25\3ج مذكرة من الأمانة العامة الجامعة الدول العربية إلى وزارة الخارجية المصرية بشأن موقف إسرائيل من مؤتمر باندونج وأصداء هذا المؤتمر بتاريخ 4\5\1955 م .

ثانياً: المصادر الأجنبية:

1. F.O 371 /158798-88073-New York، Times January 24 1961
2. F.O 371 /158798-88073-Rectricted British Embassy Cairo No 10312/61,july25/196 .
3. F.O371 /158798-88073، Dally Telegraph Cairo Eyes On African Trade Threat To west 21،March 1961

ثالثاً: المراجع العربية:

- 1- مروى ممدوح سالم :إسرائيل وأفريقيا ،ط2، الدولية الأفريقية لنشر و التوزيع القاهرة 2012م ص8
- 2- حمد سليمان المشوخي : التغلغل الاقتصادي الإسرائيلي في أفريقيا ،دار الجامعة المصرية الإسكندرية 1972م، ص247
- 3- المهدي بن بركة واخزون : المعركة بين العرب وإسرائيل ، وزارة الثقافة المصرية ،دار الكتاب العربي ، القاهرة ، دت ،ص129 .
- 4- عواطف عبد الرحمن :إسرائيل وإفريقيا 1948-1973م،سلسلة كتب فلسطينية، مركز الأبحاث الفلسطينية، 1974م، ص33.
- 5- محبات إمام الشرايبي : الوجود الإسرائيلي والعربي في أفريقيا ، دار المعارف المصرية ، القاهرة ، 1982م، ص20.
- 6- حلمي عبد الكريم الزعبي : مخاطر التغلغل الصهيوني في أفريقيا ، الطبقة الأولى ، شركة كاظمة للنشر والتوزيع الجامعة للدراسات والنشر ، الكويت 1985م ص9-17.
- 7- مجدي حماد : إسرائيل وأفريقيا ، دراسة في إدارة الصراع الدولي،دار المستقبل العربي، القاهرة 1986م، ص74.
- 8- حلمي شعراوي: العرب والأفريقيون وجها لوجه ،دار التفافه الجديدة ، القاهرة 1984م

ص288.

- 9- احمد سيكو توري : من اجل عودة مصر إلى القمة الإسلامية ، ترجمة محمد البخاري ، اجتماع القمة الرابعة المنظمة المؤتمر الإسلامي ، الدار البيضاء يناير 1984م ، ص19.

رابعاً: المراجع الأجنبية:

- 1- Ben gurion, david: years of challenge, holt new York, 1963.p.61

خامساً: المجلات والدوريات:

1. المهدي بن بركة : إسرائيل وأفريقيا ، مجلة الطليعة ، العدد 5، السنة الثانية ، القاهرة 1966م ص66.
- 2- محمد المعتصم سيد : إسرائيل وأفريقيا ، مجلة نهضة إفريقيا ، العدد 67، السنة السادسة ، الجمهورية العربية المتحدة، يونيو 1963م، ص27.
- 3- أمير كمال دسوقي : إبعاد التعاون الإسرائيلي – الأفريقي و مستقبل العلاقات الدبلوماسية ، مجلة السياسة الدولية ، مركز الأهرام ، العدد 91، القاهرة ، 1988م ، ص231.
- 4- رجاى إبراهيم سليم : التبادل الطلابي في العلاقات الدولية مجلة السياسة الدولية مركز الأهرام ، العدد 91 ، القاهرة يناير 1989م ، ص41 ص42 .

سادساً: المجلات الأجنبية:

1. El khawas ,mohamed.A: Africa and the middle Eastern Crisis Issue Agournal of Opinion Vol -5-no1(spring1975) p.35.

سابعاً: المؤتمرات والندوات:

- 1- بيتر هيليد : إسرائيل وجنوب أفريقيا وتحالف العنصريين ، المؤتمر الفكري حول الصهيونية و العنصرية ، بغداد ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت لبنان 1976م ، ص85.
- 2- عبد الملك عودة ومحمد على العوينى : حرب أكتوبر والمتغيرات في الموقف الدولي ، الندوة الدولية لحرب أكتوبر 1973 م ، المجلد السياسي المجلد 8 ، إدارة المطبوعات والنشر بالقوات المسلحة ، ص 224 .

ثامناً: الرسائل العلمية:

1. عبدالسلام عبدالله سويسي : التغلغل الإسرائيلي في أفريقيا 1973م / 1978م رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ ،كلية الآداب الزاويه 2002م، ص196.

مظاهر البعد الحضاري في مرويات كتاب التيجان في ملوك حمير

إعداد : د. إمامد انويجي غميص*

د. شعبان علي أبوراس**

ملخص البحث

على الرغم من أن كتاب التيجان في ملوك حمير لا يخلو من وجود مرويات ذات صبغة أسطورية أو حتى خرافية ولكن ذلك لا يعني بالمقابل أن مرويات هذا الكتاب لم تتضمن روايات تاريخية حقيقية أو أن المرويات التي شابها الطابع القصصي شبه الأسطوري لم تتضمن إشارات مفيدة عن جوانب حضارية مختلفة ، صُعب على الباحثين إدراك وجودها وإمكانية توظيفها علمياً، لكونها جاءت على نحو متفرق ومتباعد من ناحية و تناولها يقتضي عرض مكوناتها على النقوش والآثار المكتشفة والكتابات التاريخية الكلاسيكية من ناحية أخرى ؛ وهو الأمر الذي أتاح للباحث إمكانية اتخاذ المرويات التي تطرقت إلى تلك الجوانب الحضارية مجالاً لهذا البحث، والذي تناول وفقاً لذلك ما تضمنته تلك المرويات من إشارات إلى طبيعة نظام الحكم الذي كان سائداً في بلاد العرب الجنوبية (اليمن حالياً) والإشارات التي تطرقت إلى استيطان اليمنيين القدماء الحبشة وأجزاء مختلفة من شبه الجزيرة العربية وبما في ذلك وسطها وسوريا والعراق وتلى ذلك تناول بقية الجوانب الحضارية الأخرى والتي شملت النواحي الفكرية الأدبية والفنية والدينية ونواحي ذات صبغة آثاره .

توطئة

السائد في نسبة تأليف كتاب التيجان في ملوك حمير - بين غير المتخصصين - أنه من تأليف وهب بن منبه⁽¹⁾ ولعل لذلك علاقة بوجود إشارة أسفل عنوان الكتاب تؤكد أنه

* أستاذ بقسم التاريخ ، كلية الآداب الخمس ، جامعة المرقب .

** أستاذ بقسم التاريخ ، كلية الآداب الخمس ، جامعة المرقب .

مروي عن وهب وأن عبدالمك بن هشام⁽²⁾ هو من تولى روايته⁽³⁾ غير ان التدقيق في مكونات أسانيد المرويات التي تضمنها الكتاب يكشف أن اسناد أمر تأليفه إلى عبدالمك بن هشام هو الأقرب إلى الصواب، لأنه من تكفل بجمع ورواية معظم المرويات المشار إليها ، وبما في ذلك مرويات وهب التي يمكن القول من ناحية أخرى إنها لم تشمل الكتاب بأكمله لكي يقال إنه مروي عنه وهب بن منبه.

أما فيما يخص محتويات كتاب التيجان فيمكن القول إنها يمكن أن نُقسم - وفقاً لطبيعة مكوناتها - إلى ثلاثة أقسام رئيسية ، تتمثل في الآتي :

* **القسم الأول:** تناولت مروياته بدء الخليقة وخلق الكون وبدء سُكنى آدم وحواء الأرض وكيفية تولي أبناء ذرية آدم الدعوة إلى عبادة الله ، من بعد وفاته (أي آدم) وحتى عهد نبي الله نوح عليه السلام⁽⁴⁾.

* **القسم الثاني :** تناولت مروياته سيرة أبناء نوح وذرياتهم وكيفية أنتشارهم في الأرض وانتقالهم ما بين بابل وشبه الجزيرة العربية والحبشة .

وخصت سيرة نسل قحطان بن هود عليه السلام بالتركيز في ذلك التناول ، والذي أمتد إلى ظهور عبد شمس بن يشجب المعروف بلقب سبأ⁽⁵⁾.

(1) وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار الأبناري ولد عام 34 هـ ، اشتهر بوصفه اخبارياً ولكنه يوصف أيضاً بالامام والعلامة وبأنه تابعي ثقة . وبأنه أخذ الحديث عن ابن عباس وابي هريرة وغيرهما . تولى قضاء صنعاء وحسب الذهبي بان غزارة علما كان في الاسرائيليات وله اطلاع على صحائف أهل الكتاب . توفي سنة 110هـ ويقال بل في سنة 114هـ(الذهبي). محمد بن أحمد بن عثمان : سير أعلام النبلاء - ج4 - مؤسسة الرسالة - 2001م ص 545-546-556).

(2) أبو محمد عبدالمك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري.اشتهر بكونه نسابة ونحوي ولد في البصرة وتوفي في مصر سنة 213هـ (ويقال في 218هـ) وهو صاحب السيرة النبوية المشهورة بمسمى " سيرة ابن هشام" واليه ينسب كتاب في انساب حمير وملوكها - لعله كتاب التيجان نفسه-(ابن خلكان: وفيات الاعيان-ج3-دار صادر-بيروت،ص177.

(3) أنظر : كتاب التيجان في ملوك حمير - ط2 - تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمني - صنعاء 1979م.

(4) أنظر كتاب التيجان ، ص 2 - 32.

(5) المصدر نفسه ، ص 33 - 58 .

* **القسم الثالث :** يشغل الحيز الأكبر من المرويات ، ويتناول سير الملوك الذين تولوا حكم اليمن، بدءاً من حمير بن سبأ وحتى زمن سيف بن ذي يزن ، وشمل ذلك التناول في بعض جوانبه علاقة أولئك الملوك ، بملوك وقبائل شمال الجزيرة، المتصلة أنسابهم الأولى بجنوب الجزيرة ، لاسيما قبيلة جرهم المنسوب إليها تاريخياً حكم مكة وشمال الجزيرة من قبل أحفاد أو نسل النبي إبراهيم عليه السلام⁽¹⁾.

ونظراً لأن هذا القسم هو أكثر توافقاً مع عنوان الكتاب وطبيعة بحثنا هذا فقد جرى اختياره مجالاً للدراسة ، دون القسمين الآخرين.

وقد جرى الاعتماد في هذا البحث على الطبيعة الثانية من كتاب التيجان والتي تولى تحقيقها ونشرها مركز الدراسات والأبحاث اليمني وصدرت بصنعاء عام 1979م⁽²⁾.

على الرغم من أن معظم مرويات كتاب التيجان التي تناولت تاريخ وسير ملوك حمير زاخرة بالتفاصيل غير التاريخية والتي تصل في بعض الحالات إلى مستوى القصص الخرافية الخيالية ، ولكن المُكتشف من الآثار والنقوش وروايات المصادر الكلاسيكية التي تطرقت إلى تاريخ جنوب جزيرة العرب القديم تؤكد أن اختلاط القصص الأسطورية بالتاريخ الحضاري الحقيقي لم يلغ بالكلية حقيقة الجوانب الحضارية التي تضمنتها تلك المرويات والتي شملت نواح مختلفة : سياسية ، دينية ، فكرية وفنية ، آثارية ، وهو ما سمح باتخاذ هذه الجوانب مجاًلاً لدراسة هذا البحث وتم تناولها على النحو الآتي:

* نظام الحكم:

تشير مرويات كتاب التيجان الداخلة في نطاق دراسة هذا البحث وبالتحديد تلك التي تناولت سير ملوك حمير ، إلى أن نظام الحكم الذي كان سائداً في بلاد العرب الجنوبية ، هو النظام الملكي القائم على توارث أسرة بعينها السلطة وأن الملك الأب كان يوصي قبيل

(1) المصدر نفسه ، ص 60 - 317.

(2) لمزيد من التفاصيل عن هذا الجانب . أنظر : كتاب التيجان ، ص 5 وما بعدها.

وفاته بأن يتولى أكبر أبنائه ، العرش من بعده والمثال المؤسس لذلك يتمثل في عهد سبأ بن يشجب⁽¹⁾ إلى أبنه حمير بالملك قبيل وفاته⁽²⁾.

وإشارة النقوش اليمنية القديمة إلى ملكية نظام الحكم واسناد الملوك العرش إلى أبنائهم من

الأمر القطعية التي لا تحتاج إلى ذكر شواهد لذلك⁽³⁾.

كما أن المصادر اليونانية الكلاسيكية⁽⁴⁾ لم تخلو من إشارات مماثلة ، حيث يذكر ديودورس الصقلي Diodoros Siculus (والذي عاش في القرن الأول ق.م) أن نظام الحكم لدى السبئيين كان ملكياً ويقوم على تولي الحكم فيه بالتتابع ملوك يتم اختيارهم من أسرة بعينها .

غير أن المرويات تشير أيضاً إلى أن عملية انتقال السلطة من الآباء إلى الأبناء لم تخلو من حدوث اضطراب وتنازع ، فيما بين الإخوة أنفسهم ، أو بينهم وبين أبناء عموماتهم ، وأن هذا الأمر كان يؤدي إلى حدوث حروب طاحنة بين المتنافسين على العرش .

(1) عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان . ولقب بسبأ لأنه أول من سبأ من ملوك العرب - على قول الاخباريين - وتذكر المرويات أنه اسند الحكم من بعده الى أبنه حمير وجعل أبنه الآخر (كهلان) وزيراً لحمير . ويشير جواد علي إلى أنه عثر على كتابه حفرت على لوح نحاسي جاء فيها ذكر نسب ولقب عبد شمس على نحو ما هو مذكور في روايات الاخباريين(الحميري.نشوان بن سعيد : ملوك حمير وأقيال اليمن - تحقيق علي المؤيد وإسماعيل الجرافي_ط2_ دار العودة_ بيروت 1978م ، ص10-12. الخزاعي . دعلج بن علي : وصايا الملوك - تحقيق/ نزار اباطة - 11 - دار صادر - بيروت 1997م ، ص 30 - 32. أنظر أيضاً : جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب القديم _ ج 2 _ ط2 _ نشر جامعة بغداد - بغداد 1993م ص259).

(2) كتاب التيجان ، ص 58.

(3) أنظر: محمد عبدالقادر بافقيه وآخرين : مختارات من النقوش اليمنية القديمة - مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس 1985م ، ص 134 - 189 ، 230 ، 231 ، 309 - 311.

(4) DIODORE DE SICILE , BIBLIOTHEQUE HISTORIQUE - Trad.par.M.F.Hoever - paris 1846,P.225.

أنظر أيضاً : روبنسون. ماكسيم : بلاد اليمن في المصادر الكلاسيكية - ترجمة د/ حميد العواضي ط1- نشر وزارة الثقافة اليمنية - صنعاء 2001م ، ص 32.

ويبرز ما تمت الإشارة إليه فيما ذكرته المرويات عن قيام صراع على العرش بين أبناء حمير بن سبأ ، والذي تمثل في محاولة مالك بن حمير انتزاع الملك من أخيه وائل والذي كان والده قد اسند الأمر إليه قبيل وفاته⁽¹⁾.

وتشير المرويات ذاتها إلى أن صراع الأخوين على العرش لم يحسم وأنه انتقل إلى الأبناء بعد ذلك ، لأن كلاً منهما اسند الأمر قبيل وفاته إلى أحد أبنائه⁽²⁾.

والمستنتج مما أورته المرويات بعد ذلك أن الصراع على العرش بين أفراد الأسرة الواحدة ، ازداد حدة بعد أن أصبحت الأسر المتفرعة منها تمثل قبائل كبيرة العدد. وأدى إلى انقسام المملكة الواحدة إلى عدة ممالك وتطور نظام الحكم الملكي التقليدي إلى ما يمكن تسميته بالملكية الشوروية وتحول العدد الأكبر من أفراد تلك الأسر الملكية المتفرعة إلى أمراء او حكام مقاطعات أو أقاليم ، يتبع كل منهم ملكاً بعينه .

حيث تذكر احدي المرويات ، ان ملك اليمن افترق على ملوك شتى ، بعد وفاة الملك السكسك بن وائل بن حمير⁽³⁾.

وهذه الإشارة وإن لم تكتمل بذكر ماهية تلك الممالك إلا إنها أسبق ظهوراً من النقوش التي أيدت حقيقتها وأيدت أيضاً أن ظهور ممالك عديدة في اليمن كان منذ زمن مبكر من تاريخها⁽⁴⁾ ، حيث تذهب أرجح الآراء حول هذه الجزئية إلى أن ممالك : معين ، حضرموت ، سبأ ، قتيبان ، على وجه التحديد كانت قائمة في الألف الأول قبل الميلاد ، على أقل تقدير⁽⁵⁾.

(1) كتاب التيجان ، ص 64 ، 65.

(2) المصدر نفسه ، ص 65 ، 66.

(3) المصدر نفسه ، ص 66.

(4) أنظر : حسين العمري وآخرون : في صفة بلاج اليمن عبر العصور - ط1 - دار الفكر المعاصر - بيروت 1990 ، ص12-17.

(5) محمد عبد الرحمن با فقيه : تاريخ اليمن القديم - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت 1985م ، ص

11. أحمد شرف الدين : اليمن عبر التاريخ_ط2_ مطبعة السنة المحمدية - القاهرة 1364م ، ص 52 ، 53.

ويعد سترابو Strabo (64 ق.م - 25م) من أبرز الكتاب الكلاسيكيين الذين أشاروا إلى وجود هذه الممالك ومعاصرتها لبعضها البعض⁽¹⁾.

أما فيما يخص انتقال وتطور نظام الحكم من الملكية التقليدية إلى الملكية الشورية ، فإن هناك مرويات عديدة في كتاب التيجان ، تؤكد ذلك الأمر ، نذكر منها هنا مروية تتحدث عن قيام الملك يعفر بن السكسك بن وائل قبيل وفاته ، بتسليم التاج إلى قومه (حمير) ليختاروا من يروونه صالحاً لتولي الحكم من بعده ، وأن كبار قومه أخذوا ذلك التاج وقاموا بوضعه على بطن زوجة الملك التي كانت في الأشهر الأخيرة من حملها دلالة على اختيارهم من في بطنها ملكاً عليهم⁽²⁾.

وتسليم الملك التاج إلى كبار القوم وعدم ترشيحه فرداً من افراد الاسرة المالكة الآخرين ، سواء من إخوانه أو من أبناء عمومته لتولي الأمر من بعده ، وان كان يحتمل رغبة الملك في الوصول إلى النتيجة التي انتهت إليها عملية تسليم التاج، وانه كان يرغب في قيام قومه باختيار ابنه الذي لم يولد بعد خليفة له على العرش، - غير أن العملية ذاتها تشير إلى أن مثل هذه الحالات غير الاعتيادية كانت من بين العوامل الأساسية التي أدت إلى الانتقال إلى مرحلة الملكية الشورية ويمكن أن نلمس ذلك في المروية التي تذكر أن والد الملكة بلقيس وأسمه الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن غالب⁽³⁾ عندما أراد اسناد الحكم إلى ابنته المذكورة - قبيل وفاته - قام بدعوة جميع وجوه حمير وأبناء الملوك السابقين

(1) Strabo THE Geography of - Trans-py.H.L.Jones - London . Book XVI . P.P.310
،311.

أنظر أيضاً : ترجمات يمانية - إعداد وترجمة عبدالله الشيبة _ط1_ دار الكتاب الجامعي - صنعاء
2008م ،ص 36.

(2) كتاب التيجان ، ص 68.

(3) يرد نسبه لدى الهمداني على نحو مختلف ، حيث يذكر أنه : الهدهاد بن شرحبيل بن الحارث الرائش (الحسن بن أحمد بن يعقوب :كتاب الأكليل_ج2_تحقيق / محمد الأكوح - وزارة الثقافة والسياحة - صنعاء 2004م ، ص

ومعهم أهل المشورة من بني قحطان وعرض عليهم الأمر، راجياً قبول ترشيحه لأبنته، لكونها الأجدر بخلافته في الملك، لما تتمتع به من حلم وعلم ورأي⁽¹⁾.

وتذكر المروية المشار إليها أن البعض من الحاضرين اعترض على ترشيحه إياها لخلافته وتفضيلها على كبار قومه من الرجال، وأنهم لم يبادروا إلى إظهار موافقتهم على ذلك الترشيح إلا بعد أن أكد لهم الهدهاد، أن بوسعهم اسناد الأمر إلى ابن عمه، مالك بن عمرو بن يعفر، متى ما بلغ سن الرشد، سواء في حياة ابنته بلقيس أم بعد وفاتها⁽²⁾.

وقبول قدماء عرب جزيرة العرب، تولى النساء الملك والحكم ليس حديث خرافة كما يُظن، حيث تذكر السجلات الآشورية، أن من بين الملوك الذين أرسلوا هداياهم إلى الملك سرجون الثاني (705-722 ق.م) ملكة تدعى (شمس) ملكة العرب⁽³⁾.

وليس ذلك وحسب، إذ من غير المستبعد أن الملكة المشار إليها (أي شمس) هي ذاتها المذكورة في روايات عبيد بن شرية والهمداني ونشوان الحميري؛ فبينما يذكر عبيد⁽⁴⁾ أن شمساً كانت ملكة مثلها مثل بلقيس، تؤكد رواية الهمداني⁽⁵⁾ أنه كانت لبلقيس أختاً تُدعى ((شمساً)). ويتم شارح قصيدة نشوان الحميري⁽⁶⁾ الفائدة بإشارته إلى أن أم شمس كانت من العرب (أي من شمال الجزيرة) وهي إشارة لها أهميتها القصوى إذا ما تم ربطها بوصف السجلات الآشورية الملكة شمس بأنها ملكة (العرب).

ومن اللافت أن بعض الأثريين الغربيين يصفون⁽⁷⁾ الملكة التي زارت - النبي سليمان (عليه السلام) بالملكة الآشورية. ولعل ذلك له علاقة بإشارة عالم الآثار الإنجليزي هنري

(1) كتاب التيجان، ص 147.

(2) المصدر نفسه.

(3) جواد علي، المفصل 2/ 278.

(4) عبيد بن شرية: اخبار عبيد بن شرية الجرهمي - ملحق بكتاب التيجان في ملوك حمير 2_ نشر مركز

الدراسات والأبحاث اليمني - صنعاء 1979م، ص 433.

(5) الاكليل، 2 / 241.

(6) ملوك حمير، ص 74.

(7) ويندل فيلبس: كنوز مدينة بلقيس - تعريب عمر الديراوي - دار الكلمة - صنعاء (د. ت)، ص 105.

كرسوبوك (1810-1895م) إلى قراءته اسم (بلقيس) في نقوش مسمارية، جرى العثور عليها في شمال شرق الخليج العربي⁽¹⁾.

وما يهنا من الأمر أن القرآن الكريم يشهد بأن أمراه تولت حكم مملكة سبأ - وأن لم يسمها- ويشهد أيضاً بأنها كانت ملتزمة الشورى في حكمها والممثل في قولها ((ما كانت قاطعة أمراً حتى تشهدون))⁽²⁾.

والأهم من ذلك ما تنسبه المرويات إلى الملك شميريرعش⁽³⁾ والذي لا يشير وحسب إلى استمرار نظام الشورى في اختيار الحاكم أو الملك وإنما يؤكد انتقاله إلى مرحلة أكثر تطوراً، حيث تذكر إحدى مرويات كتاب التيجان أن الملك شميريرعش بادر قبيل وفاته إلى جميع أبناء ملوك حمير وأعلمهم أنه اختار ابنه لخلافته على العرش وأن الأمر متروك لهم في حال لم يلتزم بسيرته فيهم وظهر فساد سياسته. ولكنه اشترط عليهم أن حدث ذلك وقرروا عزله وأختاروا من هو أفضل منه لتأدية تلك المهمة، أن يجعلوا الأمر ((للعام لا للخاص))⁽⁴⁾.

ومعنى المقولة الأخيرة جعل (جعل الأمر للعام لا الخاص) لا يُقصد به أن يتولى الشعب عملية اختيار البديل، بل إن الواضح من سياق المروية أن عملية العزل وكذلك اختيار البديل الأفضل ينبغي أن تكون بقرار من غالبية أبناء ملوك حمير الذين دعاهم إلى ذلك الاجتماع والآن يفرد باتخاذة قلة منهم.

(1) Ewald .H, Geschichte des volkes Israels.389.

- نقلاً عن : زياد منى : بلقيس امرأة الالغاز وشيطانة الجنس ط1- دار رياض الرئيس للكتب والنشر - بيروت 1997م ، ص51.

(2) سورة النمل، آية33.

(3) شميريرعش: يرد اسمه في النقوش هذا النحو: شميريرعش ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنة وهناك أكثر من ملك بهذا الاسم ولكن كون المرويات تحدهد بأنه ابن ناشر النعم (اي ياسريهنعم) فالمقصود به على الأرجح شميريرعش الثاني الذي حكم منفردا بدءا من عام 409م(محمد عبد القادر بافقيه : توحيد اليمن القديم _ ترجمة على محمد زيد _ نشر المعهد الفرنسي للأثار والعلوم الاجتماعية _ صنعاء 2007م ، ص 103).

(4) كتاب التيجان في ملوك حمير ، ص 248 ، 249.

وما ذكر آنفاً يتوافق في نتيجته مع قول الهمداني⁽¹⁾ ((وكان الملك في قداماء حمير عن اجماع رأي كهلان⁽²⁾ وفي الحديث عن رأي اقوال⁽³⁾ حمير فقط)) .

كما أنه يذكر أيضاً أنهم كانوا يقومون في حال لم يقبلوا بمن تم ترشيحه لخلافة الملك باختيار أفضلهم (أي الأقبال) لتولي الحكم وأحلوا محله (في مجلس الأقبال) شخصية أخرى لكي لا ينقص عدد الاقبال (المكونون لذلك المجلس) عن الثمانين عضواً.⁽⁴⁾ ويؤكد الهمداني أيضاً أن هذا المجلس كان يتولى تعيين خلفاً للملك في حال حدث لهذا الأخير ما يمنعه من ممارسة مهامه، أو في حال توفى وأولاده كانوا ما يزالون صغاراً.⁽⁵⁾ ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن مرويات كتاب التيجان لم تخلو من الإشارة إلى هذا المجلس، ولكنها تسمية ((مقاول حمير))⁽⁶⁾ ولعل لذلك علاقة بكون التسمية المشار إليها مستمدة من كلمة ((مقولة)) التي تعني المقاطعة أو الإقليم الذي كان يتولى (القبيل) حكمه وإدارة شؤونه⁽⁷⁾.

وإشارة المرويات إلى مسمى ((مقاول حمير)) ليست الجزئية الوحيدة المستفادة من تلك الإشارة في هذا الجانب ، لكونها توضح من ناحية أخرى ، أن الملك كان يستشير الأقبال في الشؤون الخطيرة وغير الاعتيادية ، كما هو الحال بالنسبة لاستشارة الملكة بقرين

(1) الأكليل 2/ 104.

(2) كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وتنسب إليه كثير من قبائل حمير بن سبأ . وتشير روايات الاخباريين إلى أن نسله تولو حكم الأطراف وشاركوا نسل حمير الحكم والملك في بعض المراحل (شوان ، ملوك اليمن ، ص 15 ، 17 ، 60 ، الخزاغي، وصايا الملوك ، ص 31 - 33. الهمداني . الحسن بن احمد بن يعقوب : الاكليل من اخبار اليمن وانساب حمير - الكتاب العاشر - تحقيق / محب الدين الخطيب _ ط1 _ الدار اليمينية للنشر والتوزيع ، ص 27 وما بعدها) .

(3) مسمى أقوال : هو جمع قول وهو لقب امارة قديم وكانت تحمله اسر تتقاسم فيما بينها النفوذ وكانت كل اسرة من الاقبال تحكم مقاطعة بعينها. (ازهار كامل ناصر: الانواء والاقبال -رسالة ماجستير غير منشورة- كلية التربية للبنات- جامعة البصرة، ص18).

(4) الهمداني ، الاكليل 2/104.

(5) المصدر نفسه .

(6) كتاب التيجان ، ص 166.

(7) بافقيه : توحيد اليمن القديم ، ص 52.

(مقاول حمير) في القرار الذي ينبغي اتخاذه عندما وصلتها دعوة النبي سليمان (عليه السلام) (1).

والنقوش المكتشفة حتى الآن لا تخلو من ذكر مسميا ((قول)) و ((أقيال حمير) أو ذكر مسمى المجالس الاستشارية التي كانت في مملكتي معين واوسان وعرفت باسم ((مسود)) (2).

ويشير الباحثون المحدثون إلى أن هذه ((المساود)) كانت أقرب إلى وصف ((مجالس الأمة)) لأنه كان من بين سلطاتها - لاسيما مسود معين - النظر في الموضوعات وإقرارها قبل رفعها إلى الملك ، الذي كان يصدر القرارات المرفوعة إليه على هيئة مراسيم تشريعية ملكية تُعلن على الشعب (3).

وخلاصة ما تقدم ان مرويات كتاب التيجان، تكشف رغم طغيان الطابع الأسطوري على جوانبها، أن ممالك جنوب جزيرة العرب، كانت ملكيات شورية، غير استبدادية، وأن وصولها إلى تلك المرحلة المتطورة، كان نتيجة لمرورها بأحداث وتجارب مريرة، استوجبت انتقال نظام الحكم من الملكي الثيوقراطي (الديني) إلى النظام الملكي الشوري، وظهور مجالس منظمة كيفية انتقال السلطة في الحالات غير الاعتيادية والتي لم يكن يحظى وريث العرش فيها برضى الطبقة الملكية (المتملة في كبار الأقيال).

* التوسع الاستيطاني(غزو أراضي الأمم والشعوب):

يحتل هذا الجانب الجزء الأكبر من تفاصيل المرويات التي تناولت سير ملوك حمير؛ ويرغم أن حديثها عن غزو معظم هؤلاء الملوك لنواح عديدة من المعمورة وتركهم جاليات من أبناء جلدتهم في البلدان التي تزعم تلك المرويات تمكنهم من فتحها، يتسم بالطابع

(1) كتاب التيجان ، ص 166 ، 167.

(2) بافقيه ، مختارات من النقوش البينية ، ، 134 ، 156 ، 157 ، 285 ، العمري في صفة بلاد اليمن ، ص 14. أنظر أيضاً : محمد بافقيه : تاريخ اليمن القديم ، ص 158.

(3) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب القديم - ج 5_ ط 2 _ نشر جامعة بغداد 1993م ، ص 229 .ديتلف نيلسن وآخرون : التاريخ العربي القديم _ط 2_ مكتبة النهضة _ مصر 1977م ، ص 133 - 141.

الأسطوري القصصي، إلا إنها رُبطت في بعض الحالات بملوك كان لهم وجود تاريخي حقيقي ، كالمك ناسر النعم (ياسر يهنعم) (1) والملك شميريرعش (شمر يهرعش) (2) كما إنه يمكن القول من ناحية أخرى إن الدراسات الحديثة القائم على النقوش والآثار المكتشفة، حولت بعض تلك المرويات من الأسطوري القصصي إلى الأسطوري الحضاري ذي الأصل التاريخي؛ كما هو الحال بالنسبة للمرويات التي تتحدث عن قيام بعض ملوك عرب الجنوب بغزو واحتلال البلاد الواقعة على الساحل الافريقي المقابل لبلاد العرب الجنوبية ، والمعروفة قديماً ببلاد ((الحبشة))، حالياً باسم ((اثيوبيا)) وهو ما استدعى جعل هذا الجانب ضمن الجوانب الحضارية التي تناولتها مرويات كتاب التيجان.

ومع إن ذكر غزو ملوك حمير لبلاد الحبشة يرد في أكثر من موضع من كتاب التيجان ولكن ما يهمننا من الأمر أكثر من غيره هو المرويات التي تضمنت ذكر المسمى الافريقي لتلك البلاد وتلك التي تناولت عملية الغزو من الناحية الاستيطانية.

ففيما يخص التسمية فإن وصف إحدى تلك المرويات الاحباش بأنهم (أبناء كوش بن حام) (3) من الأمور التي وجدت قبولاً لدى المؤرخين المحدثين ، إلى درجة أنهم اطلقوا على حضارة البلدان الواقعة جنوبي مصر (ومن ضمنها أثيوبيا) مسمى الحضارة الكوشية) (4).

أما فيما يخص عملية الاستيطان نفسها ، فتذكر مروية أخرى أن الملك شميريرعش تقدم بجيوشه نحو بلاد الحبشة من ناحية مصر - (التي تسميها المروية بابلينون). لأن الأحباش كانوا يحاولون احتلالها (أي مصر) وأن مطاردته إياهم انتهت به إلى موضع لم يتمكن من مواصلة تعقبهم، فأستقر في ذلك المضوع عشرين عاماً، قام خلالها ببناء

(1) ياسريهنعم : هذا اسمه في النقوش وكان هو وابنه شميريرعش من اشهر ملوك بلاد العربية الجنوبية وهو ما جعل الاخباريين العرب ينسبون اليهما غزو الكثير من بلدان المعموره (كتاب التيجان في ملوك حمير ، ص 229 - 232. انظر ايضاً: بافقيه، توحيد اليمن، ص 51).

(2) كتاب التيجان في ملوك حمير ، ص 229 - 232.

(3) كتاب التيجان ، ص 60.

(4) ديتلف نيلسن ، التاريخ العربي القديم ، ص 245 ، 246.

القصور والحصون وغرس النخيل، وبعد أن علم من الرجال الذين كان قد بعثهم إلى داخل أراضي الحبشة، بالمسالك التي يمكنه من خلالها غزو تلك البلاد، تقدم بجيوشه إلى داخلها وتمكن من هزيمة ملوكها، الذين حاولوا الوقوف في وجهه؛ وأجبر الاحباش على الفرار إلى غربي الأرض⁽¹⁾.

وما يهمننا من الأمر هنا، إشارة المروية إلى استقرار الملك شميريرعش عشرين عاماً وقيامه ببناء القصور والحصون في تلك الأرض لكون ذلك يتوافق في عمومه مع النتائج التي توصل إليها علماء الآثار والمتخصصون بتاريخ كل من اليمن والحبشة القديمين ، والتي تشير إلى أن الجوانب الحضارية المرتبطة بالآثار والنقوش التي جرى اكتشافها في بلاد الحبشة ، لاسيما في المناطق الشمالية منها ، تؤكد أنها تنتمي إلى حضارة عرب جنوب الجزيرة العربية وخاصة ، السبئية منها تحديداً . سواء من حيث اللغة أو الخط أو سيادة العبادة السبئية للوثنية ، أو أسماء الأماكن والمناطق والحصون والمعابد والتي يرجع تاريخها حسب الأثريين الذين قاموا باكتشافها إلى منتصف الألف الأول قبل الميلاد⁽²⁾.

وهو ما ابدته أيضاً بعض المصادر اليونانية الكلاسيكية كسترابو⁽³⁾ مما يؤكد وجود أصل تاريخي حقيقي لما تضمنته هذه المرويات من احاديث حول هذا الموضوع، ولاسيما المروية الأخيرة.

وينطبق القول السابق ، على ما ذكرته المرويات عن حدوث هجرات ونزوح للقبائل السبئية إلى انحاء شبه الجزيرة العربية الأخرى وبلاد الشام والعراق، نتيجة لتهدم سد مأرب، وإشارتها إلى أن ذلك كان في عهد ملك يُدعى عمرو بن عامر بن مزقياء⁽⁴⁾.

(1) كتاب التيجان ، ص 246.

(2) عبدالله حسن الشيبية : دراسات في تاريخ اليمن القديم _ط1_ مكتبة الوعي الثوري _ تعز 2000م ، ص 171 - 179. ديتلف نيلسن ، التاريخ العربي القديم ، ص 31 - 33 . مهيبو كليب : الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق الهلال الخصيب - مجلة جامعة دمشق - العددان الأول والثاني - دمشق 2011م ، ص 336.

(3) -Strabo , XVI - IV , p 319

(4) كتاب التيجان ، ص 273 ، 287-294 ، 305.

حيث إن ما ذكرته المرويات عن استقرار اقوام من قبيلة الأزدي في بصرى ودمشق ويثرب وعُمان واستقرار اقوام من أبناء عمومتهم من نسل ربيعة بن نصر بن مالك في الحيرة⁽¹⁾ من الأمور التي اثبتت المصادر والدراسات التاريخية الحديثة⁽²⁾ حقيقة حدوثها وعلى وجه الخصوص إشارتها إلى انتهاء الأوس والخزرج إلى الأزدي وكذلك حقيقة أن غساسنة الشام، الذين تذكر المرويات أنهم من نسل عمرو بن جفنة وأنهم تملكوا في بلاد الشام بموافقة الروم، قوم من الأزدي⁽³⁾.

وعليه فإن إمكانية ظهور مصادر تؤيد ما ذكرته المرويات عن استيطان عرب جنوب الجزيرة لأماكن أخرى من المعمورة من الأمور غير المستبعدة.

• الديانة :

تحتل القصص الدينية مساحة لا بأس بها من مرويات كتاب التيجان ، ولكن هذا القصص يختص معظمه بما يعرف بقصص الأنبياء ، والتي استندت غالبية مروياتها إلى وهب بن منبه الذي يُنسب إليه قوله: أنه اطلع على ثلاثة وتسعين كتاباً مما أنزل الله على الأنبياء⁽⁴⁾، مما يعني أن أسس تلك المرويات مستمدة من كتب سماوية وكون هذا البحث قد اتخذ مظاهر البعد الحضاري في مرويات كتاب التيجان (الخاصة بسير وغزوات ملوك حمير)، مجالاً له ، فلم يتم التعرض لقصص الأنبياء واقتصر الأمر على تناول ما يرد عن هذا الجانب في النطاق المحدد للبحث.

وأولى المرويات المرتبطة بهذا الجانب تتمثل في قصة الملكة بلقيس والنبي سليمان عليه السلام والتي تتضمن إشارة واضحة إلى أن قوم سبأ كانوا يعبدون الشمس وأن النبي

(1) المصدر نفسه.

(2) تولدكه، تيودور: امراء غسان - ترجمة/جوزي بندلي و قسطنطين زريق - ط1- دار الوراق للنشر- بيروت 2009م، ص19-24.

(3) كتاب التيجان ، ص297 ، 300.

(4) كتاب التيجان ، ص 9.

سليمان عليه السلام ، أرسل إلى ملكتهم يدعوها وقومها إلى نبذ تلك العبادة واستبدالها بعبادة الله تعالى⁽¹⁾.

وليس هذا موضع الاستشهاد بالقرآن الكريم في تأكيد حقيقة أن أهالي سبأ كانوا يعبدون الشمس في ذلك الزمان لأن المروية نفسها قد ضمنت الآيات القرآنية الخاصة بهذا الجانب ، ومن ثم فإن من المناسب القول إن النقوش والآثار التي جرى اكتشافها في جنوب جزيرة العرب تتضمن إشارات قطعية لا لبس فيها تؤكد بأن عرب جنوب الجزيرة كانوا يعبدون الشمس⁽²⁾.

وهو مالم يغيب ذكره عن المصادر اليونانية الكلاسيكية أيضاً ويعد ثيوفراستوس السكندري (عاش في القرن الرابع ق.م) من أبرز المؤرخين الكلاسيكيين الذين أشاروا إلى أن السبئيين وعرب جنوب الجزيرة كانوا يعظمون الشمس ، حيث يذكر أن المر واللبان كانا يحملان إلى معبد الشمس الخاص بالسبئيين وأنه كان أعظم الآلهة تقديساً في تلك المنطقة⁽³⁾.

ومع إنه لا توجد في النقوش التي جرى اكتشافها حتى الآن أية إشارة إلى قصة الملكة بلقيس والنبي سليمان عليه السلام ، غير أن هناك مصادر يونانية متأخرة تشير إلى أن اليهودية كانت قد أصبحت من بين الديانات التي يعتنقها بعض عرب جنوب الجزيرة قبل إنقضاء القرن الرابع الميلادي وأن أهل سبأ كانوا يتبعون في السبت سنة (إبراهيم) عليه السلام ، مع استمرارهم في عبادة الشمس والقمر ومعبودات أخرى⁽⁴⁾.

(1) المصدر نفسه ، ص 166 ، 167.

(2) بافقيه ، مختارات من النقوش اليمنية ، ص 214 ، 264 ، 266 ، 273 ، جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب القديم 327/2 ، 457 ، 466 ، د يتلف نيلسن ، التاريخ العربي القديم ، ص 216 ، 217 . علي الناشري : نقوش وآثار من جبل قروان - مجلة الباحث الجامعي - العدد 27 - جامعة إب - اليمن 2011م ، ص 12.

(3) Theophrastus. Enquiry into plantes- trans.py.Hort.A- libir.IV.london. P. 237.

(4) 4 .Phllostorgius , Hist _ Eccl . , III , 5

نقلاً عن: جواد علي: المفصل في تاريخ العرب القديم- ج6 - ط2 - نشر جامعة بغداد- 1993م، ص 539 ، 540.

كما إن بعض المصادر المشار إليها تشير أيضاً إلى أن الحميريين كانوا في أول امرهم على اليهودية ، وأن اعتناقهم إياها كان بدعوة من ملكة سبأ التي عرفت بقصتها مع سليمان (عليه السلام) ، وأنهم ما لبثوا أن إرتدوا عنها إلى الوثنية⁽¹⁾.

وينبغي الإشارة إلى أن ما ذكرته تلك المصادر عن إتباع السبئيين سنة أبراهيم عليه السلام في السبت ، من بين الأمور التي أشارت إليها مرويات كتاب التيجان ، ويذكر ذلك على وجه التحديد ضمن قصيدة شعرية يُنسب قولها إلى الملك الصحب بن ذي مراد المعروف بلقب ذي القرنين وذلك على النحو الآتي :

فلما أتاه السبت أسبت وارتقى
مته عمرو وعاد بعاصم⁽²⁾.

والحقيقة أنه يوجد في النقوش المكتشفة في جنوب بلاد العرب ما يؤكد مسألة وجود حميريين يدينون باليهودية في القرن الرابع الميلادي ، وكذلك مسألة استمرارية الوثنية أيضاً⁽³⁾.

وهو ما يتوافق من ناحية ثانية مع ما ورد في مروية تناولت سيرة ملك حميري شهير ترجع فترة حكمه إلى القرن الرابع الميلادي وتنسب المروية المشار إليها قيامه بإعادة قومه إلى اليهودية⁽⁴⁾.

يتعلق الأمر بالملك الذي تسميه تلك المروية ، بتان أسعد أبي كرب (المعروف بأسعد الكامل) وتشير إلى أنه عرج عقب عودته من غزو المشرق ، نحو مدينه يثرب ، قاصداً خرابها وأهلك أهلها الذين قتلوا ابناً له خلفه لديهم قبل مسيرة نحو المشرق ، وأن ذلك دعا حبرين من احبار اليهود الذين كانوا في المدينة إلى المسارعة إلى مقابلته وتحذيره بأن قيامه بذلك الفعل ، سيعرضه للعقوبة ، لأنها ستكون آخر الزمان مقراً لمهاجر نبي يخرج من قريش⁽⁵⁾.

(1) جواد علي ، المفصل 540/6 .

(2) كتاب التيجان ، ص 104،105.

(3) أنظر : بافقيه ، تاريخ اليمن القديم ، ص 149،150.

(4) كتاب التيجان ، ص 305.

(5) كتاب التيجان ، ص 305،306.

وتشير المروية بعد ذلك إلى أن الملك الحميري الذي أعجب بما سمعه من الحبرين وادرك مالهما من علم ، لم يكتف بالتراجع عمّا كان ينوي إنزاله بالمدينة وأهلها ، استجابة لذلك النصح ، وإنه أعلن اعتناقه دين الحبرين (أي اليهودية) ولما وصل إلى اليمن ومعه الحبران ، دعا قومه إلى اعتناق اليهودية ولكنهم أبوا قبول دعوته تلك واقترحوا بدلاً عن ذلك أن يحتكم الطرفان إلى النار التي كانوا عادة ما يحتكمون إليها في حال اختلافهم في أمر من الأمور، والتي كانت -حسب زعمهم- تأكل الظالم ولا تمس المظلوم بسوء⁽¹⁾.

وعندما خرج الفريقان المتحاكمان إلى الموضع الذي كانت توجد فيه تلك النار، حمل قوم الملك الرافضون لليهودية ، أوثانهم وقرايبهم معهم ، فيما حمل الحبران كتابهما المقدس على عنقيهما ، وقعد الفريقان ينتظران خروج تلك النار من مكان خروجها المعتاد ، ولما ظهرت هابها قوم الملك وحادوا عنها ، فطلب منهم الحاضرون الصبر والثبات في موضعهم ، وكانت النتيجة أن النار التهمتهم مع القرايب والأوثان التي كانوا يحملونها ، ولم تمس الحبرين وكتابهما المقدس بأي ضرر ، وأعلن الحميريون عندئذ اعتناقهم اليهودية⁽²⁾.

ويورد ابن هشام مروية أخرى عن ذلك الحدث ، خلاصتها أن الحميريين الرافضين لليهودية اتفقوا مع الحبرين ، على أن الذي يتمكن من رد النار إلى الموضع الذي خرجت منه يكون الحق إلى جانبه ، وأن رجال حمير تقدموا أولاً وحاولوا رد تلك النار ولكنهم فشلوا في وقف تقدمها وبادروا إلى الفرار من أمامها قبل أن تأكلهم . وعندئذ تقدم الحبران نحوها وهما يتلوان التوراة واستمرا في التقدم وهي تتراجع امامهما إلى أن رداها إلى الموضع الذي خرجت منه⁽³⁾.

(1) المصدر نفسه ، ص 306،307.

(2) المصدر نفسه ، ص 307.

(3) المصدر نفسه ، ص 307 ، 308 .

وجرى ختم هذا الجزء من المروية بعدئذ يقول ((فرجعت عند ذلك حمير إلى دين الحبرين))⁽¹⁾ وهو ما يعني أن عرب جنوب الجزيرة كانوا قبل ذلك على اليهودية وارتدوا عنها إلى الوثنية ولما أطل عهد الملك أسعد ابي كرب رجعوا إليها من جديد. وقد عثر في إحدى مقابر الأحبار اليهود بفلسطين على شاهد قبري لقييل حميري يُدعى مناحيم (مناحم قيل حمير) ويرجح المتخصصون تأريخه إلى حوالي سنة 200م⁽²⁾ مما يدعم الطرح السابق القائل بأن اعتناق عرب جنوب الجزيرة لليهودية كان قبل عهد أسرة الملك تبان أسعد أبي كرب المذكور في المروية السابقة والتي سبقت الإشارة إلى أن النقوش التي ترجع إلى عهدها (القرن الرابع الميلادي) تؤكد حقيقة وجود حميريين على اليهودية في ذلك العهد⁽³⁾.

أما فيما يخص النار التي أشارت المروية إليها فيذكر الهمداني⁽⁴⁾ أنها كانت في منطقة تسمى (ضروان)⁽⁵⁾ وهو ما أكده أيضاً شرح قصيدة نشوان الحميري ، بقوله : ((وحاكموا الحبران إلى النار التي بضروان))⁽⁶⁾.

في حين يذكر عبيد بن شريه⁽⁷⁾ أن النار التي جرى الاحتكام إليها كانت في صنعاء الأمر الذي يشير إلى اتفاقه مع كل من الهمداني وشارح قصيدة نشوان حول هذه الجزئية ، لأن ضروان واحدة من ضواحي صنعاء ،التي احتفظت بمسماها المذكور إلى زماننا

(1) كتاب التيجان ،ص 308 .

(2) جواد علي ، المفصل 539/6.

(3) خلدون نعمان: نقوش جديدة من ذمار - مجلة ريدان - العدد الثامن - نشر وزارة الثقافة اليمنية- صنعاء 2013 م،ص 304 . بافقيه، تاريخ اليمن القديم ، ص 150.

(4) الاكليل في محافد اليمن ومساندها - ج8- حرره وعلق على حواشيه/ نبيه أمين فارس- دار العودة- بيروت، دار الكلمة- صنعاء(د.ت)،ص67 .

(5) ضروان :تذكر المراجع اليمنية ان ضروان هذه بلدة من همدان الدنيا وتقع الى شمال صنعاء وان ارضها محترقة سوداء جرداء وان النار التي كانت فيها ناتجة عن ثورة بركانية استمرت شهرا كاملا(مطهر الأرياني : نار ضروان في نقش مسندي - مجلة الاكليل - العددان 31-32- وزارة الثقافة - صنعاء 2008م،ص43).

(6) ملوك حمير واقبال اليمن ، ص 146.

(7) أخبار عبيد بن شريه ، ص 493.

الحاضر وليس ذلك وحسب بل إن احد الباحثين اليمنيين المتخصصين كشف عن نقش مسندي قديم فيه ذكر لنار ضروان المشار إليها⁽¹⁾.

ومن ناحية أخرى فقد جرى ختم تلك المروية بفقرة تتصف بالأهمية ، حيث تشير إلى أن الحميريين كانوا قبل ذلك يعظمون بيتاً يدعى (رئام) ، ينحرون عنده ويتكلمون فيه (يقصد في الغالب التوجه إليه بالدعاء) وأن الحبرين قالوا للملك تبان اسعد ابي كرب أن في ذلك البيت شيطان يفتن قومه عن عبادة الله ، وطلباً منه أن يأذن لهما بالتخلص منه ولما إذن لهما بذلك الأمر، استخرجا من داخله كلباً أسود ، وبعد أن قاما بذبحه ، تم هدم ذلك البيت (أي رئام)⁽²⁾.

ما ورد في الفقرة السابقة استمد أهميته من ناحيتين ، تتعلق أولاهما بندرة إشارة الاخباريين إلى معبودات عرب جنوب الجزيرة القدماء الوثنية ، أما ثانيتهما ، فتتعلق بكون إشارتها إلى أن الحميريين كانوا يعظمون زمن شركهم بيتاً يسمى (رئام) ويتقربون إليه بالأضاحي ، من بين الأمور التي أثبتت النقوش والآثار المكتشفة وكذلك كتابات الهمداني ، حقيقتها .
فبينما تكشف النقوش⁽³⁾ أن رئاماً (الذي تسميه تألب رئام) كان أحد المعبودات الوثنية الرئيسية في جنوب الجزيرة ، وأنه كان على جهة التحديد أبرز آلهة قبيلة همدان ، وكانوا يعدونه حاميمهم ومانح الحظ والرضى لهم ، يشير الهمداني⁽⁴⁾ بالمقابل إلى أن رئاماً كان في همدان في أعلى جبل ذيبان⁽⁵⁾ وأن الناس كانوا في القديم يحجون إليه.

وإذا كانت المروية السابقة قد كشفت عن تخلي عرب جنوب الجزيرة عن العبادة الوثنية خلال عهد تلك الأسرة الحميرية ، فإن ظهور المسيحية كمنافس لليهودية التي انتصرت على الوثنية وحلت محلها من الأمور التي تطرقت إليها مرويات كتاب التيجان وإن

(1) أنظر : مطهر الأرياني ، نار ضروان ، ص 37-43.

(2) كتاب التيجان ، ص 308.

(3) بافقيه، مختارات من النقوش ، ص 130 . جواد علي ، المفضل 326/2.

(4) الاكليل ، الكتاب العاشر ، ص 37.

(5) جبل ذيبان : يذكر الهمداني في صفة جزيرة العرب أن هذا الجبل يُنسب إلى أحد نبلاء همدان القدماء ويُدعى ويُدعى ذيبان بن عليان (الهمداني: صفة جزيرة العرب - طبعة لندن - 1891م ، ص 109 ، 110).

اقتصر الأمر على مرويتين تتضمن اولاهما إشارة عابرة لا تتجاوز الثلاثة اسطر مساحة ولكن أهميتها تتبع من كونها تتحدث عن قيام ملك حميري يُدعى (عبد كليل) باعتناق المسيحية وإشارتها الى ان اعتناقه لها ظل سراً يكتمه إلى حين وفاته. كما تشير المروية ذاتها إلى أن هذا الملك تولى الحكم عقب حكم ابنين من أبناء الملك تبان اسعد ابي كرب⁽¹⁾.

ومع إنه لا يوجد في الآثار المكتشفة حتى الآن ما يشير إلى هذا الملك وحقيقة وجوده التاريخي ولكن ما يهم من الأمر أن المروية تتضمن ما يفيد أن المسيحية كانت قد وجدت لها طريقاً إلى أكابر حمير في نهاية حكم أسرة الملك تبان اسعد.

أما ثانية تلك المرويات فيتعلق الأمر بالمروية التي تناولت سيرة الملك ذي نوس⁽²⁾ والتي تشير إلى أن غالبية حمير بما فيهم الملك المذكور ظلوا على اليهودية وأن المسيحية كانت قد بدأت بمنافستها وأخذت في الانتشار في نواح مختلفة من الأراضي التابعة لحمير وأن اكبر مراكزها كان في مدينة نجران ، مما دعا الملك ذي نوس إلى التحرك للقضاء على اتباعها⁽³⁾.

وليس المجال هنا لتناول تفاصيل ما قام به ذو نوس ضد مسيحيي نجران وإنما تناول إنعكاسات اضطهادهم والتي تتلخص في إشارة المروية المذكورة إلى أن ذلك الاضطهاد دفع إحدى الشخصيات الحميرية التي لم تتقبل ذلك الفعل إلى طلب النجدة والعون من ملك الحبشة المسيحي ، وأن هذا الأخير بادر - بعد أن أخذ موافقة قيصر الروم - إلى غزو اليمن وتمكن من هزيمة ذي نوس والسيطرة على اليمن⁽⁴⁾.

(1) كتاب التيجان ، ص 310.

(2) ذو نوس : يرد ذكره في النقوش باسم " يوسف أسار يثأر ويسميه الاخباريون " صاحب الاخدود " ويقصدون بذلك المذكور في سورة البروج وتحريق النصارى على يديه (المسعودي: مروج الذهب 2 / 83،82، 199. انظر ايضا: بافقيه، تاريخ اليمن القديم، ص 151).

(3) كتاب التيجان ، ص 312.

(4) المصدر نفسه ، ص 312،313.

والحقيقة ان النقوش اليمنية القديمة لا تخلو من إشارة إلى قيام الملك ذي نواس بحملة حربية كبيرة ضد مدينة نجران وتعرض اليمن بعدها إلى غزو الاحباش وتمكنهم من السيطرة على مقاليد الأمور فيها⁽¹⁾.

كما لا تخلو المصادر البيزنطية المعاصرة لتلك المرحلة من ذكر إشارات مماثلة⁽²⁾. وهو ما يعني حقيقة أن المسيحية حلت محل اليهودية من حيث التمكن والانتشار والنفوذ ، بعد أن فقدت هذه الأخيرة تلك المميزات ، نتيجة لهزيمة ذي نواس الملك اليهودي أمام قوة الأحباش المسيحية ولعل الإشارة إحدى مرويات كتاب التيجان - بعد ذلك - إلى أن ابرهة الحبشي - الذي اصبح ملكاً على اليمن - حاول هدم الكعبة⁽³⁾ يدخل في نطاق السعي إلى بسط سلطات الديانة المسيحية على كامل أنحاء الجزيرة العربية وليس اليمن وحسب. وتاريخية هذه الحادثة مؤكدة بشاهدين مهمين ، يتمثل أولهما، في الشاهد القرآني المتجدد في سورة (الفيل) بينما يتمثل ثانيهما في قيام المكيين بتاريخ الحوادث وفقاً لتلك الحادثة⁽⁴⁾. وهو ما يعني أن ظهور الإسلام وانتشاره في جنوب جزيرة العرب - على حساب المسيحية واليهودية والوثنية - حدث بعد مضي زمن ليس بالطويل ، على انكسار حملة ابرهة الحبشي وطرده الأحباش من اليمن.

وعليه فانه يمكن القول إن مرويات كتاب التيجان التي تطرقت إلى الجانب الديني لم تخلو من ذكر تفاصيل تاريخية حقيقية عن الديانات التي كانت سائدة في جنوب جزيرة العرب قبل الإسلام .

ومن أهم ما تضمنته مرويات كتاب التيجان ذات البعد الحضاري الحديث عن جوانب تتصل بالآثار وطرق دفن عرب جنوب الجزيرة لموتاهم والأماكن التي كانوا يتخذونها مقابراً لملوكهم ودفن أكابرههم ، والمحتويات التي كانت تضمها تلك المقابر .

(1) بافقيه ، تاريخ اليمن القديم ،ص 154،155،158،159. مختارات من النقوش اليمنية ، ص 62 - 64 .
(2) Procopius, History of wars – Trans.py.Dewing .H.B.–Loeb Classical Library _
London= book _I.XX.P.189.

(3) كتاب التيجان ، ص 212

(4) المسعودي ، مروج الذهب 288،289/2.

* تحنيط جثث الموتى :

انفردت إحدى مرويات كتاب التيجان بإشارة نادرة يمكن من خلالها أن نستشف بأن عرب الجزيرة القدماء كانوا يقومون بتحنيط موتاهم قبل دفنهم . ويتعلق الأمر بقصة غريبة الحارث بن مضاخ الجهمي والتي تعد إحدى أطول مرويات كتاب التيجان ، وخلصتها أن الحارث الجهمي طلب من أياد بن معد بن عدنان - الذي يُنسب إليه رواية تفاصيل هذه المروية - أن ينقله على أحد جماله من المدينة (يثرب) إلى موضع قريب من مكة يسمى (دوحة الزيتون) ولما وصلا إلى ذلك الموضع قاد الحارث اياداً إلى المقبرة التي كان قد دُفن فيها ابوه واجداده الجهميين - ملوك مكة القدماء - والتي لم يكن يعلم أحد غيره مكانها - لكونها أقيمت في باطن الأرض وبعد أن اخبره بأن الموتى الذين يراهم ، ممددين على الأسرة - بداخل تلك المقبرة - هم ابوه وجده وجد ابيه ، اتخذ (أي الحارث) موضعه على سرير رابع كان بجوار تلك الجثث تم طلب من إياد أن يناوله قارورة من اثنتين كانتا في كوة بتلك المقبرة ، ولما ناوله تلك القارورة ، قام باحتساء نصفها واستخدم النصف المتبقي منها في دهن جسده ، ثم طلب من إياد أن يناوله القارورة الأخرى ، ولما تسلمها منه ، قام بشربها وصرخ صرخة عظيمة ثم مات في مكانه⁽¹⁾.

ومقارنة ما ورد آنفاً ، بما هو معروف عن عملية التحنيط الحقيقية ، نجد إتفاقهما في مظهرين عامين ، يتمثل أولاهما في دهن جسد الميت ببعض المواد التي تساعد في المحافظة على جفاف الجلد ومنع تكون الجراثيم فيه ، أما ثانيهما فيتمثل في حشو بطن المتوفي بمواد أخرى كالقرفة والمر أو نشارة الخشب والكتاب⁽²⁾.

(1) كتاب التيجان ، ص 212.

(2) أحمد صالح : التحنيط فلسفة الخلود في مصر القديمة - ط1 - نشر جماعة حور الثقافية - مصر 2000م ، ص 29- 40 . يوسف عبد الله ، أوراق في تاريخ اليمن ، ص 179، 180 . عبدالرحمن السقاف: تطور الحياة الفكرية لليمنيين القدماء-اطروحة دكتوراه غير منشورة- كلية الاداب- جامعه صنعاء ، 2007 م ، ص 132.

واستخدام المر في التحنيط يرد ذكره في مروية لعبيد بن شرية الجرهمي ، حيث يشير إلى أن قوم ثمود عندما ايقنوا الهلاك بعد عقروهم الناقة ، استعدوا لملاقاة الموت ، بحفر قبور لهم في بيوتهم ، وبعد أن (تحنطوا) بالمر لبسوا أكفانهم وجلسوا في حفرهم⁽¹⁾ .
ومن المعروف أن الهدف من عملية التحنيط هو بقاء جثة الميت على حالها ومنعها من التحلل والتآكل بفعل الزمن ، وفيما يخص هذا الجانب فإن مرويات كتاب التيجان لا تخلو من ذكر تفاصيل تؤكد وجود أصل لما ذكرنا عن كون المروية الأولى (الخاصة بالحارث الجرهمي) تتحدث - رغم سطحيته - عن ممارسة عرب الجزيرة القدماء عملية تحنيط جثث الموتى ؛ فيتضح من المروية المشار إليها ، أن جثامين ملوك جرهم كانت ما تزال - حسب وصف إياد بن نزار - على حالها ولم يصب مظهرها الخارجي أي تغيير .

ومن ذلك وصف إياد بن نزار ما كان عليه حال جثمان جد والد الحارث الجرهمي والمدعو نفيلة بن عبدالمدان ويتمثل ذلك في قوله ((فأصبت شيخاً كبيراً أسيل الخد تام العنق ، تام الصلب مسجى وعليه ثياب كالرماد))⁽²⁾ .
وأشارته إلى أن الثياب التي كانت عليه أصبحت كالرماد (أو كالهباء) يتكرر في وصفه ، ما كانت عليه احوال جثامين والد الحارث وجده مما يوحي بالزمن الطويل الذي مضى على دفن تلك الجثامين⁽³⁾ .

وقد جاءت الكشوفات الأثرية الحديثة مؤيدة لمضمون المروية المشار إليها حيث أكدت ممارسة عرب الجزيرة - لا سيما اليمنيون القدماء - عملية تحنيط الموتى قبل دفنهم وهو ما تم الإشارة إليه - لاحقاً - لدى تناولنا أماكن الدفن .

(1) اخبار عبيد بن شريه، ص 401.

(2) كتاب التيجان ، ص 210.

(3) كتاب التيجان ، ص 210 ، 211 .

* وضع الموتى في توابيت:

اقتصر الحديث عن هذا الجانب على مروية وحيدة ونادرة ، خلاصتها أن رجلاً من أهالي نجران رغب في الزواج من ابنة عمه التي كان يعشقها ولكن أباهما رفض ذلك الأمر ، لكونه (أي الرجل) كان ماجناً وقام بتزويجها من رجل آخر ، وبعد مدة من الزمن توفيت تلك الفتاة وجرى دفنها في إحدى المغارات ، ولشدة عشق ابن عمها لها ، فقد سعى إلى الوصول إليها بأي وسيلة ، وعندما تم له دخول تلك المغارة وجد بها مجموعة من الموتى ، كل واحد منهم موضوع في أثرية (تابوت) من رخام ، ووجهه مكشوف⁽¹⁾.

وأشارة هذه المروية - رغم طابعها القصصي - إلى أن الموتى الذين كانوا فيها وضعوا داخل توابيت من الرخام ، يتوافق مع ما ذكره الهمداني في الاكليل⁽²⁾ وما جرى اكتشافه من آثار قبورية في جنوب بلاد العرب⁽³⁾ دون أن يعني ذلك أن جميع الموميات التي جرى اكتشافها في اليمن وجدت داخل مثل تلك التوابيت.

* أماكن الدفن وكيفيته :

تكاد تجمع المرويات المختلفة على أن الجبال والمرتفعات كانت المجال المفضل لدفن الموتى، سواءً بالنسبة للملوك والأمراء وكبار القوم ، حيث تشير أولى تلك المرويات إلى أن حمير بن سبأ بن يشجب كان أول ملك من ملوك حمير ، يدفن في مغارة جبلية وأن ذلك كان بناءً على وصية أوصاها إلى أبنائه قبيل وفاته بالألا يدفنوه تحت الثرى وأن يجعلوا قبره في نفق يتخذونه في جبل عنفر⁽⁴⁾ كما أوصاهم بأن يدفنوه جالساً وليس ممدداً أو مضطجعا⁽⁵⁾.

ويبدو من مروية تالية أن دفن الموتى في ذلك الجبل كان قد أصبح أمراً معتاداً وأن ملوكاً آخرين من احفاد حمير دفنوا فيه أيضاً . يتضح ذلك من إشارة هذه المروية إلى أن أحد

(1) المصدر نفسه ، ص 218 ، 219 .

(2) الاكليل /8 ، 141 ، 142 ، 146 ، 148 ، 149 .

(3) ديتلف نيلسن ، التاريخ العربي القديم ، ص 163 .

(4) جبل عنفر : لم يستدل على حقيقة مسمى هذا الجبل او تحديد موقعه.

(5) كتاب التيجان ، ص 65 .

احفاد حمير حاول الإختباء مع والدته في إحدى مغاراته هرباً من ملك اغتصب منه العرش بعد وفاة والده وأن هذا الملك تمكن من العثور عليه وعلى والدته بعد أن مشط رجاله المغارات التي كان يحتويها ذلك الجبل⁽¹⁾.

ومن أهم المروييات المتصلة بهذا الأمر ، مروية تتحدث عن دفن ملك اسمه (عاد بن شداد) في مغارة جبل شمام⁽²⁾ ويرجح محققا كتاب التيجان⁽³⁾ وكتاب الاكليل⁽⁴⁾ أن اسم الجبل هو (شمام) وليس شمام كما ورد في تلك المروية.

ولهذا الترجيح أهمية بالغة لأنه جرى وبمحض الصدفة اكتشاف موميات لموتى تم دفنهم في مغارات جبل يقع في منطقة تدعى (شمام) الغراس ، تبعد حوالي عشرين كيلو متر عن العاصمة اليمنية (صنعاء)⁽⁵⁾ ويذكر أسمها في النقوش اليمنية القديمة على النحو الآتي الآتي (شمام) وتعرف المنطقة بأنها كانت عاصمة محلية لأقبال ذي سخيم الذين كانوا يحكمون في تلك المناطق السبئية⁽⁶⁾.

وقد اكتشفت مثل تلك المقابر الصخرية الجبلية في جبال أخرى من جبال اليمن⁽⁷⁾ وليس ذلك وحسب ، بل اكتشفت أيضاً قبور صخرية جبلية في - شمال الجزيرة - جرى نحبها في منطقة (العلا) شمال السعودية ويعود تاريخها إلى عصر استيطان المعينيين

(1) المصدر نفسه ، 68 ، 69.

(2) المصدر نفسه ، 74 ، 75.

(3) المصدر نفسه، ص 74.

(4) الاكليل 8 / 183.

(5) محمد باسلامة : شمام الغراس - ط1 - مؤسسة العفيف - صنعاء 1990م ، ص 98 - 133 . عبد الله الشيبية : ديانة اليمن القديم (ترجمات يمانية) _ دار الكتاب الجامعي - صنعاء 2008م ، ص 226 . يوسف عبد الله ، أوراق في تاريخ اليمن ، ص 176 ، 177 . الناشري ، نقوش وآثار جبل قروان ، ص 4 . السقاف، الحياة الفكرية ، ص 13.

(6) يوسف عبد الله ، أوراق ، ص، 176.

(7) خالد علي العنسي : نتائج اعمال التنقيب في موقع جبل حجاج - مجلة ريدان - العدد الثامن - وزارة الثقافة اليمنية - صنعاء 2013م ، ص 334 . كلودور . جان: تنوع القبور (اليمن في بلاد ملكة سبأ) - ترجمة بدر الدين عرودكي - ط1 - دمشق 1999م، ص 169 ، يوسف عبد الله ، أوراق في تاريخ اليمن ، ص 179.

تلك المنطقة قبل الميلاد ويضاف إليها مقابر الانباط الصخرية في مدائن صالح القريبة من منطقة العلا سابقة الذكر⁽¹⁾.

أما فيما يخص وضعية دفن جثث الموتى ، فقد سبق الإشارة إلى أن حمير بن سبأ دفن جالس ووقد تكررت الإشارة ذاتها في المرويات التي تناولت اكتشاف عبدالله بن جدعان القرشي مقبرة ملوك جرهم ، حيث يُنسب إلى هذا الأخير رؤيته جثث ملوك جرهم وهي في وضعية الجلوس أيضاً⁽²⁾.

ومع أن الإشارة إلى دفن الموتى في وضعية الجلوس أو القعود اقتصر على المرويات المشار إليها ولكن اكتشاف موميات مدفونة في وضعية القرفصاء وما يشابهه وضعية الجنين في رحم أمه، يتوافق إلى حد ما مع ما هو مذكور في تلك المرويات⁽³⁾.

* محتويات المقابر المادية :

من المظاهر التي تكاد تشمل معظم حضارات العالم القديم ، عملية وضع مقتنيات الميت المادية في المقبرة التي دفن فيها ، والتي تعرف في اصطلاح الآثاريين، بالآثاث الجنائزي⁽⁴⁾ ، وهو ما يعني أن ذكر مرويات كتاب التيجان هذا الجانب وإن ورد ضمن تفاصيل تقتقد إلى التحديد التاريخي الدقيق إلا إن ذلك لا ينفي اتصاله بجذور حضارية حقيقية.

ومن ذلك إشارة إحدى المرويات إلى أن المغارة التي دُفن فيها الملك المعافر بن يعفر، فُتحت في عهد الخليفة الاموي سليمان بن عبدالملك ، ووجد الذين دخلوها جوهرًا كثيرًا وذهبًا وسلاحاً ومالاً وفيراً إلى جوار جثمان الملك يعفر⁽⁵⁾.

ومثل هذا الأمر تكررت الإشارة إليه في مرويات أخرى عديدة وترتبط بمقابر الملوك وكبار القوم ، كالمملك (شداد بن عاد الحميري) وملوك جرهم⁽⁶⁾.

(1) يوسف عبد الله ، أوراق ، ص179.

(2) كتاب التيجان ، ص 220.

(3) يوسف عبد الله ، أوراق ، ص179.

(4) العنسي ، نتائج أعمال التنقيب ، ص 334. الناشري ، نقوش وآثار من جبل قرون، ص 4.

(5) كتاب التيجان ، ص 72 ، 73.

(6) المصدر نفسه ، ص 74 ، 75 ، 220.

وقد افرد الهمداني مساحة كبيرة من الجزء الثامن من الاكليل لذكر مقابر قدماء اليمنيين ، وحديثه عن هذا الأمر يتضمن تأكيداً لا لبس فيه في أن قدماء اليمنيين كانوا يدفنون المقتنيات الثمينة والشخصية مع جثامين أصحابها⁽¹⁾.

أما من الناحية الأثرية، فما تم اكتشافه من آثار المقابر القديمة في اليمن يؤيد حقيقة ما ورد في مرويات كتاب التيجان عن هذا الأمر ، على الرغم من أن ما جرى اكتشافه من تلك المقابر، كان قد تعرض إلى العبث والسرقة قبل أن تصل إليه اياد العلماء والمتخصصين⁽²⁾.

* الجانبان: الأدبي والفني :

يحتل الجانب الأدبي المرتبط تحديداً بالشعر والقصة مساحة لا بأس بها من مضمون مرويات كتاب التيجان ؛ ففيما يخص الشعر فإن سير ملوك حمير وغزواتهم تكاد لا تخلو من الأستشهاد به، ومنه ما يُنسب قوله إلى الملوك أنفسهم أو بعض قادتهم أو بعض الشعراء الحميريين⁽³⁾ وأشهرهم يُدعى علقمة بن ذي جدن الحميري⁽⁴⁾.

ومع أن هناك من الباحثين من يرفض قبول نظم الحميريين القدماء الشعر باللغة العربية الشمالية لأنهم كانوا يتحدثون الحميرية المسندية المختلفة في ابجديتها ونطقها عن العربية الفصيحة ، إلا إن المكتشف من نقوش عرب جنوب الجزيرة ، يُرجح نظم اليمنيين القدماء الشعر بلغتهم المسندية، وأبرز الشواهد الأثرية المؤيدة لذلك، يتمثل في النص الذي جرت تسميته ب(ترنيمة الشمس)⁽⁵⁾ والذي أكدت دراسة متخصصة حديثة أنه

(1) الاكليل 8 / 124 ، 168 .

(2) العنسي ، نتائج أعمال التتقيب ، ص 335 ، 337 . يوسف عبدالله ، أوراق ، ص 176 ، 179 .

(3) كتاب التيجان ، ص 58 ، 115 ، 119 ، 121 .

(4) علقمة بن ذي جدن : يُشار إليه على أنه أشهر شعراء حمير ويُنسب إليه قول الكثير من الأشعار في رثاء حمير ويعرف باسم علقمة ذا جدن الأصغر وعلقمة المطموس لأنه كان أعمى (الهمداني ، الاكليل 2 / 227 ، 228) .

(5) مقبل الاحمدي : شعراء حمير في الجاهلية والإسلام ، 397/2 .

قصيدة شعرية، نُظمت على (البحر الوافر)، كما تشير الدراسة نفسها إلى نصوص أخرى مشابهة للنص المذكور⁽¹⁾.

ويضاف إلى ما تقدم إشارة بعض مرويات كتاب التيجان إلى إحتراف فئة من النساء العزف والغناء، واللاتي يرد ذكرهن في تلك المرويات تحت مسمى (القيان)⁽²⁾ ويرد ذلك تحديداً في المروية التي تناولت هزيمة الملك ذي نواس الحميري امام الاحباش ، والتي تنسب إلى رجل حميري نظم قصيدة رثاء في ذهاب ملك حمير بعد تلك الهزيمة . ويتمثل ذلك في قول الرجل الحميري في تلك القصيدة:

دعيني لا أبا لك لن تطيقيني لحاكِ الله قد أنزفت ريقِي
لدى عزف القيان إذا انتشينا وإذ تُسقى من الخمرِ الرحيق⁽³⁾

ويؤيد ذلك ، روايتان منسويتان إلى عبيد بن شرية الجرهمي . يذكر في أولاهما أن القيان كنّ يضرين بالدفوف والمعازف في احتفال كان قوم ثمود يقيمونه كل عام في أحد أوديتهم⁽⁴⁾.

في حين يذكر في الرواية الثانية أن سيداً من العماليق⁽⁵⁾ يدعى بكر بن معاوية استضاف في مكة بعضاً من قوم عاد لمدة شهر كامل وان تلك الاستضافة اشتملت على أكلهم الخبز واللحوم وشرب الخمر وقيام قينتين ، يقال لهما (الجرادتان) بالغناء على مدى أيام ذلك الشهر⁽⁶⁾.

وتتضمن الآثار التي جرى اكتشافها في جنوب جزيرة العرب ما يؤكد حقيقة ممارسة النساء العزف والغناء على النحو الذي هو مذكور عليه في مروية كتاب التيجان وروايات

(1) المرجع نفسه 399/2 - 432.

(2) القينة : هي الأمة غنت أم لم تغنّ ولكن غالباً ما يُطلق على المغنية من الإماء وتجمع على قيان وقينات (ابن منظور، لسان العرب، ج12، حرف القاف).

(3) كتاب التيجان ، ص 312 ، 313.

(4) اخبار عبيد بن شريه ، ص 385.

(5) العماليق: ينسبون الى عملاق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح ويذكر المسعودي ان جدهم الاول عملاق نزل بمن معه منهم في اكناف الحرم والتهاثم وان فريقا منهم رحل الى مصر (المسعودي ، مروج الذهب 143/2).

(6) اخبارعبيد بن شريه ، ص 345.

عبيد بن شرية، فمن بين الآثار المودعة في المتحف الوطني بصنعاء ، هناك شاهد قبري من المرمر صور على واجهته منظر امرأة ترتدي ملابس فاخرة ، تجلس على كرسي وهي ممسكة بإحدى يديها آلة موسيقية (تشبه القيثارة) وتعزف باليد الأخرى عليها ويظهر إلى يسارها امرأة اصغر حجماً منها ويدها آلة موسيقية (تشبه الطبله) ويدها اليمنى مرفوعة للضرب على تلك الآلة⁽¹⁾.

وعلى ما يبدو أن العزف والغناء لم يستمر حكراً على النساء وأن العصر الحميري شهد ظهور مغنيين من الرجال ، وهو ما يستشف من إشارة الهمداني إلى أن رجلاً من حمير يُدعى أبا أيوب الموكفي اشتهر بتسمية (صاحب الأغاني الحميرية)⁽²⁾.
والحقيقة أن ظهور الموسيقى والغناء في حياة قداماء غرب جنوب الجزيرة يتفق مع حالة الثراء والرفاهية التي كانوا قد وصلوا إليها منذ زمن مبكر من تاريخ حضارتهم.

أما فيما يخص الجانب القصصي فمنه شبه التاريخي ومنه الأسطوري المحض ، ويتمثل النوع الأول في قصة الملكة بلقيس والنبى سليمان عليه السلام ، والقصص الخاص باكتشاف مقابر ملوك حمير وجرهم⁽³⁾.

أما النوع الثاني الممثل للأسطوري المحض ، ذو الطابع الخرافي فإنه يتجسد في المرويات التي تناولت سيرة الملك الصعب ذي القرنين وغزواته ، والتي تزخر بأحداث وأماكن وأشخاص ويغلب عليها الجانب الخرافي المتخيل ، وبما في ذلك الحديث عن وصوله إلى موضع تقطنه الملائكة⁽⁴⁾.

وقد لقي هذا الجانب اهتماماً كبيراً من قبل الأدباء العرب لاسيما المصريين ، وذلك ما ذكره الدكتور عبدالعزيز المقالح في مقدمة طبعة كتاب التيجان التي اعتمدنا عليها في كتابة هذا البحث.

(1) نجيم ، اشكال الطيور في الفن اليمني القديم ، ص186.

(2) الاكليل 52/2.

(3) كتاب التيجان ، ص، 74،162،191 .

(4) المصدر نفسه ، ص 91-113.

وما يهمننا من الأمر أكثر من غيره أن تلك القصص تعبر على الأرجح عن القصص التي كانت سائدة في أوساط عرب الجزيرة العربية في مرحلة من مراحل التاريخ القديم وهو ما يستدل عليه من امتداد وجودها إلى الشعر الجاهلي.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية والمعربة:

1. ترجمات يمانية - إعداد وترجمة /عبدالله الشيبه - ط1- دار الكتاب الجامعي - صنعاء 2008م .
2. الحميري،نشوان بن سعيد : ملوك حمير وأقبال اليمن - تحقيق علي المؤيد وإسماعيل الجرافي_ط2_ دار العودة_ بيروت 1978م.
3. الخزاعي . دعبل بن علي : وصايا الملوك - تحقيق/ نزار اباطة - 11 - دار صادر - بيروت 1997م .
4. ابن خلكان . محمد بن احمد بن ابراهيم بن ابي بكر: وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان -ج3-دار صادر- بيروت(د.ت).
5. الذهبي. محمد بن أحمد بن عثمان : سير أعلام النبلاء - ج4 - مؤسسة الرسالة - 2001م.
6. كتاب التيجان في ملوك حمير - ط2 - تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمني - صنعاء 1979م.
7. مختارات من النقوش اليمنية القديمة - اعداد وترجمه/ محمد بافقيه وكريستيان رومان وآخرون -مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس 1985م.
8. ابن منظور.جمال الدين محمد بن مكرم:لسان العرب-ج12- دارصادر- بيروت 2003.
9. عبيد بن شرية: اخبار عبيد بن شرية الجرهمي - ملحق بكتاب التيجان في ملوك حمير_ط2_ نشر مركز الدراسات والأبحاث اليمني - صنعاء 1979م.

10. المسعودي. علي بن الحسين بن علي: مروج الذهب ومعادن الجواهر - مج 2 - تحقيق/ امير مهنا- ط1- مؤسسة الاعلمي للمطبوعات- بيروت 2000م.
11. الهمداني.الحسن بن أحمد بن يعقوب :
12. - الاكليل من اخبار اليمن وانساب حمير _ ج2_ تحقيق / محمد الأكوخ - وزارة الثقافة والسياحة - صنعاء 2004م .
13. - الاكليل من اخبار اليمن وانساب حمير - الكتاب العاشر - تحقيق / محب الدين الخطيب_ ط1 _ الدار اليمنية للنشر والتوزيع-(د.م.ت).
14. الاكليل في محافد اليمن ومساندها ودفاننها- ج8- حرره وعلق على حواشيه/ نبيه امين فارس- دار العوده بيروت- دار الكلمه صنعاء(د.ت).
15. صفة جزيرة العرب - طبعة لندن - 1891م.
- المراجع العربية والمعربه:**
1. أحمد شرف الدين : اليمن عبر التاريخ _ ط2_ مطبعة السنة المحمدية - القاهرة- 1964م.
2. أحمد صالح : التحنيط فلسفة الخلود في مصر القديمة - ط1 - نشر جماعة حور الثقافية - مصر 2000م .
3. ادهم نجيم ، اشكال الطيور في الفن اليمني القديم -رساله ماجستير غير منشوره- كلية الاداب- جامعه صنعاء.
4. ازهار كامل ناصر: الانواء والاقبال -رسالة ماجستيرغير منشورة- كلية التربية للبنات- جامعة البصرة.

5. جواد علي :

- المفصل في تاريخ العرب القديم - ج 5 _ ط 2 _ نشر جامعة بغداد 1993م.
- المفصل في تاريخ العرب القديم _ ج 2 _ ط 2 _ نشر جامعة بغداد - بغداد 1993م.
- المفصل في تاريخ العرب القديم _ ج 6 _ ط 2 _ نشر جامعة بغداد - بغداد 1993م
6. حسين العمري وآخرون : في صفة بلاد اليمن عبر العصور - ط 1 - دار الفكر المعاصر - بيروت 1990
7. خالد علي العنسي : نتائج اعمال التنقيب في موقع جبل حجاج - مجلة ريدان - العدد الثامن - وزارة الثقافة اليمنية - صنعاء 2013م
8. خلدون نعمان ، نقوش جديدة من زمار - مجلة ريدان - العدد الثامن - نشر وزارة الثقافة اليمنية - صنعاء 2013 م.
9. روبنسون. ماكسيم: بلاد اليمن في المصادر الكلاسيكية - ترجمة د/ حميد العواضي - ط 1 - نشر وزارة الثقافة اليمنية - صنعاء 2001م.
10. ، زياد منى : بلقيس امرأة الالغاز وشيطانة الجنس - ط 1 - دار رياض الرئيس للكتب والنشر - بيروت 1997 م .
11. فيليبس. ويندل: كنوز مدينة بلقيس - تعريب عمر الديراوي - دار الكلمة - صنعاء (د . ت)
12. كلودور . جان: تنوع القبور (اليمن في بلاد ملكة سبأ) - ترجمة بدرالدين عرودكي - ط 1 - دمشق 1999م
13. عبدالرحمن السقاف: تطور الحياة الفكرية لليمنيين القدماء - اطروحة دكتوراه غير

منشورة- كلية الاداب- جامعه صنعاء ،2007 م .

14. عبد الله الشبيبة: دراسات في تاريخ اليمن القديم _ط1_ مكتبة الوعي الثوري _ تعز 2000م.
15. علي الناشري : نقوش وآثار من جبل قروان - مجلة الباحث الجامعي - العدد 27 - جامعة إب - اليمن 2011م.
16. محمد باسلامة : شبام الغراس - ط1 - مؤسسة العفيف - صنعاء 1990م .
17. محمد عبدالقادر با فقيه :
- تاريخ اليمن القديم - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت 1985م 0
- توحيد اليمن القديم _ ترجمة /على محمد زيد _ نشر المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية _ صنعاء 2007م.
18. مطهر الأرياني : نار ضروان في نقش مسندي - مجلة الاكليل - العددان 31-32 - وزارة الثقافة - صنعاء 2008م..
19. .مقبل الاحمدي : شعراء حمير في الجاهلية والإسلام ،تحقيق ودراسه- ج2- نشر مجمع اللغة العربية- دمشق (د.ت).
20. مهيب كليب : الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق الهلال الخصيب - مجلة جامعة دمشق - العددان الأول والثاني - دمشق 2011م.
21. نولدكه . تيودور: امراء غسان - ترجمة/جوزي بندلي و قسطنطين زريق - ط1- دار الوراق للنشر- بيروت 2009م.
22. نيلسن. ديتلف وآخرون : التاريخ العربي القديم - ط2- مكتبة النهضة - مصر 1977م.

23. يوسف عبد الله : أوراق في تاريخ اليمن واثاره- ط2- دار الفكر المعاصر - بيروت
1990.

-المصادر و المراجع الاجنبية:

- 1-Ewald .H, Geschichte des volkes Israels.389 .
- 2-Phllostorgius , Hist _ Eccl . , III , 5 .
- 3-procopius, History of wars – Trans.py.Dewing .H.B.-Loeb
Classical Liprary – book– I.XX. London
- 4-Strabo:THE Geography of Strabo – Trans-py.H.L.Jones – Book
XVI– London .mcmxxx.
- 5-Theophrastus. Enguiry into plantes–_trans.py.Hort.A–
libir.IV.london.

Libyan EFL Learners' Use of English Lexical Collocations

Dr. Zainab Ahmed*

ABSTRACT

One of the most challenging problems for EFL students is to be able to express themselves not just grammatically but also acceptably and naturally in English in appropriate contexts. The ability to produce acceptable and natural expressions in English is closely related to the EFL students' competence in collocation-which words go together in normal usage.

In the light of this problem, this study aims at investigating the Libyan EFL learners' use of the English lexical collocations. The theoretical part of this study presents a discussion of lexical collocations in Arabic and English. The practical part is intended to statistically measure the Libyan EFL learners' ability to use English lexical collocations accurately.

The statistics shows a low level of performance on the Libyan EFL learners' part. It is also concluded that the learners employ literal transfer from their mother tongue, substitution, and generalization as communicative strategies to overcome their deficiency in using the English lexical collocations accurately.

KEYWORDS:

Collocation, idioms, free combination, fixed expressions, EFL/ ESL language learners

* Al-Jabal Al- Gharbi University, Faculty of Education / Yefren / Libya

Introduction

Collocations are considered as one of the features that differentiate native speakers from non-native speakers of English. Lewis (1997) states that native speakers carry hundreds of thousands, possibly millions, of lexical chunks in their heads, ready to draw upon, in order to produce fluent, accurate and meaningful language. In other words, native speakers intuitively know which words frequently combine and which do not. As claimed by Williams (2000), "automation of collocation" helps native speakers fluently express themselves since it provides "chunks" that are ready to use. Second language learners, however, lacking this automation of collocation, may make non-native errors when producing utterances.

The lack of collocational competence often leads learners to "create longer utterances, because they do not know the collocations which express precisely what they want to say" (Lewis, 2000). As claimed by McCarthy and O'Dell, (2005: 6) collocations" ... give you the most natural way to say something: smoking is strictly forbidden is more natural than smoking is strongly forbidden"

Hence, collocations as a specific area within lexis are of particular importance and recognized

as one of the challenges that EFL learners encounter in their journey of English language learning. Different researchers in ESL/ EFL have found that L2 learners from different

proficiency levels face difficulties in combining words together, resulting in texts that are not native-like. Wardell (1991) points out that one peculiarity of the English of second language learners is the failure of these learners to

produce collocations in the proper order. In Lewis'

(2000: 8) words:

"the single most important task facing language learners is acquiring a sufficiently large vocabulary. We now recognise that much of our 'vocabulary' consists of prefabricated chunks of different kinds. The single most important chunk is collocation. Self-evidently, then, teaching collocation should be a top priority in every language course."

One reason for this may be due to the fact that unlike native speakers, L2 learners seem to focus on learning individual words and gradually building up bigger units, so it becomes particularly hard for them to establish strong associations between pairs of words forming collocations (Schmitt 2010; Wray, 2002). As a result, L2 learners tend to resort to a creative mechanism to combine isolated words, rather than store, retrieve and produce ready-made collocations.

Consequently, second language learners need to be aware that an essential requirement for the overall mastery of L2 is the ability to comprehend and produce collocations as unanalyzed chunks in order to achieve native-like competence and fluency, i.e. in order to speak a language the way its native speakers do (Brashi, 2009). Thus, collocations require to be given more focus because they help learners not only to understand lexis but also to communicate ideas more effectively in writing and speaking.

Collocation is one of the most difficult problems for EFL Libyan students. Not many of them are aware of the existence of collocations due to dominance of the grammar-translation approach which has played a key

role in the teaching of English in Libya for decades. Willis (1990) considers that, at present, the knowledge of language that teachers offer learners is heavily loaded towards grammar, and teachers need to pay more attention to lexical elements in classrooms as, if teachers emphasize grammar too much, the students are less likely to be able to create a significant and native-like output in language terms.

Given these considerations, it is the focus of the present study to examine the knowledge of English lexical collocations of EFL Libyan learners.

Rationale and purpose of the study

The importance of collocations and the difficulties they pose to EFL/ESL learners have been understood by various second language acquisition researchers (Bahns and Eldaw, 1993; Bahns, 1993; Channell, 1981; Lewis, 1993; Willis, 1990). These researchers agree that learners' knowledge of lexical collocations is an essential requirement for the overall mastery of their second language. Yet, despite the important role that collocations have in language acquisition, relatively few studies have been conducted to investigate the English lexical collocation knowledge of EFL Arabic-speaking learners (e.g., Al- Zahrani, 1998; Farghal and Obiedant, 1995; Hussein, 1990; Zughoul and Abdul-Fattah, 2003; and Shehata, 2008). Suffice to say, and to the knowledge of the researcher, to date no studies have been conducted in order to investigate the knowledge of English lexical collocations of EFL Libyan students who are English majors.

In addition to what has been said about the importance of collocation in language learning, the present study has been motivated by the

observation that, even at intermediate to advanced stages, Libyan learners of English have considerable difficulties in using English. In other words, they often remain stuck at a certain level of language competence, even though the majority of them are familiar with the basic, and most common, grammatical structures of English language. This inefficiency seems to be due, to some extent, to the lack of collocational knowledge among Libyan EFL students.

Many factors contribute to this problem, including the unawareness of Libyan learners of the importance of collocations in language learning, the teaching methods used, the inadequate emphasis given to collocational patterns in the content of the syllabus and the type of instructions they receive. As a result, students graduate from schools with a very low ability to communicate or to express themselves properly in English in real life situations.

Therefore, there is a need to investigate the English lexical collocation knowledge of Libyan Arab EFL University students and know what problems they encounter when using English lexical collocations.

Theoretical background

The literature shows that knowledge of collocations is an important and necessary one for the successful learning of language in general and vocabulary learning in particular. Hill (1999) contends that 'collocation is the key to fluency' both in written and oral language. In addition, Hill (ibid.) claims that learning words in chunks improves pronunciation and intonation, and speeds up reading through the chunking of phrases. Previous research also shows that unfamiliarity with collocations often leads to serious problems in language production.

Definition of collocation

The term 'collocation' was first used in the 18th century (Carter & McCarthy 1988:32) but as a formed concept it was firmly grounded only in the 20th century. Collocation as a linguistic phenomenon was studied in association with lexical semantics by Greek Stoic philosophers as early as 2,300 years ago (Robins, 1967:21 cited in Gitsaki, 1991). Robins (1967) states that Greek Stoic philosophers rejected the equation of "one word, one meaning" and put forward an important aspect of the semantic structure of language. They believed that "word meanings do not exist in isolation, and they may differ according to the collocation in which they are used" (Robins, 1967:21). This view of word collocations has continued to be central to the study of language at the present time. The majority of linguists have come to recognize the fact that certain fixed expressions, among which collocations are, are stored in the memory of native speakers of a language as whole chunks and are used, as such, in their written and oral production.

Idioms/Collocation/Free Combination

It is obvious that there is significant disagreement and a lack of clarity in the definition of collocations among different linguists. What additionally makes the issue unclear is the fact that sometimes collocations are categorized as idioms, since it is often thought that no clear distinction can be made between a collocation and an idiom (e.g. Wallace, 1979; Sinclair, 1991). For instance, Smith (1947, cited in Brashi, 2005) considers collocations as idiomatic expressions, in which two words are habitually combined together for the sake of emphasis. For example, far and away

(emphatic), over and over (emphatic repetition), part and parcel (emphasis by alliteration), fair and square (emphasis by rhyme), heads or tails (emphasis by the contrast of two words), now and then (emphasis by inclusive phrases). Similarly, Wallace (1979) does not seem to differentiate between collocations, proverbs and idioms. He perceives collocations (e.g., to be honest with) and proverbs (e.g., don't count your chickens before they are hatched) as subcategories of idioms.

Sinclair (1991) also gives a very general definition of a collocation: "A collocation is the occurrence of two or more words within a short space of each other in a text" (1991: 170). He suggests, as a measure of proximity, a maximum of four words intervening in between standing together. Certainly, this definition suggests that all occurrences of two or more words, including idioms, are considered to be collocations. Again, this dissipates the technical usefulness of the notion of collocation to the point where almost any fixed forms of expression can act as such.

Bollinger, on the other hand, does not think that it is necessary to make a differentiation of the three word combinations and says that "it is of course, a matter of terminology whether collocations should be classed separately from idioms or as a major sub-class" (1976: 5).

However, there are other linguists who draw a clear line between collocations, idioms and free combinations (Aisenstadt, 1981; Benson Benson & Ilson, 1997; Carter, 1982; Cowan, 1989; Cowie and Howarth, 1996). Among the most reliable criteria are 'fixedness' including restrictions on both syntactic and lexical variability, "semantic

transparency" or "semantic compositionality" and "frequency" of co-occurrence

Classification of Collocations

Various classifications of collocations can be made through investigations of different criteria which can form a basis for the classifications. In his study of collocation, Firth (1957) includes not only usual collocations but also unusual collocations. This classification seems to be based on the frequency of co-occurrence since usual collocations are more frequent and can be utilized in various fields while unusual collocations are more restricted technical or personal collocations.

Sinclair (1991, 115) uses the same criterion as he makes a distinction between casual collocations and significant collocations. According to him, a collocation is said to be 'significant' if the probability of co-occurrence is in a higher degree than that which he calls 'casual' collocations. The words dog and bark would very likely constitute a significant collocation since bark is expected to be found near the word dog. Sinclair is inclined to exclude those items that are very frequent in all kinds of texts - noticeably grammatical words - which are participating members of significant collocations. Perhaps this inclination is based on his commitment to a view that lexis is a separate and independent level of grammar.

Later on in his studies Sinclair slightly changes his attitude and forms an integrated approach by which both lexical and grammatical aspects of collocations are taken into consideration. As a result, he divides collocations into two categories: upward and downward collocations in which upward collocations include prepositions, adverbs, conjunctions, and pronouns that collocate with words more frequently used than

themselves. For example, Sinclair notes that the word back collocates with at. down. from, into. on and then, all of which are more frequent words than back. Downward collocations, on the other hand, include verbs and nouns that collocate with words less frequently used than they are. Again, Sinclair uses the example of the word back giving arrive, bring and climbed as examples of less frequently occurring words that collocate with back. He makes a sharp distinction between these two categories claiming that the elements of upward collocations (mostly prepositions, adverbs, conjunctions, pronouns) tend to form grammatical frames while the elements of the downward collocations (mostly nouns and verbs), by contrast, give a semantic analysis of a word.

There appears to be a systematic difference between upward and downward collocation. Upward collocation, of course, is the weaker pattern in statistical terms, and the words tend to be elements of grammatical frames, or superordinates. Downward collocation by contrast gives us a semantic analysis of a word. (Sinclair 1991:116)

Carter (1987) divides collocations into four categories, depending on how restricted they are: 'unrestricted', which collocate freely with a number of lexical items, e.g. take a look/a holiday/a rest/a letter/take time/take notice/a walk: 'semi-restricted', in which the number of adequate substitutes which can replace the elements of collocation is more limited, e.g. harbour doubt/grudges/uncertainty/suspicion. The other two categories include 'familiar' collocations whose elements collocate on a regular basis, e.g. unrequited love, lukewarm reception and 'restricted' collocations which are fixed and inflexible, e.g. dead drunk, pretty sure.

Lewis (2000, 63) lays down the criterion of "collocational strength" to classify collocations. His classification is pedagogically motivated. For him collocations are of four types: "unique collocations", "strong collocations", "medium strength collocations" and "weak collocations". In a unique collocation like foot the bill one cannot imagine footing the invoice or footing the coffee. This shows the uniqueness of foot in the collocation. Similarly, one shrugs our shoulders but not other parts of one's anatomy. Examples of strong collocations are trenchant criticism or rancid butter. Although this does not mean that other things cannot be trenchant or rancid, the collocational bond is too strong. In Lewis' view the medium strength collocations are of prime importance in expanding learners' mental lexicons. Make a mistake and significantly different are examples of medium strong collocations. A white shirt and red wine represent weak collocations. Although many things can be white or red there is something more predictable and so more collocations about these examples.

Review of literature:

A number of researchers have attempted to categorize L2 learners' problems with acquiring collocational competence (Halliday and Hasan 1976, Korosadowicz-Struzynska, 1980; Bahans, 1993; Farghal & Obiedate, 1995, Gitsak, 1999; Biskup, 1992; Granger, 1998; Gitsaki, 1999; Bahns & Eldaw, 2000; Zughoul and Hussein, 2001; Nesselhauf, 2003; Mahumed, 2005).

Korosadowicz-Struzynska (1980) reports that students face interlingual and intralingual problems in the use of collocations and even advanced students who have considerable fluency of expression in a foreign

language make collocational errors. As a consequence, Korosadowicz-Struzynska considers the teaching and learning of collocations for production reasons is essential for EFL learners and describes certain steps that should be followed in order to promote the teaching of collocations from the initial stages of foreign language learning.

Halliday (1961) called collocation “the most problematic part of lexical cohesion” (p. 288). Collocations are very often language-specific and, therefore, will cause frequent language (production) mistakes and communication breakdown. That is, they may present a problem to the EFL/ESL learner when the native language meaning equivalent uses different collocations. Palmer (1979) also stressed that collocations and phrases are problematic for both native speakers and learners of English. There is, in fact, evidence that even native speakers have difficulty collocating certain words in increasingly formal written contexts

Interlingual problems (i.e. transfer from the mother tongue) are considered as one of the common factors which cause problems for EFL/ESL learners. Mahmoud (2000) points out that the availability of a native language to foreign language learners brings about a difference between the mother tongue and other tongues in the sense that the native language is an additional source of linguistic knowledge. Littlewood (1984:26) illustrates that learners use their previous mother tongue experience as a means of organizing the second or foreign language data and to make sense of such a new experience. This means that learners do not have to discover everything from zero. In other words, their L 1 collocational knowledge may represent their assumption that there is a

one-to-one correspondence between L 1 and L2 collocational choices.

Thereby, as Mahmoud (2005) argues, 'the influence of the mother tongue and the pervasiveness of interlingual transfer is indisputable, especially in learning situations where the students' exposure to the foreign language is confined to a few hours per week of formal classroom instruction'. Hence, insufficient exposure to the target language could make it be filtered through the native language at all linguistic levels and could give rise to different errors (Rivers, 1983). This language transfer becomes a learning strategy that most foreign language learners fall back on (Odlin, 1989 and Mahmoud, 2002).

Research by Bahans (1993), Bahans & Eldaw (1993), Farghal & Obiedant (1995) indicate that learners lacking collocational knowledge rely heavily on LI as the only source and thus do better in those collocations that have L I equivalents than those do not.

Nesselhauf (2003) provides support for the previously mentioned studies in stating that L 1 influence, in her study of collocations used by German EFL learners, is considerable, resulting in several L2 errors. She also confirms the significance of native language impact on L2 collocation learning, suggesting that since L 1-L2 collocational incompatibility is a major source of errors in learner language, English teachers should concentrate on such non-congruent collocations in the two languages in order to prevent learners from committing such transfer errors.

Another probable reason for the difficulty with collocations, as Shokouhi

(2010) argues, is that learners acquire L2 words individually or in isolation, without adequate attention to the relations that words have with one other. In other words, ignorance of restriction rules in word choice. For instance, as Shokouhi (2010) mentions, although many EFL learners appear to know the meanings of big, heavy and smoker, they produced strings like hi~ smoker instead of heavy smoker.

In this regard, Elyildirm (1997) finds evidence, from an examination of the KWIC (key words in context), that students have reasonable knowledge about the key lexis, but are not familiar with the naturally occurring environment in which the word usually occurs. As a result, learners produce many wrong utterances such as:

- This butter is sour. (rancid)
- My tea is very powerful (strong)
- Flocks of cows (sheep)
- The enemy used a fatal weapon (lethal)
- Herd of sheep (cows)

According to Shokouhi (2010), such problems arise partly because of the arbitrary and unpredictable nature of collocations. Moreover, McCarthy et al. (2010) point out that a register could be another way in which learners might create untypical collocations because of their knowledge of single words within a register. For example, Taiwo (2004) gives some examples such as borrow a loan instead of take out a loan and type the keyboard instead of use the keyboard.

Given all this information, we can say that it is not single words that are

always

difficult for EFL/ESL learners, but multi-word units such as collocations.

Therefore,

common combinations of words should be taught, not just the individual words.

Methodology

Research question:

This study attempts to answer the following research question:

- 1- To what extent do Libyan students majoring in English have knowledge of English lexical collocation?
- 2- Is there a significant statistical difference between the participants' production and reception skills relating to lexical collocations in English?
- 3- What is the effect of Libyan EFL learners' LI on their proficiency in producing lexical collocations in English?
- 4- Is there a significant statistical difference between participants' proficiency in producing and recognizing lexical collocations in English and their amount of exposure to the English language?
- 5- Are all kinds of lexical collocations equally difficult for Libyan students?

The aim of the study is to examine some EFL learners' knowledge of six

types of English

Collocations (verb+ noun, noun +verb, adjective+ noun, adverb+ verb, adjective+ adverb, noun+ noun) in terms of their capability to produce some examples of these specific types of collocation correctly.

Participants in the study

This study was conducted at the English Language Department, Al-Jabal Al-Gharbi

University, Libya. The participants in this study were senior undergraduate students majoring in English. These students were in their fourth year of study (final year). The participation in this study was voluntary. A total of 245 second and third-year students participated in the present study: 60 students participated in the pilot testing, and 185 participants took the test in the subsequent main test administration. The participants were English major university students randomly drawn from four Faculties of Humanities at Al-Jabal Al-Gharbi University in Libya (it is one of the large universities in Libya located in the North West of the country)

The participants have studied English. on average, for eight years at the rate of four hours per week in preparatory schools, twelve hours per week in secondary schools and eighteen hours per week in the university. Their level of proficiency is intermediate, and they are all speakers of Arabic as their L1 language and both sexes are represented although the number of females was more than the number of males

Data collection instruments

This study used three data collection instruments. The instruments designed and

used to collect the data of the present study were a 'multiple-choice test

of English collocations' (Test 1) translation test (test 2) and A self-reporting questionnaire see. In designing the 'blank-filling test of English collocations' for the present study, the researcher used examples from the BBI Dictionary of English Word Combinations (Benson et al., 1997) and the Oxford Collocations Dictionary for Students of English which both provided typical examples of collocations. Moreover, English Collocation in Use (McCarthy and O'Dell, 2005) and Natural English Collocations Vocabulary Work Book (Marks and Wooder, 2007) were also used as main sources because they offered useful examples used in the real world. In addition, there are some targeted collocations which were adopted from the previous studies which conducted in this area (e.g., Hussien, 1990, and Shokouhi, 2010).

By means of the two tests and the questionnaire. the researcher attempted to explore the participants' lexical collocation knowledge and the relationship between their collocation knowledge and the amount of their exposure to English. The first instrument was a multiple-choice test which was used to assess the participants' performance in lexical collocation knowledge and, in particular. had the aim of measuring the participants' receptive knowledge of lexical collocation. Owing to the limited time available for conducting the survey, both the pilot test and the main test in the study were administered in the multiple-choice format to investigate the participants' receptive knowledge of collocation. The sentences were carefully screened before being chosen as the test items. This test included sixty targeted collocations where one of the constituents of the collocation in question was left out. Three choices were provided to the students, one being the correct response and the other two serving as distracters. For example. in the following sentence, students were asked to choose the

right collocate to complete the following sentence: The jacket is the right size but its colour does not me.

a. match; b. suit; c. fit

For the translation task, the aim of this test was to assess the participants' production knowledge of lexical collocations and to elicit any influence of the participants' LI on their lexical collocation performance. The selected sentences included only the six patterns of lexical collocations mentioned above. The 35 different sentences of the translation task were given to three

The third instrument was a self-reporting questionnaire and was designed partly along the lines followed Shehata (2008). The main aim of the questionnaire was to help create a complete picture of the participants' profile, and to elicit some information about the participants' learning background, as well as to examining whether students had had exposure to learn English from any source other than that of the classroom. The questionnaire items were specifically focused and used Likert because these are highly appreciated by methodologists. The questionnaire contained 10 items and was translated by the researcher into Arabic (the participants' mother tongue see Appendix 5) for fear that some students would not understand the questions if they were given in English and thus could not give proper answers.

Data Collection Procedures

Firstly, the researcher contacted the Head of the English Department at Yefren Faculty of Arts, where the researcher was working as a staff member, and obtained approval to conduct the pilot study and a part of the main study. The researcher met some of the faculty members and

discussed the study with them in detail as well as discussing the necessary steps to be taken to conduct the research. Then the researcher visited other three Faculties at the same university and introduced herself as a doctoral student at Bangor University in the United Kingdom who was conducting research to fulfill the requirements of a Doctoral degree in the field of linguistics and language teaching. After obtaining permission from professors in the four Faculties of Arts at AL-Jabal Al-Gharbi University, the collocation test, the translation task and the questionnaire were administered at the most convenient time for these professors' classes. In terms of administration and timing, each subject was allowed sufficient time to work individually on the test items. It took about 60 minutes for all the subjects to be finished in the multiple-choice test and 50 minutes to complete the translation task with a 15 minutes' break between the administration of the collocation test and the translation task. So fatigue was probably not a major factor in the subjects' scores. Both tests were administered in the same classroom and students were separated as much as possible to reduce any cheating to a minimum. Examinee names and other personal information were not evident at the scoring time. Once students finished taking the multiple-choice test, the researcher instructed them to leave the test materials behind on the desk and to take a 15 minutes' break before taking the second test (the translation task). After they left the room, the researcher collected the test materials and stored them by numbers. Next, all the students were given enough time to finish the translation task and after they had finished, the researcher collected the answering sheets and added them the previous test materials.

With regard to the questionnaire, the final version included 10 items and it was administered in the same environment and circumstances

associated with the administration of both the collocation test and translation task. The administration of the questionnaire did not take a long time because all its items were clear as a consequence of running the pilot study. However, a few questions were raised by some students regarding how questions should be answered and the meaning of vocabulary. Since the items of the questionnaire did not gather information relating to any sensitive issues, the researcher asked the participants to write their names down. The participants were told to give accurate information and were reassured that confidentiality would be maintained. To make sure that the participants understood all the questions, the researcher went over each of them with the students giving any necessary explanation and translation in the students' mother tongue. In many cases, using L 1 language saves time and confirms understanding. Once all the students had finished answering the questionnaire, all the questionnaires were collected after the class and coded for further analysis.

Results and discussion

This section will discuss the participants' response to the 'multiple-choice test of English collocations', and to the translation task of English collocation,

As earlier mentioned, the first purpose of this study was to determine the extent to which Libyan university English language majors can use English lexical collocations properly. To gain data about the informants' ability in English lexical collocations, two tests of lexical collocations were administered based on the six patterns of Benson et al. (1986). A multiple-choice test, consisting of 60 items, was intended to elicit the learners' receptive competence in recognizing correct English lexical collocations. Test two was a translation task consisting of 28 items and was intended to

explore the learners' production proficiency in this linguistic phenomenon. Both tasks were viewed as complementary indicators of the learners' overall competence in English lexical collocations.

To answer the first question, the percentage of correct answers of the participants in each test was calculated. Table 1 shows the results, presented as the number and percentage of correct answers of the participants in each test.

Number	Receptive test (MCQ) =60		Productive test (Translation task)=28	
	Frequency	Percentage	Frequency	Percentage
Correct answers	5225	47%	2175	41%
Incorrect answers	5875	53%	3005	58%
Total	11100		5180	

Table 1 Number and percentage of correct answers of the participants in each test

A cursory look at the quantitative results presented in table 1 gives an indicator that the EFL Libyan learners' knowledge of English lexical collocation was lower than would be expected. As indicated in table 1 in, only 47% of the total attempts of all the subjects on the recognition task (multiple-choice test) were correct. The results on the production translation task were even lower and only 41 % of the subjects' answers were correct. This is quite disappointing since these learners have been studying English for at least eight years and they are majoring in an English language department.

Overall, the findings obtained from the first research question of this study

are in line with other studies such as Bahns and Eldaw (1993), Farghl and Obiedat (1995), Hussein (1998), Howarth (1998), Bonk (2000), Cooper (2000), Zaghoul and Abdul Fathah (2003), Mohmoud (2005), and EI-Masharawi (2008) which reported low levels of collocational knowledge of EFL learners. For instance, Bahns and Eldaw (1993) state that learners' knowledge of collocation does not develop in parallel with their knowledge of vocabulary and this may be in part due to the fact that learners do not therefore, pay any attention to learning them

The second research question investigated the difference between the performance of participants in their receptive and productive lexical collocation knowledge. A t-test was used to examine whether there was a significant statistical difference between the participants' receptive and productive knowledge of English lexical collocations. From the results obtained, there was a slight difference between the mean scores of the multiple-choice test and the translation task. Although collocational mismatches were frequent in the participants' answer, both productively and receptively, and neither of them reached 50%, a t-test of these two means confirmed that there is a slight difference between them ($t=4.281$, $df=184$, $p < 0.001$). In the light of these results, it is plausible to suggest that lexical collocations types are more difficult at the productive than at the receptive level.

Such a finding was expected because evidence shows receptive knowledge typically precedes productive mastery. There is a general assumption that a learner's receptive vocabulary knowledge will be different from his/her productive vocabulary knowledge. The number of words that a learner can recognize in the context of speech or writing is likely to be different from the number of words the same learners can call

in mind and use. However, Melka (1997:85-89) points out that boundary between receptive and productive knowledge are fuzzy according to adverse linguistic and pragmatic factors. He argues that receptive and productive vocabulary knowledge is a continuum and it reflects the notion that one has to perceive a word before he/she produces it. In general, the findings of this study are in congruence with many other research findings such as Melka (1997), Caroli (1998), Nation (2000), Wang (2001), Taeko (2005), Shehatta (2008), Brashi (2009) and Alsakran (2011) which confirmed the common sense views that receptive knowledge of collocations was generally larger than the productive one and it comes before the productive knowledge at all stages of language learning, For instance, Caroli (1998) and Koya (2005) indicated that the participants in their studies were able to judge the correctness and incorrectness of the given collocations on the receptive test, but they encountered difficulties in producing the correct collocation on the productive test.

The influence of the L1 on the participants' knowledge of English lexical collocations was one of the main dimensions under investigation in the current study. To address this question the data were collected from a translation task comprising 28 items based on six patterns of lexical collocation (verb+ noun, noun+ verb, noun+ noun, adjective + noun, verb+ adverb, adverb +adjective). After the data were collected and recorded, approximately 3005 incorrect responses were extracted from the learners' productive test. The Table below (2) shows that interlingual errors are the most common types of errors made by Libyan EFL students. They constituted 67% of the total number of errors, whereas intralingual errors constituted only 33%.

Possible source of collocation errors	Number of errors	Percentage
Interlingual (negative transfer)	2010	67%
Intralingual (over-generalization, the use of improper synonyms, ignorance of rule restrictions, simplification, etc.)	995	33 %

Table 2: The distribution of collocation errors among Libyan EFL learners in test 2 (the translation task).

Based on these results, it was concluded that first language interference in the production of lexical collocation was rather great. The researcher, who is a native speaker of Arabic, arrived at the above conclusions in consultation with one educated Arabic scholar. From the literature, it is plausible to say that deviations resulting from interlingual transfer have been recorded at all linguistic levels, (e.g Gass and Selinker, 1983, Bahns & Eldaw, 1993; Bahns, 1993; Farghal & Obiedat, 1995; Huang, 2001, Zughoul & Abdul-Fattah, 2001, 2003; Nesselhauf, Mohamed, 2005; Shehata 2008; Brashi 2009).

To examine the fourth question that explored whether the participants' self-reported amount of exposure to the English language was linked to the participants' performance on both receptive and productive collocation tests, the Kruskal-Wallis test was used to test for a significant difference in mean percentage of correct answers between the groups. The results indicated that there was a statistically significant difference in scores according to how much time respondents spent listening to English radio programmes, English songs, English television, browsing English websites, reading English books and chatting online in English. Those who spent longer engaging in these activities tended to achieve higher scores in the

tests. However, there were very few respondents in the higher categories for the most of the variables. This finding of this study support Bahns and Sibiles's (1992) and Shehata's (2008) findings in which that the amount of exposure to practical opportunities, real life experience and situations related to the English language can positively help in the acquisition of L2 collocations.

The current study also explores the differences between participants' receptive and productive scores on six patterns of English lexical collocations: adjective + noun, verb + noun, noun+ noun, noun + verb, adverb + adjective, and verb+ adverb. The purpose was to identify which collocation type is most problematic to acquire. To answer this question, repeated measures ANOVA was used to test whether there was a statistically significant within subjects' difference in the mean percentage scores in each lexical collocation pattern. The results from the within subjects ANOV A shows that the difference in average scores is statistically significant for both tests (test 1 $F=12.697$, $p<0.001$ and test 2: $F=4.965$, $p=0.001$), i.e. students find some types of lexical collocations more difficult than others in both tests. In test one (the multiple choice test), the verb+ noun collocations has the highest mean score, followed closely by the verb+ adverb collocations. The adverb +adjective collocations were noticeably lower in their mean scores than that of the other types. In test two (translation task), the highest scores was for noun+ verb collocations whereas the adjective + noun followed by the noun + noun collocations patterns had the lowest score compared with the patterns of other target collocations. The results of this study are in agreement with a number of previous studies (Bahans & Eldaw, 1993; Howarth, 1998; Nesselhauf, 2003; Li, 2005; Huang,2007, Hsu & Chiu, 2008) in that they all highlighted the learners' problem with the productive of collocations. But the types

which cause problem for learners in this study slightly differ from those of other studies. For instance, in Zarei's (2010) study, the noun + verb type of lexical collocation was the most difficult type for upper-intermediate Iranian learners of English, whereas this study suggests that the 'adjective noun' and the 'adverb+ adjective' types of collocation were the most problematic ones for Libyan EFL learners in productive and receptive levels respectively.

Pedagogical implications

The present study suggests a number of pedagogical implications with regard

to collocations. These can be applied as a generic framework or model for teaching

collocations to EFL/ESL learners. Recommendations are outlined in a form of a proposed pedagogical framework in order to tackle the issue of collocation problems encountered by Libyan EFL learners and encourage collocations build up. The recommendations that will be mentioned in this section consist of two overlapping parts related to: (1) the concerns of English language teachers, and (2) the learning materials designers.

1- Recommendations for English language teachers

One of the teachers' responsibilities is to provide learners with effective opportunities that will enable them to learn more vocabulary items and retain them for a longer time. According to Schmitt (2010) 'after textbooks, the teacher is probably the next best resource in the classroom for introducing new vocabulary and providing important information on its meaning and use'. Accordingly, based on the theoretical framework presented in Chapter 2, the following practicalities are necessary in

teaching and learning lexical collocations for both EFL teachers and learners (some ideas based on suggestions of Taiwo, 2004; Tang, 2004 and EL-Masharwi, 2008).

*Raising Students' Collocation Awareness

Raising students' awareness of collocations would involve explicitly directing learners' attention to these phrasal elements. Siyanova and Schmitt (2009) claims that the only way to develop good collocation intuition in our learners is to institute a fundamental change in our teaching pedagogies, moving from a focus on individual words towards a focus on phrasal elements. The following could be useful guidelines for stimulating the students' awareness of collocational knowledge and usage.

- 1- Teachers should introduce words in chunks, and draw their students' attention to the fact that words act less as individual units and more as part of lexical phrases in interconnected discourse (Schmitt 2000:78).
- 2- Teachers should encourage their students to be involved in an extensive reading of different genres, and not to be restricted only to the course books.
- 3- As indicated by Hsueh (2002) learners should be encouraged to develop good habits of checking collocation usage by consulting collocation dictionaries, and take notes systematically.

*Promoting students' autonomous constant practice of collocations and tackling their collocational errors

A further equally important and closely related implication is that for raising learners' awareness and promoting their constant autonomous

practice of collocation, teachers should check students' knowledge of collocation, track their progress, and tackle their errors in order to reinforce their collocational competence. Here are some suggestions that might help teachers to improve learning quality

1- In order to promote learners constant autonomous practice of collocation, Teachers should encourage their learners to make effective use of the internet by frequently surfing websites and browse some topics related to politics. education, and daily life situations. or any topic of their choice, finding pen-friends on the Internet, taking part in competitions. chat-clubs.

2- In order to help learners achieve native-like competence and fluency. learners should also be encouraged to access the native speaker corpora as a way to compare their L2 with the native speakers' L I. In this regard, web-concordances are very useful, as they contain a huge source of authentic materials which can provide learners with multiple exposures to new items and collocations.

3- In order to enhance learners' collocation competence effectively, and in the longer term, learners should be encouraged to keep a vocabulary note book and write down a number of collocational expression noticed inside or outside the classroom.

4- In order to move learners forward and promote students' understanding of collocations, teachers should provide consistent and frequent formative and corrective feedback on their learners' mis-collocations. In other words, providing feedback is essential to the assessment process, and to the improvement of students learning as it allows teachers to collect the

evidence they need to immediately address their students' learning needs.

Suggestions for learning materials designers (Developing appropriate L2 material on collocations)

According to Channell (1981), most students' errors resulted from a lack of emphasis on vocabulary in syllabi. It is not surprising that most syllabi taught in

Libyan schools and universities are organized to cover more grammar than vocabulary. which does not help students develop their collocational competence. The following are some suggestions to be taken into consideration on designing the language learning materials.

1- Teachers and curriculum designers at Departments of English language at Libyan universities should give more attention to the significance of collocations, and work together to implement EFL syllabi in a way that allow collocations to be a part of a balanced course at each level of teaching English as a foreign language in Libyan schools, institutions and universities.

2- Language learning materials should be reconstructed to include a variety of collocations, and build more practice activities on collocations into relevant EFL course books at all proficiency according to learners' needs and interests.

3- The language teaching materials should be reconstructed in the way that offers explicit instructions on the way that teaching and learning should target language collocations. In other words, such materials should provide teachers with teaching ideas that help them implement the suitable techniques to further enhance their learners' lexical collocation knowledge.

Conclusion

Generally, the results of this study were consistent with the previous studies, and support claims that L2 learners have inadequate knowledge of producing and recognizing English lexical collocations (e.g., Bahns and Eldaw, 1993; Farghl and Obiedat, 1995; Hussein 1998; Howarth, 1998a; Bonk 2000, Zaghoul and Abdul-Fathah, 2003; Mohmoud 2005, Mashharawi, 2008, and Abu Naba'h, 2011) . The results also highlighted the important role that learners' first language plays in the acquisition of L2 collocations, and therefore, were again in line with the claim that interference is the prime cause of L2 learners' errors (e.g Bahns and Eldaw, 1993; Bahns, 1993; Farghal & Obiedat, 1995; Huang, 2001, Zughoul &

Abdul-Fattah, 2001, 2003; Nesselhauf, Mohamed, 2005; El.Masharwi 2008; Brashi 2009). The study's results also confirmed the common sense view that receptive knowledge of \ collocations was generally larger than the productive one and it absorbed before the productive knowledge at all stages of language learning(e.g., Nation 2000; Waring, 2002, Taeko 2005; Shehatta 2008; Brashi, 2009 and Alsakran 2011).

In summary, the results showed that collocations present a source of difficulty for English language learners. Therefore, collocations need more attention from L2 curriculum designers and teachers.

List of References

Aisenstadt, E. (1981). Restricted collocations in English lexicology and lexicography.
ITL: Review of Applied Linguistics, 53, 53-61.

Al-Zahrani, M.S. (1998). Knowledge of English lexical collocations among male Saudi college students majoring in English at a Saudi university. Unpublished doctoral thesis, Indiana University of Pennsylvania, Pennsylvania

Bahns, J. (1993). Lexical Collocations: A Contrastive View. *ELT Journal*, Vol. 47, No: 56-63.

Bahns, J.& Eldaw, M. (1993). Should we teach EFL students collocations? *System*, 21 (1), 101-114

Benson, M. Benson, E. & Ilson, R. (1997). *The BBI dictionary of English word combinations* (2nd edition). Amsterdam, The Netherlands: John Benjamins Publishing Company

Bolinger, D. (1976). "Meaning and Memory", in: *Forum Linguisticum*, 1, 1-14.

Brashi, A. (2005). Arabic collocations: Implications for translation. Unpublished doctoral thesis, University of Western Sydney, Sydney

Brashi, A. (2009). Collocability as a problem in L2 production. *Rejlecli Oil FII, I, /i, /i*
1. (/l1gu{/ge Tet/chil1g. 8(1). 21-34.

Carter, R. (1992). *Vocabulary: Applied linguistic perspectives*. London, England: Routledge.

Carter, R. & T. McCarthy. (1988). *Vocabulary and language teaching*. New York: Longman

Channell, J. (1981). Applying semantic theory to vocabulary teaching. *ELT Journal* 35 (2), 115-122.

Cowan, L. (1989). Towards a definition of collocation. Unpublished Master thesis, Concordia University, Montreal, Quebec, Canada

Cowie, A.P. & Howarth, P. (1995). Phraseological competence and written proficiency. In Blue, G.M. & Mitchell, R. (Eds.), *Language*

andeducation British studies in applied linguistics 11 (pp. 80-93).Clevedon: Multilingual Matters.

EI-Masharawi, A. (2008).Collocation Errors Made by English and Journalism

Majors at the Islamic University of Gaza. Unpublished dissertation. The Islamic University of Gaza.

Elyildirm, S. (1997). The acquisition of collocation by Turkish EFL learners. Unpublished doctoral dissertation, University of Reading, Reading, United Kingdom

Firth, J.R. (1957). Papers in Linguistics 1934-1951. London. Oxford University

Farghal, M.& Obiedant, H. (1995). Collocations: a neglected variable in EFL. IRAL. 33(4),315-331.109

Gitsaki, C. (1991). Second language lexical acquisition: A study of the development of collocational knowledge. San Francisco: International Scholars Publications.

Halliday, M.A.K. (1967).Categories of the theory of grammar .In Kress, G. R. (Ed.), Halliday: System and Function in Language (pp. 52-72). Oxford: Oxford University Press

Hill, J. (1999). Collocational Competence. English Teaching Professional. Issue II, April 1999

Hussein, R. F. (1990). Collocations: The missing link in vocabulary acquisition amongst EFL learners.Papers and Studies in Contrastive Linguistics, 26(26), 123-136.

Korosadowitz-Struzynska, M. (1980). Word collocations in FL vocabulary instruction.

StudiaAnglicaPosnaniensia. 12. 109-120.

Lewis, M. (1993). The Lexical Approach. Language Teaching Publications.

Littlewood, W. (1984). Foreign and Second Language Learning.

Cambridge: Cambridge University Press

McCarthy, M. & O'Dell, F. (2005). English Collocations in Use. Cambridge: Cambridge University Press

Nesselhauf, N. (2003). The use of collocations by advanced learners of English and some implications for teaching. Applied Linguistics, 24(2), 223-242.

Palmer, F. R. (1976). Semantics: A new outline. Cambridge: Cambridge University Press.

Robins, R.H.(1967). A short history of linguistics. London: Longman

Shehata, A. (2008). L1 Influence on the Reception and Production of Collocations by advanced ESL/EFL Arabic Learners of English. unpublished dissertation. The College of Arts and Sciences of Ohio University, Ohio

Schmitt, D. (2010). Are learners getting the knowledge they need? Assessment procedure. International Review of Applied Linguistics: 119-20: 27-47.

Shokouhi, H., & Mirsalari, GH. (2010). Collocational Knowledge versus General Linguistic Knowledge among Iranian EFL Learners. Teaching English as a Second or foreign language. [Online] Available: <http://tesl-ej.org/pdf7ej52/a7.pdf>(September 16,2010) The Electronic Journal for English as a Second Language. Volume (13), 4

Sinclair, J. M. (1991). Corpus, concordance, collocation . Oxford: Oxford University Press

Siyanova, A. & Schmitt, N. (2008). L2 Learner Production and Processing of Collocation: A Multi-study Perspective. The Canadian Modern Language Review/La Revue Canadienne des Langues Vivantes, 64, 3 (March), 429-458

Wallace M.J. (1979). What is an idiom? An applied linguistic approach, in:

Hartmann R.R.K, (ed.), Dictionaries and their users, Exeter Linguistic Studies 4, Exeter, University of Exeter 63-70.

Wray, A. (2002). Formulaic Language and the Lexicon. Cambridge: Cambridge University Press.

Wardell, D. (1991). Collocations: Teaching word pairs in EFL classes. English Teaching Forum, 29(2), 35-37

Williams, J. (2000). Learning without awareness. Studies in Second Language Acquisition, 27, 269-304.

Willis, D.(1990). The lexical syllabus. Collins COBUILD: Harper Collins Publishersum, 29(2),35-37

Zarei, A. (2003). Patterns of Iranian advanced learners problems with English collocations. Unpublished doctoral dissertation, University of Isfahan, Iran

Zughoul, M. R.& Abdul-Fattah, H. (2003). Translational collocational strategies of Arab learners of English: A study in lexical semantics. Babel, 49 (1), 59-81